

تناضل العمال

لشرح

فضائل الأعمال

تأليف

الإمام شمس الدين السفاريني

محمد بن أحمد بن سالم السفاريني النابلسي الحنبلي

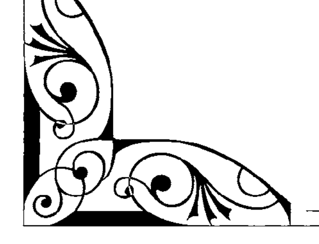
المولود سنة ١١١٤ والمتوفى سنة ١١٨٨ هـ

رحمه الله تعالى

تحقيق الشيخ

محمد عصام الشطي الدمشقي الحنبلي

المجلد السابع

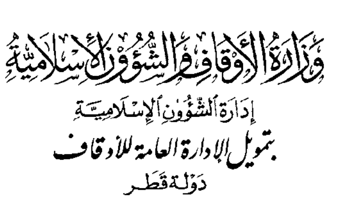


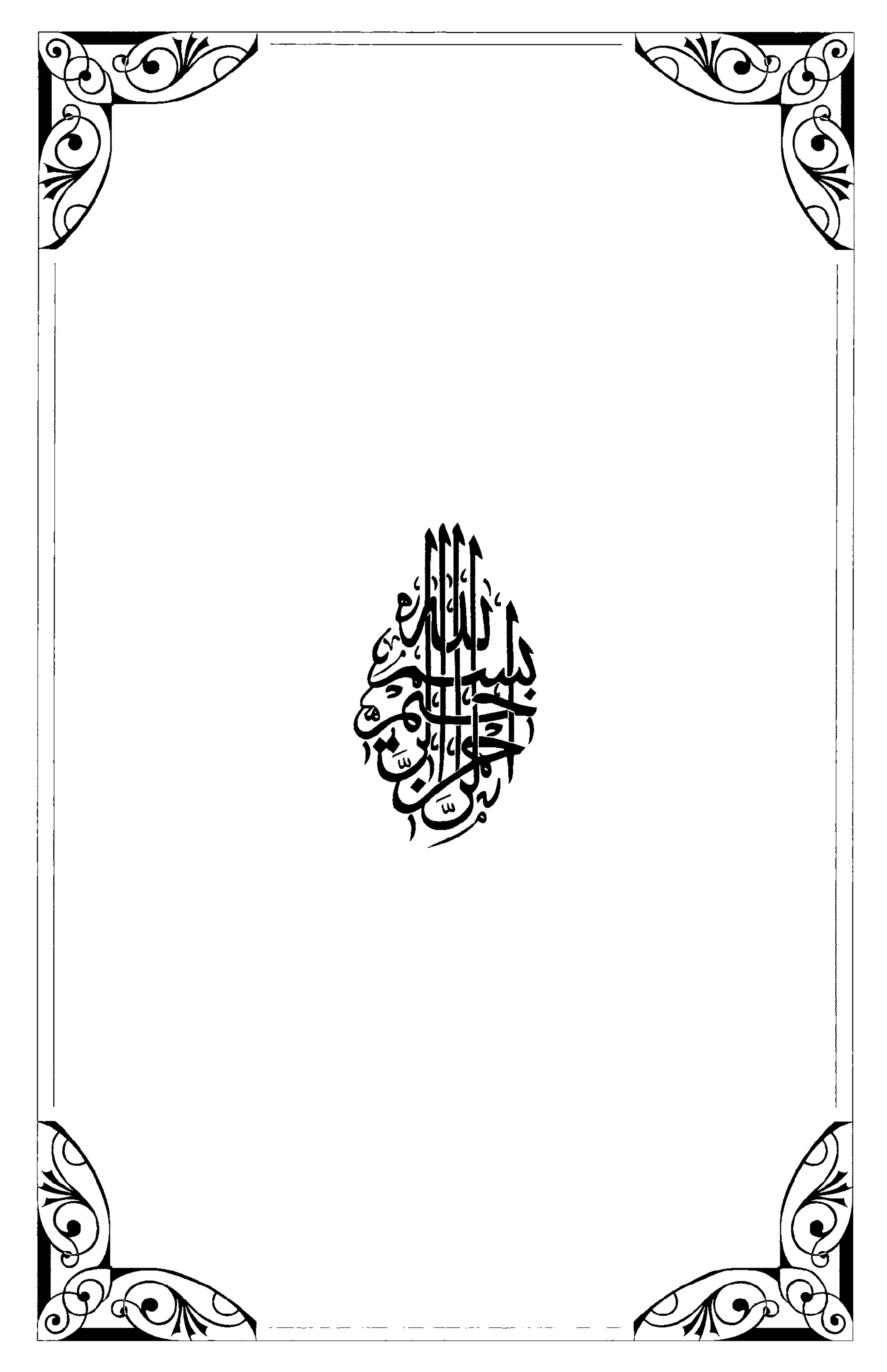
وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

إدارة الشؤون الإسلامية

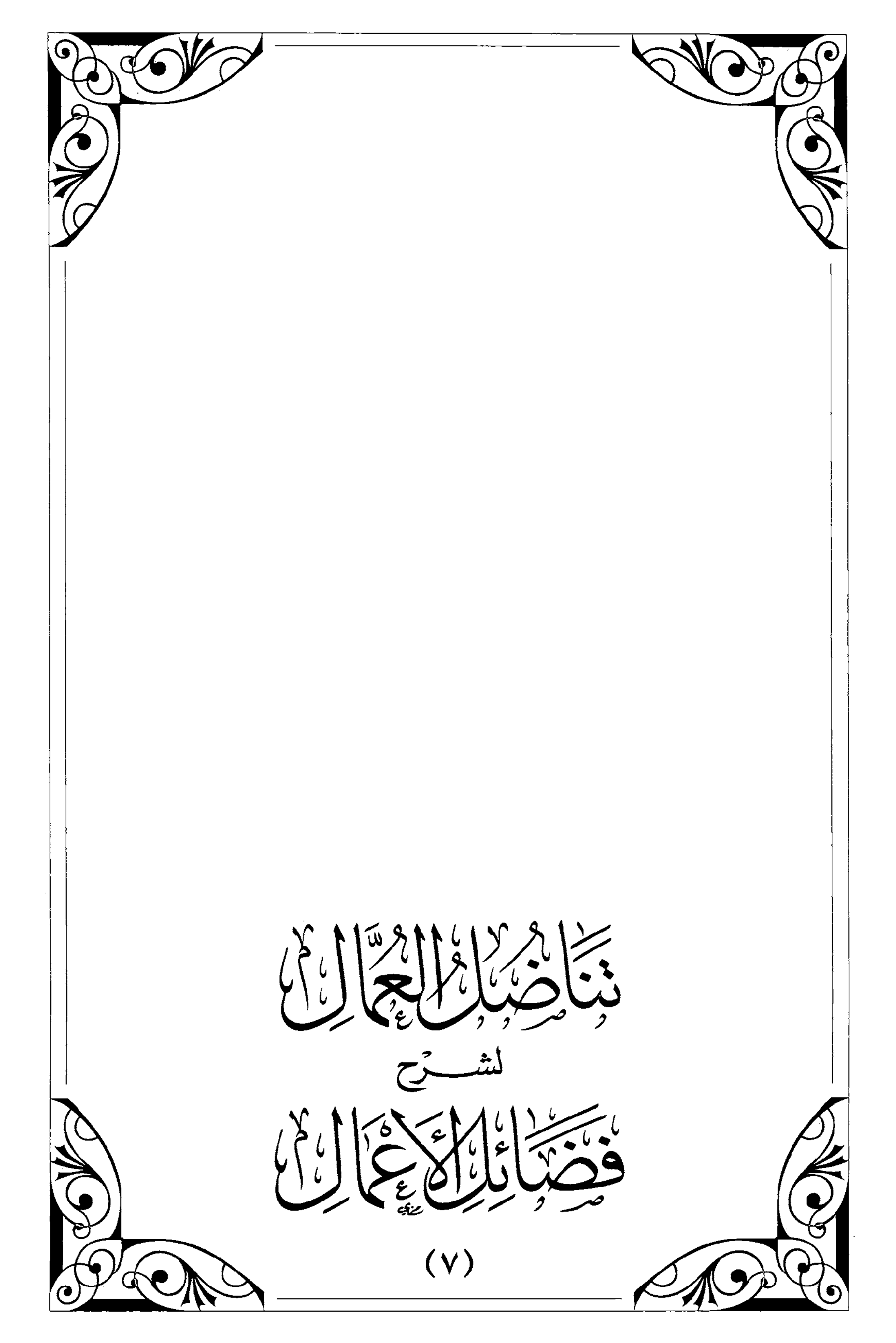
بتمويل الإدارة العامة للأوقاف

دولة قطر





بسم الله الرحمن الرحيم

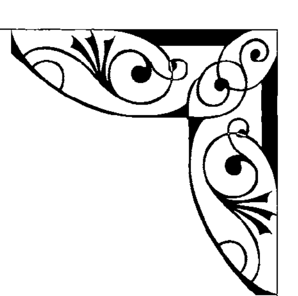
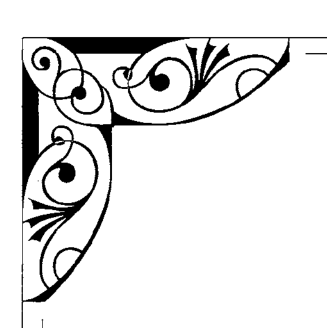


تناضل العمال

لشرح

فضائل الأعمال

(٧)

طبعة خاصة

الكتاب طبع على نفقة

وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية

وهو يوزع مجاناً ولا يجوز بيعه

turathuna@islam.gov.qa

إدارة الشؤون الإسلامية

ص. ب: ٤٢٢

ISBN 978-9933-564-08-7





الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ - ٢٠١٧م

قامت بعمليات التنضيد الضوئي والإخراج الفني والطباعة

دار النوادر

لبنان - بيروت

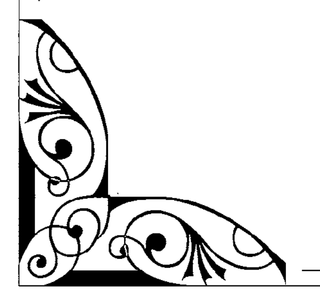
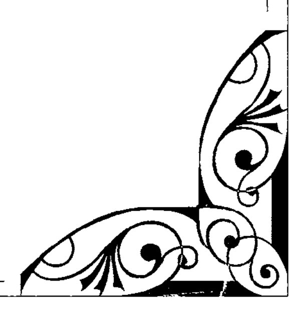
ص. ب: 4462/14

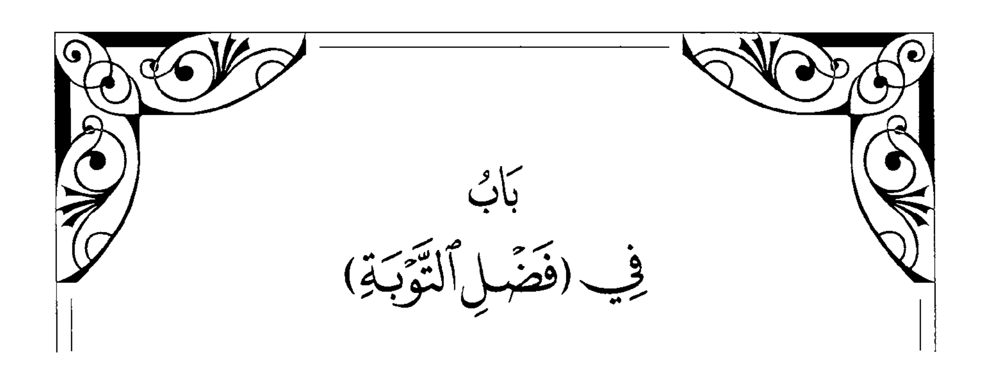
هاتف: 009611652528

فاكس: 009611652529

E_mail: info@daralnawader.com

Website: www.daralnawader.com



بَابُ فِي (فَضْلِ ٱلتَّوْبَةِ)

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ : أن التوبة تلزم شرعًا لا عقلًا ـ خلافًا للمعتزلة ـ كلَّ مسلم مكلفٍ قد أثم من كل ذنب، ولو مظنوناً.

قال في «نهاية المبتدئين»: تصح التوبة مما يُظن أنه إثم، وقيل: لا، وأنها لا تجب بدون تحقق إثم[1].

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: والحق وجوبُ قوله: إني تائب إلى الله من كذا، وأستغفر الله منه[2].

وعرفها بعضهم بأنها تركُ اختيار ذنب سبق مثله منه منزلة لا صورة؛ تعظيمًا لله، وحذرًا من سخطه، فشمل هذا التعريف أربعة أمور:

الأول: ترك الاختيار للذنب[3]؛ بأن يوطئ قلبه، ويجرد عزمه على عدم العَوْد إلى الذنب البتةَ، وأما إن تركَ الذنبَ وفي نفسه العودُ إليه، أو يتردد في العود، فهذا ليس بتائب، وإنما هو ممتنع.

---

(١) انظر: «نهاية المبتدئين» لابن حمدان (ص: ٥١).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٨٥).

(٣) في «غذاء الألباب» (٢/ ٤٦٧): «للمذنب».

الثاني: أن يتوب عن ذنب قد سبق منه مثلُه، فإن لم يكن سبق له ذنب، فهو مُتَّقٍ غيرُ تائب.

الثالث: أن الذي سبق يكون مثله ما يترك اختياره في المنزلة والدرجة، لا في الصورة، ألا ترى أن الشيخ الفاني الهرم الذي قد كان سبق منه الزنا، وقطعُ الطريق، إذا أراد أن يتوب عند ذلك، تمكنه التوبة، وتُقبل منه توبته لا محالة؛ لأنه لم يغلق عنه بابها، مع أنه لا يمكنه تركُ اختيار الزنا وقطع الطريق؛ لعدم قدرته على فعل ذلك، فلا يصح وصفه بأنه تارك له، ممتنع عنه، وهو عاجز عنه، غيرُ متمكن من فعله، لكنه يقدر على ما هو مثل الزنا وقطع الطريق في المنزلة والدرجة؛ كالقذف والغيبة والنميمة؛ إذ جميع ذلك معاص، وإن تفاوت الإثم في حق الآدمي في كل خصلة ومعصية بقدرها، ولكن جميع هذه المعاصي الفرعية كلها بمنزلة واحدة، وهي دون منزلة البدعة، ومنزلة البدعة دون منزلة الكفر، فإن كانت البدعة مكفِّرة، اتحدت منزلتها مع الكفر، فظهر أن المنازل ثلاثة: منزلة الكفر، ومنزلة البدع، ومنزلة المعاصي.

ثم إن المعاصي تنقسم إلى: صغيرة، وكبيرة، والكبائر منها الموبقات، وهي قتل النفس، والزنا، وأكل الربا، والسحر، والقذف، وأكل أموال اليتامى، والتولي يوم الزحف.

قال العلامة ابن مفلح في «الآداب الكبرى»: وتصح توبة من عجز عما حرم عليه من قول وفعل؛ كتوبة الأقطع عن السرقة، والزَّمِن عن السعي إلى حرام، والمجبوب عن الزنا، ومقطوع اللسان عن القذف.

والمراد: إما أن يكون ما تاب منه كان قد وقع منه، وإما أن تكون التوبة عن عزمه وتصميمه على المعصية لو قدر عليها[1].

الرابع: كون التوبة والرجوع عن الذنوب والمعاصي تعظيمًا لوجه الله تعالى، وامتثالًا لأمره وأمر نبيه ﷺ، فإن لم تكن التوبة كذلك، فالراجعُ عن الذنب ليس بتائب، وإنما هو مراءٍ، أو خائف، أو عاجز.

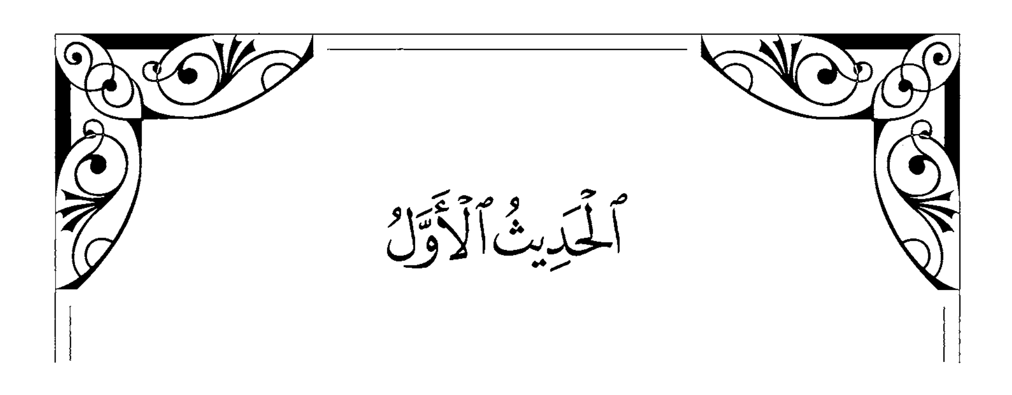
فنسأل الله ﷻ أن يرزقنا توبة نصوحًا تمحى بها الأوزار، ونرتقي بها إلى منازل الأبرار، مع السادة الأخيار، إنه الكريم الجواد التواب الغفار.

وقد ذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ في هذا الباب أربعة عشر حديثًا.

* * *

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٣٥ ـ ١٣٦).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٦٢١ ـ عَنْ عبدِالله بنِ مسعُودٍ ﷺ قالَ: سمعتُ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ يَقُولُ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ المُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِيَّةٍ مَهْلَكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فنَامَ، فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ العَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِي الَّذِى كُنْتُ فِيهِ فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ». أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظ مسلم[1].

(عن) أبي عبد الرحمنِ **(عبدِالله بنِ مسعودٍ** ﷺ **قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: لَلَّهُ)** ﷻ، اللام للابتداء والجلالة مبتدأ، وخبره **(أشدُّ)**، وقوله: **(فرحًا)**: تمييز.

قال في «الفتح»: إطلاق الفرح في حق الله ﷻ مجاز عن رضاه.

قال الخطابي: معنى الحديث: أن الله تعالى أرضى بالتوبة، وأقبلُ لها.

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤/ ٣).

والفرح الذي يتعارفه الناس بينهم غيرُ جائز على الله، وهو كقوله تعـالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ أي: راضون.

وقال ابن فورك: الفرح في اللغة: السرور، ويطلق على البطـر، ومنـه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]، وعلى الرضا؛ فإن كلَّ مَنْ يُسرُّ بـشيء، ويرضى به، يقال في حقه: فرح به.

وقال ابن العربي: كل صفة تقتضي التغيير، لا يجوز أن يوصـف الله ﷻ بحقيقتها، فإن ورد شيء من ذلك، حمل على معنى يليق به، وقد يعبر عـن الشيء بسببه، أو ثمرته الحاصلة عنه؛ فإن من فرح بشيء، جاد لفاعلـه بمـا سأل، وبذل له ما طلب، فعبر عن عطاء البارئ وواسعِ كرمه بالفرح.

وقال ابن أبي جمرة: كني عن إحـسان الله للتائـب، وتجـاوزه عنـه، بالفرح؛ لأن عادة الملك إذا فرح بفعل أحد، أن يبالغ في الإحسان إليه.

وقال القرطبي في «المفهم»: هذا مثلٌ قصد به بيان سرعة قَبول الله توبةَ عبده التائب، وأنه يُقبل عليه بمغفرته، ويعامله معاملة من يفرح بعمله.

ووجه هذا المثل: أن العاصي حصل بسبب معصيته في قبضة الشيطان وأسره، وقد أشرف على الهلاك، فإذا لطف الله به، ووفقه للتوبة، خرج مـن شؤم تلك المعصية، وتخلص من أسر الشيطان، ومن الهلكة التي كـان قـد أشرف عليها، فأقبل الله عليه بمغفرته ورحمته.

وأما الفرح الذي هو من صفات المخلوقين، فمحال على الله تعالى؛ لأنه اهتزاز وطرب يجده الشخص من نفسه عند ظفره بغـرض يـستكمل بـه نقصانه، ويسد به خلته، أو يدفع به عن نفسه ضررًا أو نقصًا، وكل ذلك محالٌ

على الله تعالى؛ فإنه الكامل بذاته، الغني بوجوده، الـذي لا يلحقـه نقـص ولا قصور، لكن هذا الفرح له ثمرة وفائدة، وهو الإقبالُ على الشيء المفروح به، وإحلالُه المحلَّ الأعلى، وهذا هو الذي يصح في حقه تعالى، فعبر عن ثمرة الفرح بالفرح، على طريقة العرب في تسمية الشيء باسم مجـاوره، أو كان منه سبب، وهذا القانون جار في جميع ما أطلقه الله ﷻ على صـفة مـن الصفات التي لا تليق به، وكذا ما ثبت عن رسول الله ﷺ(١).

قلت: وهذه طريقة الخلف، وأما طريقة السلف، فيثبتون ما ورد مـن ذلك كله لله ﷻ كما ورد، مع اعتقاد التنزيه له سبحانه عن سمات وأوصاف التشبيه والتجسم، فيؤمنون بما أخبر، لا كما يخطر في أوهام البشر، إثباتٌ بلا تكييف ولا تمثيل، وتنزيهٌ بلا تحريف ولا تعطيل.

قال بعض العلماء: كلُّ مذنب يجوز قبـولُ التوبـة منـه، إلا إبلـيس، وهاروت وماروت، وعاقر الناقة، وقابيل.

ونظر فيه بعضهم في غير إبليس؛ لأن هاروت وماروت تابـا، فقبلـت توبتهما، وكان عذاب الدنيا في حقهما شرطًا لصحة توبتهما، وقبولها، وأمـا قابيل، وعاقر الناقة، فماتا قبل أن يتوبا، والتوبة بعد الموت لا أثر لها.

(بتوبة عبده) الجار والمجرور متعلق بـ (فَرِحًا)، وقوله: **(المـؤمنِ)**: بالجر، نعتٌ لـ (عبده).

اعلم رحمك الله تعالى: أن التوبة أصل كل مقام، ومفتاح كل حـال، فمن لا توبة له لا مقام له، ولا حال، وهي لغةً: الرجوعُ من شيء إلـى آخـر،

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٠٦).

يقال: تاب بالمثناة، وثاب بالمثلثة، وآب، وأناب: رجع.

والمراد بالتوبة: الرجوع عن الذنب؛ بأن يقلع عنه، ويندم عليه، ويعزم على ألا يعود إليه، هذا في التوبة الواجبة والمندوبة عن البطالات والمباحات إلى الطاعات، أو عن أدنى المندوبات إلى أرفعها في الدرجات، ومنه قوله تعالى في حق داود عليه السلام: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ويقال: التوبة: الأوبة والإنابة، لكن باعتبارات، وبكل حال فهي مطلوبة.

وقال بعضهم: التوبة الواجبة: الرجوع عما كان مذمومًا في الشرع؛ من ترك واجب، أو فعل محرم إلى ما هو محمود في الشرع.

قال النووي وغيره: أركان التوبة ثلاثة: الإقلاع، والندم على فعل تلك المعصية، والعزم على ألا يعود إليها أبدًا، بل يعزم في المستقبل على تركها، ويندم على ما بدر منه في الماضي منها، من غير إكراه ولا إلجاء[(١)].

وقيل: يشترط مع ذلك قولُه: اللهم إني تائب إليك من كذا وكذا، وأستغفر الله، وهو ظاهر ما في «المستوعب»، فظاهر هذا اعتبار التوبة بالتلفظ والاستغفار.

قال ابن مفلح: ولعل المراد: أحدهما، قال: ولم أجد من صرح باعتبارهما، ولا أعلم له وجهًا. انتهى[(٢)].

والمذهب: عدم اعتبار واحد منهما.

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» للنووي (ص: ٨).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١١٤).

وزاد ابن عقيل من أئمة علمائنا: وأن يكون إذا ذكرها ـ يعني: المعصية ـ ينزعج قلبه، وتتغير صفته، ولم يرتح لذكرها، ولا يتنمق في المجالس بذكرها، فمن فعل ذلك، لم تكن توبته توبة.

قال ابن مفلح: ولعل المراد: من يعتبر مثل هذا إنما يعتبره وقت الندم، وإنما الغرض الندمُ المعتبر، وقد وجد، وقد قال ﷺ: «الندم توبة»[1].

وهذه الزيادة، وهي تجديد الندم إذا ذكر الذنب، قولُ أبي بكر بن الباقلاني من الشافعية.

والمعتمد: عدم اعتبار ذلك، مع أن الشافعية يوافقون غيرهم في أن توبته السابقة لا تبطل بمعاودة الذنب؛ خلافًا للمعتزلة[2].

وحديث: «الندم توبة» رواه الإمام أحمد بإسناد صحيح، والبخاري في «التاريخ»، وابن ماجه، والحاكم وصححه من حديث ابن مسعود[3].

والحاكم، والبيهقي من حديث أنس[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٦) من حديث ابن مسعود ﷺ، وسيأتي تخريجه قريبًا بأوسع من هذا.

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١١٥ ـ ١١٦).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٣٧٦)، والبخاري في «التاريخ الكبير» (٣/ ٣٧٣)، وابن ماجه (٤٢٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٢)، من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦١٤). ولم نقف عليه عند البيهقي من حديث أنس ﷺ، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٧٠٢٩) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ.

والطبراني، وأبو نعيم في «الحلية» من حديث أبي سعيد الأنصاري مرفوعًا، ولفظه: «الندم توبة، والتائبُ من الذنب كمن لا ذنب له»[1].

ومتى توفرت التوبة على النسق المذكور، قُبلت إن شاء الله، وغفر الذنب، وهي التوبة النصوح.

كما قال الحسن البصري: إنها ندم بالقلب، واستغفار باللسان، وترك بالجوارح، وإضمار أن لا يعود[2].

وقال ابن الجوزي: التوبة ندم يورث عزمًا وقصدًا، وعلامةُ الندم طولُ الحزن على ما فات، وعلامة العزم والقصد: التدارك لما فات، وإصلاح ما يأتي، فإن كان الماضي تفريطًا في عبادة، قضاها، أو مظلمة، أداها، وإن كانت خطيئة لا توجب غرامة، حزن إذ تعاطاها، ومتى قصر في قضاء دين، أو رد مظلمة، دل على ضعف التوبة. انتهى[3].

والحاصل: إن كانت التوبة مما يوجب الكفر، فلا بدَّ من الإتيان بالشهادتين وإثبات ما أنكر، وإنكار ما كان اعتقد مما يوجب الكفر، والإسلام يجبُّ ما قبله، وإن كان حق آدمي محض، وهذا لا يكاد يوجد، فكل حق آدمي يتعلق به حق لله؛ لأن مُعاطاة ما لا يشرع معصية، والإقدام عليها من حقوق الله؛ لأن الله ﷻ حد حدوداً يجب الوقوف عليها، وحق الآدمي لا يخلو

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٣٠٦)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٣٩٨).

(٢) أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (١/ ٣٠٣).

(٣) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (٣/ ١٠١٣ ـ ١٠١٨).

من كونـه إمـا أن ينجبر بمثلـه من الأمـوال والجراحات وقـيم المتلفـات أو لا.

فالأول: لا بد من رد كلّ مظلمة لأهلها من مال ونحوه، وتمكين ذي القصاص منه على الوجه المشروع، فإن تاب وندم وأقلع، وعزم أن لا يعـود، ولم يردَّ المظالم إلى أهلها؛ فهل تقبل توبته أم لا؟ ظاهر كلام شيخ الإسلام قدس الله روحه، وكلام غيره من أهل التحقيق: أنها تقبل، ويسقط بهـا حـق الله تعالى من الإقدام، وانتهاك الحرمة، وتعدية الحدود، ويبقى في ذمـة العاصـي مظلمة الآدمي، ومطالبته على حالها؛ لأن شيخ الإسلام قال: نحن لا نمنع أن يكون مطالبًا بمظالم الآدميين، ولكن لا يمنع هذا صحة التوبة؛ كالتوبة مـن السرقة، وقتلِ النفس، وغصبِ الأموال؛ فإنها صحيحة مقبولـة، والأمـوالُ والحقوق للآدمي لا تسقط[1].

وإما أن يكون لا ينجبر بمثله، بل جزاؤه من غير جنسه؛ كالقـذف، والزنا، والغيبة، والنميمة، فالتوبة من هذا النـوع بالنـدم والإقـلاع، وكثـرة الاستغفار للمغتاب ونحوه، وإكذاب نفسه مما قذفه به، وكثرة الإحسان لمن أفسد عليه زوجته، وزنى بها، ولا يحتاج إلى إعلامه، ولا استحلاله من ذلـك كله كما اختاره القاضي، وشيخُ الإسلام، وابنُ القيم، وجموع[2].

وذكر سيدنا الشيخ عبد القادر قدس الله روحه في «الغنية»: وقيل: إن

---

(١) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١٣٨)، ولكـن عـزاه لابـن عقيـل فـي «الإرشاد».

(٢) انظر: «غذاء الألباب» للسفاريني (٢/ ٤٥٢).

علم به المظلوم، استحله، وإلا، دعا له، واستغفر له، ولم يُعلِمه[1].

قال شيخ الإسلام: وهو قول الأكثرين[2].

وقد روى أبو محمد الخلال بإسناده عن أنس ﷺ مرفوعًا: «من اغتاب رجلًا، ثم استغفر له من بعد، غفر له غيبته»[3].

وبإسناده عن أنس ـ أيضًا ـ مرفوعًا: «كفارة من اغتاب أن يستغفر له»[4].

ولأن في إعلامه إدخالَ غَمٍّ عليه، وكذا الشيخ عبد القادر قدس الله سره قال: كفارةُ الاغتياب ما روى أنس، وذكر مثلَه.

وقال المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب»: من اغتاب أخاه المسلم: يُذكر عن النبي ﷺ: «إن من كفارة الغيبة: أن تستغفر لمن اغتبته، يقول: اللهم اغفر لنا وله»، ذكره البيهقي في «الدعوات الكبير»، قال: وفي إسناده ضعف[5].

---

(١) انظر: «الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٢٤٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٢٩١).

(٣) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٠٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا بلفظ: «إن من كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، تقول: اللهم اغفر لنا وله»، وقال: في هذا الإسناد ضعف. ورواه أبو الشيخ في «التوبيخ والتنبيه» (٢١٠) من حديث جابر بن عبدالله ﷺ بنحو اللفظ الذي ساقه المصنف.

(٤) ورواه الخرائطي في «مساوئ الأخلاق» (١/ ٢١٩)، وفيه عنبسة بن عبد الرحمن، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٠٦): عنبسة ضعيف جدًا.

(٥) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٢١٩)، والحديث المذكور رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٥٠٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

قال ابن القيم: وفي هذه المسألة قولان للعلماء هما روايتان عن الإمام أحمد، وهما: هل يكفي في التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب، أم لا بدَّ من إعلامه وتحلله؟

قال: والصحيح: أنه لا يحتاج إلى إعلامه، بل يكفيه الاستغفار، وذكره بمحاسن ما فيه في المواطن التي اغتابه فيها.

قال: وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره[1]. والله أعلم.

(من رجل) متعلق بـ (أشدَّ فرحًا) أيضًا، **(في أرض دوية)**: بفتح الدال المهملة وكسر الواو مخففة، وفي رواية: مشددة، وتشديد التحتية[2]، وكلاهما صحيح، وهي القَفْر الخلاء من الأرض، منسوبة إلى الدوّ، وهو القفر.

وقال أبو عبيد: أرض دوية ـ بتخفيف الواو ـ: ذات أدواء؛ كما قال في «المطالع»[3].

وفي «القاموس»: أرض دَوِيَّةٌ، ويضم: غير موافقة. انتهى[4].

(مهلكة): قال في «القاموس»: المهلكة، ويثلَّث: المفازة[5]، وقال: المفازة: النجاة، والمهلكة، ضد، وهي ما لا ماء فيها[6].

---

(١) انظر: «الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٢١٩).

(٢) وهي رواية مسلم (٨/ ٩٢ ـ الطبعة التركية).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ٥٦).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: دوي).

(٥) المرجع السابق (مادة: هلك).

(٦) المرجع السابق (مادة: فوز).

وفي رواية: «بفلاة»[1]؛ أي: مفازة، **(معه)**؛ أي: مع الرجل الذي في أرض دوية مهلكة **(راحلتُه)**؛ أي: ناقته الصالحة المرتاضة، **(عليها طعامُه)** الذي يأكله ويقتات به في سيره وسفره، **(وشرابه)** الذي يشربه في مفازته، **(فنام)** الرجل في مكان من تلك المفازة، وراحلتُه عنده، **(فاستيقظ)** من نومه، **(و)** الحال **(قد ذهبت)** راحلته من المكان الذي نام وهي فيه، **(فطلبها)** بكل جهده حتى أيس منها، وقد أعيا من شدة الطلب في تلك الأرض الدوية التي لا أنيس فيها ولا ماء **(حتى أدركه)**؛ أي: لحقه، **(العطشُ)**: فاعل (أدركه)، وهو بفتح العين والطاء المهملتين فشين معجمة: الظمأ، يقال: عَطِشَ؛ كفرِحَ، فهو عَطِشٌ، وعَطُشٌ، وعطشانٌ الآنَ، وعاطِشٌ غدًا، وهم عطشى، وعطاشى، وعِطاش، وهي عطشة، وعطشى، وعَطْشانة، وهن عَطِشات، وعِطاش، وعطشانات.

واشتد عليه الحر، أو ما شاء الله، **(ثم)** بعد أن أيس من راحلته، وقد اشتد ظمؤه، وأيس من حياته، **(قال)** حيثُ ولا بد من الموت: **(أرجع إلى مكاني)** الأول **(الذي)** نمتُ **(فيه، فأنام)** فيه ثانيًا **(حتى أموتَ)** فيه، **(فوضع)** الرجل **(رأسه على ساعده)**، وقد أيس من مساعدة، والساعد: هو الذراع، وإنما وضع رأسه ثَمَّ **(لـ)** أجل أن **(يموت)** في ذلك المكان، وقد احتاطت به الهموم والأحزان، **(فاستيقظ)** من نومته، وانتبه من رقدته **(وعنده)**، وفي رواية في الصحيحين: «فإذا»[2]، **(راحلته)** عنده **(عليها)**؛ أي: على راحلته

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٥) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما.

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٨) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وأورده الحميدي =

(زاده وطعامه وشرابه)، وفي رواية: «عليها طعامه وشرابه»[1]، من غير ذكر (زاده).

(فالله) ﷻ **(أشد فرحًا بتوبة العبد المؤمن)** الذي كاد أن يهلك بذنوبه، وقد دخل تحت أسر إبليس، واحتوشته جنوده، وصار في حزبه وأوليائه، ثم أدرك لطفَ اللطيف الحليم، ورحمةَ التواب الرحيم، فمنّ عليه بالتوبة حتى تاب، وبعد أن كان من الأعداء صار من الأحباب، ففرح البارئ بتوبته فرحًا عظيمًا أعظمَ **(من)** فرح **(هذا)** الذي كان قد أيس من الحياة بفقد راحلته التي عليها زاده في الأرض الدوية، **(براحلته)** التي هي سبب نجاته من الهلاك في تلك المفازة، **(و)** بـ **(زاده)** الذي هو سبب حياته من طعامه وشرابه في تلك الأرض الدوية المهلكة.

وليس في أنواع الفرح أكملُ ولا أعظمُ من هذا الفرح، ولولا المحبة التامة للتوبة ولأهلها، لم يحصل هذا الفرح.

قال الحافظ ابن رجب وغيره: هذا أعلى ما يتصوره المخلوق من الفرح، هذا كله مع غناه عن طاعات عباده وتوباتهم، وأنه إنما يعود نفعها إليهم دونه، ولكن هذا من كمال جوده وإحسانه إلى عباده، ومحبته لنفعهم، ودفع الضرر عنهم، فهو يحب من عباده أن يعرفوه، ويخافوه ويتقوه، ويطيعوه ويتقربوا إليه، ويحب التوابين من عباده، ويحب أن يعلموا أنه لا يغفر الذنوب غيره،

= في «الجمع بين الصحيحين» (٢٥٥) من حديث عبدالله بن مسعود ﷺ. ولم نقف على هذا اللفظ عند مسلم.

(١) رواه البخاري (٦٣٠٨)، ومسلم (٢٧٤٤/ ٣).

وأنه قادر على مغفرة ذنوب عباده[1].

قال المحقق ابن القيم في «مفتاح دار السعادة» في حكمة ابتلاء الحق ـ جل جلاله ـ بالذنوب والمعاصي، وفرحه بتوبة من يتوب، واستنقاذه من شَرَكِ إبليس ذي التنائي والتقاصي: هو ـ جلّ شأنه ـ يذيق عبده ألم الحجاب عنه والبعد، وزوال ذلك القرب؛ ليمتحن عبده، فإن أقام على الرضا بهذه الحال، ولم يجد نفسه تطالبه بحالها الأول مع الله، بل اطمأنت وسكنت إلى غيره، علم أنه لا يصلح، فوضعه في مرتبته التي تليق به.

وإن استغاث استغاثة الملهوف، وتقلق تقلق المكروب، ودعا دعاء المضطر، وعلم أنه قد فاته حياته حقًّا، فهو يهتف بربه أن يرد عليه حياته، ويعيد عليه ما لا حياة له بدونه، علم أنه موضع لما أهل له، فرد عليه أحوج ما هو إليه، فعظمت به فرحته، وكملت به لذته، واتصل به سروره، وعلم حينئذ مقداره، فعض عليه بالنواجذ، وثنى عليه الخناصر، وكان حاله كحال ذلك الفاقد لراحلته التي عليها طعامه وشرابه في الأرض المهلكة إذا وجدها بعد معاينة الهلاك، فما أعظم موقعَ ذلك الوجدان عنده!

ثم قال: ولله أسرار وحكم ومنبهات وتعريفات لا تنالها عقول البشر، ثم أنشد رحمه الله تعالى:

فقلْ لغليظِ الطبع ويحك ليس ذا

بعشك فادرجْ طالبًا عشك البالي

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٢٧).

ولا تـــكُ ممـــن مـــدَّ باعًـــا إلـــى جنـــى

فقـــصر عنـــه قـــال ذا لـــيس بالحـــالي

فالعبد إذا بُلي بعد الأنس بالوحشة، وبعد القرب بنار البعاد، اشتاقت نفسه إلى [لذة][1] تلك المعاملة، فحنت وأَنَّتْ، وتضرعت وتعرضت لنفحات مَنْ ليس لها منه عِوَض أبدًا، ولا سيما إذا تذكرت برّه ولطفه، وحنانه وقربه، فإن هذه الذكرى تمنعها القرار، وتهيج منها البلابل والأسرار؛ كما قال القائل وقد فاته طواف الوداع، فركب الأخطار، ورجع إليه:

ولمـــا تـــذكرتُ المنـــازلَ بـــالحمى

ولـــم يُقـــض لـــي تـــسليمة المتـــزود

تيقنـــتُ أن العـــيش لـــيس بنـــافعي

إذا أنـــا لـــم أنظـــر إليهـــا بموعـــد

وإن استمر إعراضها، ولم تحن إلى مهدها، ولم ترجع إلى عهدها الأول، ولم تحس بفاقتها، وضرورتها إلى رفاقتها، فهي ممن إذا غاب لم يُطلب[2]، وإذا حضر لم يُحسب، وإذا جنى لم يُستعتب، وإذا مرض لن يتطبب[3].

---

(١) ما بين معكوفتين من «مفتاح دار السعادة».

(٢) كذا في الأصل، وفي «مفتاح السعادة»: ولم تحسَّ بفاقتها الشديدة، وضرورتها إلى مراجعة قربها من ربها؛ فهي ممن إذا غاب...

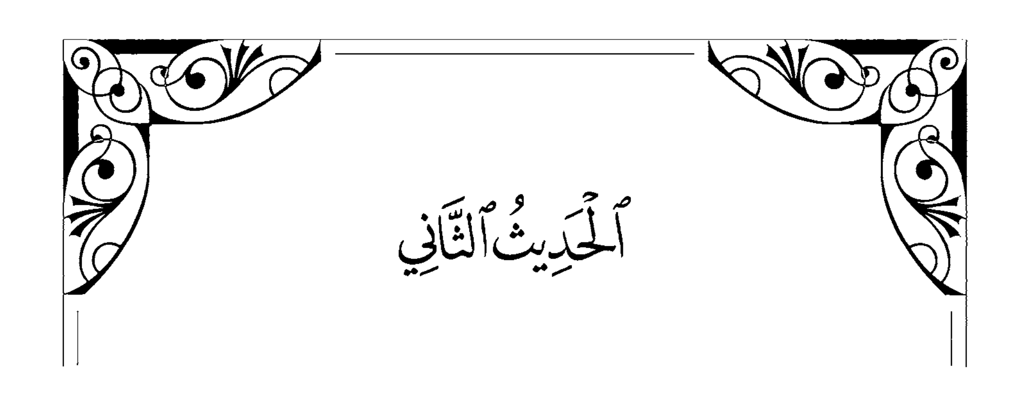
(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٩٦ - ٢٩٧).

ومن كان كذلك، فهو من الهوالك، ليس له إحساس بالألم، فهو من جملة البهائم والنَّعَم.

(رواه)؛ أي: حديثَ ابن مسعود المشروحَ **(البخاري، ومسلم، وهذا لفظ مسلم)**، ولفظ البخاري: «لَلَّهُ أفرحُ بتوبة العبد من رجل نزل منزلًا، وبه مهلكة، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه، فوضع رأسه، فنام نومة، فاستيقظ وقد ذهبت راحلته، حتى إذا اشتد عليه الحر والعطش، أو ما شاء الله، قال: أرجع إلى مكاني، فرجع فنام نومة، ثم رفع رأسه، فإذا راحلتُه عنده»[1].

* * *

(١) تقدم تخريجه.



الحَدِيثُ الثَّانِي

٦٢٢ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ أَحَدِكُمْ مِنْ أَحَدِكُمْ بِضَالَّتِهِ إِذَا وَجَدَهَا». رواه مسلم[1] .

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: لَلَّهُ) ﷻ **(أشدُّ فرحًا)**، وفي لفظ: «واللهِ لَلَّهُ أشدُّ فرحًا»[2]، **(بتوبة أحدكم)** معشرَ المسلمين المذنبين، وفي لفظ: «بتوبة عبده»[3]، **(من أحدكم)** معشرَ الخلق **(بضالَّته)**: متعلق بـ **(أشدَّ فرحًا)**، إذا ضلَّت عنه؛ أي: ذهبت عنه بغير قصده.

قال ابن السِّكِّيت: أضللت بعيري: إذا ذهب مني، وضللت بعيري؛ أي: لم أعرف موضعه[4].

وفي رواية عند مسلم: «واللهِ لَلَّهُ أفرحُ بتوبة عبده من أحدِكم يجد ضالَّته بالفلاة»[5]، **(إذا وجدها. رواه مسلم)**.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٧٥/ ٢).

(٢) رواه مسلم (٢٦٧٥/ ١).

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: «إصلاح المنطق» لابن السكيت (ص: ٢٦٨).

(٥) رواه مسلم (٢٦٧٥/ ١).

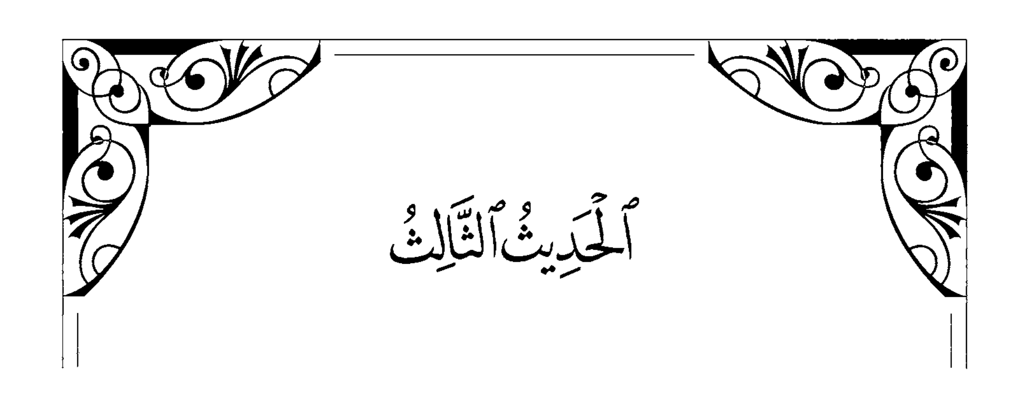
وروى مسلم في «صحيحه» عن سماكِ بنِ حرب قال: خطب النعمانُ ابن بشير رضي الله عنه فقال: «لَلَّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده من رجل حمل زاده ومزاده على بعير، ثم سار حتى كان بفلاة من الأرض، فأدركته القائلة، فنزل، فقالَ تحت شجرة، فغلبته عينه، وانسلّ بعيره، فاستيقظ فسعى شرفًا فلم يرَ شيئًا، ثم سعى شرفًا ثانيًا فلم يرَ شيئًا، ثم سعى شرفًا ثالثًا، فلم يرَ شيئًا، فأقبل حتى أتى مكانه الذي قال فيه، فبينا هو قاعد فيه، إذ جاءه بعيره يمشي [حتى][1] وضع خطامه في يده، ولله أشدُّ فرحًا بتوبة العبد من هذا حين وجد بعيره على حاله».

قال سماك: فزعم الشعبي أن النعمانَ بنَ بشير رفع هذا الحديث إلى النبي ﷺ، وأما أنا، فلم أسمعه[2].

* * *

(١) ما بين معكوفتين من «صحيح مسلم».

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٥).



الحديث الثالث

٦٢٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ إِذَا اسْتَيْقَظَ عَلَى بَعِيرِهِ قَدْ أَضَلَّهُ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ». أخرجاه[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ** ﷺ**: أن رسول الله** ﷺ **قال: لَلَّهُ)** ﷻ **(أشدُّ فرحًا)**، وفي رواية: «أفرحُ»[2]، **(بتوبة عبده)** الذي أقصته ذنوبه وخطاياه، وأدحضته عيوبه وآثامه وأهواؤه، ثم أدركه اللطف الخفي فتاب، وعن الفرار والإبعاد أناب، **(من أحدِكم)** معشرَ الناس **(إذا سقط على بعيره)**؛ أي: صادفه، وعثر عليه من غير قصد، وظفر به من غير وعد، ومنه قولهم: على الخبير سقطت.

وحكى الكرماني في رواية: «إذا استيقظ على بعيره»[3]، والأول أولى، بل الصواب؛ كما في «الجمع بين الصحيحين» للحافظ عبد الحق الإشبيلي[4].

---

(١) رواه البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧/ ٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٩).

(٣) وهي رواية مسلم (٢٧٤٧/ ٨)، ولم نقف عليها في «الكواكب الدراري» للكرماني.

(٤) انظر: «الجمع بين الصحيحين» لعبد الحق الإشبيلي (٤/ ٦٨).

قال الكرماني: معناه: انتهى إليه[1].

(قد أضله)؛ أي: ذهب منه بغير قصده، أو نسي مكانه الذي هو فيه **(بأرض فلاة. أخرجاه)**؛ أي: البخاري، ومسلم[2].

وفي رواية لمسلم: «لَلَّهُ أشدُّ فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت عنه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرة، فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك، إذا هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[3].

قال المحقق ابن القيم في رسالة له: ليس شيء ألذَّ من فرحة التوبة، حتى إن القلب ليرقصُ بها فرحًا، ولفرح الله تعالى بتوبة عبده إذا تاب ومحبته لها قدّر الذنب، وقضى به على عبده؛ لما يفضي إليه من الغاية المحبوبة له، ولو شاء الله تعالى أن يطاع فلا يعصى، ويُذكَر فلا يُنسى، ويشكر فلا يُكفَر، لفعل، ولكن الغايات المحمودة المحبوبة له، التي ستحصل بما قدره وقضاه من الذنوب أحبُّ إليه من الغايات التي يقدر عدمها.

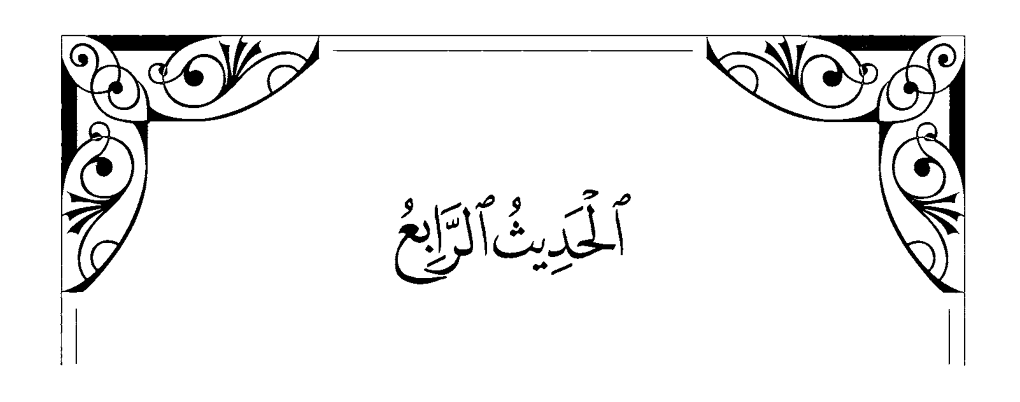
* * *

---

(١) أي: معنى قوله ﷺ: «سقط على بعيره»؛ كما نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ١٠٨) وعزاه للكرماني. ولم نقف على هذا القول عند الكرماني، وإنما قال الكرماني في «الكواكب الدراري» (٢٢/ ١٢٧): و(سقط على بعيره)؛ أي: وقع عليه وصادفه من غير قصد.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه مسلم (٢٧٤٧/ ٧).



الحديث الرابع

٦٢٤ ـ عَنِ البَرَاءِ بنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ تَقُولُونَ بِفَرَحِ رَجُلٍ انفَلَتَتْ مِنْهُ رَاحِلَتُهُ تَجُرُّ زِمَامَهَا بِأَرْضٍ قَفْرٍ لَيْسَ بِهَا طَعَامٌ وَلَا شَرَابٌ، وَعَلَيْهَا لَهُ طَعَامٌ وَشَرَابٌ، فَطَلَبَهَا حَتَّى شَقَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ مَرَّتْ بِجِذْلِ شَجَرَةٍ فَتَعَلَّقَ زِمَامُهَا، فَوَجَدَهَا مُتَعَلِّقَةً بِهِ؟» قُلْنَا: شَدِيدًا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَا وَاللهِ لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنَ الرَّجُلِ بِرَاحِلَتِهِ». أخرجه مسلم[1].

(عن) أبي عمارةَ **(البراءِ بنِ عازبٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كيف تقولون)** معشرَ العقلاء من البشر **(بفرح رجلٍ انفلتت)**؛ أي: تخلصت من تحت يده، ومن حفظه لها وصوانها، وذهبت **(منه)**؛ أي: من ذلك الرجل **(راحلته)**، فذهبت في الأرض على وجهها **(تجرّ)**؛ أي تشحط وتسحب **(زمامَها)**؛ أي: مِقودَها، وما تُشد به، وهو بكسر الزاي؛ ككتاب، والجمع أزمّة، **(بأرضٍ قفر)**: وهي الخالية التي لا ماء بها.

ومن ثَمَّ فسر الأرض القفر بقوله ﷺ: **(ليس بها طعام)** يتغذى ويتقوّت

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٦).

به، (ولا شراب) يشربه ليذهب عطشه وظمؤه، (و) الحال (له)؛ أي: لذلك الرجل (عليها)؛ أي: تلك الراحلة التي افتلتت (طعام) يقتات به، (وشراب) يشربه يُذهب به عطشه وظمأه، ويعيش به، (ويركب) الدابة، ويرتفق بها في سفره وسيره ذلك في تلك الفلاة القفر، فلما انفلتت منه، وذهبت، سار (فطلبها)؛ أي: راحلته، (حتى شقَّ عليه) طلبُها؛ أي: حصلت له بسبب طلبها والاجتهاد في ذلك مشقة زائدة، يقال: شق عليه: أوقعه في المشقة.

(ثم) بعد طلبه لها، وحصول ما حصل له بطلبها من المشقة، (مرت) تلك الراحلة المنفلتة بزمامها الذي تجره معها (بجِذل شجرة) بالكسر: هو أصلُ الشجرة وغيرها بعدَ ذهاب الفرع، والجمع أجذال، وجِذال، وجذول، وجذولة.

وفي «النهاية» في قوله ﷺ: «يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يبصر الجذل في عينه»[1].

ومنه: حديث التوبة: «ثم مرت بجذل شجرة»[2]، قال: الجذل بالكسر [والفتح][3]؛ أي: بكسر الجيم وفتحها وسكون الذال المعجمة: أصلُ الشجرة يقطع، ويجعل العود جذلًا.

وفي حديث السقيفة: أنا جُذَيْلها المحكَّك[4]، هو تصغير جذل، وهو

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) وهو حديث الباب.

(٣) ما بين معكوفتين من «النهاية في غريب الحديث».

(٤) رواه البخاري (٦٨٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن رجلٍ من الأنصار.

العود الذي ينصب للإبل الجرباء لتحتكّ به، وهو تصغير تعظيم؛ أي: أنا ممن يُستشفى برأيه كما تستشفي الإبلُ الجرباءُ بالاحتكاك بهذا العود[1].

(فتعلَّق)، أي: نشب **(زمامُها)**؛ أي: مقودُ راحلته.

قال في «المطالع»: تعلَّقت بزمامها، الزمام للإبل: ما يشدّ به رؤوسها من حبل وسير ونحوه؛ لتقاد به[2].

(فوجدها) ربها بعدَ إياسه منها ومن حياته، لما فقد عليها من طعامه وشرابه في الفلاة القفراء **(متعلقةً)**؛ أي: ناشبة ومربوطة **(به)**؛ أي: بالزمام المتعلق بجذل الشجرة.

(قلنا): يكون فرحه بوجدانها على الصفة المذكورة **(شديدًا)**؛ أي: كثيرًا عظيمًا جدًّا **(يا رسول الله، فقال رسولُ الله ﷺ: أما)**: بتخفيف الهمزة، **(واللهِ لَلَّهُ)**: اللام في جواب القسم، أو للابتداء، ولفظ الجلالة مبتدأ، و**(أشدُّ)**: خبره؛ أي: أعظمُ **(فرحًا)**: تمييز؛ كما تقدم، **(بتوبة عبدِه)**: متعلق بـ **(أشدّ فرحًا)**، **(من الرجل)** الذي انفلتت راحلته، وعليها طعامه وشرابه في أرض فلاة قفر، ليس بها طعام ولا شراب، وطلب راحلته حتى شقَّ عليه طلبها، فأيس منها ومن حياته، ثم وجدها، فالله أعظمُ فرحًا من هذا الرجل **(براحلته)** التي عليها طعامُه وشرابه.

(أخرجه مسلم) في «صحيحه»[3].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢٥١).

(٢) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ٢٣٢).

(٣) تقدم تخريجه.

وروى ابن عساكر في «أماليه» عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «لَلَّهُ أفرحُ بتوبة عبده من العقيم الوالد، ومن الضالِّ الواجد، ومن الظمآن الوارد»[1].

فـ (العقيم): المرأة التي لا تلد، فقدر فرحها إذا ولدت بعد عقمها، وقد أيست من الولد.

و(الضال الواجد): هو الذي تقدم ذكره من فقد راحلته وانفلاتها، ثم وجدها.

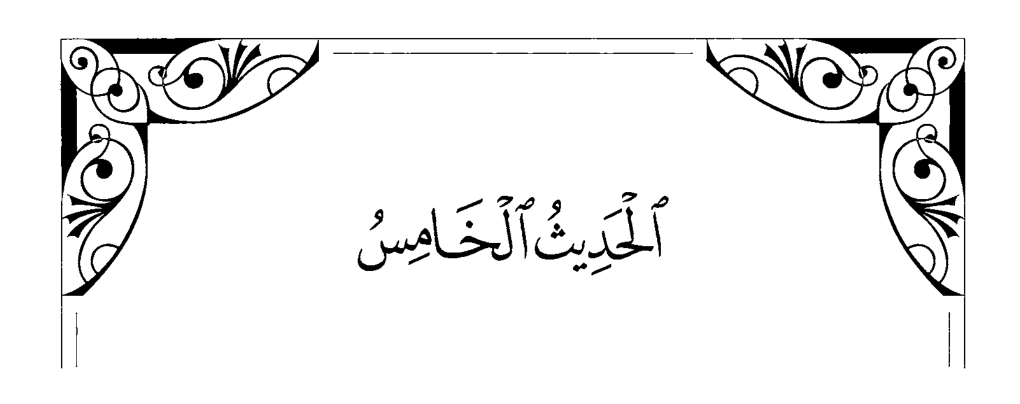
و(الظمآن)؛ أي: العطشان؛ فإن الظمأ شدة العطش، فاقدر فرحه إذا ورد الماء بعدَ شدة عطشه ومظمئه.

وروى أبو العباس بنُ بركات الهمداني في كتاب «التائبين» له بسند ضعيف عن أبي الجون مرسلًا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَلَّهُ أفرحُ بتوبة التائب من الظمآن الوارد، ومن العقيم الوالد، ومن الضالِّ الواجد، فمن تاب إلى الله توبة نصوحًا، أنسى الله حافظيه وجوارحه وبقاع الأرض كلها خطاياه وذنوبه»[2].

* * *

(١) ورواه ابن عساكر في «التوبة» (٥).

(٢) ورواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ٣١٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.



الحديث الخامس

٦٢٥ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عن ربه ﷻ أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبَادِي! إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي! إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ». رواه مسلم[1].

(عن أبي ذَرٍّ) جُندبِ بنِ جُنادةَ الغِفاريِّ (ﷺ، عن النبي ﷺ، عن ربّه ﷻ)، وهذا حديثٌ قدسيٌّ: (**يا عبادي!**)، جمع عبد؛ كعبيد وعبدان بضم أوله وكسره، وهو الإنسان، يتناول الأحرار والأرقاء من الذكور والإناث، لكن المراد هنا يشمل الثقلين الإنس والجن، بدليل قوله: «إنسكم وجنّكم»[2]؛ لتساويهم في التكليف، (**إني حَرَّمت**)؛ يعني: أنه منع نفسَه من الظلم؛ لأن التحريم في اللغة: المنع، فسمى تعالى تنزهه عن الظلم تحريمًا؛ لمشابهته الممنوع في تحقق العدم، (**الظلمَ**): وهو في اللغة: وضعُ الشيء في غير محله، (**على نفسي**): متعلق بـ (حرمت)؛ أي: تعاليت وتقدست عنه، فلا

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) وهو من تتمة الحديث.

يظلم عباده؛ كما قال ﷻ: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[ق: ٢٩]، وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾[غافر: ٣١]، ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾[آل عمران: ١٠٨]، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا﴾[يونس: ٤٤]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾[النساء: ٤٠]، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا﴾[طه: ١١٢]، والهضم: أن ينقص من أجر إحسانه، والظلم: أن يعاقب بذنوب غيره، ومثلُ هذا كثير في القرآن.

وقد فسر كثير من العلماء الظلم بأنه وضعُ الأشياء في غير موضعها، ومنهم من فسره بالتصرف في ملك الغير بغير إذنه.

وقد نُقل عن إياس بن معاوية وغيره، فإنهم يقولون: الظلم مستحيل عليه، غيرُ متصور في حقه؛ لأن كل ما يفعله فهو تصرف في ملكه(١).

وقد روى أبو داود، وابن ماجه من حديث أبي سنان سعيدِ بنِ سنان، عن وهب بن خالد الحمصي، عن ابن الديلمي: أنه سمع أُبيَّ بنَ كعب رضي الله عنه يقول: لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غيرُ ظالم لهم، ولو رحمهم، لكانت رحمته خيرًا لهم من أعمالهم، وأنه أتى ابنَ مسعود، فقال له مثل ذلك، ثمّ أتى زيدَ بنَ ثابت، فحدثه عن النبي ﷺ بمثل ذلك(٢).

لا يقال: إنه تعالى خلق أفعال العباد، وفيها الظلم؛ لأنه تعالى لا يوصف

---

(١) رواه الآجري في «الشريعة» (٤٧٨) عن إياس بن معاوية قال: لم أخاصم بعقلي كله من أصحاب الأهواء غير أصحاب القدر، قال: قلت: أخبروني عن الظلم في كلام العرب، ما هو؟ قال: أن يأخذ الرجل ما ليس له، قال: قلت: فإن لله كل شيء.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧).

بخلقه؛ فإنه إنما يوصف بأفعاله، لا بأفعال عباده، فإن أفعال عباده مخلوقاته ومفعولاته، وهو ﷻ لا يوصف بشيء منها، وإنما يوصف بما قام به من صفاته وأفعاله، وهذا هو الحق.

وقيل: إن الظلم يتصور منه، ويجوز أن يفعله، ويقدر عليه، ولكنه لا يفعله فضلًا منه وكرمًا وإحساناً إلى عباده، لأن الحكيم لا يُتمدَّح إلا بما يصحّ منه، ويقدر عليه.

والجواب: أن الله تعالى إنما قال: «إني حرمت الظلم على نفسي» توطئةً لقوله تعالى: **(وجعلته بينكم محرمًا)**؛ يعني: أنه تعالى حرم الظلم على عباده فيما بينهم، وحكم بتحريمه عليهم.

والظلم من حيث هو نوعان:

أحدهما: ظلم النفس، وأعظمُه الشركُ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[لقمان: ١٣]، فإنَّ جعلَ المخلوقِ في منزلة الخالق يُعبد ويتأله أعظمُ الظلم؛ فإنه من وضع الأشياء في غير موضعها، وأكثر ما ذكر في القرآن الكريم من وعيد الظالمين إنما أريد به المشركون؛ كما قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[البقرة: ٢٥٤].

ثم يليه المعاصي على اختلاف أجناسها؛ من كبائرِ الذنوب وصغائرِها.

والثاني: ظلمُ العبد لغيره، وهو المنهيُّ عنه في قوله: **(فلا تظالموا)**: بتخفيف الظاء المعجمة، أصله: تتظالموا، فحذفت إحدى التاءين تخفيفًا، ويجوز تشديد الظاء بإدغام الأخرى فيها.

وزعم بعضهم أنه الرواية؛ أي: لا يظلمْ بعضُكم بعضًا.

«يا عبادي! كلكم ضالٌّ إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، يا عبـادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أُطعمكم، يا عبادي! كلكـم عـارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم»[1]، (**يا عبـادي! إنكـم**) أنـتم (**الـذين تخطئون**)، وأكثر الروايات بحذف (الذين)[2]: بضم التاء الفوقيـة وسـكون الخاء المعجمة وكسر الطاء المهملة فهمز، وضبط بفتح الفوقية وفتح الطـاء المهملة، من خَطِئَ يخطَأ: إذا فعل عن قصد؛ كعلِم يعلَم، ومنـه: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾[العلق: ١٦]، ولا يصح من (أخطأ) الرباعي، لأنه الفعل عن غير قصد، وهو لا إثمَ فيه، والكلام إنما هو فيما فيه إثم، (**بالليل والنهار**): متعلق بـ (تخطئون)؛ يعني: تقع وتصدر منكم الذنوب والخطايا فـي الليـل وفـي النهار، (**وأنا الذي أغفر الذنوب**) جميعًا؛ صغيرها وكبيرها، ما عـدا الـشرك؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾[الزمر: ٥٣]، وهو عام مخصوص بما عدا الشرك وما لا يشاءُ مغفرته.

(**ولا أبالي**)؛ أي: ولا أكتـرث، يقـال: ما أُباليـه بالًا ومبـالاة؛ أي: ما أكترث؛ أي: ما يشتد علي ذلك، ولا يهمني، يقال: كرثه الغمّ يكرثـه: اشتد عليه؛ كأكرثه، وإنه لكريث الأمر: إذا كَعَّ ونكص؛ كما في «القاموس»[3].

(**فاستغفروني**)؛ أي: اطلبوا مني مغفرة ذنـوبكم وخطايـاكم، (**أغفـرْ لكم**) إياها، ولا أبالي، فالعبد أحوجُ شيء إلى معرفة خطاياه؛ لأنه يخطـئ

---

(١) رواه مسلم (٢٥٧٧).

(٢) وهي رواية مسلم (٢٥٧٧).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: كرث).

بالليل والنهار، وقد تكرر في القرآن العظيم ذكرُ التوبة والاستغفار، والأمر بهما، والحث عليهما.

وأخرج الترمذي، وابن ماجه من حديث أنس ﷺ، عن النبي ﷺ: «كلُّ بني آدم خطّاء، وخير الخطائين التوابون»[1].

وفي البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «واللهِ! إني لأستغفرُ اللهَ وأتوبُ إليه في اليوم أكثرَ من سبعين مرة»[2].

وخرجه النسائي، وابن ماجه، ولفظهما: «إني لأستغفر الله وأتوبُ إليه كلَّ يوم مئة مرة»[3].

وخرج مسلم من حديث الأغر المزني: سمع النبيَّ ﷺ يقول: «يا أيها الناس! توبوا إلى ربكم؛ فإني أتوب في اليوم مئة مرة»[4].

وأخرج الإمام أحمد من حديث حذيفة ﷺ قال: كان في لساني ذربٌ على أهلي، لم أعده إلى غيره، فذكرت ذلك للنبيّ ﷺ، فقال: «أين أنت من الاستغفار؟ يا حذيفة! إني لأستغفرُ الله في اليوم مئة مرة»[5].

وخرج الإمام أحمد من حديث عائشة ﷺ، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم اجعلني من الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا»[6].

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١).

(٢) رواه البخاري (٦٣٠٧).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٦٨)، وابن ماجه (٣٨١٥).

(٤) رواه مسلم (٢٧٠٢).

(٥) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٩٤).

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٢٩).

وأصل الغَفْر: الستر، فغفران الذنوب: سترها، ومحوُ أثرها، وأمن عاقبتها.

(رواه مسلم)، هكذا ذكره الحافظ المصنف مختصرًا، وتمامُه بعدما ذكره: «يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنّكم، كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم، ما زاد في ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم، ما نقص من ملكي شيئًا، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحد، فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيطُ إذا أدخل البحر، يا عبادي! إنما هي أعمالُكم أُحصيها لكم، ثم أُوفيكم إياها، فمن وجد خيرًا، فليحمِد الله، ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنَّ إلا نفسَه»[1].

قال الحافظ ابن رجب: رواه مسلم من رواية سعيد بن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد، عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رضي الله عنه، وفي آخره: قال سعيد بن عبد العزيز: كان أبو إدريس الخولاني إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه[2].

ورواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وقال فيه بعدما ذكر:

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (١/ ٢٢٢)، والحديث المذكور رواه مسلم (٢٥٧٧).

«ذلك بأني جواد ماجد، أفعل ما أريد، عطائي كلام، وعذابي كلام، إنما أمري لشيء إذا أردت أن أقول له: كن فيكون»، وهذا لفظ الترمذي، وقال حديث حسن[1].

قال الإمام أحمد ﷺ: هو أشرف حديث لأهل الشام[2].

وذكر الحافظ ابن رجب عن الفضيل بن عياض رحمه الله أنه قال: ما من ليلة اختلط ظلامها، وأرخى الليل سربال سترها، إلا نادى الجليل جل جلاله: من أعظم مني جودًا والخلائقُ لي عاصون، وأنا لهم مراقب، أكلؤهم في مضاجعهم كأنهم لم يعصوني، وأتولى حفظهم كأنهم لم يذنبوا فيما بيني وبينهم، أجود بالفضل على العاصي، وأتفضل على المسيء، من ذا الذي دعاني فلم أُلبّه، أم من ذا الذي سألني فلم أعطه، أم من ذا الذي أناخ ببابي فنحيته، أنا الفضل ومني الفضل، أنا الجواد ومني الجود، أنا الكريم ومني الكرم، ومن كرمي أن أغفر للعاصين بعد المعاصي، ومن كرمي أن أعطي العبد ما سألني، وأعطيه ما لم يسألني، ومن كرمي أني أعطي التائبَ كأنه لم يعصني، فأين عني يهرب الخلائق، وأين عن بابي يتنحى العاصون؟ وخرجه أبو نعيم في «الحلية»[3].

ولبعضهم في المعنى:

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٧)، والترمذي (٢٤٩٥)، وابن ماجه (٤٢٥٧).

(٢) أورده النووي في «الأذكار» (ص: ٣٣٠).

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٩٢).

أســـأتُ ولـــم أُحـــسنْ وجئتُـــك تائبًـــا

وأنّـــى لعبـــدٍ مـــن مواليـــه مهـــربُ

يَؤُمـــك غفرانًـــا، فـــإن خـــاب ظنـــه

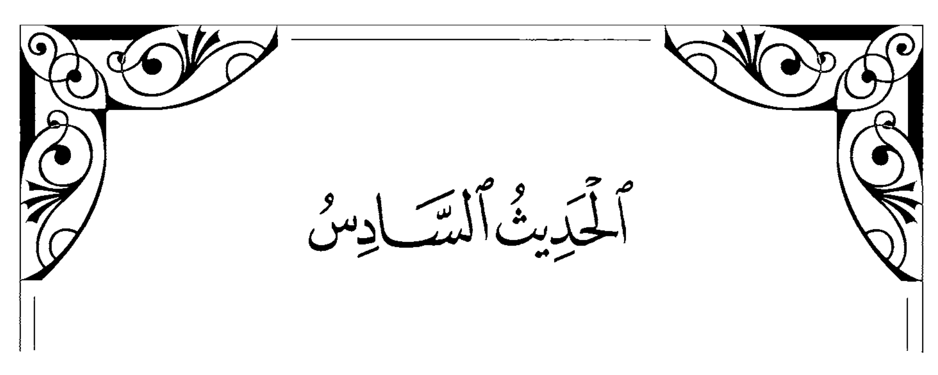
فمـــا أحـــدٌ منـــه علـــى الأرض أخيـــبُ[1]

وفي بعض الآثار الإسرائيلية؛ كما في «شرح الأربعين النووية» للحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: يقول الله ﷻ: أيؤمَّل غيري للشدائد، والشدائد بيدي وأنا الحي القيوم؟! ويرجى غيري، ويُطرق بابُه بالبُكرات، وبيدي مفـاتيح الخزائن، وبابي مفتوح لمن دعاني؟! من ذا الذي أملني لنائبة، فقطعت به، أو من الذي رجاني لعظيمٍ فقطعت رجاءه؟! أو من الذي طرق بابي فلم أفتحه له؟! أنا غاية الآمال، فكيف تنقطع الآمال دوني؟! أبخيل أنا فيبخلني عبدي؟! أليس الدنيا والآخرة والكرم والفضل كله لي؟! فما يمنع المؤملين أن يؤملوني؟! لو جمعتُ أهل السماوات والأرض، ثم أعطيتُ كلَّ واحد منهم ما أعطيـت الجميع، وبلَّغت كلَّ واحد منهم أملَه، لم ينقص ذلك من ملكي عضو ذرة، كيف ينقص ملكٌ أنا قيّمُه؟! فيا بؤسًا للقانطين من رحمتي! ويا بؤسًـا لمـن عصاني وتوثب على محارمي![2]، والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٢٨)، والبيتان رواهما البيهقـي في «شعب الإيمان» (٧٣٠٤) عن أبي عثمان سعيد بن إسماعيل الحيري، وفيـه: «هاربًا» بدل «تائبًا»، و«يؤمل» بدل «يؤمك».

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢٢٩).



الحديث السادس

٦٢٦ ـ عَنْ أَبِـي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْـلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِـهَا». رواه مسلم[1].

(عن أبي موسى) الأشعريِّ (ﷺ، **عن النبي ﷺ قال: إن الله)** ﷻ **(يبسط يـدَه)**؛ أي: يَـد الفضل والإنعام، والجـود والإكرام[2] **(بالليل)**؛ أي: فيـه، **(لـ)** أجل أن **(يتوبَ مسيء النهار)** من إساءته وخطيئته ومعصيته، **(ويبـسط يده)** ﷻ **(بالنهار)**؛ أي: فيه، **(لـ)** أجل أن **(يتوب مسيء الليـل)**؛ يعنـي: أنـه تعالى يقبل التوبة ممن تاب ليلًا ونهارًا، ولا يزال كذلك **(حتى)**؛ أي: إلـى أن **(تطلع الشمسُ)** من مغربها، فإذا طلعت الشمس من مغربها، غلق باب التوبة، فـ ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾[الأنعام: ١٥٨].

(رواه مسلم) في «صحيحه»، والإمام أحمد في «مسنده»، وغيرهما[3].

---

(١) رواه مسلم (٢٧٥٩).

(٢) الأولى إجراؤها على ظاهرها؛ فهي صفة ثابتة له سبحانه وتعالى، نثبتهـا ونعتقـدها لا نؤولها ولا نكيفها ولا نمثلها، ليس كمثله شيء وهو الـسميع البـصير، وإلـى هـذا ذهب إليه الشارح نفسه في كتابه «لوامع الأنوار» (١/ ٢٢٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٩٥)، وانظر التعليق السابق.

وروى الإمام أحمد ـ أيضًا ـ ، والترمذي وقال: حسن صحيح، والنسائي، وابن ماجه عن صفوان بن عسال ﷺ مرفوعًا: «باب من قِبَل المغرب مسيرةُ عرضه أربعون، أو سبعون سنة، خلقه الله ﷻ يوم خلق السماوات والأرض مفتوحًا للتوبة، لا يغلق حتى تطلع الشمس منه»(١).

وفي «صحيح مسلم» وغيره من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها، تاب الله عليه»(٢).

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ، أنه ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت، ورآها الناس، آمنوا أجمعون، فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا﴾»(٣).

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ مرفوعًا: ﴿يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، قال: «طلوع الشمس من مغربها»، رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حسن غريب، ورواه بعضهم موقوفًا(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٤١)، والترمذي (٣٥٣٥)، والنسائي (١٥٨)، وابن ماجه (٤٠٧٠).

(٢) رواه مسلم (٢٧٠٣).

(٣) رواه البخاري (٦٥٠٦)، ومسلم (١٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٣١)، والترمذي (٣٠٧١) من طريق ابن أبي ليلى، عن عطية العوفي، عن أبي سعيد ﷺ مرفوعًا، ورواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٣٧٧)، وقال: لا أعلم رواه عن عطية مرفوعًا إلا ابن أبي ليلى.

قال في «شرح مسلم»: قال العلماء: هذا حد لقبول التوبة[1].

وقد روى مسلم، والترمذي عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «ثلاث إذا خرجت لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابة الأرض»[2].

قال العلامة ابن مفلح في «الآداب الكبرى»: فهذا المراد به: أن طلوع الشمس آخرُ الثلاثة خروجًا، فلا تعارضَ بينه وبين ما سبق.

وقال عونُ الدين بن هبيرة: إن حكم هاتين الآيتين في أن نفسًا لا ينفعها إيمانها كالحكم في طلوع الشمس من مغربها. كذا قال[3].

وأما ما رواه الإمام أحمد، والترمذي وحسّنه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض ومعها خاتم سليمان، وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر، حتى إن أهل الخوان ليجتمعون، فيقول هذا: يا مؤمن، وهذا: يا كافر، ويقول هذا: يا كافر، وهذا: يا مؤمن»[4]، ورواه ابن ماجه، وعنده: «فتجلو وجه المؤمن بالعصا»[5]؛ فهذا إن صح ـ ونظر فيه ابن مفلح[6] ـ فلا يُعارض ما سبق؛ لأنه

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٢٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٨)، والترمذي (٣٠٧٢).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٣).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، والترمذي (٣١٨٧).

(٥) رواه ابن ماجه (٤٠٦٦).

(٦) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٣).

إن كـان خروجها قبـل طلوع الشمس، فليس في الخبر تصريح بأن الإيمـان لا ينفع بخروجها، وقد لا يتفق إيمان أحد بعد خروج الدابة، وإن كان نافعًا والزمانُ بينها وبين طلوع الشمس قريـب، وإن كـان بعـد طلـوع الـشمس، فالمراد: أن الناس لما آمنوا عند طلوع الشمس من مغربها، فقد يـشتبه مـن تقدم إسلامه بمن تأخر، فخرجت الدابة، فميزت وبينت هذا من هـذا بـأمر جليّ واضح.

وليس في الخبر ـ أيضًا ـ تصريح بأن الإيمان ينفع إلـى خروجهـا بعـد طلوع الشمس.

وقوله: (تخطم أنف الكافر)؛ أي: تسمه بسمة يعرف بهـا، والخطـام: سمة في عرض الوجه إلى الخد.

و(الخوان): هو الشيء الذي يؤكل عليه، فهو للعجم كالسفرة[1] عند العرب.

وروى الإمام أحمد عن عبدالله عن السعدي مرفوعًا[2].

ورواه عن الحكم بن نافع عن إسماعيل بن عياش، عـن ضمـضم بـن زرعة، عن شريح بن عبيد، عن مالك بن يخامر، عن ابن الـسعدي، وفـي آخره: فقـال معاويـة، وعبـد الرحمن بن عـوف، وعبـدالله بـن عمـرو بـن العاص ﷺ: إن النبي ﷺ قـال: «إن الهجـرة هجرتـان: إحـداهما: يهجـر السيئات، والأخرى: يهاجر إلى الله ﷻ، وإلى رسوله ﷺ، ولا تنقطع الهجرة

---

(١) في الأصل: «كالصفرة»، والمثبت من «تاج العروس» (مادة: سفر).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٧٠) بلفظ: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو».

ما تُقبلت التوبة، ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت، طبع الله ﷻ على كلِّ قلبٍ بما فيه، وكُفي الناس العمل»[1].

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: ليس المراد بهذا الخبر تركَ ما كان يعمله من الفرائض قبل طلوع الشمس من المغرب، فيجب الإتيان بما كان يعمله من الفرائض قبل ذلك، وينفعه ما يأتي به من الإيمان الذي كان يأتي به قبل ذلك، فقوله: (وكفي الناس العمل)؛ أي: عملًا لم يكونوا يفعلونه.

وقد ذكر ابن حامد من أعلام علمائنا أن المذهب: لا ينقطع التكليف؛ خلافًا للمعتزلة[2].

قال في «الآداب»: والمشهور في التفسير: أن المراد بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾[الأنعام: ١٥٨]: طلوع الشمس من المغرب، وهو الصواب، وصححه الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي، وغيره.

قال المفسرون ـ منهم ابن الجوزي ـ: وإنما لم ينفع الإيمان والعملُ الصالح حينئذ؛ لظهور الآية التي تضطرهم إلى الإيمان.

ثم ذكر الحافظ ابن الجوزي، والضحاك: أن من أدركه بعضَ الآيات، وهو على عمل صالح مع إيمانه، قبل منه كما يُقبل منه قبل الآية. انتهى كلامه[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٩٢).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٤).

(٣) المرجع السابق (١/ ١٤٤ ـ ١٤٥). وانظر: «زاد المسير» لابن الجوزي (٣/ ١٥٧)، وأثر الضحاك رواه الطبري في «تفسيره» (٨/ ١٠٣).

قال في «الآداب»: فظاهره: مخالفة كلام الضحاك لما سبق، وليس بمراد، فالعمل الصالح الذي سببه ظهور الآية لا ينفع؛ لأن الآية اضطرته إليه، وأما ما كان يعمله، فظهور الآية لا تأثير لها فيه، فيبقى الحكم كما كان قبل الآية.

قال عونُ الدين بن هبيرة: النفس المؤمنة إن لم تكسب في إيمانها خيرًا حتى طلعت الشمس من مغربها، لم ينفعها ما تكسبه.

وطلوع الشمس من مغربها على ظاهره عند أهل العلم، لا كما تأوله مَنْ تأوله من الباطنية، وهو رد على من زعم أن الله ﷻ لا يفعل ذلك من الحكماء والمنجمين، وفيه: بيان عجز نمرود في مناظرته. انتهى كلام «الآداب»[1].

* **توضيح:**

حاصل المقصود من الآية الكريمة: أن من لم يكن إيمانه متحققًا إذا طلعت الشمس من مغربها، لم ينفعه تجديد الإيمان، ولم ينفعه فعلُ بِرٍّ من جميع الأعمال؛ لأنه فقد الإيمانَ الذي هو الأساس لما عداه من تلك الأعمال، فلا ينفعه إيمانه الحادث، ولا ما صدر منه قبل ذلك من الإحسان وعملِ البر؛ من صلة الأرحام، وإعتاق الرقاب، وقرى الأضياف، وغير ذلك مما هو من مكارم الأخلاق؛ لأنها على غير أساس؛ لقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ﴾ [إبراهيم: ١٨] الآية.

والإيمان الحادث في ذلك الوقت ليس مقبولًا حتى يكونَ من باب: أسلمَ على ما أسلفَ من خير؛ فهؤلاء لا ينفعهم، لا بانضمام الأعمال السابقة،

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٥).

ولا بانضمام أعمالهم اللاحقة؛ لفقد الأساس الذي هو الإيمان، وأما من تحقق اتصافُه بالإيمان الشرعي قبل ذلك الوقت، واستمر إلى طلوع الشمس من مغربها، فهؤلاء لا يخلو أحدهم من أن يكون مقيمًا على المعاصي لم يكسب في إيمانه خيرًا، أو مؤمنًا مخلطًا، أو مؤمنًا تائبًا عن المعاصي، كاسبًا في إيمانه خيرًا ما استطاع.

فالأولُ: ينفعه الإيمان السابق المجرد عن الأعمال لأصل النجاة، فلا يخلد في النار خلودَ الكفار، وإن دخلها بذنوبه، فالإيمان السابق ينفعه، وينفعه الإيمان يومئذ ـ أيضًا ـ؛ لأنه نور على نور، ولكن لا تنفعه التوبة عن المعاصي، ولا تُقبل منه حسنة يعملها بعد ذلك.

والثاني: ينفعه إيمانه السابق لأصل نجاته، وينفعه ما قدّمه من الحسنات لدرجاته، وينفعه إيمان يومئذ ـ أيضًا ـ لما مرّ، ولكن لا تنفعه توبة حينئذ من التخليط، ولا حسنة يعملها بعد ذلك ما لم يكن كان قد عملها من قبل، واستمر على عملها؛ من صلاة وقراءة وذكرٍ كان يعمله.

والثالث: ينفعه إيمانه السابق لأصل نجاته، وتنفعه أعماله السابقة الصالحة، وينفعه إيمانه ذلك اليوم ـ أيضًا ـ، وينفعه ما يعمله بعد ذلك من الحسنات التي سبق منه أمثالها.

وهذا التفصيل كله مما دلت عليه الآية الكريمة، وبينته الأحاديث الواردة، وهو مما احتوت عليه عبارة العلامة في «الآداب»؛ من أن العمل الصالح الذي سببه ظهورُ الآية لا ينفع، وأما ما كان يعمله، فظهور الآية لا تأثير لها فيه، فيبقى الحكم كما كان قبل الآية[1].

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٥).

ويزيد ذلك إيضاحًا ما نقله العلامة ابن هشام في «مغنى اللبيب» عن ابن عطية، وابن الحاجب: أن الآية الكريمة من حذف المعطوف؛ أي: لا ينفع نفسًا إيمانها وكسبُها لم تكن آمنت من قبل، أو كسبت في إيمانها خيرًا، والآية من اللف والنشر[1].

ومفهومه: أنه إذا كانت كسبت ينفعها كسبها المماثل للسابق، وهو المطلوب.

فتلخص من مجموع ذلك، وما في معناه؛ مما هو في «الدر المنثور» للحافظ جلال الدين السيوطي: أن الشمس إذا طلعت من مغربها، لا ينفع الإيمان المحدَث في ذلك اليوم لمن كان كافرًا، أو مشركًا، ولا التوبة المحدَثة فيه لمن كان مخلطًا، ولا أعمال البر المحدثة فيه لمن لم يكن يعملها قبل ذلك اليوم.

وأما من كان قبل ذلك اليوم مؤمنًا، فالإيمان المجرد عن الأعمال الصالحة السابقة على ذلك ينفع صاحبه لأجل نجاته؛ كما سبق[2].

والضابط: أن كل بِرّ محدَث يكون السبب في إحداثه رؤية الآية، ولم يسبق من صاحبه مثلُه، لا ينفع، سواء كان من الأصول، أو الفروع، وكل بر ليس كذلك؛ لكون صاحبه كان عاملًا به قبل الآية ينفع.

وهذا التحقيق أشار إلى مثله العلامة ابنُ مفلح في «الآداب» كما سبق[3]،

---

(١) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٨٢٠).

(٢) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٩٨).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٤٥).

ونبه على نحوه العلامة السيد محمد البرزنجي في كتابه «الإشاعة في أشراط الساعة»[1]، وشيخ مشايخنا العلامة إبراهيم الكوراني في شرح منظومة الشيخ محمد القشاشي المقدسي، وسبقهم بالإشارة إلى مثله الحافظُ العسقلاني في «شرح البخاري»[2]، والحافظ السيوطي في «الدر المنثور»[3]، وغيرهم من المحققين، فهو المعوَّل عليه، دون ما زعمه بعض المتحذلقين ممن خبط ولبط في تفسير الآية الكريمة، ولم يهتد لمقصودها الذي عليه المحط. والله أعلم.

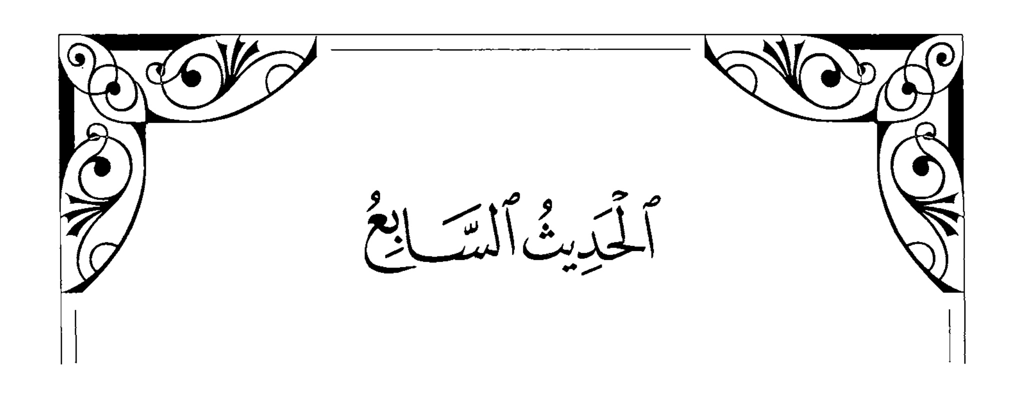
* * *

---

(١) انظر: «الإشاعة لأشراط الساعة» للبرزنجي (ص: ٣١٦).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٥٦ـ ٣٥٧).

(٣) انظر: «الدر المنثور» للسيوطي (٣/ ٣٩٨).



ٱلْحَدِيثُ ٱلسَّابِعُ

٦٢٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ». رواه مسلم[1].

(عن أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده)، وهذه الصفة كانت من أكثر ما يحلف بها، **(لو لم تذنبوا)**؛ أي: تتعاطوا من المناهي ما يوجب الذنوب والخطايا، **(لذهب الله)** ﷻ **(بكم، ولجاء)**: اللام في (لذهب) و(لجاء) في جواب القسم، **(بقومٍ)** غيرِكم **(يذنبون فسيتغفرون)**؛ أي: يطلبون منه تعالى أن يغفر لهم، **(الله)** الغفورَ الرحيم عقبَ ذنوبهم، ومن ثمَّ أتى بالفاء المفيدة الترتيب والتعقيب، **(فيغفر)** الله الجوادُ الكريم الغفورُ الرحيم **(لهم)** ذنوبَهم وخطاياهم مَنًّا مِنْهُ وكرمًا.

(رواه مسلم) في «صحيحه».

ورواه الإمام أحمد من حديث ابن عباس ﷺ، ولفظه: «لو لم تذنبوا،

---

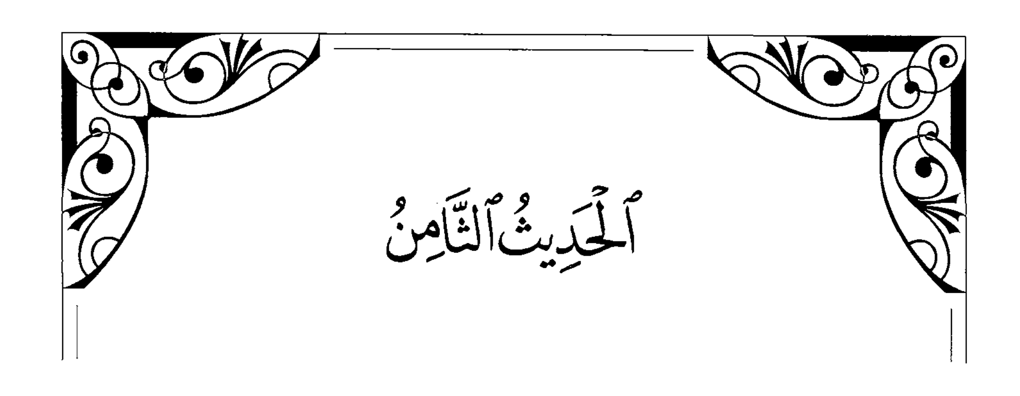
(١) رواه مسلم (٢٧٤٩).

لجاء الله بقوم يذنبون ـ أي: فيستغفرون ـ ليغفر لهم»[1]، وإسناده حسن.

* * *

ومن الباب:

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٨٩).



الحديث الثامن

٦٢٨ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَوْ أَنَّكُمْ لَمْ تَكُنْ لَكُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا اللَّهُ لَكُمْ لَجَاءَ الله بِقَوْمٍ لَهُمْ ذُنُوبٌ يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ». رواه مسلم[1].

(**عن أبي أيوبَ**) خالدِ بنِ زيدٍ (**الأنصاريِّ**) الخزرجيِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضائل الذكر)، (**عن النبي ﷺ أنه قال: لو أنكم**) معشرَ المسلمين من هذه الأمة (**لم تكن**)؛ أي: لم توجد، (**لكم ذنوب**) تستغفرون الله ـ تبارك وتعالى ـ منها، فـ (**يغفرها الله**) ﷻ (**لكم**)؛ ليظهر سعة حلمه وكرمه، وغفرانه وعفوه ورحمته، لذهب بكم، و(**لجاءَ اللهُ بقوم**) سواكم (**لهم ذنوب يغفرها**) **اللهُ** ـ تبارك وتعالى ـ لهم؛ لاستغفارهم الله تعالى منها؛ لأنه ـ سبحانه وتعالى ـ له الأسماء الحسنى، وكل أسمائه حسنى، والخلق والأمر متعلق بأسمائه، مرتبط بها، بل الخلق والأمر إنما ظهر بآثار أسمائه، ومن أسمائه الحسنى: العفوُّ، والتواب، الغفور الرحيم الحليم، فلا بد من تعلق هذه الأسماء بآثارها ومقتضياتها؛ كاسمه الخالق والرازق والسميع والبصير التي تقتضي

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٨/ ١٠).

مخلوقًا ومرزوقًا ومسموعًا ومبصِرًا، فكذلك اسمه الغفور يقتضي ذنبًا يكون مغفورًا يصح تعلق الاسم به؛ كتعلق الخالق بالمخلوق، والعفو والرحيم والتواب، ولو لم يكن ثَمَّ ما يتاب منه، وما يحتاج إلى مغفرته، لم يعقل معنى هذه الأسماء، ولا تعلقها بآثارها، ولا سيما وهي أسماء مضافة، فلا بد من وجود ما تضاف إليه.

وهي أسماء حسنى، وأوصافُ كمالٍ يستحيل خلوّه تعالى عنها؛ فإنه سبحانه له الكمال المطلق التام بكل اعتبار، فهذا من جملة ما في إيقاع العباد من الذنوب أحياناً من الفوائد.

ومنها: تنكيسُ المذنب رأسه، واعترافه بالعجز، وتبرؤه من العُجب.

ومنها: استجلاب العبد استعانته بربه تبارك وتعالى، والالتجاء والتضرع إليه، والافتقار والخضوع، وأنه لا يزال طالبًا منه، فقيرًا إليه، مبتهلًا إليه أن يعيذه من شر نفسه وسيئاتِ عمله.

ومنها: إرادته تعالى من عبده تكميلَ مقام الذلة والمسكنة بين يديه؛ فإن العبد متى نظر إلى صلاح نفسه واستقامته، وتمييزه عن أبناء جنسه بالطاعات التي عجزوا عنها، شمخ بأنفه، ودل بعمله، وتعاظمت إليه نفسه، وظن أنه وأنَّه، وذلك عينُ هلاكه، وسقوط منزلته عند ربه، فإذا ابتلاه بالذنب، تصاغرت إليه نفسه، وانكسر قلبه، وذل للعزيز الرحيم، وعلم أنه هالك، إلا أن يتغمده ربه الكريم الرحيم برحمته.

وهو في هذه الحال أقربُ إلى ربه؛ فإن العبد كلما كان أعظم ذلًّا

وانكسارًا، وخضوعًا ومسكنة لربه، كان أقربَ إليه، وأكرمَ عليه، فإذا ابتلاه بالذنب، استخرج من قلبه داء العُجب والكِبر؛ كما قيل: يا آدم! لا تجزع من قولي لك: اخرج من الجنة، فلك خلقتها، ولا تجزع من كأس زلل كانت سبب كيسك؛ فقد استُخرج بها داءُ العجب من قلبك، وألبست بها رداء العبودية.

و«لو لم تذنبوا، لذهب الله بكم، وجاء بقوم يذنبون، ويستغفرون الله، فيغفر لهم»[1].

ولو لم تكن التوبة أحبَّ الأشياء إليه تعالى، لما ابتلى عبده بالذنب.

والمقصود من العبد إنما هو تكميل العبودية التي لا تقوم إلا على ساق الذل والانكسار، فإذا شهد العبد ذلَّه وفقره إلى ربه من جهة حوائجه وضروراته ومصالح معاشه، وذلَّه وعجزه وانكساره من جهة ضعفه وفقره، وذله عند ابتلائه له، واحتقاره بسبب ما ارتكبه من الذنوب وغيرها، كان عبدًا حقًّا.

فلو لم يكن في تقدير الله ﷻ الذنبَ على عبده إلا تكميل ذله له، وانكساره بين يديه، لكفى به حكمة.

وهذا معنى قول بعض السلف: إن العبد ليعمل الحسنة، فيدخل بها النار، ويعمل السيئة فيدخل بها الجنة، قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يعمل الحسنة، فلا تزال نُصبَ عينه، يمنُّ بها، ويتكبر ويتعاظم، فيدخله الله ﷻ النار، ويعمل السيئة، فلا تزال نصب عينه، كلما ذكرها تابَ واستغفرَ، وندم

---

(١) رواه مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة ﵁.

وذلَّ وانكسر قلبُه لربه، فتكون أنفعَ له من حسناتٍ كثيرة، فيدخل بذلك الجنة[1]. والله أعلم.

(رواه مسلم) في «صحيحه».

وفي رواية في «صحيح مسلم» ـ أيضًا ـ عن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: أنه قال حين حضرته الوفاة: كنت كتمتُكُم حديثًا سمعتُه من رسول الله ﷺ يقول: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله خَلْقًا يُذنبون، فيغفر لهم»[2]، ورواه الإمام أحمد، والترمذي[3].

لم يرد بذلك ﷺ قلةَ الاحتفال لمواقعة الذنوب، بل الحقُّ ـ جل شأنه ـ كما أحبَّ أن يحسن إلى المحسن، أحبَّ التجاوز عن المسيء، والسرُّ فيه: إظهارُ صفة الكرم والحلم، وإلا لتخلف طرف من صفات الألوهية.

وقد ذكر الإمام المحقق ابنُ القيم ـ قدس الله روحه ـ في رسالة له بديعة من أسرار ذلك خمسًا وعشرين فائدة، وذكر ذلك في كتابه «مفتاح دار السعادة»، قال في مشهد الحكمة: وهو أن يشهد حكمة الله ﷻ في قضائه، وتخليته بين العبد وبين الذنب، ولله في ذلك حكم تعجز العقول عن الإحاطة بها[4].

قال رحمه الله، ورضي عنه: وقد ذكرنا منها في كتابنا «الفتوحات

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٩٩).

(٢) رواه مسلم (٢٧٤٨/ ٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٤١٤)، والترمذي (٣٥٣٩).

(٤) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٨٥).

القدسية» قريبًا من أربعين حكمة[1].

وذكر مثل ذلك في كتابه «شرح منازل السائرين»، فأبدع رحمه الله، ورضي عنه، فمما ذكره في «شرح منازل السائرين» في المشهد الخامس: وهو أحد مشاهد أهل الاستقامة، مشهد الحكمة في تقديره تعالى على عبده ما يبغضه سبحانه ويكرهه، ويلوم ويعاقب عليه، وأنه لو شاء لعصمه منه، ولحالَ بينه وبينه، وأنه سبحانه لا يُعصى قهرًا، وأنه لا يكون في العالم شيء إلا بمشيئته، ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤]، وهؤلاء يشهدون أن الله سبحانه لم يخلق شيئًا عبثًا ولا سدًى، وأن له الحكمةَ البالغة في كل ما قدره وقضاه من خير وشر، وطاعة ومعصية، حكمة باهرة تعجز العقول عن الإحاطة بكنهها، وتكل الألسن عن التعبير عنها، فمصدرُ قضائِه وقدرِه لما يبغضه ويسخطه اسمُه الحكيم الذي بهرت حكمته الألباب[2].

قال: وسألت يومًا شيخَ الإسلام ابنَ تيمية ـ قدس الله روحه ـ عن قول النبي ﷺ: «لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيرًا له»[3]، هل يدخل في هذا العموم قضاؤه عليه بالذنب؟

فقال لي: بشرطه، ولم يزد على ذلك، ففهمت ما أراد[4].

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

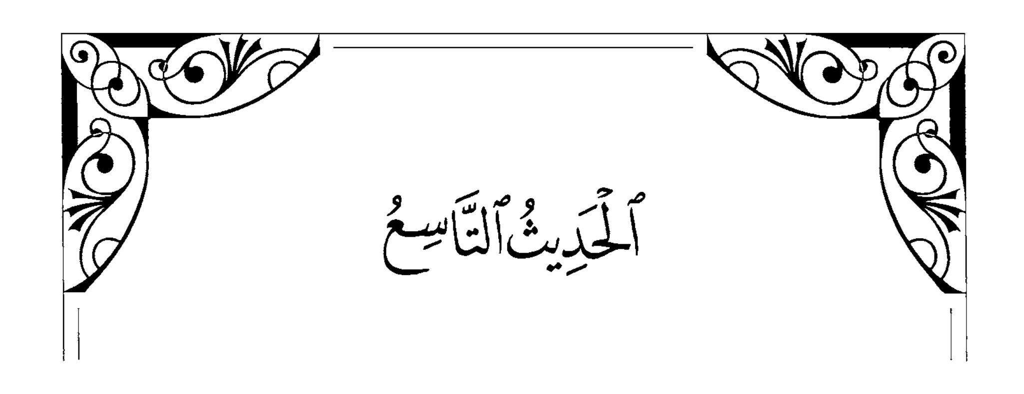
(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٨٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٢٨)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) انظر: «الفوائد» لابن قيم الجوزية (ص: ٩٣).

ومعنى كلامه: أنه إذا اقترن بالذنب مثل هذه الأمور التي ذكرت، كان القضاء خيرًا للعبد، وإن لم يقترن به شيء من ذلك، كان شرًّا له. انتهى.

* * *



الحديث التاسع

٦٢٩ ـ عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ! إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، ابْنَ آدَمَ! لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، ابْنَ آدَمَ! لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذيُّ وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: قال الله ﷻ)، وتقدم أن مثل هذا يسمى: حديثًا قدسيًا: (يا ابن آدم): آدمُ ـ عليه الصلاة والسلام ـ هو أبو البشر، وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل؛ فإن أصل (آدم) بهمزتين، على وزن (أفعل)، إلا أنهم سهلوا الثانية بقلبها ألفًا تخفيفًا؛ لاستثقال جمع الهمزتين، مشتق من أديم الأرض، أو من الأدمة ـ بسكون الدال المهملة أو فتحها ـ، وهي حمرة تميل إلى سواد.

واختلف هل هو أعجمي، أو لا؟ فذهب أبو البقاء وغيره إلى أنه ليس

(١) رواه الترمذي (٣٥٤٠).

بأعجمي، وأن منع صرفه إنما هو للعلمية ووزن الفعل[1]، وذهب الثعالبي إلى أنه أعجمي، وأن منع صرفه للعلمية والعجمة.

وصح أنه كان يتكلم بكل لسان[2]، وأنه كان الغاية في الجمال، وأن جمال يوسف ـ عليه السلام ـ كان على الثلث من جماله[3].

وفي الحديث: «خلق الله تعالى آدمَ من أديم الأرض كلِّها، فخرجت ذريته على نحو ذلك، منهم الأبيضُ والأسود والأحمر، والسَّهْل والحَزْن، والطيبُ والخبيث»[4].

(إنك ما دعوتني) بمغفرة ذنوبك؛ كما يدل عليه السياق الآتي، سواء كان الدعاء ليلًا أو نهارًا، سرًّا أو علانية، و(ما): ظرفية مصدرية؛ أي: مدة دعائك إياي، **(ورجوتني)** لإجابة دعائك وقبوله؛ إذ الرجاء تأميل الخير، وتوقُّعُ حصوله؛ فإن الدعاء مع الرجاء من أسباب الإجابة.

وفي الطبراني مرفوعًا: «من أُعطي الدعاء، أُعطي الإجابة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]»[5].

---

(١) انظر: «إملاء ما من به الرحمن» لأبي البقاء (١/ ٢٩).

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (١/ ٢٨٤): أول من تكلم باللغات كلها من البشر آدم عليه السلام، والقرآن يشهد له، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلۡأَسۡمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]، واللغات كلها أسماء، فهي داخلة تحته.

(٣) انظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٤٧).

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦١٨١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٥) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٠٢٣) من حديث ابن مسعود ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٤٩): وفيه محمود بن العباس، وهو ضعيف.

وفي حديث آخر: «ما كان الله ليفتحَ على عبد بابَ الدعاء، ويغلقَ عنه بابَ الإجابة»[1].

قال الحافظ ابن رجب: الدعاء سبب مقتضٍ للإجابة مع استكمال شرائطه، وانتفاءِ موانعه[2].

وتقدم من ذلك في بابه ما لعله يشفي ويكفي.

ومن أعظم شرائطه: حضور القلب، ورجاء الإجابة من الله؛ كما أخرجه الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة؛ فإن الله لا يقبل دعاءً من قلب غافلٍ لاهٍ»[3].

وفي «المسند» نحوُه من حديث عبدِالله بنِ عمروٍ[4].

ومن أهم ما يسأل العبد ربه مغفرةُ ذنوبه، أو ما يستلزم ذلك؛ كالنجاة من النار، ودخول الجنة.

وقد قال النبي ﷺ: «حولهما نُدَنْدِن»[5]؛ يعني: حول سؤال الجنة، والنجاة من النار.

قال أبو مسلم الخولاني: ما عرضت لي دعوة، فذكرت النار، إلا

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٢/ ٣٢٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٩٢).

(٣) رواه الترمذي (٣٤٧٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٧).

(٥) رواه أبو داود (٧٩٢) من حديث أبي صالح، عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

صرفتها إلى الاستعاذة منها[1].

وبكلِّ حال فالإلحاحُ بالـدعاء بـالمغفرة، مـع رجـاء الله ﷻ موجـبٌ للمغفرة، والله تعالى يقول: «أنا عند ظنِّ عبدي بي، فليظُنَّ بي ما شاء»[2]، وفي رواية: «فلا تظنوا بالله إلا خيرًا»[3].

وقوله: (**غفرت لك على ما كان ولا أبالي**)؛ أي: غفرت لك ذنوبـك؛ أي: سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الآخرة، ولا أبالي؛ يعني: علـى كثرة ذنوبك وخطاياك، ولا يتعاظمني ذلك، ولا أَستكثره.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إذا دعا أحدكم فليعظمِ الرغبة؛ فإن الله لا يتعاظمه شيء»[4].

فذنوبُ العباد وإن عظمت، فإن عفو الله ومغفرته أعظمُ منها وأعظم، فهي صغيرة في جنب عفو الله ومغفرته.

وفي «صحيح الحاكم» عن جابر ﷺ: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ يقـول: وا ذنوباه! مرتين أو ثلاثًا، فقال له النبي ﷺ: «قل: اللهمَّ مغفرتُـك، ورحمتك أرجى عندي من عملي»، فقالها، ثم قال له: «عد»، أوسـعُ مـن ذنوبي فعاد، ثم قال له: «عد»، فعاد، فقال له: «قم فقد غفر الله لك»[5].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٧/ ٢٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٣)، من حديث واثلة بن الأسقع ﷺ.

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (٨٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٩٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٩٤) وقال: رواته عن آخرهم مدنيون ممن =

وفي مثل هذا يقول بعضهم:

يـــا ربِّ إن عَظُمـــت ذنـــوبي كثـــرةً

فلقـــد علمـــتُ بـــأن عفـــوك أعظـــمُ

إن كـــان لا يرجـــوك إلا محـــسنٌ

فمـــن الـــذي يرجـــو ويـــدعو المجـــرمُ

مـــا لـــي إليـــك وســـيلةٌ إلا الرجـــا

وجميـــلُ عفـــوك ثـــم إنـــي مـــسلمُ[1]

(يا ابن آدم! لو بلغت ذنوبك) على فرض كونها أجرامًا **(عَنانَ)** بفتح العين المهملة؛ أي: سحابَ **(السماء)**؛ بأن ملأت ما بين السماء والأرض، وقيل: عنان السماء: ما انتهى إليه البصر منها، وفي رواية أخرى: «لو أخطأتم حتى بلغت خطاياكم ما بين السماء والأرض»[2].

(ثم استغفرتني)؛ أي: طلبتَ المغفرة مني، وهي وقاية شر الذنوب مع سترها.

قال الحافظ ابن رجب: وكثيرًا ما يقرن الاستغفار بذكر التوبة، فيكون الاستغفار حينئذ عبارة عن طلب المغفرة باللسان، والتوبة عبارة عن الإقلاع عن الذنوب بالقلب والجوارح، وتارة يفرد الاستغفار، ويرتب عليه المغفرة؛

= لا يعرف واحد منهم بجرح، ولم يخرجاه.

(١) هذه الأبيات رواها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٧/ ٤٤٨) عن أبي نواس.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣٨) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.

كما في هذا الحديث وما أشبهَه، فقيل: إنه أريد به: الاستغفار المقترن بالتوبة[1]؛ أي: طلبتَ مني المغفرة بلسانك، وتبتَ وأقلعت عنها بجنانك.

(غفرت لك) ذنوبَك، وإن تكررت وكثرت، **(ولا أبالي)** من كثرتها وتكررها، ومعاودتك عليها حيث أعقبتَها بالاستغفار والتوبة النصوح.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ: «إن عبدًا أذنب ذنبًا، فقال: ربِّ! أذنبتُ ذنبًا، فاغفرْ لي، قال الله ﷿: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به، غفرتُ لعبدي، ثم مكث ما شاء الله، ثم أذنب ذنبًا آخر»، فذكر مثل الأول مرتين أخريين[2].

وفي رواية مسلم أنه قال في الثالثة: «قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء»[3].

قال الحافظ ابن رجب وغيره: والمعنى: ما دام على هذه الحال كلما أذنب استغفر[4].

والظاهر أن المراد بالاستغفار المقرون بعدم الإصرار، ولهذا جاء في حديث الصديق ﵁ مرفوعًا: «ما أصرَّ مَن استغفر، وإن عاد في اليوم سبعين مرة»، خرجه أبو داود، والترمذي[5].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٩٤).

(٢) رواه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨/ ٢٩).

(٣) رواه مسلم (٢٧٥٨/ ٣٠).

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٦٤).

(٥) رواه أبو داود (١٥١٤)، والترمذي (٣٥٥٩) وقال: وليس إسناده بالقوي، =

والمراد بالاستغفار في مثل هذه الأخبار: المقترن بالتوبة النصوح، وأما استغفار اللسان مع إصرار القلب على الذنب، فدعاء مجرد، إن شاء الله أجابه، وإن شاء الله رده، وقد يكون الإصرار مانعًا من الإجابة.

وفي «مسند الإمام أحمد» من حديث عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاص ﷺ مرفوعًا: «ويل للذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون»[١].

وروى ابنُ أبي الدنيا من حديث ابن عباس ﷺ مرفوعًا: «التائبُ من الذنب كَمَنْ لا ذنبَ له، والمستغفرُ من ذنبه وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئ بربه»[٢].

قال الحافظ ابن رجب: لعله موقوف؛ فإن رفعه منكر[٣].

وقال: الاستغفار التام الموجبُ للمغفرة هو ما قارن عدم الإصرار؛ كما مدح الله تعالى أهله، ووعدهم بالمغفرة.

قال بعض العارفين: من لم يكن ثمرةُ استغفاره تصحيحَ توبته، فهو كاذب في استغفاره.

وكان بعضهم يقول: استغفارُنا يحتاج إلى استغفار كثير، وفي ذلك لبعضهم:

= وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١١٢): إسناده حسن.

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٦٥)، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ١١٢): إسناده حسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٨٥).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٩٥).

أســــــتغفرُ الله مـــــن أســـــتغفر الله

مـــن لفظـــةٍ بـــدرتْ خالفـــت معناهـــا

وكيـــف أرجـــو إجابـــاتِ الـــدعاء وقـــد

ســـددتُ بالـــذنب عنـــدَ الله مجراهـــا

فأفضلُ الاستغفار ما اقترن به تركُ الإصرار، وهو حينئذٍ توبة نصوح، وأما إن قال بلسانه: أستغفر الله، وهو غيرُ مقلع بقلبه، فهـو داع لله بـالمغفرة؛ كما يقال: اللهم اغفر لي، وهو حسن، وقد يرجى له الإجابة، وأما من قـال: هو توبة الكذابين، فمراده: أنه ليس بتوبة كما يعتقده بعض النـاس، وهـذا حق؛ فإن التوبة لا تكون مع الإصرار.

وإن قال: أستغفر الله وأتوب إليه، فله حالتان:

إحداهما: أن يكون مصرًّا بقلبه على المعصية، فهذا كاذب في قوله: (وأتوب إليه)؛ لأنه غير تائب، فلا يجوز له أن يخبر عن نفسه بأنـه تائـب وهـو غيرُ تائب.

والثانية: أن يكون مُقلِعًا عن المعصية بقلبه، فاختلف الناس في جواز قوله: (وأتوب إليه)، فكرهه طائفة من السلف، وهـو قـول أصـحاب أبـي حنيفة، حكاه عنهم الطحاوي.

وقال الربيع بن خيثم: يكون قوله: (أتوب إليه) كذبـةً وذنبًـا، ولكـن ليقل: اللهم تبْ عليّ، أو يقول: اللهم إني أستغفرك، فتب عليّ[1].

---

(١) أورده النووي في «الأذكار» (ص: ٣٢٣).

وهذا قد يُحمل على من لم يقلع بقلبه، وهو بحاله أشبه.

وسئل محمد بن كعب القرظي عمن عاهدَ الله لا يعود إلى معصية أبـدًا، فقال: من أعظم منه إثمًا؟ يتألى على الله أن لا ينفذ فيه قضاؤه![1].

ورجح قولَه في مثل هذا الحافظُ أبو الفرج ابن الجوزي.

وروي عن سفيان بن عيينة نحو ذلك[2].

قال الحافظ ابن رجب: وجمهور العلماء على جواز أن يقول التائب: أتوب إلى الله، وأن يعاهد العبدُ ربه على أن لا يعود إلى المعصية؛ فإن العـزم على ذلك واجب عليه، فهو مخبرٌ بما عزم عليه في الحال، وفي حديث كفـارة المجلس: «أستغفرك اللهم وأتوبُ إليك»[3].

وتقدم: «ما أصرَّ من استغفر، ولو عاد»[4]، وقال للمعاود للذنب: «قـد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء»[5].

وقطع النبي ﷺ سارقًا، ثم قال: «قل: أستغفر الله، وتبْ إليه»، فقـال: أستغفر الله وأتوبُ إليه، فقال: «اللهم تُبْ عليه»، رواه أبو داود[6].

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٥/ ١٤٦).

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٩٥ ـ ٣٩٦)، ولم نقف على قول سفيان بن عيينة.

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٩٦)، والحديث المذكور رواه الترمذي (٣٤٣٣) من حديث أبي هريرة ﷺ، وقال: حديث حسن غريب صحيح.

(٤) تقدم تخريجه قريبًا.

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.

(٦) رواه أبو داود (٤٣٨٠) من حديث أبي أمية المخزومي.

وقد استحب جماعة من السلف الزيادة على قوله: (أستغفر الله وأتوب إليه)، فروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه سمع رجلًا يقول: أستغفر الله وأتوب إليه، فقال له: يا حُمَيْقُ! قل: توبة من لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا، ولا موتًا ولا حياة ولا نشورًا(١).

(ابن آدم)، وفي لفظ: «يا ابن آدم!»(٢)، بزيادة: (يا)، **(لو أتيتني بقراب)**: بضم القاف على الأشهر، وبكسرها؛ أي: بقريب ملء **(الأرض)**، أو عليها **(خطايا)**: جمع خطيئة، وهي الذنوب، أو العمدُ منها، **(ثم لقيتني)**؛ أي: مت موحِّدًا حالَ كونك **(لا تشرك بي شيئًا)**؛ لاعتقادك التوحيدَ الحقيقي، والتصديق بالرسل، وبما جاؤوا به من الكتب والشرائع، **(لأتيتك بقرابها مغفرة)**؛ أي: الأرض.

وعبر به للمشاكلة، وإلا فعفو الله عز وجل ومغفرته أعظم وأوسع من ذلك، لكن يكون مثل هذا في مشيئة الله عز وجل، فإن شاء غفر له، وإن شاء أخذه بذنوبه، ثم كان عاقبته أن لا يخلد في النار، بل يخرج منها، ثم يدخل الجنة.

قال بعض العلماء: الموحد لا يلقى في النار كما يلقى الكفار، ولا يلقى فيها ما يلقى الكفار، ولا يبقى فيها كما يبقى الكفار، فإن كمل توحيد العبد وإخلاصه لله فيه، وقام بشروطه كلها بقلبه ولسانه وجوارحه، أو بقلبه ولسانه عند الموت، أوجب ذلك مغفرةَ ما سلف من الذنوب كلها، ومنعه من دخول النار، فمن يحقق كلمةَ التوحيد قلبُه، أخرجت كل ما سوى الله محبة وتعظيمًا،

---

(١) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٩٦).

(٢) وهي رواية الترمذي (٣٥٤٠).

وإجلالًا ومهابة وخشية، ورجاء وتوكلًا، وحينئذ يحرق ذنوبه وخطاياه كلها، ولو كانت مثل زبد البحر، وربما قلبها حسنات؛ كما ذكر في تبديل السيئات حسنات؛ فإن هذا التوحيد هو الإكسير الأعظم، فلو وضع منه ذرة على جبال الذنوب والخطايا، لقلبها حسنات؛ كما في «المسند» وغيره من حديث أم هانئ بنت أبي طالب ﵁، عن النبي ﷺ قال: «لا إله إلا الله لا تترك ذنبًا، ولا يسبقها عمل»(١).

وفي «المسند» عن شداد بن أوس، وعبادة بن الصامت ﵄: أن النبي ﷺ قال لأصحابه: «ارفعوا أيديكم، وقولوا: لا إله إلا الله»، فرفعنا أيدينا ساعة، ثم وضع رسول الله ﷺ يده، ثم قال: «الحمد لله، اللهم بعثتني بهذه الكلمة، وأمرتني بها، ووعدتني الجنة عليها، وإنك لا تخلف الميعاد»، ثم قال: «أبشروا؛ فإن الله قد غفر لكم»(٢).

قال أبو بكر الشبلي رحمه الله تعالى: من ركنَ إلى الدنيا، أحرقته بنارها، فصار رمادًا تذروه الرياح، ومن ركن إلى الآخرة، أحرقته بنورها، فصار ذهبًا أحمر ينتفع به، ومن ركن إلى الله ﷻ، أحرقه نورُ التوحيد، فصار جوهرًا لا قيمة له، وإذا علقتْ نارُ المحبة بالقلب، أحرقت منه كلّ ما سوى الرب، فطهر القلبُ حينئذ من الأغيار، وصلح عرشًا للتوحيد(٣).

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٦/ ٤٢٥) من حديث أم هانئ ﵁.

(٢) رواه أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٤)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨١): وفيه راشد بن داود، وقد وثقه غير واحد، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٣) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٩٨)، وفيه: «غرسًا» بدل «عرشًا».

ومن ذلك الأثر المرويّ: ما وسعني سمائي ولا أرضي، ولكن وسعني قلب عبدي المؤمن[1].

والحاصل: أنه ذكر في هذا الحديث ثلاثة أسباب لغفران الخطايا والذنوب:

أحدها: الدعاء مع الرجاء.

الثاني: الاستغفار والتوبة.

الثالث: التوحيد، وهو السبب الأعظم الذي مَنْ فقدَه، فقدْ فقدَ العفو والمغفرة، ومن أتى به، فقد أتى بأعظم أسباب المغفرة؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾[النساء: ٤٨]، والله أعلم.

(رواه أبو عيسى الترمذي، وقال: حسن غريب).

قال الحافظ ابن رجب: خرجه من طريق كثير بن فائد، حدثنا سعيد ابن عبيد، سمعت بكر بن عبدالله المزني يقول: حدثنا أنس. . . فذكره، وقال: حسن، لا نعرفه إلا من هذا الوجه[2].

قال الحافظ ابن رجب: إسناده لا بأس به. ورواه الإمام أحمد من حديث أبي ذر رضي الله عنه بمعناه[3].

---

(١) أورده ابن تيمية في «أحاديث القصاص» (ص: ٦٧ ـ ٦٨)، وقال: هذا مذكور في الإسرائيليات، وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٨).

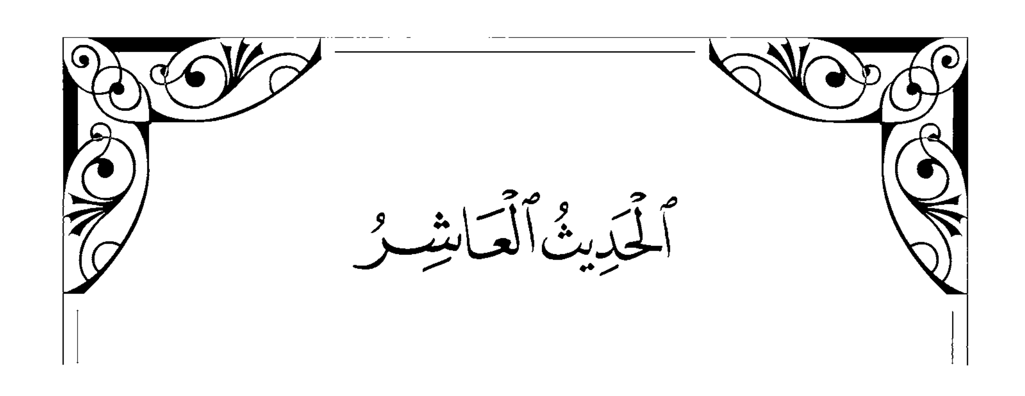
ورُوي من حديث ابن عباس، خرجه الطبراني[1].

ورواه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ من رواية أخشن السدوسي قال: دخلت على أنس رضي الله عنه، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده! لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله، لغفر لكم»[2].

* * *

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٣٤٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٦): وفيه إبراهيم بن إسحاق الصيني وقيس بن الربيع، وكلاهما مختلف فيه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٣٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢١٥): رجاله ثقات.



الحديث العاشر

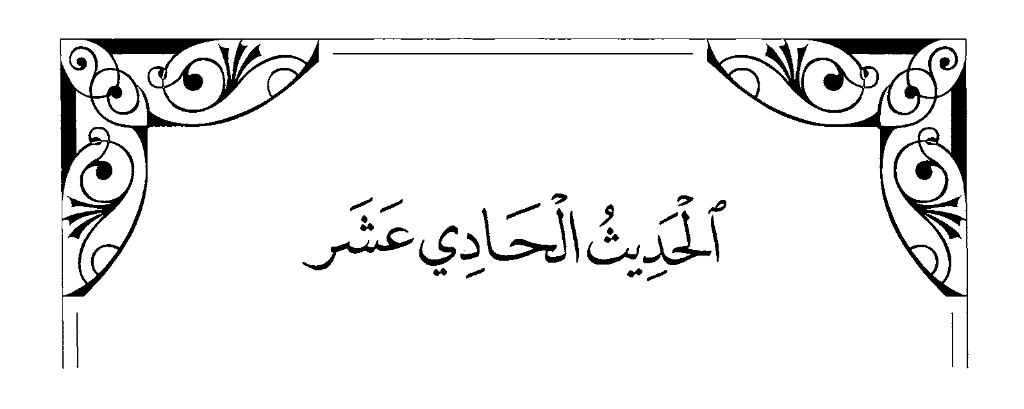
٦٣٠ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَبْلُغَ خَطَايَاكُمُ السَّمَاءَ ثُمَّ تُبْـتُمْ، لَتَـابَ اللَّـهُ عَلَـيْكُم». رواه ابـن ماجه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: لو اخطأتم) معـشرَ المـسلمين من هذه الملة المطَهّرة (حتى تبلغ خطاياكم السماء)؛ يعني: لـو تجـسّمت ذنوبكم وخطاياكم فملأت أجرامها الأرض حتى بلغت السماء صعودًا، (ثم تبتم) إلى الله تعالى توبة نصوحًا، (لتاب الله) ﷻ (عليكم)؛ لأن عفـو الله أكبـر، ورحمته أوسع.

(رواه ابن ماجه)، وإسناده جيد، وهو حسن.

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٨).



الحديث الحادي عشر

٦٣١ ـ عَنِ عبدالله بنِ عُمرَ ﵄، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ». رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ **(عبدِالله بنِ عمرَ ﵄، عن النبي ﷺ قال: إن الله تعالى يقبل توبة العبد)** ما دامَ حيًّا، وفي مرضه **(ما لم يغرغر)** بغينين معجمتين، الأولى مفتوحة، والثانية مكسورة، وبراء مكررة؛ أي: ما لم تبلغ روحُه حلقومه، فيكون بمنزلة الشيء الذي يتغرغر به المريض.

والغرغرة: أن يجعل المشروب في الفم، ويردد إلى أصل الحلق، ولا يُبلع.

فما لم تبلغ روحه حلقومه، يَقبل الله ﷻ توبته بمنّه وكرمه؛ لأن العبد لم ييأس من الحياة، فإذا بلغت روحه الحلقوم، لم يعتدّ بتوبته؛ لأنه قد يئس من الحياة، وقد فات شرط التوبة الذي هو العزمُ على عدم المعاودة.

(رواه ابن ماجه، والترمذي، وقال) الترمذي: حديث **(حسن غريب)**،

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٣)، والترمذي (٣٥٣٧) وقال: حديث حسن غريب.

ورواه الإمام أحمد، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما، ورواه البيهقي، وغيرهم[1].

وروى ابن ماجه من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ قال: سألت رسول الله ﷺ: متى تنقطع معرفة العبد من الناس؟ قال: «إذا عاين»[2].

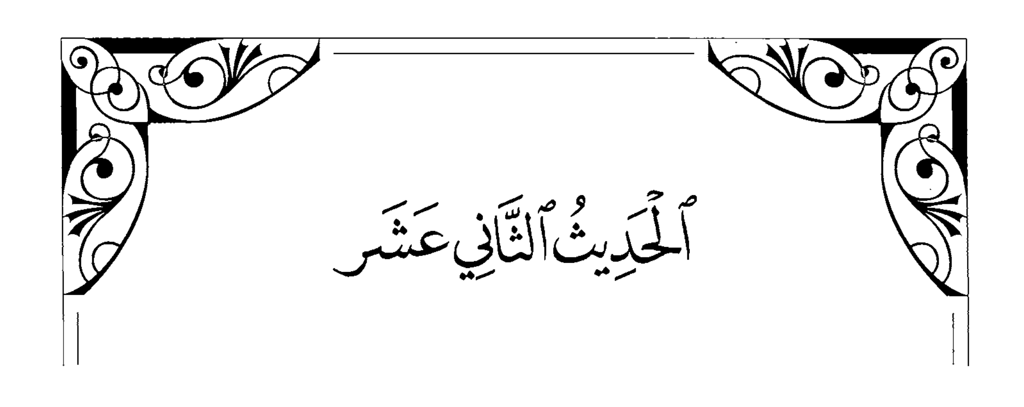
وقيل: ما دام مكلفًا، وقيل: ما لم يغرغر؛ كما في «الآداب»، قال: لأن الروح تفارق القلب قبل الغرغرة، فلا يبقى له نية ولا قصد صحيح، فإن جرح جرحًا موحيًا، صحت، والمراد: مع ثبات عقله؛ لصحة وصية عمر وعلي ﷺ، واعتبار كلامهما[3].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٣٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦٥٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٧٦٥٩)، وتقدم تخريجه عند الترمذي وابن ماجه.

(٢) رواه ابن ماجه (١٤٥٣).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١٣٩).



الحديث الثاني عشر

٦٣٢ ـ عَنْ عبدالله بـن مـسعودٍ ﷺ قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ، كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ». رواه ابن ماجه[١].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ **(عبدِالله بنِ مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: التائبُ من الذنب)** أيّ ذنب كان توبة نصوحًا **(كمن)**؛ أي: كشخص مسلم **(لا ذنب له)**، فلا يعذَّب؛ لأن التائب حبيب الله، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهو ـ جلّ شأنه ـ لا يعذب حبيبه.

(رواه ابن ماجه) بإسناد حسن.

ورواه الطبراني، وكلاهما من رواية أبي عبيدةَ بنِ عبدِالله بن مسعود، عن أبيه[٢]، ولم يسمع منه.

قال الحافظ المنذري: رواةُ الطبراني رواةُ الصحيح[٣].

ورواه ابـن أبـي الـدنيا مرفوعًـا مـن حـديث ابـن عبـاس ﷺ، وزاد:

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٢٨١).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٤٨).

«والمستغفر من الذنب وهو مقيمٌ عليه كالمستهزئ بربه»[1].

وروى ابن النجار في «تاريخه»، والقشيري في «رسالته» من حديث أنس بن مالك ﷺ، ولفظه: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحبَّ الله عبدًا، لم يضره ذنب»[2].

قال المحقق ابنُ القيم في رسالة له في ذلك: اختلف في مسألة، وهي أن العبد إذا كان له مع الله تعالى مقام أو حال، ثم نزل عنه إلى ذنب ارتكبه، ثم منَّ الله ﷻ عليه بالتوبة من ذنبه، فهل يعود بعد التوبة إلى مثل حاله الأول، أو لا يعود إليه؟ بل إن عاد نزل إلى درجة ذنوبه[3]، أو أنه قد عاد خيرًا مما كان؟

قال قدس الله روحه: قد قال بكل واحد من هذه التقارير فرقة من الناس، فقالت فرقة: يعود بعد التوبة إلى مثل حاله الأولى، واحتجت بهذا الحديث بأن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، وإذا محي الذنب بالتوبة، صار وجوده كعدمه، وكأنه لم يكن، فيعود إلى مثل حاله، قالوا: ولأن التوبة هي الرجوع إلى الله بعد الإباق منه؛ فإن المعصية إباقُ العبد من ربه، فإذا تاب إلى الله، فقد رجع إليه، وإذا كان مسمى التوبة هي الرجوع، فلو لم يعد

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «التوبة» (٨٥).

(٢) رواه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» (١٨/ ٧٨)، والقشيري في «رسالته» (١/ ٢٠٧).

(٣) كذا في الأصل، والعبارة في «طريق الهجرتين» (ص: ٣٥٤): «بل إن رجع رجع إلى أنزل من مقامه وأنقص من رتبته».

إلى حالته الأولى مع الله، لم تكن توبته صحيحة[1].

قالوا: ولأن التوبة كما ترفع أثر الذنب في الحال بالإقلاع عنه، وفي المستقبل بالعزم على أن لا يعود، فكذلك ترفع أثره في الماضي جملة، ومن أثره في الماضي انحطاط منزلته عند الله، ونقصان مرتبته، فلا بد من ارتفاع هذا الأثر بالتوبة، وإذا ارتفع بها، عاد إلى مثل حاله.

قالوا: ولأنه لو بقي نازلًا عن مرتبته، منحطًا عن منزلته بعد التوبة كما كان قبلها، لم تكن التوبة قد محت أثر الذنب كله، وإن عاد إلى دون منزلته، ولم يبلغها، فبلوغ تلك الدرجة التي وصل إليها إنما كان بالتوبة، فلو ضعف تأثير التوبة عن إعادته إلى منزلته الأولى، لضعف عن تبليغه تلك المنزلة التي وصل إليها، وإن لم تكن التوبة ضعيفة التأثير عن تبليغه تلك المنزلة، لم تكن ضعيفة التأثير عن إعادته إلى المنزلة الأولى.

قالوا: وأيضًا: فالله ـ سبحانه وتعالى ـ ربط الجزاء بالأعمال ربطَ الأسباب بمسبباتها، فالجزاء من جنس العمل، فكما رجع التائب إلى الله رجوعًا تامًا، رجع الله عليه بمنزلته وحاله، بل ما رجع العبد إلى الله حتى رجع[2] بقلبه إليه أولًا، فرجع الله إليه[3] بعد التوبة ثانيًا[4].

فتوبة العبد محفوفة بتوبتين من الله: توبة عليه إذناً وتمكينًا وتوفيقًا،

---

(١) في «طريق الهجرتين» (ص: ٣٥٥): «تامة».

(٢) في الأصل: «رجع الله»، والتصويب من «طريق الهجرتين».

(٣) في الأصل: «عليه» بدل «الله إليه»، والتصويب من «طريق الهجرتين».

(٤) في الأصل: «تائبًا»، والتصويب من «طريق الهجرتين».

فتاب العبد إلى ربه، فتاب الرب تعالى عليه رضًا وقبولًا وجزاء، فما تاب العبد إلى ربه إلا وتوبته بين توبتين من الله عليه، وهذا من عنايته تعالى بعبده، وبره به ولطفه ورأفته به، وكمال إحسانه إليه، فكيف يقال: إنه لا يُعيده مع هذا اللطف والبر والإحسان والرأفة إلى مثل حاله، بل لا يزال ناقصًا عنده، ساقطًا من عينه.

نعم هذا حال المخلوق مع مثله إلى مَنْ أساء إليه؛ فإنه لم يزل يراه بعين الإساءة والنقيصة.

وأما الرب تبارك وتعالى، فإنه تعالى تاب إليه عبدُه، فقبل توبته، ورضي عنه وأحبه وقربه، فهو الغفور الودود.

وقد تقدم التنبيهُ على سر هذين الاسمين ـ يعني في كلامه بالآخر ـ، وهو الذي يحب التوابين، ويفرح بتوبتهم أعظمَ فرح، ليس كمثله فرح، فكيف يقال: إنه لا يعيد التائب إلى ما كان عليه قبل الذنب مع هذا كله، بل لا يزال ناقص المنزلة عنده؟!

قالوا: وأيضًا: فالتوبة من أجلّ الطاعات، وأعظم القُربات، وأحبِّ الأعمال إلى الله تعالى، وأرضاها له، وأمحاها لكل ذنب؛ من الشرك والكفر فما دون ذلك، فليس في الأعمال ما يمحو كلَّ ذنب إلا التوبة، وهي عكس الردة المحبِطة لجميع الأعمال.

وإذا كانت التوبة بهذه المنزلة، فالآتي بها آتٍ بما هو من أفضل القربات، وأجلّ الطاعات، فإذا كان قد حصل له بالمعصية انحطاطٌ ونزولُ مرتبة، فالتوبة يحصل له بها تقدمٌ وعلوٌّ درجة، فإن لم تكن درجته بعد التوبة

أعلى، فإنها لا تكون أنزلَ.

قالوا: وأيضًا: فإذا قابلنا بين جناية المعصية والتقربِ بالتوبة، وجدنا الأثر الحاصل من التوبة أرجحَ من الأثر الحاصل من المعصية؛ إذ الكلام إنما هو في التوبة النصوح الكاملة، ولا ريب أن جانب الفضل أرجحُ من جانب العدل، ولهذا كان في جانب العدل آحاد بآحاد، أو يغفر، وفي جانب الفضل عشرات بآحاد، أو يزيد.

«ولما قضى الله الخلق، كتب في كتابٍ بيده على نفسه، فهو موضوع على العرش: إن رحمتي تغلب غضبي»[1].

قالوا: وأيضًا: فالذنب بمنزلة المرض، والتوبة بمنزلة العافية، والعبد إذا مرض ثم عوفي، وتكاملت عافيته، رجعت صحته إلى ما كانت، بل ربما عاد أقوى وأكمل مما كان؛ لأنه قد يكون معه في حال الصحة أسقام كامنة، وموادُّ رديئة مضعِفة لقوته، فإذا اعتل، ظهرت تلك الأسقام، ثم زالت بزوال الأسقام العارضة، فيزول السقم الكامن والعارض، فتعود قوته أكملَ مما كانت، هذا في مرض الجسم وعافيته، وكذلك مرض الروح وعافيتها سواء؛ كما قيل:

لعلَّ عَتْبَكَ محمودٌ عَواقِبُهُ

وربما صَحَّتِ الأجسامُ بالعِلَلِ[2]

---

(١) رواه البخاري (٧٤٠٤) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بنحوه.

(٢) انظر: «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية (ص: ٣٥٤ـ٣٥٦)، والبيت المذكور قاله المتنبي. انظر: «ديوانه» (٣/ ٢١٠).

قال المحقق ابن القيم: وهذا الوجه أحدُ ما احتج به من قال: إنه يعود بعد التوبة خيرًا مما قبلها.

واحتج هؤلاء ـ أيضًا ـ: بأن التوبة تثمر له محبة خاصة من الآية، لا تحصل بدون التوبة، بل التوبة شرط في حصولها، وإن حصل له محبة أخرى بغيرها من الطاعات، فالمحبة الحاصلةُ له بالتوبة لا تُنال بغيرها؛ فإن الله يحب عبدَه إذا تاب إليه، ومن محبته له: فرحُه بتوبته أعظمَ فرح وأكملَه، فإذا أثمرت له التوبة هذه المحبة، وقد عاد إلى طاعاته وأعماله التي كان عليها أولًا قبل المعصية، انضم أثرها وما حصل له من المحبة بسببها إلى أثر طاعته التي عاد إليها، فقوي الأثران، فيحصل له المزيد من القرب والوسيلة، وهذا الوجه في غاية اللطف.

وهذا بخلاف ما يظنه من قلَّ نصيبه من المعرفة بالله من أن الله سبحانه، وإن غفر للعبد ذنبه، فإنه لا يعود له الودّ الذي كان له منه.

ويحتج بأثر إسرائيلي مكذوب: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود! أما الذنب، فقد غفرناه، وأما الودّ، فلا يعود[1].

قال المحقق ابن القيم: وهذا كذبٌ على الله؛ فإن الود والمحبة تعود بعد التوبة النصوح أعظمَ مما كانا؛ فإن الله سبحانه يحب التوابين، ولو لم يعد الود، لم ينالوا محبته، وهو الغفور الودود، وهو الذي يفرح بتوبة عبده أعظم الفرح، وهذا من آثار محبته ووده.

وفي هذه الوجوه ونحوها ما يهيج القلب السليم، ويجعله عاكفًا على

---

(١) انظر: «طريق الهجرتين» لابن قيم الجوزية (ص: ٣٥٦).

محبة ربه، حنيفًا له، مقبلًا بكليته عليه، في كل منبت شعرة منه محبةٌ له وإجلال.

واحتجوا ـ أيضًا ـ: بأن الذنب يحدث للعبد من الخوف والخشية والانكسار، والتذلل لله، والتضرع بين يديه، والبكاء على خطيئته، والندم عليها، والأسف والإشفاق ما هو من أفضل أحوال العبد، وأنفعها له في دنياه وآخرته، ولم تكن تحصل هذه الأمور بدون أسبابها؛ إذ حصول الملزوم بدون لازمه محال، والله تعالى يحب من عبده انكساره وخضوعه، وتضرعه وتذلُّله بين يديه، وتملقه واستعطافه استعطافَ عبد ذليل لمولاه العزيز الرحيم، الذي لا بد له منه، ولا غنى له عنه طرفة عين.

قال بعض السلف: لو لم تكن التوبة أحبَّ الأشياء إلى الله تعالى، لما ابتلي بالذنب من هو أكرم الخلق عليه.

وفي بعض الإسرائيليات: أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام: يا داود! كنت تدخل عليّ دخول الملوك على الملوك، واليوم تدخل عليّ دخولَ العبيد على الملوك.

وقال تعالى في قصة داود: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾[ص: ٢٥]، فزاده على المغفرة أمرين:

أحدهما: الزلفى، وهي درجة القرب منه[١].

قال المحقق ابن القيم: وقد قال فيها[٢] سلفُ الأمة وأعلمُها بالله

---

(١) المرجع السابق (ص: ٣٥٦ ـ ٣٥٨).

(٢) في هامش الأصل: «أي: الزلفى».

ما لا تحتمله عقولُ الجهمية، وفروخ المعتزلة، ومخانيث الفلاسفة، وأحال ذلك على «تفسير ابن جرير»، وابن أبي حاتم، وعبد بن حميد، وأبي الشيخ، وابن مردويه، و«تفسير ابن المنذر»، وغيرها من كتب السلف.

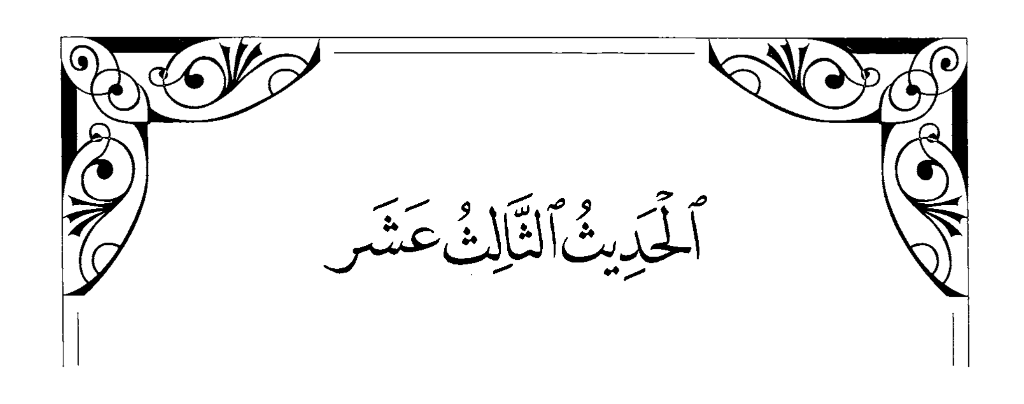
الثاني: حسنُ المآب، وهو طيب المأوى، وحسن المنقلَب عند الله.

قالوا: ومن تأمل زيادة القرب التي أُعطيها داود بعدَ المغفرة، علم صحة ما قلنا، وأن العبد بعد التوبة يعود خيرًا مما كان.

قالوا: وأيضًا: فإن للعبودية أحكامًا وأسرارًا، ولوازمَ وكمالاتٍ تتوقف عليها، ومن أجلِّها تكميلُ مقام الذل للعزيز الرحيم؛ فإن الله يحب من عبده أن يكمل له مقام الذلّ الذي هو حقيقة العبودية، واشتقاقها يدل على ذلك؛ فإن العرب تقول: طريق مُعَبَّد؛ أي: مُذَلَّل مُوَطَّأ بالأقدام، والذل أنواع، من أعظمها وأبلغها ذلُّ المسيء الجاني المذنب بين يدي مولاه المحسنِ إليه، المربي له بنعمه؛ فإنه يكسر القلب أعظم كسرة تقدر. والله ولي الأمر[1].

* * *

(١) المرجع السابق (ص: ٢٥٨).



الحديث الثالث عشر

٦٣٣ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ». رواه الترمذي وابن ماجه[1].

(عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: كل بني آدم) عليه السلام **(خطاء)**: بتشديد الطاء المهملة والتنوين؛ أي: غالبهم، **(وخير الخطائين التوابون)**؛ لأنه لا بد أن يجري على العبد ما سبق به القدر، فكأنه قال: لا بد لك من فعل الذنوب؛ لأنها مكتوبة عليك، فعليك أن تحدِث توبة؛ فإن العبد يلام ويؤنَّب بإتيانه المعصية، إلا أنه يؤنب ويوبخ ويلام على ترك التوبة أعظمَ وأشدّ؛ لأنه لا دواء لمحو الذنب وذهاب ضَرَرِه إلا التوبة النصوح؛ فإنها تكفر الذنوب والخطايا وإن عظمت، وهي واجبة من كل ذنب ومعصية، وهي أصل كل مقام، ومفتاح كل حال، فمن لا توبةَ له لا مقامَ له ولا حال؛ كما تقدم.

(رواه الترمذي، وابن ماجه)، ورواه الإمام أحمد، والحاكم وقال: صحيح[2].

---

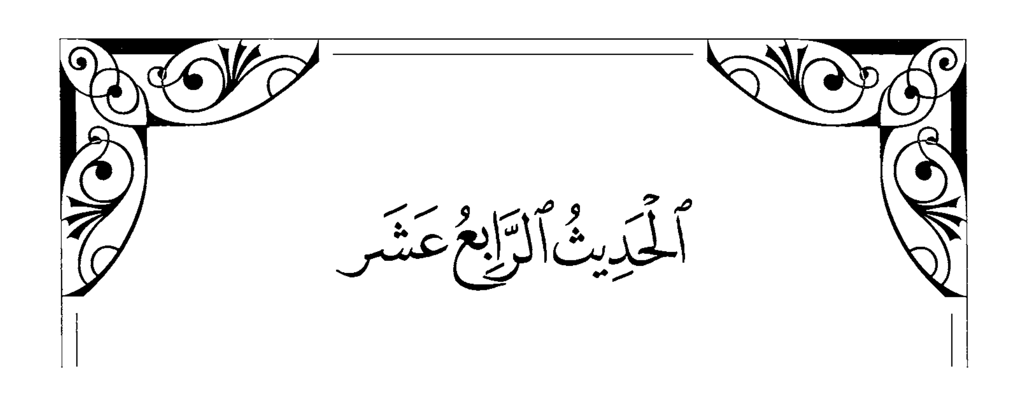
(١) رواه الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٧).

قال الذهبي: بل فيه لين[1].

* * *

(١) انظر: «التلخيص» للذهبي (٤/ ٢٤٤).



الحديث الرابع عشر

٦٣٤ ـ عَنْ أَبِـي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُـلًا قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَجَعَلَ يَسْأَلُ: هَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَـةٍ؟ فَـأَتى رَاهِبًـا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: لَيْسَتْ لَكَ تَوْبَةٌ، فَقَتَلَ الرَّاهِبَ، ثُـمَّ جَعَـلَ يَـسْأَلُ، ثُـمَّ خَرَجَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَى قَرْيَةٍ فِيهَا قَوْمٌ صَالِحُونَ، فَلَمَّا كَانَ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ أَدْرَكَهُ الْمَوْتُ، فَنَأَى بِصَدْرِهِ ثُمَّ مَاتَ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَـةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَكَانَ إِلَى الْقَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ مِنْهَا بِشِبْرٍ، فَجُعِـلَ مِنْ أَهْلِهَا». أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظُ مسلم[1].

(عن أبي سعيدٍ) سعدِ بنِ مالكٍ **(الخـدريِّ ﷺ، عـن النبـي ﷺ: أن رجلًا)** ممن كان قبلكم، وفي لفظ قال ﷺ: «فيمن كـان قـبلكم رجـل»[2]، **(قتل تسعًا وتسعين نفسًا)**، وفي لفظ: «تسعة وتسعين نفـسًا»[3]، **(فجعـل)** الرجلُ **(يسأل)**، وفي لفظ: «فسأل عن أعلم أهل الأرض»[4]: **(هل له مـن**

(١) رواه البخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦/ ٤٧).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٦/ ٤٦).

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر التعليق السابق.

توبة) من قتله التسعة وتسعين نفسًا؟ **(فأتى راهبًا)**، وفي لفظ الصحيحين: «فدُلَّ على راهب، فأتاه»[1]، **(فسأله)**، وقال في سؤاله: إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ **(فقال)** الراهب: **(ليست لك توبة)**؛ لعظيم جرمك، وكبير ذنبك، **(فقتل الراهبَ)**.

زاد في رواية في الصحيحين: «فكمَّلَ به مئة»[2]، **(ثم جعل)** الرجلُ **(يسأل)** عن أعلمِ أهل الأرض، فدل على رجل عالم؛ كما في الصحيحين[3]، «فقال له: إنه قتل مئة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، من يحول بينه وبين التوبة؟ ولكن انطلقْ إلى أرض كذا وكذا؛ فإن بها أناسًا يعبدون الله، فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك؛ فإنها أرض سوء»[4].

(ثم) بعد مقالة العالم له **(خرج إلى قرية فيها قوم صالحون)**، وفي لفظ في الصحيحين: «فانطلق، حتى إذا نصف الطريق»[5].

ولفظ المصنف، وهو في الصحيحين أيضًا: **(فلما كان)**؛ أي: الرجل **(في بعض الطريق، أدركه الموت)**، وفي الرواية الأخرى: «أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب»[6]، وفي هذه الرواية:

---

(١) وهي رواية مسلم (٢٧٦٦/ ٤٦)، ولم نقف على اللفظ المذكور عند البخاري.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر التعليق السابق.

(٥) انظر التعليق السابق.

(٦) انظر التعليق السابق.

(**فناءَ**)؛ أي: نهض وبَعُد (**بصدره نحوها**)؛ أي: نحو وجهة الأرض التي قصدها.

ولفظ هذه الرواية كما في الصحيحين: (قال قتادة: قال الحسن: ذكر لنا أنه لما أتى ملك الموت، نأى بصدره)[1] نحوها، (**ثم مات**) الرجل التائب في توجهه إلى القرية التي بها ناس يعبدون الله ﷻ قبل وصوله لها، (**فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب**)؛ أي: تجادلوا وتنازعوا، يقال: خاصمه مخاصمة وخصومة، فخصمه يخصمه: غلبه.

قال في «القاموس»: وهو شاذ؛ لأن فاعلته ففعلته يُردُّ يفعلُ منه إلى الضم إن لم يكن عينُه حرف حلق؛ فإنه بالفتح؛ كفاخرهَ ففخره[2].

وصفة مخاصمة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب ـ كما في الصحيحين ـ: «فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبًا مقبلًا بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرًا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم ـ أي: جعلوه حكمًا بينهم ـ، فقال: قيسوا ما بين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى، فهو له»[3].

(**فكان إلى القرية الصالحة التي خرج إليها أقربَ**) من الأرض السوء التي خرج منها (**بشبر**)، وهو بكسر الشين المعجمة: ما بين أعلى الإبهام وأعلى الخنصر، مذكر، والجمع أشبار.

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: خصم).

(٣) وهي رواية مسلم (٢٧٦٦/ ٤٦)، ولم نقف على اللفظ المذكور عند البخاري.

وفي رواية في الصحيحين: «فقاسوا، فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد»[1].

(فقبضته) ملائكة الرحمة، وفي الرواية التي ذكرها الحافظ المصنف رحمه الله، ورضي عنه: **(أقرب بشبر، فجُعل)**، بضم الجيم وكسر العين المهملة مبنيًّا على ما لم يسم فاعله؛ أي: جعله الله ﷻ، **(من أهلها)**؛ أي: من أهل القرية الصالحة، فقبضته ملائكة الرحمة دون ملائكة العذاب.

وفي رواية في الصحيحين ـ أيضًا ـ: «فأوحى الله تعالى إلى هذه أَنْ تباعَدي ـ يعني: الأرض التي خرج عنها ـ، وإلى هذه أَنْ تقربي ـ يعني: الأرض التي خرج إليها ـ، وقال: قيسوا بينهما، فوجدوه إلى هذه أقربَ بشبر، فغفر له»[2].

(أخرجه البخاري، ومسلم، وهذا) يعني اللفظ الذي ذكره الحافظ المصنف **(لفظ مسلم)**، وقد ذكرنا لفظ البخاري ـ أيضًا ـ فيما أشرنا إليه، وذكر البخاري أنه كان من بني إسرائيل[3].

وفي هذا الحديث: دليل على قبول توبة قاتل النفس، ولو عمدًا.

وفيه: تحذير من أن يقنط المذنبون، ويرشد إلى النهي عن القنوط قولُه تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ﴾[الزمر: ٥٣]، نهى عن القنوط من رحمة الله، وإن عظمت الذنوب وكثرت، فلا يحل لأحد

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) وهي رواية البخاري (٣٤٧٠)، ولم نقف على اللفظ المذكور عند مسلم.

(٣) تقدم تخريجه.

أن يقنط من رحمة الله، وإن عظمت ذنوبه، ولا أن يُقَنِّط الناسَ من رحمة الله.

قال بعض السلف: إن الفقيه كلَّ الفقيه الذي لا يُؤْيِسُ الناسَ من رحمة الله، ولا يجرئهم على معاصي الله، والقنوط يكون بأن يعتقد أن الله لا يغفر له، إما لكونه إذا تاب لا يقبل الله توبته، ولا يغفر له ذنوبه، وإما أن يقول: إن نفسه لا تطاوعه على التوبة، بل هو مغلوب، والشيطان ونفسُه قد استحوذا عليه، فهو ييأس من توبة نفسه، وإن كان يعلم بأنه إذا تاب غفر له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: وهذا يعتري كثيرًا من الناس، والقنوط يحصل بهذا تارة، وبهذا تارة:

فالأول: كالراهب الذي أفتى قاتلَ تسعة وتسعين نفسًا أن الله تعالى لا يغفر له، فقتله، وكمل به المئة، ثم دُلّ على عالم، فأتاه فسأله، فأفتاه بأن الله يقبل توبته.

والثاني: كالذي يرى للتوبة شروطًا كثيرة، أو يقال له: لها شروط كثيرة يتعذر عليك فعلُها، فييأس من أن يتوب[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية طيب الله مثواه: والصواب الذي عليه أهلُ السنة والجمهور: أن التوبة ممكنة من كل ذنب لمن أرادها[2].

فليس في الوجود ذنب لا يغفره الرب بحال، بل ما من ذنب إلا والله تعالى يغفره في الجملة.

ومن قال: لا تقبل توبةُ قاتل النفس عمدًا، يردُّ قولَه هذا

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ٢٠).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

الحديث المشروح.

قال شيخ الإسلام: توبة قاتل النفس الجمهورُ على أنها مقبولة.

وقال ابن عباس ﵄: لا تقبل[1].

وحديثُ قاتل المئة في الصحيحين يردّ ذلك، وهو دليل على قبول توبته[2].

وأطال في تحرير هذا المقال، والله ولي الأفضال.

*** تنبيهات:**

الأول: التوبة من الغيبة والنميمة الدعاءُ والاستغفار لمن اغتابه.

وروي من حديث أنس ﵁ مرفوعًا: «كفارةُ من اغتيب أن يستغفر له»، ذكره الحافظ ابنُ الجوزي في «الموضوعات»[3].

وذكر نحوه من حديث سهلِ بنِ سعدٍ وجابرٍ ﵃[4]، مع أن ابن الجوزي نفسه ذكر حديث أنس في «الحدائق»[5]، وقال: إنه لا يذكر فيها إلا الحديث الصحيح[6].

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٥/ ٢١٨).

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٦/ ٢٥).

(٣) رواه ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٠٧).

(٤) رواهما ابن الجوزي في «الموضوعات» (٢/ ٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٥) رواه ابن الجوزي في «الحدائق في علم الحديث» (٢/ ٤٨٣).

(٦) قال ابن الجوزي في «الحدائق» (١/ ٢٨): وقصدنا من المنقول أصحه مع حسن اللفظ.
=

وقال ابن عبد البر في كتابه «بهجة المجالس»: قال حذيفة ﷺ: كفارة من اغتبته أن تستغفر له[1].

وقال عبدالله بن المبارك لسفيانَ بنِ عُيينَة: التوبةُ من الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته، قال سفيان: بل تستغفره مما قلت فيه، قال ابن المبارك: لا تؤذه مرتين[2].

واختار شيخ الإسلام ابن تيمية مثلَ قول ابن المبارك[3]، واختاره ابن الصلاح من الشافعية[4].

= فالظاهر أنه ينتقي من الأحاديث أصح شيءٍ فيما يتعلق بالموضوع الذي يبحثه، قال النووي في «الأذكار» (ص: ١٤٨): يقولون: هذا أصح ما جاء في الباب ـ وإن كان ضعيفًا ـ، ومرادهم: أرجحه، وأقله ضعفًا.

(١) لم نقف عليه مسندًا باللفظ المذكور، ولكن روى البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٨٨)، عن حذيفة ﷺ قال: كان في لساني ذرب على أهلي لم يعدهم إلى غيرهم، فسألت النبي ﷺ فقال: «أين أنت من الاستغفار يا حذيفة؟ إني لأستغفر الله كل يوم مئة مرة»، ثم قال البيهقي: قال أحمد: إن صح حديث حذيفة فيحتمل أن يكون النبي ﷺ أمره بالاستغفار رجاء أن يرضي الله تعالى خصمه يوم القيامة ببركة استغفاره، والله أعلم.

(٢) انظر: «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٣٩٨)، والأثر المذكور لم نقف عليه مسندًا، ولكن روى البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٨٦) عن عبدالله بن المبارك: إذا اغتاب رجل رجلًا فلا يخبره به، ولكن يستغفر الله.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٢٩١)، و«الوابل الصيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٢١٩).

(٤) انظر: «فتاوى ابن الصلاح» (ص: ١٩٠ ـ ١٩١).

قال شيخ الإسلام: فكل مظلمة في العرض من اغتيابٍ صادق، وبهت كاذب، فهو في معنى القذف.

قال: واختار أصحابنا أن لا يُعلمه، بل يدعو له دعاء يكون إحساناً في مقابلة مظلمته[1].

فعلى هذا، لو سأل المقذوف والمسبوب لقاذفه: هل فعل ذلك أم لا؟ لم يَجب عليه الاعتراف، على الصحيح من الروايتين؛ إذ توبتُه صحت في حق الله تعالى بالندم، وفي حق العبد بالإحسان إليه بالاستغفار ونحوه.

وهل يجوز الاعتراف، أو يستحب، أو يكره، أو يحرم؟ الأشبهُ أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فقد يكون الاعتراف أصفى للقلوب؛ كما يجري بين الأودّاء من ذوي الأخلاق الكريمة، وقد يكون فيه مفسدة العدوان على الناس، أو ركوب كبيرة، فلا يجوز الاعتراف.

قال: وإذا لم يجب عليه الإقرار، فليس له أن يكذب بالجحود الصريح؛ لأن ذلك محرم، والمباحُ لإصلاح ذات البين هل هو التعريض، أو التصريح؟ فيه خلاف، فمن جوز الصريح هناك، فهل يجوزه هنا؟ فيه نظر.

ولكن يعرض، ففي المعاريض مندوحةٌ عن الكذب، وهذا هو الذي يروى عن حذيفة بن اليمان: أنه بلغ عثمان ﷺ عنه شيء، فأنكر ذلك بالمعاريض، وقال: أرفع ديني بعضه ببعض[2]، فإذا استُحلف على ذلك،

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٢٩١)، و«الإنصاف» للمرداوي (١٠/ ٢٢٦).

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٣٠٥٠) عن النزال بن سبرة.

جاز له أن يحلف، ويعرض؛ لأنه مظلوم بالاستحلاف؛ فإنه إذا كان تـاب، وصحت توبته، لم يبق لذلك عليه حق، فلا تجب اليمين عليه.

نعم، مع عدم التوبة، والإحسان إلى المظلوم، فهو باقٍ على عدوانـه وظلمه، فإذا أنكر بالتعريض، كان كاذبًا، فإذا حلف، كانت يمينه غموسًا[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: سُئلت عـن نظيـر هـذه المسألة، وهو أن رجلًا تعرض لامرأة غيره، فزنى بها، ثم تاب مـن ذلـك، فسأله زوجها عن ذلك، فأنكر، فطلب استحلافه، فإن حلف على نفي الفعـل، كانت يمينه غموسًا، وإن لم يحلف، قويت التهمة، وإن أقرّ جرى عليه وعلـى المرأة من الشر أمر عظيم، قال: فأفتيته أنه يضم إلى التوبة فيما بينه وبين الله تعالى الإحسان إلى الزوج بالدعاء والاستغفار، أو الصدقة عنه، ونحو ذلك مما يكون بإزاء إيذائه له في أهله؛ فإن الزنا تعلق به حقُّ الله وحقُّ زوجها في عرضه، وليس هو ينجبر بالمثل؛ كالدماء والأموال، بل هو من جـنس القـذف الذي جزاؤه من غير جنسه، فتكـون توبـة هـذا كتوبـة القـاذف، وتعريـضه كتعريضه، وحلفه على التعريض كحلفه.

وقد نص الإمام أحمد ﷺ في الفرق بين توبة القاتل وتوبة القاذف[٢].

قال العلامة ابن مفلح: وهذا الباب ونحوه فيه خلاص عظيم، وتفـريج كربات النفوس من آثار المعاصي والمظالم.

فإن الفقيهَ كلَّ الفقيه الذي لا يؤيسُ الناس من رحمة الله ﷻ، ولا يجـرئهم

---

(١) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٩٧).

(٢) المرجع السابق (١/ ٩٧ ـ ٩٨).

على معاصي الله ـ كما تقدم ـ، وكل هذا من كلام شيخ الإسلام[1].

الثاني: كثر السؤال عمن كان عليه حقوق لنحو رجل، فمات صاحب الحق، ثم مات مَنْ عليه الحق، لمن يكون الطلب، وجزاء ذلك في الآخرة؟

والجواب عن مثل هذا: ما نشرحه في هذا الفصل:

قال حرب: سئل الإمام أحمد ﷺ عن رجل غصب رجلًا شيئًا، فمات المغصوب منه، وله ورثة، وندم الغاصب، فرد ذلك الشيء إلى ورثته، فذهب إلى أنه قد برئ من إثم ذلك، ولم يبرأ من إثم الغصب الذي غصب[2].

وقال في رواية أحمد بن أبي عبيدة: أما إثمُ الغصب، فلم يخرج منه، وقد خرج مما كان أخذ[3].

وقال الشيخ تقي الدين: لا يسقط حق المظلوم الذي أُخذ ماله، وأُعيد إلى ورثته، بل له أن يطالب الظالم[4] بما حرمه من الانتفاع به في حال حياته[5].

وسئل الإمام أحمد ﷺ أيضًا عن رجل كان له على قوم مال، أو أودعهم مالًا، ثم مات، فجحدوا ما في أيديهم من الأموال، لمن ثواب ذلك؟

قال: إن كان أحد ممن عليه، أو في يده الوديعة كان قد نوى في حياة

---

(١) المرجع السابق (١/ ٩٨).

(٢) المرجع السابق (١/ ١١٢).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) في الأصل: «المظالم»، والتصويب من «الآداب الشرعية».

(٥) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ١١٢).

الميت أن لا يؤديها إليه، فأجرها للميت، وإن كان هؤلاء جحدوا الورثة، فأجرها للورثة فيما نرى[1].

الثالث: إذا ظلم إنسان مالًا، ومات صاحب المال، فهل يبرأ منه بالصدقة به؟

قال: سئل الإمام أحمد عن رجل كانت عنده مظالم لقوم، فماتوا، وأراد أن يتصدق بها عنهم، وله إخوان محاويج، وقد كان يصلهم قبل هذا، أيجوز له أن يدفعها إليهم؟ فكأنه ـ أي: الإمام أحمد ـ استحبّ أن يعطي غيرهم، قال: ولا يحابي فيها أحدًا[2].

وفي رواية المروذي في هذه المسألة: أرى كأنه إنما فعله على طريق المحاباة أن يحابيهم، فلا يجوز، وإن كان لم يُحابهم، فقد تصدق[3].

الرابع: من كان في يده مال حلال وشبهة، فليخصّ نفسه بالحلال، وليقدِّمْ قوته وكسوته على أجرة الحجّام، والزيت، وإسجار التنور، وأصل هذا: قوله ﷺ في كسب الحجّام: «اعلفْهُ ناضِحَكَ»[4]، ذكره ابن الجوزي[5].

وكذا قال الشيخ تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه: الشبهات ينبغي صرفُها في الأبعد عن المنفعة فالأبعد؛ كحديث كسبِ الحجام، فالأقربُ

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) أورده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٩٧) وعزاه للخلال عن حرب.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) رواه الترمذي (١٢٧٧) من حديث محيصة ﷺ، وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) انظر: «منهاج القاصدين» لابن الجوزي (١/ ٤٠١).

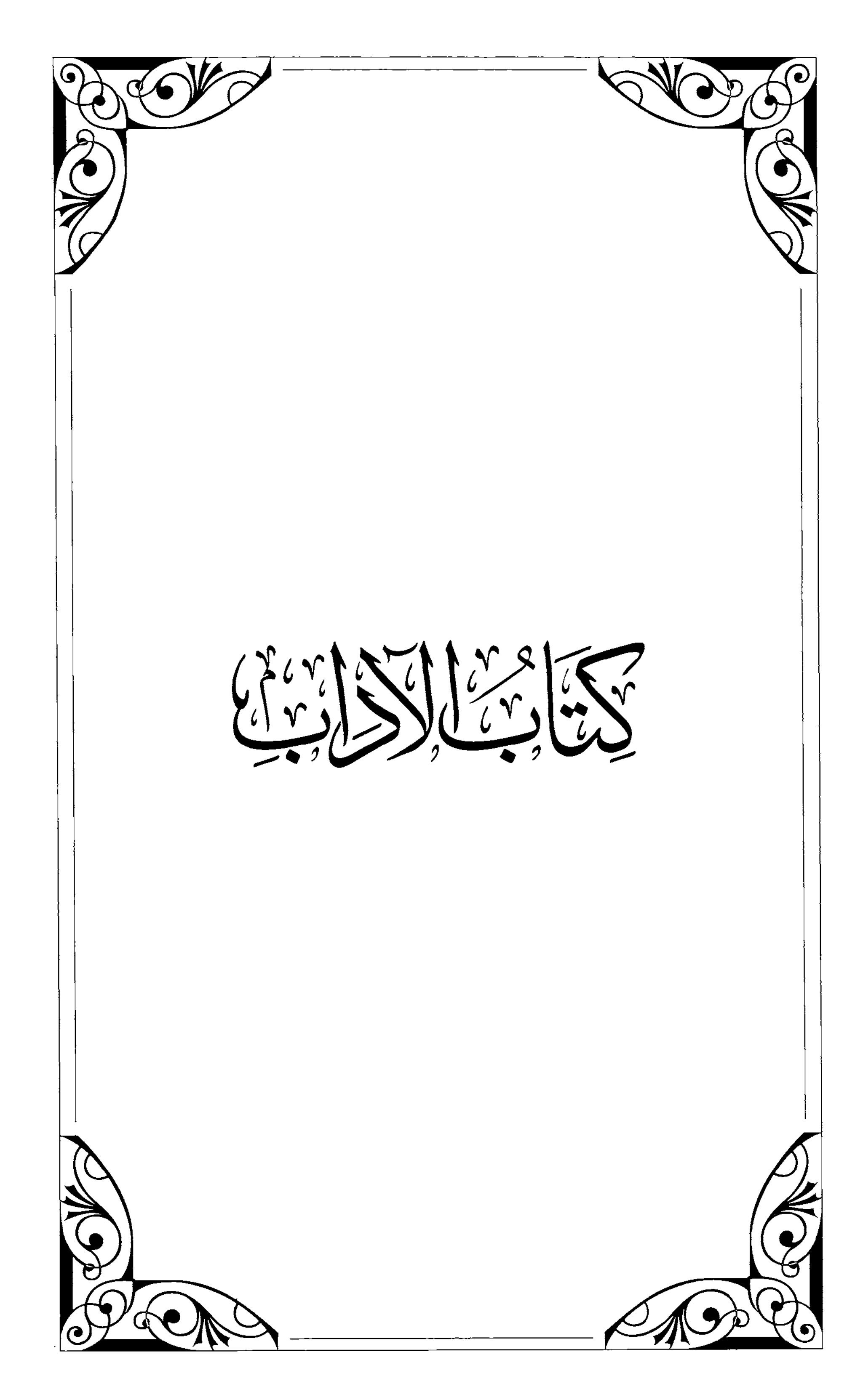
ما دخل في الباطن من الطعام والشراب ونحوه، ثم ما ولي الظاهر من اللباس، ثم ما ستر مع الانفصال من البناء، ثم ما عرض من المركوب ونحوه[1]؛ كما ذكره عنه في «الآداب»[2]، والله أعلم.

❐ ❐ ❐

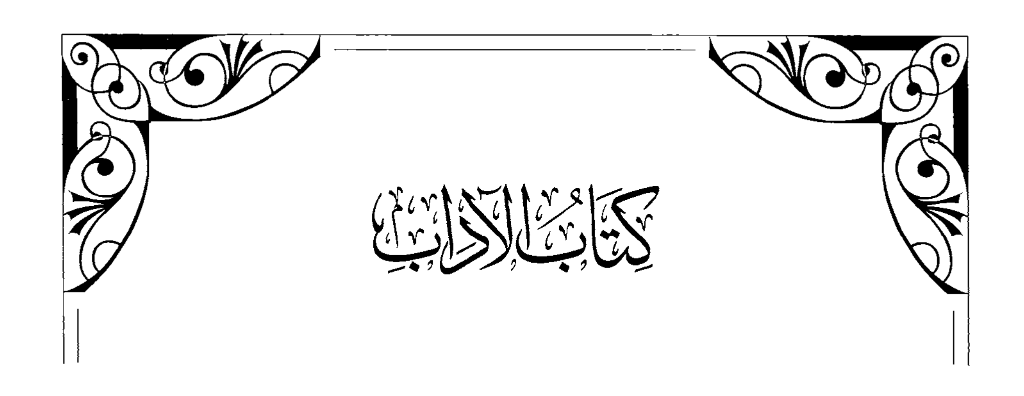
---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٢٨/ ٥٩٩).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ١١٤).



كِتَابُ الآدَابِ



كتاب الآداب

اعلم ـ رحمك الله تعالى ـ : أن هذه الترجمة ـ يعني : الكتاب والأدب ـ لم يذكرها المصنف رحمه الله ورضي عنه، ولكن ذكر فضائلَ أشياءَ هي الآداب؛ كما في كتب الحديث والآداب وغيرها.

واعلم أن الأدب : الظرف، وحسن التناول، يقال : أَدُبَ؛ كحَسُن، فهو أديب، والجمع أدباء، وأَدَّبه : عَلَّمه، فتأَدَّب؛ كما في «القاموس»[(١)].

وفي «المطلع» : الأدب ـ بفتح الهمزة والدال المهملة ـ : مصدر أَدب الرجل ـ بكسر الدال، وضمُّها لغةٌ ـ : إذا صار أديبًا في خُلق أو علم[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح» : الأدب : استعمال ما يحمَد قولًا وفعلًا، وعبر بعضهم عنه بأنه الأخذُ بمكارم الأخلاق، وقيل : الوقوف مع المستحسنات، وقيل : هو تعظيم مَنْ فوقك، والرفقُ بمن دونكَ[(٣)].

قال السهروردي : الناس على طبقات : أهل الدنيا، وأهل الدين.

---

(١) انظر : «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة : أدب).

(٢) انظر : «المطلع على أبواب المقنع» للبعلي (ص : ٣٩٦).

(٣) انظر : «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٠٠).

فأدبُ أهل الدنيا: الفصاحةُ والبلاغةُ، وتحصيل العلوم، وأخبار الملوك، وأشعار العرب.

وأدبُ أهل الدين مع العلم: رياضةُ النفس، وتأديب الجوارح، وتهذيب الطباع، وحفظ الحدود، وترك الشهوات، وتجنبُ الشبهات.

وأدب أهل الخصوص: حفظ القلوب، ورعاية الأسرار، واستواء السر والعلانية[1].

وقال ابن فارس: الأدب: دعاء الناس إلى الطعام، والمأدبة: الطعام، لسبب أو غيرِه، والآدب ـ بالمد ـ: الداعي، واشتقاق الأدب من ذلك كأنه أمر قد أجمع على استحسانه، وفي الحديث: القرآنُ مأدبة الله في الأرض[2]؛ يعني: مدعاته.

والأدبُ في العرف: ما دعا الخلقَ إلى المحامد، ومكارم الأخلاق، ومحاسن الشيم وتهذيبها.

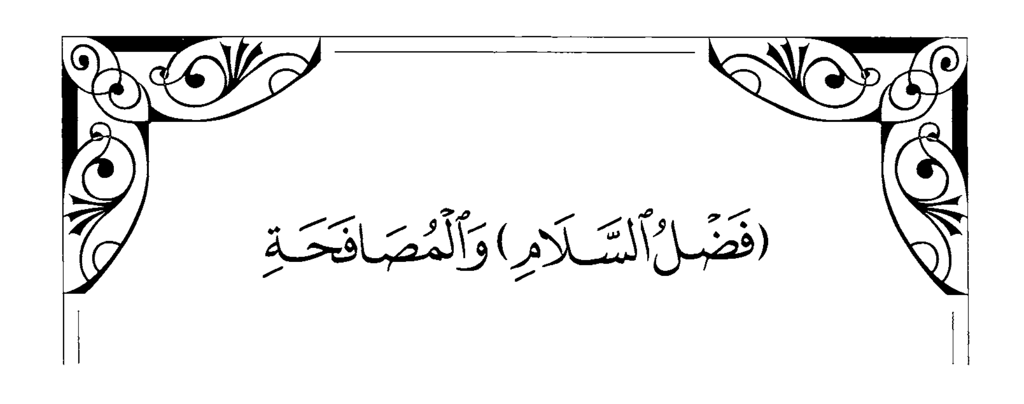
وبدأ المصنف من ذلك بذكر:

❐ ❐ ❐

---

(١) نقله المناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١/ ٥٣).

(٢) انظر: «معجم مقاييس اللغة» لابن فارس (مادة: أدب)، والأثر المذكور رواه ابن المبارك في «الزهد» (١/ ٢٧٣) من قول ابن مسعود ﷺ.



(فَضْلُ ٱلسَّلَامِ) وَٱلْمُصَافَحَةِ

وذكر في ذلك عشرة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٦٣٥ ـ عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأنصاريِّ ﷺ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، يَلْتَقِيَانِ فَيَصُدُّ هَذَا، وَيَصُدُّ هَذَا، وَخَيْرُهُمَا الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

(**عن أبي أيوبَ**) خالدِ بنِ زيدٍ (**الأنصاريِّ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: لا يحل لـ**) شخص (**مسلمٍ أن يهجر أخاه**) المسلمَ بغير موجب لذلك (**فوقَ ثلاث**) ليالٍ.

قال النووي: قال العلماء: تحريم الهجرة بين المسلمين أكثر من ثلاث ليال بالنصّ، ويُباح في الثلاث بالمفهوم، وإنما عفي عنه في ذلك؛ لأن الآدمي مجبول على الغضب، فسومح بذلك القدر، ليرجع ويزول

(١) رواه البخاري (٦٢٣٧)، ومسلم (٢٥٦٠).

ذلك العارض[1].

وقال أبو العباس القرطبي: المعتبر ثلاث ليال، حتى لو بدأ بالهجرة في أثناء النهار، ألغى البعض، ويعتبر ليلة ذلك اليوم وينقضي العفو بانقضاء الليلة الثالثة[2].

قال الحافظ ابن حجر في «شرح البخاري»: وفي الجزم باعتبار الليالي دون الأيام جمود، وقد ورد في حديث أبي أيوب نفسه في الصحيح بلفظ: «ثلاثة أيام»[3]، فالمعتمد أن المرخَّص فيه ثلاثة أيام بلياليها، فحيث أطلقت الأيام، أريد: بلياليها، وحيث أطلقت الليالي، أريد: بأيامها، ويكون الاعتبار مضيّ ثلاثة أيام بلياليها ملفقة، إذا ابتدئت ـ مثلًا ـ من الظهر يوم السبت، كان آخرها الظهر يوم الثلاثاء، ويحتمل أن يلغى الكسر، ويكون أول العدد من ابتداء اليوم أو الليلة، والأولُ أحوطُ. انتهى[4].

وقال ابن عبد القوي من علمائنا في نظم الآداب رحمه الله تعالى:

وحظـــر انتفـــا التـــسليم فـــوق ثلاثـــة

علـــى غيـــر مـــن قلنـــا بهجـــر فأكـــد[5]

أي: منع وتحريم انتفاء التسليم؛ أي: وجود الهجر فوق ثلاثة أيام.

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١١٧).

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٦/ ٥٣٤).

(٣) رواه البخاري (٦٠٦٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٢).

(٥) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٣٢).

وقال ابن عقيل: يكره.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: اقتصارُ ابن عقيل على الكراهة ليس بجيد، بل هو من الكبائر على نص الإمام أحمد؛ لما في ذلك من الوعيد[1].

وقد صح عن النبي ﷺ فيمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار. أخرجه أبو داود، والنسائي بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا، ولفظه: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث، فمن هجر فوق ثلاث فمات، دخل النار»[2].

وفي رواية لأبي داود: أنه ﷺ قال: «لا يحل لمؤمن أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث، فإن مرت به ثلاث فليلقَهُ، فليسلِّمْ عليه، فإن ردَّ عليه السلام، اشتركا في الأجر، وإن لم يردّ، فقد باء بالإثم، وخرج المسلّم من الهجر»[3].

وفي حديث عائشة عند أبي داود: «فإذا لقيه، سلَّم عليه ثلاث مرات، كل ذلك لا يرد عليه، فقد باء بإثمه»[4].

(يلتقيان) الأخوان المسلمان في الطريق، **(فيصدُّ هذا)** عن صاحبه المسلِم؛ أي: يعرض هذا، **(ويصد هذا)** أيضًا عن صاحبه. وفي لفظ: «فيعرض هذا، ويعرض هذا»[5].

---

(١) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٢٥٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٩١٤)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩١٦١).

(٣) رواه أبو داود (٤٩١٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه أبو داود (٤٩١٣).

(٥) رواه البخاري (٦٠٧٧)، ومسلم (٢٥٦٠/ ٢٥).

وقد روى الإمام أحمد، والبخاري في «الأدب المفرد»، وصححه ابن حبان من حديث هشام بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يحل لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاث ليال، فإنهما ناكبان ـ أي: مائلان عن الحق ـ ما داما على صرامهما، وأولهما فيئًا يكون سَبْقُه بألفي كفارة له، وإن سلم فلم يقبل، ورد عليه سلامه، رد عليه الملائكة، ورد على الآخر الشيطان، فإن ماتا على صرامهما، لم يدخلا الجنة جميعًا أبدًا»[1].

(وخيرهما)؛ أي: خير المتهاجرينِ **(الذي يبدأ بالسلام)** منهما.

قال أكثر العلماء: تزول الهجرة بمجرد السلام وردّه.

وورد عن الإمام أحمد ﷺ: لا يبرأ من الهجرة إلا بعوده إلى الحال التي كان عليها أولًا[2].

وقال ـ أيضًا ـ: ترك الكلام إن كان يؤذيه، لم تنقطع الهجرة بالسلام[3].

قال القاضي أبو يعلى: وإنما لم يجعله الإمام أحمد خارجًا من الهجرة بمجرد السلام حتى يعود معه في الاجتماع والمؤانسة؛ لأن الهجرة لا تزول إلا بعوده إلى ما كان عليه معه[4].

لكن ورد عن الإمام أحمد ﷺ أنه قال للذي تشتمه ابنةُ عَمِّه: إذا

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٤٠٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٦٤).

(٢) نقله ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٦).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٢٧٣).

لقيتها سلِّم عليها، اقطع المصارمة[1].

فظاهر هذه الرواية أن السلام يقطعها مطلقًا.

وجزم بهذا ابنُ حمدان، والسامرِّي، وغيرهما، وقطع به في «الإقناع»[2]، وظاهر كلام الأصحاب: أن الهجر محرم، لا يزول بغير مشافهة، ونص عليه الشافعي.

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: ويتوجه على قول من قال من أصحابنا: الكتابةُ والمراسلةُ كلامٌ أن يزول الهجر المحرم بها، قال: ثم وجدت الإمامَ ابنَ عقيل ذكره.

وللشافعية وجهان: قال النووي: أصحهما: يزول بزوال الوحشة. انتهى[3].

وظاهر كلام سيدنا الإمام أحمد ﵁: يزول.

قال ابن رزين في «مختصره» فيما لو حلف أن لا يكلمه، فكتب إليه، أو أرسل إليه، نص الإمام أحمد على أنه ينظر إلى سبب يمينه، فإن كانت نيته، أو سبب يمينه يقتضي هجرانه، وتركَ صلته، حنث. انتهى[4].

فدل هذا على أن الكتابة والمراسلة كلام. والله أعلم.

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٣٨).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٢٧٣). وانظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١١٨).

(٤) نقله ابن قدامة في «المغني» (١٠/ ٦٢).

وقال ابن القاسم من المالكية: لا يزول حكم تحريم الهجرة بمجرد السلام[1].

وقال القاضي عياض: إذا اعتزل كلامه، لم تقبل شهادته عليه عندنا، ولو سلم عليه[2].

قال في «الفتح»: وهذا يؤيد قول ابن القاسم[3].

*** تنبيه:**

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أنه لا يجوز هجران المسلم أخاه المسلم فوق ثلاث إلا لمن خاف من مكالمته ما يفسد عليه دينه، أو يدخل منه على نفسه أو دنياه مضرة، فإن كان كذلك، جاز، وربَّ هجرٍ جميل خيرٌ من مخالطة مؤذية[4].

وقد استشكل غيرُ واحد من العلماء هذا، مع ما صدر من أم المؤمنين عائشة الصدّيقة ﵂ في حق ابن أختها عبدِالله بنِ الزبير ﵄ لما نذرت أن لا تكلمَه[5].

قال ابن التين: لا ينعقد النذر في حرام، ولا مكروه، ونذرُ ترك الكلام

---

(١) نقله أبو بكر الصقلي في «الجامع لمسائل المدونة» (٢٤/ ١٤٥).

(٢) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٨/ ٢٦).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٦).

(٤) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٦/ ١٢٧).

(٥) رواه البخاري (٦٠٧٣، ٦٠٧٤، ٦٠٧٥) من حديث عوف بن مالك بن الطفيل، و(٣٥٠٥) من حديث عروة بن الزبير.

يفضي إلى التهاجر، وهو حرام أو مكروه.

وأجاب الطبري بأن المحرم إنما هو ترك السلام فقط، وأن الذي صدر من عائشة ﵂ ليس فيه أنها امتنعت من السلام على ابن الزبير، ولا من رد السلام عليه لما بدأها بالسلام، وكانت عائشة ﵂ لا يتمكن أحد يدخل عليها إلا بإذن، ومن دخل كان بينه وبينها حجاب، إلا إن كان ذا محرم منها، ومع ذلك لا يدخل عليها حجابها إلا بإذن، فكانت في تلك المدة منعت ابن الزبير من الدخول عليها.

وردّ كلامه في «الفتح»، وصوب ما أجاب به غيره: أن عائشة رأت أن ابن الزبير ارتكب بما قال أمرًا عظيمًا، وهو قوله: (لأحجرنَّ عليها)؛ فإن فيه تنقيصًا لقدرها ونسبته لها إلى ارتكاب ما لا يجوز من التبذير الموجب لمنعها من التصرف فيما رزقها الله تعالى، مع ما انضاف إلى ذلك من كونها أم المؤمنين، وخالته أختَ أمه، ولم يكن أحد عندها في منزلته، فكأنها رأت أن الذي وقع منه في حقها نوع عقوق، والشخص يستعظم ممن يلوذ به ما لا يستعظمه من الغريب، فرأت مجازاته على ذلك ترك مكالمته؛ كما نهى النبي ﷺ عن كلام كعب بن مالك وصاحبيه عقوبةً لهم لتخلفهم عن غزوة تبوك بغير عذر[1]، ولم يمنع من كلام من تخلَّف عنهم من المنافقين؛ مؤاخذة للثلاثة لعظم منزلتهم عنده، وازدرائه بالمنافقين لحقارتهم[2].

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(البخاري، ومسلم)** في صحيحيهما،

---

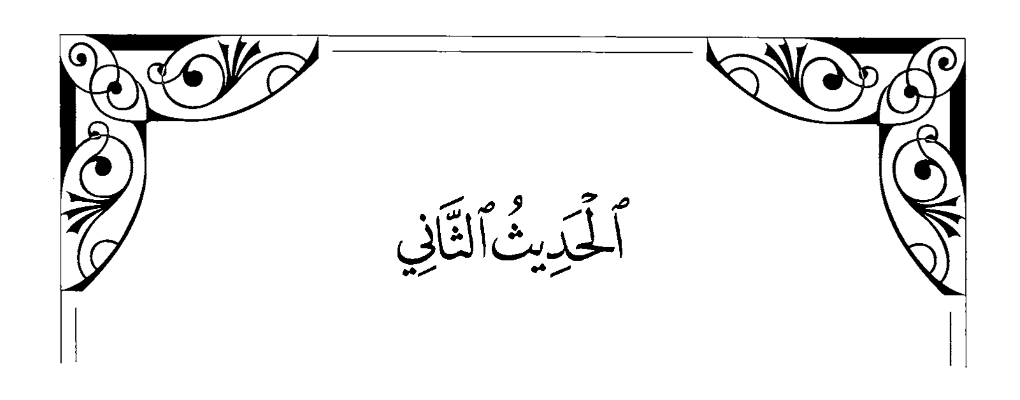
(١) رواه البخاري (٤٦٧٧)، ومسلم (٢٧٦٩)، من حديث كعب بن مالك ﵁.

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٦).

ورواه أبو داود، والترمذي، وغيرهما[1].

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٩١١)، والترمذي (١٩٣٢)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.



الحديث الثاني

٦٣٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى شَيءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟! أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». رواه مسلمٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: والذي نفسي بيده)، وقد تقدم غيرَ مرة أن هذه كانت من أكثر صيغ حلفه ﷺ، **(لا تدخلوا الجنة)** التي أعدها الله للمؤمنين **(حتى تؤمنوا)** بالله واليوم الآخر، وتؤمنوا برسول الله ﷺ، وبسائر أنبيائه وكتبه تفصيلًا وجملًا، **(ولا تؤمنوا)** إيماناً كاملًا **(حتى تحابوا)** بفتح أوله بحذف إحدى التاءين تخفيفًا؛ أي: يحب بعضكم بعضًا محبةً دينية، **(أَوَلا)** بفتح الهمزة وتخفيف الواو، وفي لفظ بحذفها وتخفيف اللام[2]، أداة استفتاح، **(أدلّكم)** دلالةً نافعة يحصل منها مقصودُكم، **(على شيء)** هين يسير **(إذا)** أنتم **(فعلتموه)** فيما بينكم **(تحاببتم)**؛ أي: أحبَّ بعضكم بعضًا؟ قالوا: بلى يا رسول الله، دلنا على ذلك الشيء الذي يوجب محابتنا، قال ﷺ:

---

(١) رواه مسلم (٥٤).

(٢) رواه الترمذي (٢٦٨٨) بلفظ: «ألا».

(**أفشوا**)؛ أي: انشروا وأذيعوا (**السلام بينكم**).

وفي لفظ: «ألا أدلكم على ما تحابون به؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

قال ابن العربي: فيه: أن من فوائد السلام: حصولَ المحبة بين المتسالمين، وكان ذلك؛ لما فيه من ائتلاف الكلمة؛ لتعم المصلحة بوقوع المعاونة على إقامة شرائع الدين، وإخزاء الكافرين، وهي كلمة إذا سمعت أخلصت القلب الواعي لها من النفور إلى الإقبال على قائلها[2].

وقد جاء إفشاء السلام من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما؛ كما في «الأدب المفرد» للبخاري، وصححه ابن حبان، ولفظه: «أفشوا السلام تسلموا»[3].

وله شاهد مثله من حديث أبي الدرداء عند الطبراني، ولفظه: «أفشوا السلام كي تَعْلُوا»[4]؛ أي: إنكم إذا أفشيتموه، تحاببتم، فاجتمعت كلمتكم، فقهرتم عدوكم، وعلوتم عليه.

والأحاديث في إفشاء السلام كثيرة:

منها: عند البزار، وعند الإمام أحمد من حديث عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما[5]،

---

(١) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٣/ ٦٢٦) وفيه: «تتحابون» بدل «تحابون»، وعزاه للترمذي.

(٢) انظر: «عارضة الأحوذي» لابن العربي (١٠/ ١٦٢ ـ ١٦٣).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٨٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩١).

(٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٠) وقال: رواه الطبراني، وإسناده جيد. ولم نقف عليه في المطبوع من كتب الطبراني.

(٥) رواه البزار في «مسنده» (٢٢٣٢)، ولم نقف عليه عند الإمام أحمد. ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٦٤) من حديث الزبير بن العوام رضي الله عنه.

وعند الطبراني من حديث ابن مسعود[1]، وأبي موسى[2]، وغيرهم من الصحابة رضي الله عنهم.

ومن الأحاديث في إفشاء السلام: ما أخرجه النسائي عن أبي هريرة رضي الله عنه رفعه: «إذا قعد أحدكم، فليسلم، فإذا قام، فليسلم؛ فليست الأولى أَحَقَّ من الآخرة»[3].

وأخرج ابن أبي شيبة من طريق مجاهد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن كنتُ لأخرجُ إلى السوق، وما لي حاجة إلا أن أسلِّم، ويسلَّم عليّ[4].

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ أبو الحسين **(مسلم)** بنُ الحجاج في «صحيحه»، ورواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم[5].

واستدل بالأمر بإفشاء السلام على أنه لا يكفي السلام سرًّا، بل يشترط الجهرُ، وأقله أن يسمع في الابتداء، وفي الجواب، ولا تكفي الإشارةُ باليد ونحوِها.

وقد أخرج النسائي بسند جيد عن جابرِ بنِ عبدِالله رضي الله عنهما رفعه: «لا تسلِّموا

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٩٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٠): وفيه عطاء بن مسلم، وهو ثقة، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٠) وقال: رواه الطبراني، وفيه عبدالله بن صالح، وقد وثق، وضعفه جماعة. ولم نقف عليه في المطبوع من كتب الطبراني.

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٠٢).

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٤٦).

(٥) رواه أبو داود (٥١٩٣)، والترمذي (٢٦٨٨)، وابن ماجه (٦٨، ٣٦٩٢).

تسليمَ اليهود؛ فإن تسليمهم بالرؤوس والأكُفّ»[١].

ويستثنى من ذلك حالة الصلاة، فقد وردت أحاديثُ جيدة أنه ﷺ ردّ السلام وهو يصلِّي إشارةً.

منها: حديث أبي سعيد ؓ: أن رجلًا سلَّم على النبي ﷺ وهو يصلي، فرد عليه إشارة[٢].

ومن حديث ابن مسعود ؓ نحوه[٣].

وكذا من كان بعيدًا؛ بحيث لا يسمع التسليم، يجوز السلام عليه إشارة، ويتلفظ مع ذلك بالسلام.

وأخرج ابنُ أبي شيبة عن عطاء قال: يكره السلام باليد، ولا يكره بالرأس[٤].

* * *

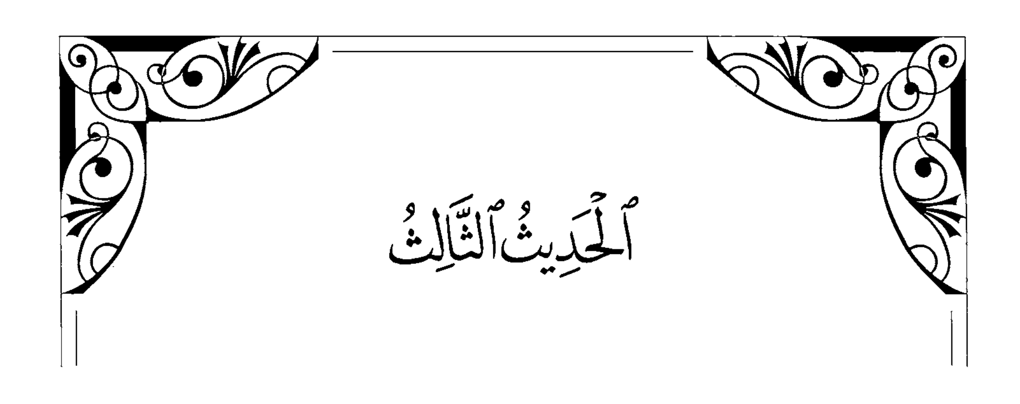
---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٧٢).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٦٣١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٨): وفيه عبدالله بن صالح كاتب الليث، وقد وثق، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (٣٦٠٥) من حديث ابن مسعود ؓ موقوفًا.

(٤) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٧٧٣).



الحديث الثالث

٦٣٧ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ﷺ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسول الله ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». أخرجه البخاري ومسلم[1].

(**عن عبدِالله بنِ عمرو**) بنِ العاص (ﷺ: **أن رجلًا سأل النبي ﷺ**): قال الحافظ ابن حجر: لم أعرف اسمَ الرجل، وقد قيل: إنه أبو ذر. انتهى[2].

وبيض له البلقيني في كتابه «الإفهام»[3].

(**أيّ الإسلام خير**)؛ يعني: أي خصال الإسلام خير؟ (**قال**) ﷺ: (**تطعم الطعام**)، هو في تقدير المصدر؛ أي: أن تطعم، ومثله: تسمعَ بالمعيدي،

---

(١) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦).

(٣) انظر: «الإفهام لما في البخاري من الإبهام» للبلقيني (ص: ٩)، وفيه: «قيل: هو أبو ذر، وفي ابن حبان من حديث هانئ بن يزيد والد شريح: أنه سأل عن معنى ذلك، فأجيب بنحو ذلك»، والحديث المشار إليه رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٤).

قاله[1] الكرماني[2].

وكأنه أراد: في الغالب، ويحتمل اختلافُ الأجوبة بحسب اختلاف الأسئلة، ويكون ثَمَّ فرق بين لفظِ (أفضل)، ولفظِ (خير)، فالفضلُ بمعنى: كثرة الثواب في مقابلة القلة، والخير بمعنى النفع في مقابلة الشر، فالأول من الكمية، والثاني من الكيفية، فافترقا.

واعترض بأن الفرق لا يتم إلا إذا اختص كلٌّ منهما بتلك المقولة.

أما إذا كان كلٌّ منهما تُعقل نيابته[3] في الأخرى، فلا.

وعلى تقدير اتحاد السؤالين جواب مشهور، وهو الحمل على اختلاف حال السائلين والسامعين، فيمكن أن يزاد في الجواب الأول ـ يعني: أفضلُ الناس إسلامًا مَنْ سلم المسلمون من لسانه ويده ـ تحذير من خُشي منه الأذى بيد أو لسان، فأرشد إلى الكف، وفي الثاني: ترغيب من رُجي منه النفع العام بالفعل والقول، فأرشد إلى ذلك.

وخصّ هاتين الخصلتين ـ يعني: إطعام الطعام، والسلام على من عرفتَ ومَنْ لم تعرفْ ـ بالذكر؛ لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت؛ لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف.

ويدل عليه: أنه ﷺ حث عليهما أولَ ما دخل المدينة؛ كما رواه الترمذي

---

(١) في الأصل: «قال»، والتصويب من «فتح الباري».

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ٩٢)، و«فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦).

(٣) في «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦): «تأتِّيه».

وغيره مصححًا من حديث عبدالله بن سلام[1].

وفيه الحثُّ على الجود والسخاء، ومكارم الأخلاق، وخفض الجناح للمسلمين.

وقوله: (**وتقرئ السلام على من عرفت**) من المسلمين، (**ومن لم تعرف**) منهم، فيه: الحث على التواضع، وخفض الجناحين للمسلمين، وعلى تأليف قلوبهم، واجتماع كلمتهم، وتوادِدهم، واستجلاب ما يحصل ذلك.

وهذا الحديث مشتمل على نوعي المكارم؛ لأنها إما مالية، فالإطعامُ إشارة إليها، وإما بدنية، فالسلام إشارة إليها.

قال الكرماني: قال القاضي البيضاوي: الألفةُ: إحدى فرائض الإسلام، وأركان الشريعة، ونظام شمل الدين[2].

وفي قوله ﷺ: (ومن لم تعرف) تنبيهٌ على أنك لا تخصّ بسلامك أحدًا تكبُّرًا أو تصنُّعًا، بل تعظيمًا لشعار الإسلام، ومراعاة لأخوة المسلم.

فإن قيل: اللفظ عام، فيدخل فيه الكافر والمنافق والفاسق.

أجيب: بأنه خص بأدلة أخرى، أو أن النهي متأخر، وكان هذا عامًّا لمصلحة التأليف، وأما من شك فيه، فالأصل البقاء على العموم حتى يثبت الخصوص.

---

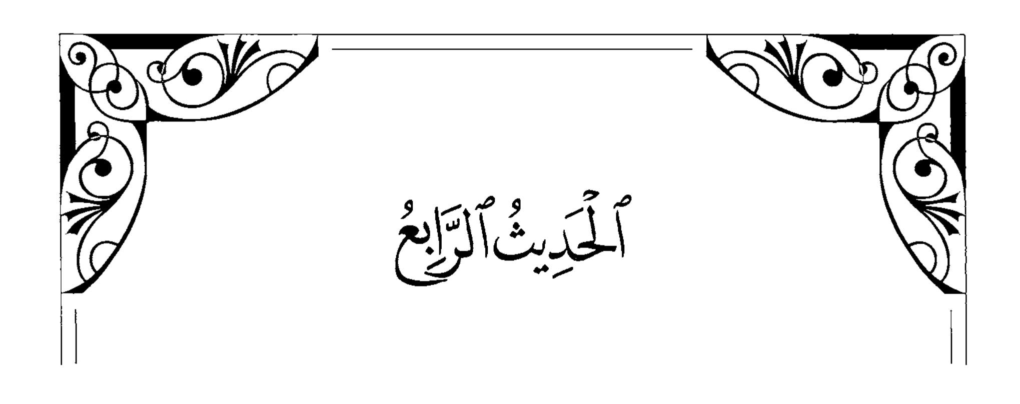
(١) رواه الترمذي (٢٤٨٥) وقال: حديث صحيح.

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ٩٣).

(أخرجه البخاري، ومسلم)، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم[1].

* * *

(١) رواه أبو داود (٥١٩٤)، وابن ماجه (٣٢٥٣)، ولم نقف عليه عند الترمذي، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.



الحديث الرابع

٦٣٨ ـ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الباهليِّ ﷺ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الرَّجُلاَنِ يَلْتَقِيَانِ، أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلاَمِ؟ فَقَالَ: «أَوْلاَهُمَا بِاللَّهِ». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن، واللفظ للترمذي[1].

(**عن أبي أُمامة**) صُدَيِّ بنِ عجلانَ (**الباهليِّ** ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل السواك)، (**قال**) أبو أمامة: (**قيل**)؛ أي: للنبي ﷺ؛ أي: قال له بعض أصحابه رضوان الله عليهم: (**يا رسول الله! الرجلانِ**) من المسلمين (**يلتقيان**) في طريق أو غيرها، (**أيهما يبدأ بالسلام**) أولًا؟ (**قال**) ﷺ: (**أولاهما**)؛ أي: المتلاقيين (**بالله**) ﷻ، هو الذي يبدأ بالسلام.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: إذا تساوى المتلاقيان من كل جهة، فكلٌّ منهما مأمور بالابتداء، وخيرُهما الذي يبدأ بالسلام.

ثم ذكر ما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح من حديث جابر ﷺ قال: الماشيان إذا اجتمعا، فأيهما يبدأ السلام فهو أفضل[2].

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٧)، والترمذي (٢٦٩٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٤).

وأخرج الطبراني بسند صحيح عن الأغرّ المزني قال: قال لي أبو بكر رضي الله عنه: لا يسبقْك أحدٌ إلى السلام[1].

قلت: لحديث الأغر قصة، وهي كما في «كبير الطبراني» و«الأوسط»، وأحدُ إسنادي «الكبير» رواتُه محتج بهم في الصحيح، ولفظه: عن الأغرِّ ـ أغرِّ مزينةَ ـ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ أمر لي بجريب من تمر عند رجل من الأنصار، فمطلني به، فكلمت رسولَ الله ﷺ، فقال: «اغد معه يا أبا بكر المسجد فخذ له من تمره»، فوعدني أبو بكر المسجد إذا صلينا الصبح، فوجدته حيث وعدني، فانطلقنا، فكلما رأى أبا بكر رجلٌ من بعيد سلَّم عليه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: أما ترى ما يصيب القوم عليك من الفضل؟ لا يسبقْك إلى السلام أحد، فكنا إذا طلع الرجل من بعيد، بادرناه بالسلام قبل أن يسلم علينا[2].

وقال في حديث أبي أمامة رضي الله عنه: «إن أولى الناس بالله من بدأ»[3].

وفي الطبراني من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله! إنا نلتقي، فأينا يبدأ بالسلام؟ قال: «أطوعكم لله»[4].

(رواه)؛ أي: حديث أبي أمامة المشروح **(أبو داود، والترمذي، وقال: حديث حسن، واللفظ)** المذكور **(للترمذي)**.

ولفظ حديث أبي داود: قال رسول الله ﷺ: «إن أولى الناس بالله من

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٨٠)، و«المعجم الأوسط» (٧٤٦٨).

(٣) رواه أبو داود (٥١٩٧) وفيه: «بدأهم بالسلام» بدل «بدأ».

(٤) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١٩٥٠).

بدأهم بالسلام»[1].

وروى البزار، وابن حبان في «صحيحه» من حديث جابر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «يسلم الراكب على الماشي، والماشي على القاعد، والماشيان أيهما يبدأ بالسلام، فهو أفضل»[2].

وروى البزار، والطبراني، وأحدُ إسنادي البزار جيد قوي، عن عبدالله ابن مسعود ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «السلام اسمٌ من أسماء الله تعالى وضعه في الأرض، فأفشوه بينكم؛ فإن الرجل المسلم إذا مرَّ بقوم، فسلَّم عليهم، فردوا عليه السلام، كان له عليهم فضل درجة بتذكيره إياهم السلام، فإن لم يردوا عليه، ردَّ عليه مَن هو خير منهم»[3].

*** تتمة:**

يستحب أن يسلم القليل على الكثير، والماشي على الجالس، والراكب على الماشي، لقوله ﷺ: «يسلم الصغير على الكبير، والمارُّ على القاعد، والقليل على الكثير»[4].

وفي حديث آخر: «يسلم الراكب على الماشي»[5]، رواهما البخاري.

---

(١) انظر التعليق السابق.

(٢) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٢٠٠٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٨).

(٣) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (١٩٩٩)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٠٠٨).

(٤) رواه البخاري (٦٢٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) رواه البخاري (٦٢٣٢)، ومسلم (٢١٦٠)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «يسلم الماشي على الجالس، والراكبُ عليهما»[1].

قال في «الفتح»: كذا هو للجميع بصيغة الخبر، وهو بمعنى الأمر، وقد ورد صريحًا في رواية عبد الرزاق عن معمر عند الإمام أحمد بلفظ: «ليسلم»[2].

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني، والإمام أحمد في «المسند» بسند صحيح من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «يسلم الراكب على الراجل، والراجل على الجالس، والأقل على الأكثر، فمن أجاب كان له، ومن لم يجب فلا شيء له»[3].

وفي البخاري في رواية: «والمار على القاعد»[4]، وهذه أشملُ من رواية الماشي؛ لأنه أعمُّ من أن يكون المار ماشيًا أو راكبًا.

وقد اجتمعا في حديث فَضالةَ بنِ عُبيدٍ عند البخاري في «الأدب المفرد»، والترمذي وصححه، و«صحيح ابن حبان» بلفظ: «يسلم الفارس على

---

(١) تقدم تخريجه في التعليق السابق بمعناه.

(٢) في الأصل: «يسلم»، والتصويب من مصدر التخريج و«فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٤)، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٣١٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٤٤٤)، والإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٤٤)، من حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٦٢٣١) من حديث أبي هريرة ﷺ.

الماشي، والماشي على القائم»[1].

وإذا حمل القائم على المستقر، كان أعمّ من أن يكون جالسًا أو واقفًا، أو متكئًا أو مضطجعًا.

وإذا أضيفت هذه الصور إلى الراكب، تعددت الصور، وتبقى صورة لم تقع منصوصة، وهي: ما إذا تلاقى مارّان راكبان أو ماشيان، وقد تكلم عليها المازري، فقال: يبدأ الأدنى منهما الأعلى قدرًا في الدين؛ إجلالًا لفضله؛ لأن فضلية الدِّين مرغَّب فيها في الشرع[2].

وعلى هذا لو التقى راكبان، ومركوبُ أحدهما أعلى في الحسن من مركوب الآخر؛ كالفرس والجمل، فيبتدئ راكب الفرس، أو يكتفى بالنظر إلى أعلاهما قدرًا في الدين، فيبدؤه الذي دونه، هذا الثاني أظهر، كما لا نظر إلى من يكون أعلاهما قدرًا من جهة الدنيا، إلا أن يكون سلطانًا يخشى منه، وإذا تساوى المتلاقيان من كل جهة، فكلٌّ منهما مأمور بالابتداء، أو خيرهما الذي يبدأ بالسلام ـ كما مر ـ.

* **تنبيهات:**

الأول: لو عكس الأمر، فمر جمع كثير على جمع قليل، وكذا لو مرّ الصغير على الكبير، قال في «الفتح»: لم أرَ فيهما نصًّا، واعتبر النووي المرور، فقال: الوارد يبدأ، سواء كان صغيرًا أم كبيرًا، قليلًا أم كثيرًا، ويوافقه

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٩٩)، والترمذي (٢٧٠٥) وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان في «صحيحه» (٤٩٧).

(٢) انظر: «المعلم بفوائد مسلم» للمازري (٣/ ١٤٩).

قول المهلب: إن المار في حكم الداخل[1].

قلت: وقد صرح أصحابنا بذلك، فقال الإمام محمد بن عبد القوي المرداوي الفقيهُ المحدِّث النحويُّ شمسُ الدين أبو عبدالله ـ المشهورُ عند فقهائنا بالناظم ـ في «منظومة الآداب» التي شرحناها:

وتسليمُ نَزْرٍ والصغيرِ وعابرِ السْـ
ـسَبيل وركبان على الضدِّ أيِّدِ
وإن سلَّم المأمور بالردِّ منهم
فقد حصل المسنون إذ هو مُبتدي[2]

فظاهره: لو سلَّم الجالس على الوارد، لحصل أصلُ السنة، لكن عبارة «الإقناع» وغيره تعين كون السلام من الوارد، ولأنه قال: أما لو وردوا على قاعد، أو قعود، فإن الوارد يبدأ مطلقًا[3].

الثاني: ابتداء السلام من الواحد سنةُ عين، ومن الجماعة سنة كفاية، فيجزئ تسليم واحد من المسلمين؛ أي: يبتدئ بالسلام واحدٌ من جماعة عن جميعهم؛ كما هو شأن الكفاية يخاطَب به الجميع جملةً، لا كلُّ واحد بعينه، ويجزئ من واحد.

وظاهره: ويحصل لهم أصلُ السنة بتسليم من يجزئ سلامه.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٧).

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٣٣).

(٣) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٣٩).

والأفضل السلامُ من جميعهم.

وظاهر إطلاق علمائنا إجزاء السلام من المميز، ويتجه، وكذا من المرأة؛ للزومِ الردِّ على سلامهما، ولا يلزمهما ردٌّ إذا سُلِّم عليهما.

وردُّ السلام حيث شُرع فرضُ كفاية إذا كان المسلَّم عليهم جماعة، وفرضُ عين على الواحد، فيجزئ ردُّ واحد من الجماعة المسلَّم عليهم، لا ردُّ واحد من غير المسلَّم عليهم.

ولا بد أن يكون الردُّ بالغًا، ويكون الردُّ فورًا؛ بحيث يعدُّ جوابًا للسلام، وانظر لو كان في الجماعة المسلَّم عليهم من لا يُسن ابتداءُ السلام عليه؛ كالآكل، والمتوضئ، وردَّ السلامَ هو فقط، هل يسقط به فرضُ الكفاية؟ لم أرَ من تعرض لذلك.

والظاهر ـ والله أعلم ـ: إجزاءُ ردهم، وسقوطُ الفرض به.

وقد أخرج أبو داود في «سننه» عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يجزئ عن الجماعة إذا مرُّوا أن يسلِّم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدُهم»(١).

نعم لا بد أن يكون الرادُّ مكلَّفًا حتى يجزئ عن الباقين، فلو ردَّ كافر، لم يجزئ، وكذا إن كان فيهم صبيٌّ فردَّ وحدَه، لم يسقط عنهم الفرض ـ كما أشرنا إليه آنفًا ـ.

قال ابن حمدان: إن سلم بالغ على بالغ وصبي، ردّه البالغ، ولم يكف

---

(١) رواه أبو داود (٥٢١٠).

ردُّ الصبي. انتهى.

وقد يفهم من كلامه: أنه لو كان بالغ وصبي، فسلم صبيٌّ عليهما، أجزأ ردُّ الصبي، ولعله ليس مراداً؛ لأنه يلزم الردُّ على تسليم الصبي في الأصح.

وقال أبو المعالي من علمائنا: والسلام على الصبي لا يستحق جوابًا؛ لعدم أهليته للخطاب، والأمر به، فإن سلم الصبي على بالغين، فوجهان في وجوب الرد مخرجان من صحة سلامه. انتهى[1].

والمذهب: الوجوب ـ كما تقدم ـ.

قال العلامة الشيخ مرعي في «غايته»: لا بأس به ـ يعني: السلام ـ على الصبيان تأديبًا لهم، ولا يلزمهم رد، ويلزم ردّ عليهم كشابة أجنبية سلَّمت، وارسالها به لأجنبي، وإرساله إليها لا بأس به لمصلحة، وعدم محذور. انتهى[2].

واستوجه في «الغاية» اكتفاء رد واحد مع سلام جماعة تعاقبوا، إن لم يكن رد على الأول، ومثله تشميت عاطسين[3].

وكأنه قاسه على الكفارة، وعليه: لا بد من قصده بالرد عليهم، وعدم فوات الفورية.

وذكرنا في «غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب»: أنه يرد عليه؛ بأن ردّ

---

(١) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣٩٧).

(٢) انظر: «غاية المنتهى» لمرعي الكرمي (١/ ٢٨٨).

(٣) المرجع السابق (١/ ٢٨٧).

السلام حقّ لآدمي، وحقوق الآدميين لا تتداخل[1]، والله تعالى الموفق.

الثالث: ذكر الماوردي: أن من مشى في الشوارع المطروقة كالسوق: أنه لا يسلم إلا على البعض؛ لأنه لو سلم على كل من لقي، لتشاغل به عن المهم الذي خرج لأجله، ولخرج به عن العرف.

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ولا يعكر على هذا ما أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» عن الطُّفيل بن أُبيّ بن كعب قال: كنت أغدو مع ابن عمر إلى السوق، فلا يمر على بياع، ولا أحدٍ إلا وسلَّم عليه، فقلت: ما تصنع بالسوق، وأنت لا تقف على البيع، ولا تسأل عن السلع؟ قال: إنما نغدو من أجل السلام على مَنْ لقينا[2].

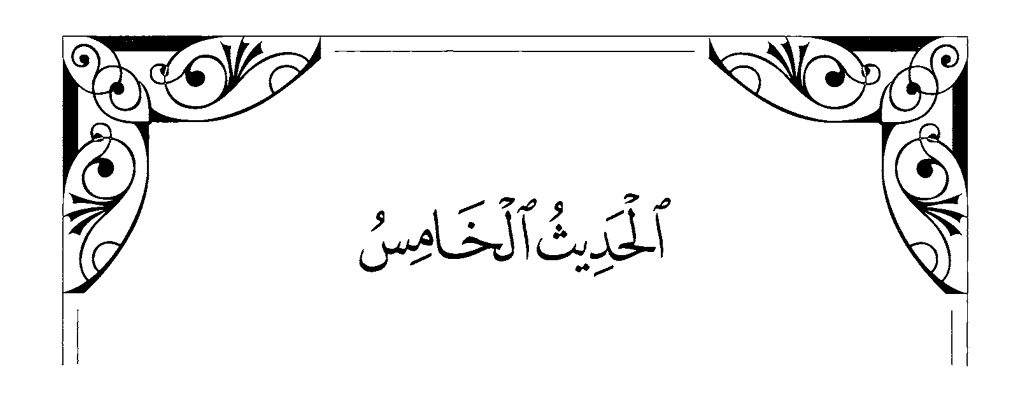
لأن مراد الماوردي: من خرج في حاجة له، فتشاغل عنها بما ذكر، والأثر المذكور ظاهر في أنه خرج لقصد تحصيل ثواب السلام[3].

* * *

(١) انظر: «غذاء الألباب» للسفاريني (١/ ٢٢١).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٠٦).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٧).



الحديث الخامس

٦٣٩ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا جاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَشْرٌ»، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عِشْرُونَ»، ثُمَّ جاءَ آخَرُ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ثَلَاثُونَ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة»[1].

(عن عمرانَ بنِ حُصينٍ) هو أبو نُجيد ـ بضم النون وفتح الجيم ـ عمرانُ ابنُ حصينِ بنِ عبيدِ بنِ خلفٍ الخزاعيُّ الكلبيُّ. أسلم (ﷺ) عام خيبر، وكان مجاب الدعوة، سكن البصرة إلى أن مات بها سنة اثنتين وخمسين، وقيل: سنة ثلاث.

وكان أبيض الرأس واللحية، وكان من فضلاء الصحابة وفقهائهم، وهو وأبوه صحابيان.

(١) رواه الترمذي (٢٦٨٩) وقال: حسن صحيح غريب، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٣٣٧).

روي له عن رسول الله ﷺ مئة وثمانون حديثًا، اتفق الشيخان على ثمانية، وانفرد البخاري بأربعة، ومسلم بتسعة.

قال عمران بن حصين رضي الله عنه: (إن رجلًا) من المسلمين (**جاء إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليكم**)، فرد عليه ﷺ، ثم جلس (**الرجل، فقال النبي ﷺ: عشر**)؛ أي: عشر حسنات، (**ثم جاء**) رجل (**آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله**)، فرد عليه، فجلس، (**فقال النبي ﷺ: عشرون**)؛ أي: من الحسنات، (**ثم جاء**) رجل (**آخر**) ثالثٌ، (**فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته**)، فرد عليه ﷺ، فجلس، (**فقال النبي ﷺ: ثلاثون**)؛ أي: من الحسنات.

(**رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، ورواه النسائي في عمل يوم وليلة**).

قلت: ورواه أبو داود، والبيهقي وحسّنه[1].

ورواه أبو داود ـ أيضًا ـ من طريق أبي مرحوم ـ واسمه عبد الرحيم بن ميمون ـ ، عن سهل بن معاذ، عن أبيه مرفوعًا بنحوه، وزاد: ثم أتى آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: «أربعون، هكذا تكون الفضائل»[2].

وروى الطبراني من حديث سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٥)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٧٠) وقال: هذا إسناد حسن.

(٢) رواه أبو داود (٥١٩٦).

«من قال: السلام عليكم، كتبت له عشر حسنات، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله، كتبت له عشرون حسنة، ومن قال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، كتبت له ثلاثون حسنة»[1].

وأخرج ابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﷺ: أن رجلًا مرّ على رسول الله ﷺ وهو في مجلس، فقال: سلامٌ عليكم، فقال: «عشر حسنات»، ثم مرّ آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله، فقال: «عشرون حسنة»، ثم مرّ آخر فقال: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فقال: «ثلاثون حسنة»، فقام رجل من المجلس ولم يسلم، فقال النبي ﷺ: «ما أوشك ـ أي: ما أسرع ـ ما نسي صاحبكم! إذا جاء أحدكم إلى المجلس، فليسلم، فإن بدا له أن يجلس، فليجلس، وإن قام فليسلم؛ فليست الأولى بأحقَّ من الآخرة»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعجزُ الناسِ مَنْ عجز في الدعاء، وأبخلُ الناسِ مَنْ بخلَ بالسلام»[3].

قال الحافظ المنذري: إسناده جيد قوي[4].

---

(١) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤١٠٢) باللفظ المذكور، وعزاه للطبراني. ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٢٥٩) من حديث أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن مالك بن التيهان ﷺ، وفيه: «خمسون» بدل «ثلاثون»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣١): وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٤٩٣).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٥٩١).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٨٨).

* تنبيهات:

الأول: قال علماؤنا: انتهاء السلام ابتداءً وردًّا: (وبركاته)، ويجوز أن يزيد الابتداء على الرد كعكسه.

قال الإمام ابن عقيل: وآخره: (ورحمة الله وبركاته) ابتداءً وردًّا، ولا تستحب الزيادة عليها.

قال الإمام أحمد وقد سئل عن تمام السلام فقال: وبركاته[1].

وفي «الموطأ» عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن السلام انتهى إلى البركة[2].

قال القاضي: ويجزئ أن يزيد الابتداء على لفظ الرد، والرد على لفظ الابتداء، إلا أن الانتهاء في ذلك إلى البركات؛ خلافًا لمن أوجب مساواة الرد للابتداء، أو أزيد؛ لظاهر الآية.

وأما حديث أبي داود المارّ؛ حيث زاد على (وبركاته): (ومغفرته)، فقال: «أربعون»[3]، فضعيف، وخلافُ المشهور[4].

قال الإمام النووي: يستحب أن يقول المبتدئ: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيأتي بضمير الجميع، وإن كان المسلَّم عليه واحدًا، ويقول المسلَّم عليه: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، وإن كان المسلَّم عليه واحدًا.

---

(١) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣٥٩).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٩).

قال النووي: ليتناولَه وملائكَتَه[1].

وفي «الآداب الكبرى»: فينوي ملائكته إن كان واحدًا؛ حيث أتى بميم الجمع، وأقلُّه: السلام عليكم، وأوسطه: ذكر الرحمة، فإن قال الرادُّ: (وعليك)، أو: (وعليكم) فقط، وحذف المبتدأ، فظاهرُ كلام ابن عبد القوي في «مجمع البحرين»: أنه يجزئ، وهو ظاهر كلام شيخ الإسلام، قال: كما رد النبي ﷺ على الأعرابي.

وصح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: خرج النبي ﷺ إلى أُبي بن كعب وهو يصلي، فقال: «يا أبي!»، فالتفت ثم لم يجبه، ثم صلى ـ أي: خفف[2] ـ، ثم انصرف إلى النبي ﷺ، فقال: السلام عليك يا رسول الله، قال: «وعليك، ما منعك أن تجيبني إذ دعوتك؟» الحديث[3].

قال في «مجمع البحرين»: فيه دليل على جواز قول الرادّ للسلام: وعليك، بحذف المبتدأ. انتهى.

وكذا رد النبي ﷺ على أبي ذر رضي الله عنه، وهو في الصحيحين[4]، وهذا أحد الوجهين للشافعية[5].

قلت: ويؤيده قولُه عليه الصلاة والسلام: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب،

---

(١) انظر: «رياض الصالحين» (١/ ١٧٥)، و«شرح صحيح مسلم» (١٤/ ١٤٠)، وكلاهما للنووي.

(٢) كذا في الأصل، وفي «سنن الترمذي»: «وصلَّى أُبَي فخفَّف».

(٣) رواه الترمذي (٢٨٧٥) وقال: حديث حسن صحيح.

(٤) رواه مسلم (٢٤٧٣). وروى البخاري (٣٥٢٢) أصله.

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٦٠ ـ ٣٦١).

فقولوا: وعليكم»[1].

اتفق العلماء على الرد على أهل الكتاب إذا سلَّموا، لكن لا يقال لهم: وعليكم السلام، بل (عليكم) فقط، أو: وعليكم.

وظاهر كلام متأخري علمائنا عدمُ الإجزاء.

قال في «الإقناع»: ويجزئ في الرد: وعليكم السلام[2].

وقال شيخ الإسلام: المضمَر كالمظهَر.

ومقتضى كلام ابنِ أبي موسى، وابن عقيل، وكلام سيدنا الشيخ عبد القادر: عدمُ الإجزاء[3].

قال الشيخ عبد القادر قدس الله سره: فإن قال المسلم: سلام، لم يجبه، ويعرفه أنه ليس بتحية الإسلام؛ لأنه ليس بكلام تام[4].

الثاني: يُخَيَّرُ المُسَلِّم بين تعريف السلام وتنكيره في سلامه على الحيّ، وأما السلام على الميت، فمعرَّف؛ بأن يقول: السلام عليكم دارَ قوم مؤمنين.

وقال ابن الأثير: كانوا ـ يعني: السلف الصالح من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ـ يستحبون في سلام بعضهم على بعض تنكيرُ الابتداء، وتعريف الجواب، فتكون الألف واللام للعهد[5].

---

(١) رواه البخاري (٦٢٥٨)، ومسلم (٢١٦٣)، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.

(٢) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٣٩).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٦١).

(٤) انظر: «الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٣٩).

(٥) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٩٣).

الثالث: أوجب في «الإقناع» زيادة الواو في الرد؛ بأن يقول: وعليك، أو: عليكم السلام[1].

فإن أسقطها، فقال في «الهدي»: فهل يكون ردًّا صحيحًا؟ قالت طائفة، منهم المتولي: لا يكون جوابًا، ولا يسقط به فرض الرَّدِّ، وذهبت طائفة إلى أنه صحيح، انتهى[2].

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: وتزاد الواو في رد السلام.

وذكر الشيخ وجيه الدين في «شرح الهداية»: أنه واجب، وهو قول بعض الشافعية[3].

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: وأما صفة الرد، فالأفضل الأكملُ أن يقول: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، فيأتي بالواو، فلو حذفها، جاز، وكان تاركًا للأفضل، ولو اقتصر على: عليكم السلام، أجزأه، ولو اقتصر على: عليكم، لم يجزئه. انتهى[4].

والأول ـ يعني: عدم وجوب زيادة الواو ـ: أشهر.

قلت: وهو المذهب المعتمد؛ كما في «شرح المنتهى»، وهو ظاهر متنه[5]؛ لما في الصحيحين: أن آدم ـ عليه السلام ـ قال للملائكة الكرام

---

(١) قال الحجاوي في «الإقناع» (١/ ٢٣٩): ويجزئ في السلام: السلام عليكم، ولو على منفرد، وفي الرد: وعليكم السلام.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٢٢).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٨).

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ١٤٠ ـ ١٤١).

(٥) انظر: «شرح منتهى الإرادات» للبهوتي (١/ ٣٨٤).

عليهم السلام: السلام عليكم، فقالوا له: عليك السلام ورحمة الله، ولفظ الحديث كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: «لما خلق الله آدم، قال: اذهب فسلِّمْ على أولئك النفر من الملائكة جلوس، فاستمع ما يجيبونك؛ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله»[1].

وفي لفظ: كما ذكرناه أولًا[2].

ولأن الله تعالى قال: ﴿قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ ۖ﴾[هود: ٦٩]، قال في «الآداب»: قيل: هو مرفوع خبر مبتدأ محذوف؛ أي: قولي: سلام؛ أي: جوابي، أو أمري، وقيل: هو مبتدأ، والخبر محذوف؛ أي: سلام عليكم.

وأما النصب في الأول؛ فقيل: مفعول لفعل محذوف، كأنه قال: ذكروا سلامًا، وقيل: هو مصدر؛ أي: سلِّموا سلامًا.

وكره أن يقول: سلام الله عليكم؛ لأنه إخبار عن الله ﷻ بالتسليم، وهو كذب.

وفيه: أنه إنشاء؛ كقولك: صلَّى الله على محمد، بل الأولى أن علة الكراهة عدمُ الإتيان بالسلام على الوجه المعروف المشهور؛ كما في «الآداب»[3].

الرابع: سئل الإمام أحمد ﵁ عن رجل مرّ بجماعة، فسلم عليهم، فلم

---

(١) رواه البخاري (٣٣٢٦)، ومسلم (٢٨٤١).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٦٨) من حديث أبي هريرة ﵁، وقال: حديث حسن غريب.

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٨).

يردوا عليه السلام، فقال: يسرع في خطاه؛ لا تلحقه اللعنة مع القوم[1].

وقد ذكر ابن حزم، وابن عبد البر، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وغيرهم الإجماعَ على وجوب ردِّ السلام[2].

وذكر ابن عبد البر: أن أهل العراق جعلوه فرضًا متعينًا على كل واحد من الجماعة المسلَّم عليهم، وحكاه غيره عن أبي يوسف، وحكاه المجد عن الحنفية[3].

نعم ذكر الحنفية: لا يجب ردٌّ على سائل على باب داره؛ لأنه سلم لشعار سؤاله، لا للتحية[4].

ومعتمد المذهب: يجزئ رد واحد من جماعة كما مر، ويعتبر أن يكونوا مجتمعين، فأما الواحد المنقطع، فلا يجزئ سلامه عن سلام آخر منقطع، ذكره ابن عقيل، وظاهر كلام غيره خلافُه[5].

وقد قال علي رضوان الله عليه: عن النبي ﷺ أنه قال: «يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»،

---

(١) المرجع السابق (١/ ٣٥٦).

(٢) انظر: «مراتب الإجماع» لابن حزم (ص: ١٥٦)، و«الاستذكار» لابن عبد البر (٨/ ٤٦٤)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٦).

(٣) انظر: «الاستذكار» لابن عبد البر (٨/ ٤٦٤)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٦).

(٤) انظر: «المحيط البرهاني» لابن مازه (٥/ ٣٢٥).

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٥٦).

رواه أبو داود[1].

قال صاحب «المحرر»: ردّ السلام سلام حقيقة؛ لأنه يجوز بلفظ: سلام عليكم، وأما لو قال كل واحد من المتلاقيينِ لصاحبه: عليكم السلام ابتداء لا جوابًا، لم يستحق واحد منهما الجواب، لأن ما قاله كل واحد منهما صيغة جواب، لا ابتداء. ذكره الحجاوي تبعًا لوجيه الدين.

وفي «شرح مسلم» للإمام النووي ما لفظه: اعلم أن ابتداء السلام سنة، وردّه واجب، فإن كان المسلّم جماعة، فهو سنة كفاية في حقهم، إذا سلم بعضهم، حصلت سنة السلام في حق جميعهم، فإن كان المسلم عليه واحدًا، تعين عليه الرد، وإن كانوا جماعة، كان الرد فرض كفاية في حقهم، فإذا رد واحد منهم، يسقط الحرج عن الباقين، والأفضل أن يبتدئ الجميع بالسلام، وأن يرد الجميع.

قال: وعن أبي يوسف: أنه لا بد أن يرد الجميع، وقد نقل ابنُ عبد البر الإجماع على أن ابتداء السلام سنة، وأن رده فرض[2]، وتقدم.

قال النووي: ويكره أن يقول المبتدئ: عليكم السلام، فإن قال، استحق الجواب على الصحيح المشهور، وقيل: لا يستحقه[3].

وقد ذكرناه عن الحجاوي عن وجيه الدين من علمائنا.

قال النووي: وقد صح أن النبي ﷺ قال: «ولا تقل: عليك السلام؛

---

(١) رواه أبو داود (٥٢١٠).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ١٤٠).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

فإن عليك السلام تحية الموتى»[1]، وقاله شيخ الإسلام ابن تيمية، وصاحبه ابن القيم[2].

الخامس: ابتداء السلام أفضل من ردّه، مع أن ابتداءه سنة، ورده واجب، **وهذا أحد المواضع التي السنةُ فيها أفضلُ من الواجب**.

الثاني: انظارُ المعسِر فرض، وإبراؤه سنة، وهو أفضل.

الثالث: التطهر قبل الوقت، وبه يجب.

والرابع: الختان قبل البلوغ سنة، ويجب به.

وكل من التطهر قبل الوقت والختان قبل البلوغ أفضلُ منه بعد ذلك.

ونظم ذلك السيوطي مُـخِلًّا بالختان، فقال:

الفرضُ أفضلُ من تطوعِ عابدٍ

حتى ولو قد جاءَ منه بأكثرِ

إلا التطهرَ قبلَ وقتٍ وابتدا

ءً للسلام كذاك إبرا المعسر[3]

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٤/ ١٤٠)، والحديث المذكور رواه أبو داود (٥٢٠٩)، والترمذي (٢٧٢٢)، من حديث أبي جري جابر بن سليم الهجيمي ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٢) انظر: «شرح العمدة» لابن تيمية (٤/ ٣٦٤)، و«بدائع الفوائد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٣٨١).

(٣) انظر: «الأشباه والنظائر» للسيوطي (ص: ١٤٧).

وزاد الشيخ العلامة محمد الخلوتي الحنبلي: الختان، فقال:

وكـــذا ختـــانُ المـــرء قبـــل بلوغِـــه

تمـــمْ بـــه عقـــدَ الإمـــامِ المكثـــرِ

السادس: إن سلم من وراء جدار، أو الغائب برسالة أو كتابة، وجبت الإجابةُ عند البلاغ على الفور، ويستحب أن يسلم على الرسول ـ أيضًا ـ، فيقول: وعليك وعليه السلام، وإن بعث معه السلام، وجب تبليغه إن تحمله.

روى أبو جعفر عن ابن عباس ﵄ مرفوعًا: «إني لأرى لردّ جواب الكتاب عليّ حقًّا كما أرى ردَّ جواب السلام»[1].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: المحفوظُ وقفُه على ابن عباس ﵄[2].

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: وقول الصحابي إذا لم يصح خلافه عن صحابي معمولٌ به[3].

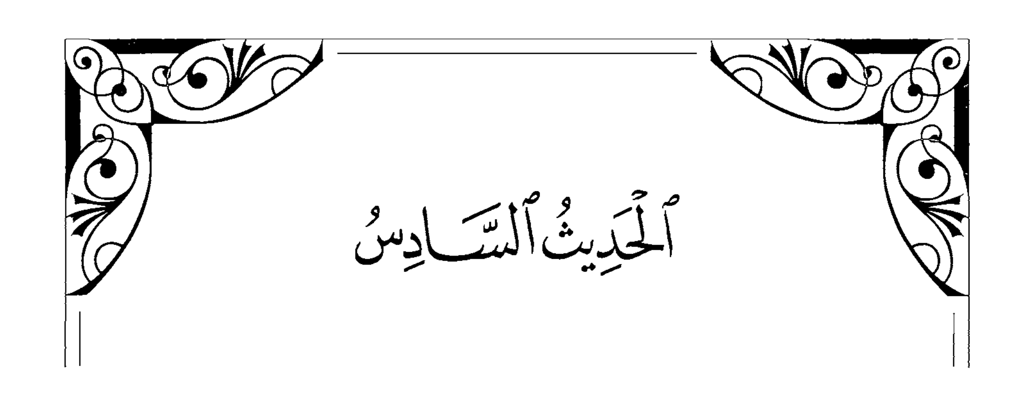
* * *

---

(١) رواه أبو جعفر المصيصي في «جزئه» (٥٣) من حديث ابن عباس ﵄ موقوفًا.

(٢) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٣٦٢).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.



الحَدِيثُ السَّادِسُ

٦٤٠ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ! إِذَا دَخَلْتَ عَلَى أَهْلِكَ فَسَلِّمْ، يَكُونُ بَرَكَةً عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(عن) أبي حمزة **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: يا بُنَي)** تصغير (ابن)، تصغير تحنن وتحسين، **(إذا دخلت)** بيتَك **(على أهلك)** من زوجتك وأمتك ونحوهما، **(فسلم عليهم)** في دخولك عليهم **(يكون)** سلامك عليهم **(بركة)**؛ أي: يُمناً وزيادة وسعادة حالّة ونازلة بسبب سلامك **(عليك وعلى أهل بيتك)** من نسائك وأولادك وخَدَمك ونحوِهم.

قال ابن عبد القوي ـ رحمه الله ـ في «منظومة الآداب»:

وسلّم إذا ما قمتَ عن حضرة امرئ
وسلم إذا ما جئتَ بيتك تهتدي[2]

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٩٨).

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٣٣)، وفيه: «من» بدل «عن»، و«تقتدي» بدل «تهتدي».

أي: إذا قمت من مجلس قوم، واحدٍ فصاعدًا، فسلم عند انصرافك عن مجلسهم؛ لما قدمناه من حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس، فليسلم، فإذا أراد أن يقوم، فليسلم، فليست الأولى بأحق من الثانية»، رواه أبو داود، والترمذي وحسنه، ورواه النسائي[1].

وزاد فيه رزين: «ومن سلم على قوم حين يقوم عنهم، كان شريكهم فيما خاضوا فيه من الخير بعده»[2].

(وقوله) رحمه الله تعالى: (وسلم إذا ما جئت بيتك تهتدي)؛ أي: سلم استحبابًا وقت مجيئك ودخول بيتك على أهله تهتدي لمتابعة السنة النبوية.

وقو الناظم: (بيتك) مجاراة للفظ الحديث، وإلا فبيتُ غيره كذلك، فيسَنُّ أن يسلم إن دخل بيته، أو بيتًا مسكوناً، له أو لغيره؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[النور: ٦١].

وعن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا ولج أحدكم بيته، فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله»، رواه أبو داود[3].

وشمل عموم كلام الناظم ما إذا كان بيته خاليًا، وهو مراد.

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٠٨)، والترمذي (٢٧٠٦) وقال: حديث حسن، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٢٠١).

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٦/ ٥٩٣).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٦).

قال ابن مفلح في «آدابه»: ومن دخل بيتًا خاليًا، سلم على نفسه، وعلى الملائكة، وردّ هو السلام على نفسه؛ كما في «رعاية العلامة ابن حمدان»، ولم يذكر غيره أنه يرد السلام على نفسه[1].

قال العلامة ابن مفلح: ويُعايا بهذه المسألة أن المسلم هو يرد السلام، قال: ويتوجه منه تخريج فيمن عطس وليس بحضرته أحد: أنه يحمد الله، ويشمت نفسه، ويرد على نفسه.

وظاهر كلام بعضهم اختصاصُ البيت المسكون بالسلام دون الخالي، واختاره ابن العربي من المالكية.

وروى سعيد بن منصور بإسناد جيد عن نافع: أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا دخل بيتًا ليس فيه أحد، قال: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[2]، ولم يرد السلام ابنُ عمر على نفسه.

وقال الشيخ وجيه الدين في «شرح الهداية»: إذا دخل بيتًا خاليًا، أو مسجدًا خاليًا، فليقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[النور: ٦١].

قال الإمام الحافظ جمالُ الدين أبو الفتح ابن الجوزي: في الآية أقوال:

قيل: بيوت أنفسكم، فسلموا على أهاليكم وعيالكم.

وقيل: المساجد، سلموا على من فيها.

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٩٨).

(٢) لم نقف عليه في المطبوع من مصنفات سعيد بن منصور. ورواه الطبري في «تفسيره» (١/ ٣٩٨).

وقيل: المعنى: إذا دخلتم بيوت غيركم، فسلموا عليهم.

والذي قاله وجيه الدين قاله جماعة من المالكية والشافعية، وذكره القرطبي في تفسير الآية عن ابن عباس، وجابر، وعطاء[1].

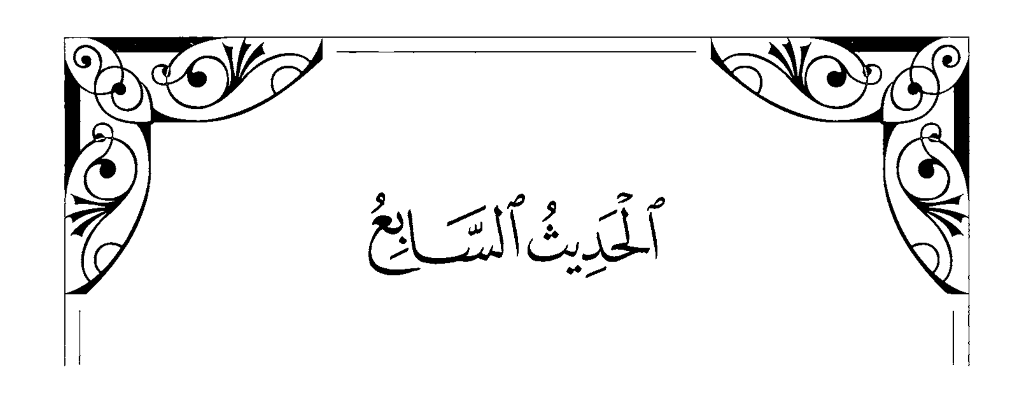
فحصل مما ذكرنا: أن من دخل بيتًا خاليًا، سلم بقوله: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، ولا يجب الردُّ على نفسه؛ خلافًا لظاهر «الرعاية». والله تعالى أعلم.

(رواه)؛ أي: حديثَ أنس المشروحَ أبو عيسى **(الترمذي، وقال: حديث حسن غريب)**[2].

* * *

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٩٨).

(٢) تقدم تخريجه.



٦٤١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَفْشُوا السَّلاَمَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَاضْرِبُوا الْهَامَ، تُورَثُوا الْجِنَانَ»، رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب(١).

(عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ): أنه **(قال: أفشوا)** بقطع الهمزة من (أفشى)؛ أي: أظهروا وانشروا **(السلام)** بين الناس.

وفي «الأدب المفرد» للبخاري: السلامُ اسمٌ من أسماء الله ﷻ وضعه الله في الأرض، فأفشوه بينكم(٢).

وأخرجه الطبراني من حديث ابن مسعود ﷺ موقوفًا، ومرفوعًا(٣)، وطريق الموقوف أقوى؛ كما في «الفتح»(٤).

---

(١) رواه الترمذي (١٨٥٤).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٣٩) من حديث ابن مسعود ﷺ موقوفًا.

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير» (١٠٣٩١) من حديث ابن مسعود ﷺ مرفوعًا، ولم نقف عليه عند الطبراني موقوفًا.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ١٣).

وأخرجه البيهقي في «الشعب» من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا بسند ضعيف[1]، وألفاظهم سواء.

وأخرج البيهقي في «الشعب» عن ابن عباس ﷺ موقوفًا: السلام اسم الله، وهو تحية أهل الجنة[2].

وشاهده: حديث المهاجر بن قنفذ: أنه سلم على النبي ﷺ، فلم يرد عليه حتى توضأ، وقال: «إني كرهت أن أذكر الله إلا على طهر»، أخرجه أبو داود، والنسائي، وصححه ابن خزيمة وغيره[3].

ويحتمل أن يكون أراد: ما في رد السلام من ذكر اسم الله صريحًا في قوله: ورحمة الله وبركاته.

وقد اختلف في معنى السلام، فنقل عياض: أن معناه: اسم الله؛ أي: كلاءة الله عليك وحفظه؛ كما يقال: الله معك وصاحبك[4].

وقيل: إن معناه: أن الله مطلع عليك فيما تفعل.

وقيل: معناه: أن اسم الله يذكر على الأعمال توقعًا لاجتماع معاني الخيرات فيها، وانتفاء عوارض الفساد عنها.

وقيل: معناه: السلامة؛ كما قال تعالى: ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٩١]، وكما قال الشاعر:

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٧٨٤).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٨٨٣٥).

(٣) رواه أبو داود (١٧)، والنسائي (٣٨)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٠٦).

(٤) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٧/ ٤٢).

تحيـــــي بالـــــسلامة أمُّ عمـــــرو

وهـــل لـــي بعــدَ قــومي مــن ســـلامِ[1]

فكأن المسلِّم أعلم مَنْ سلم عليه: أنه سلام منه، وأن لا خوف عليه منه.

قال ابن دقيق العيد: يطلق بإزاء معان، منها: السلامة، ومنها: التحيـة، ومنها: أنه اسم من أسماء الله تعالى.

قال: وقد يأتي بمعنى التحية محضًا، وقد يأتي بمعنى السلامة محضًا، وقد يأتي مترددًا بين المعنيين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾[النساء: ٩٤]؛ فإنـه يحتمـل التحيـة والـسلامة، وقولـه تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[يس: ٥٧ ـ ٥٨][2].

وقوله ﷺ: **(وأطعموا الطعام)** يأتي شرحه ـ إن شـاء الله تعـالى ـ فـي (فضل الضيافة).

وقوله: **(واضربوا الهام)** بتخفيف الميم؛ أي: الـرأس؛ يعنـي: فـي الجهاد في سبيل الله تعالى، ولإعلاء كلمة الله ﷻ.

قال في «القاموس»: الهامة: رأس كل شيء، والجمع هام[3].

وتقدم في (فضل الجهاد) ما يشفي ويكفي.

---

(١) القائل هو شداد بن الأسود. انظر: «السيرة النبوية» لابـن هـشام (٣/ ٢٩٦)، وفيـه: «بكر» بدل «عمرو».

(٢) انظر: «شرح الإلمام» لابن دقيق العيد (٢/ ٢٩).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هيم).

(**تورثوا**): بضم التاء الفوقية وفتح الراء فمثلثة مبنيًّا لما لـم يـسمَّ فاعلـه؛ أي: يورثكم الله ﷻ (**الجنان**) العالية، والنعيم المقيم؛ أي: يدخلكم الجنان، ويبقيكم فيها.

وفي أسماء الله تعالى: الوارث، وهو الباقي بعد فناء الخلق، فيـرث ﷻ الخلائق، ويبقى بعد فنائهم، ومنه الحديث: «اللهمَّ متعني بسمعي وبـصري، واجعلهما الوارث مني»[1]؛ أي: أبقهما صحيحين سليمين إلى أن أموت.

وقيل: أراد بقاءهما وقوتهما عند الكبر وانحلال القوى النفسانية، فيكـون السمع والبصر وارثي سائر القوى، والباقيين بعدها.

وقيل: أراد بالسمع: وعي ما يستمع، والعمل به، وبالبصر: الاعتبار بما يرى.

وفي رواية: «اجعله الوارث مني»[2]، فرد الهـاء؛ أي: الـضمير إلـى الإمتاع، فلذلك وحده.

(**رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب**)[3].

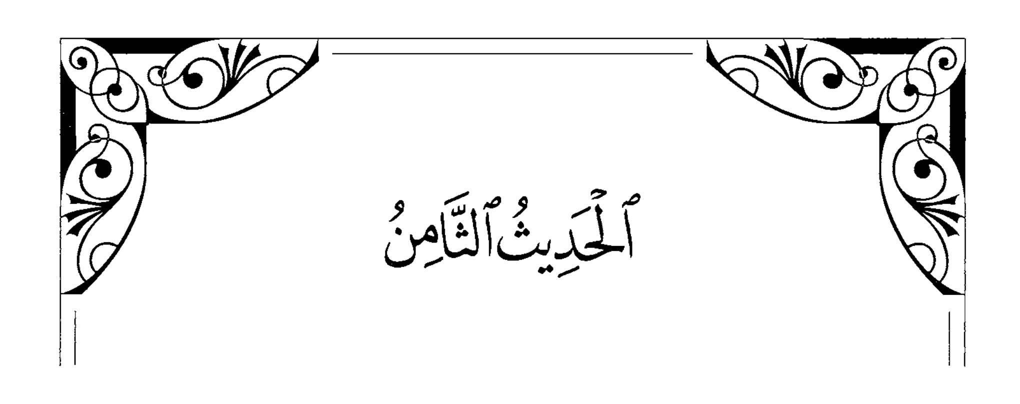
* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٦٠٤/ ٧ ـ طبعة دار الغرب الإسلامي) من حديث أبي هريـرة رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠٢) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وقال: حديث حسن.

(٣) تقدم تخريجه.



الحديث الثامن

٦٤٢ ـ عَنْ عَبْدِاللَّـهِ بْـنِ عَمْـرٍو رضي الله عنهما قَـالَ: قَـالَ رَسُـولُ الله ﷺ: «اعْبُدُوا الرَّحْمَنَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَام، وَأَفْشُوا الـسَّلاَمَ، تَـدْخُلُوا الْجَنَّـةَ بِسَلاَمٍ». رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

(**عن عبدِالله بنِ عمرٍو**) بنِ العـاص (**رضي الله عنهما قـال: قـال رسـول الله ﷺ: اعبدوا الرحمن**) سبحانه وتعالى بإتيان أوامره، والانكفـاف عـن زواجـره، (**وأطعموا الطعام، وأفشوا**)؛ أي: انشروا (**السلام، تدخلوا**) إذا فعلتم هذه الخصال الثلاثة (**الجنةَ سلام**).

ويأتي الكلام على ذلك في (فضل الضيافة) إن شاء الله تعالى.

(**رواه ابن ماجه، والترمذي وقال**): حديث (**حسن صحيح**).

وعن عبدِالله بنِ عمرٍو أيـضًا رضي الله عنهما، عـن رسـول الله ﷺ قـال: «إن فـي الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها»، فقال أبـو مالـك الأشعري: لمن يا رسول الله؟ قال: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعـام، وبات قائمًا والناس نيام»، رواه الطبراني في «الكبير» بإسناد حسن، والحـاكم

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٦٩٤)، والترمذي (١٨٥٥).

وقال: صحيح على شرطهما[1].

ومثله من حديث أبي مالك الأشعري، وفيه: «أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام»، رواه ابن حبان في «صحيحه»[2].

وروى الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»، واللفظ له، والحاكم وقال: صحيح الإسناد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قلت: يا رسول الله! إني إذا رأيتك، طابت نفسي، وقرت عيني، أنبئني عن كل شيء، قال: «كلُّ شيء خُلق من الماء»، فقلت: أخبرني بشيء إذا عملته دخلتُ الجنة، قال: «أطعم الطعام، وأفش السلام، وصِلِ الأرحام، وصلِّ بالليل والناس نيام، تدخلِ الجنةَ بسلام»[3].

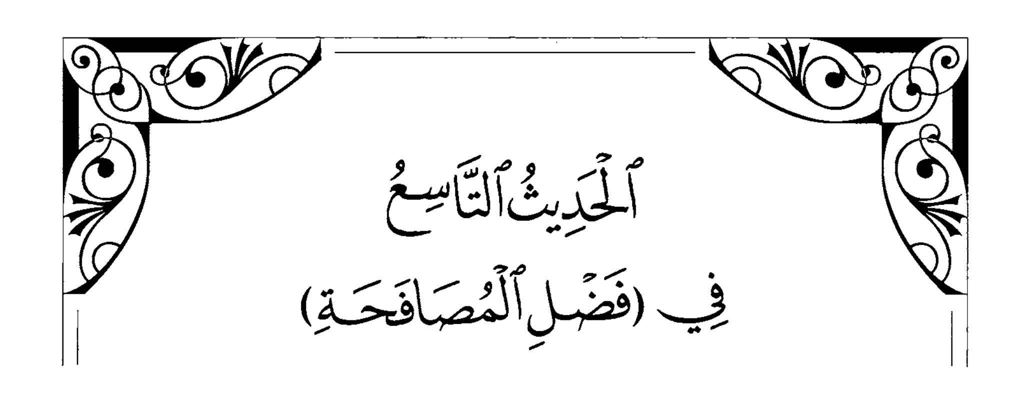
* * *

---

(١) رواه الطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٦٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٧٠). ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٦٦) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ بنحوه.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٧٨).



الحديث التاسع
في (فضل المصافحة)

وهي مفاعلة من الصفحة، والمراد بها: الإفضاء بصفحة اليد.

٦٤٣ ـ عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَيْنِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لَهُمَا قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا». رواه أبو داود وابنُ ماجه والترمذي وقال: غريب(١).

(عن البراء) بفتح الموحدة وتخفيف الراء والمد على المشهور، وحكى فيه أبو عمرٍو الزاهدُ القصرَ، (ابنِ عازب) بالعين المهملة والزاي المكسورة، ابن الحارث الأنصاري الأوسي الحارثي المدني، كنيته أبو عمارة ـ بضم العين المهملة وتخفيف الميم ـ، ويقال: أبو عمرو، ويقال: أبو الطفيل.

ووالد البراء عازبٌ صحابي أيضًا، فقد ذكر ابن سعد في «الطبقات»: أنه أسلم(٢).

وكان البراء بن عازب (ﷺ) وعن أبيه ممن استصغرهم النبيُّ ﷺ يوم

---

(١) رواه أبو داود (٥٢١٢)، وابن ماجه (٣٧٠٣)، والترمذي (٢٩٤٦) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) انظر: «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤/ ٣٦٥).

بدر، وفي البخاري: عن البراء رضي الله عنه قال: استُصغرت أنا وابنُ عمر يومَ بدر[1].

فكان أول مشاهد البراء الخندق، وقال النووي: أُحد[2].

وفي البخاري عنه قال: غزوتُ مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة[3].

نزل الكوفة، وافتتح الريّ سنة أربع وعشرين، مات بالكوفة أيام مُصعبِ ابنِ الزبير.

روي له عن رسول الله ﷺ ثلاثمئة حديث وخمسة، اتفق الشيخان على اثنين وعشرين حديثًا، وانفرد البخاري بخمسة عشر، ومسلم بستة.

قال ابن الأثير في «جامع الأصول»: شهد البراء مع أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب وقعةَ الجمل، وصِفّين، والنهروان.

روى عنه: أبو جحيفة، وعبدالله بن يزيد الأنصاري، وبنوه: الربيع، ويزيد، وعبيد، وأبو إسحاق السبيعي[4].

(قال) البراء رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: ما من مسلِمَينِ)** رجلين أو امرأتين **(يلتقيان)** في طريق أو غيره، **(فيتصافحان)** عقب تلاقيهما دونَ تراخ بعد سلامهما، زاد ابن السني: «ويتكاشران بودّ ونصيحة»[5].

---

(١) رواه البخاري (٣٩٥٦).

(٢) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ١٤١).

(٣) رواه البخاري (٤٤٧٢).

(٤) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٢٠٨).

(٥) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٩٥).

وفي الطبراني: «ويضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه»[1]، والمراد بالضحك هنا: التبسم، وطلاقة الوجه، وحسن الاستبشار والسرور بلقيّه.

قال ابن رسلان: ولا تحصل هذه إلا بأن تقع بشرة أحدِ الكفَّين على الآخر، فأما إذا تلاقيا، ووضع كل واحد منهما كمه على الآخر، ويدهما في أكمامهما، لا تحصل المصافحة المعروفة.

قال ابن رسلان: وقد كثر في زماننا بأن يضع كلّ واحد منهما كمه على الآخر، أو يشير بطرف كمه إلى الآخر، ولا يلتقي الكمان.

ثم قال: وهذا أصلحُ من انحناء كلٍّ واحد منهما للآخر؛ فإنه منهي عنه. انتهى.

قلت: ولعل ما أشار إليه من عادة أهل مصر وسيرتهم، وأما الشام، ولا سيما ضواحي نابلس ومخاليفها، فهي مفقودة، بل السلام والمصافحة. والله أعلم.

(إلا غفر الله لهما) صغائرَ ذنوبهما **(قبل أن يتفرقا)** من مقامهما ذلك.

وفي رواية لأبي داود: «وحمدا الله واستغفراه»[2]، وهو بفتح الحاء المهملة وكسر الميم؛ أي: كلٌّ واحد منهما يحمد الله تعالى ويستغفره.

(رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي وقال: غريب)[3].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٣٠).

(٢) رواه أبو داود (٥٢١١).

(٣) تقدم تخريجه.

قلت: في «ترغيب الحافظ المنذري»: حسن غريب[1].

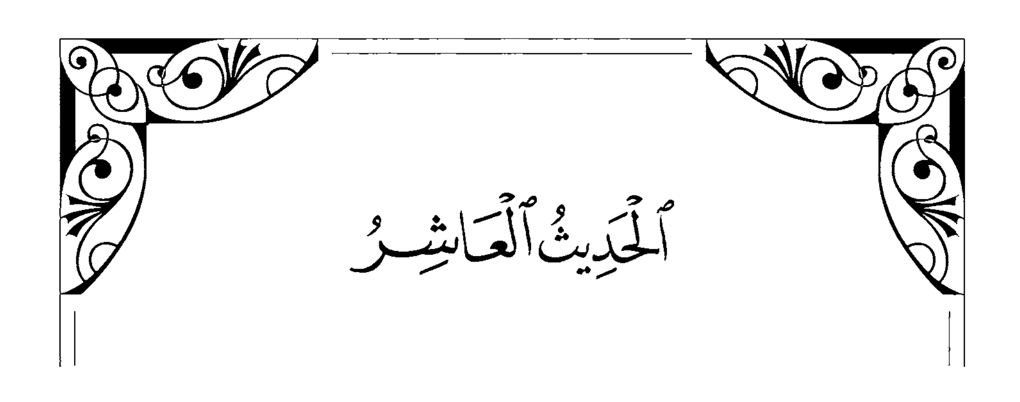
ورواه الإمام أحمد، والمصنف في «المختارة»[2].

* * *

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٩٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٨٩)، ولم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».



الحديث العاشر

٦٤٤ ـ عَنِ البَرَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا الْتَقَا الْمُسْلِمَانِ فَتَصَافَحَا، وَحَمِدَا اللَّهَ ﷻ، وَاسْتَغْفَرَا؛ غُفِرَ لَهُمَا». رواه أبو داود[1].

(عن البراء بن عازب أيضًا ﷺ) وعن أبيه **(قال: قال رسول الله ﷺ: إذا التقى المسلمان)** من رجلين أو امرأتين، **(فتصافحا)** بأكفّهما، **(وحمدا الله ﷻ)**؛ بأن قال كل واحد منهما: الحمد لله تعالى، **(واستغفراه)**؛ أي: طلب كل واحد من الله ﷻ أن يغفر له ذنوبه وخطاياه؛ بأن قال كل واحد منهما: اللهم اغفر لي، **(غفر الله)** تبارك وتعالى **(لهما)** صغائر ذنوبهما.

(رواه أبو داود).

قال الحافظ المنذري: وفي هذه الرواية أبو بَلْج ـ بفتح الباء وسكون اللام بعدها جيم ـ، واسمه يحيى بن سليم، ويقال: يحيى بن أبي سليم الأسود[2].

---

(١) رواه أبو داود (٥٢١١).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٢٩٠).

وفي حديث البراء الأول: الأجلحُ عن أبي إسحاق، عن البـراء ﷺ، قال الحافظ المنذري: يحيى بن سليم، أو ابن أبي سليم، أبو بلج، ضـعفه الإمام أحمد، وقال: روى حديثاً منكرًا.

وقال الجوزجاني: غير ثقة.

وقال البخاري: فيه نظر.

وقال ابن حبان: كان يخطئ.

وقال أبو حاتم الرازي: صالح الحديث، لا بأس به.

ووثقه ابن معين، والنسائي، والدارقطني، وغيرهم[١].

وقال في الأجلح: هو يحيى بن عبدالله، أبو حجيّة ـ بضم الحاء المهملة وفتح الجيم وتشديد التحتية فهاء تأنيث ـ الكندي الأجلح.

قال الجوزجاني: الأجلح مفترٍ.

وقال النسائي: ضعيف له رأي سوء.

وقال أبو حاتم الرازي: ليس بقوي، مضطرب الحديث، يكتـب حديثـه ولا يحتج به.

وقال ابن عدي: يعد في شيعة الكوفة، وهو مستقيم الحديث، صدوق.

ووثقه ابن معين، والإمام أحمد[٢]، وغيرهما[٣].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٨٠ ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي).

(٢) كذا في الأصل، وفي «الترغيب والترهيب»: «وأحمـد العجلـي» بـدل «والإمـام أحمد».

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

وفي «منظومة الآداب» للعلامة ابن عبد القوي:

وصافح لمن تلقاه من كلِّ مسلم

تناثرْ خطاياكم كما في المسند[1]

قال في «القاموس»: المصافحة: الأخذُ باليد؛ كالتصافح[2].

وقوله: (من)؛ أي: رجلًا مسلمًا، وكذا صبيًّا؛ حيث وثقتَ من نفسك، وأمنت من الفتنة به؛ لقصد تعليمه حسنَ الخلق، وكذا عجوزًا، لا الشابّةَ الأجنبية، فتحرم مصافحتُها للرجل؛ كما في «الفصول»، و«الرعاية»، وجزم به في «الإقناع» وغيره[3]؛ لأن المصافحة شر من النظر.

وأطلق الإمام أحمد في رواية ابن منصور كراهة مصافحة النساء[4].

وسئل رضي الله عنه عن الرجل يصافح المرأة، قال: لا، وشدد فيه جدًّا، قال محمد بن عبدالله بن مهران: قلت له: فيصافحها بثوبه؟ قال: لا[5].

والتحريم اختيارُ شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وعلله بأن الملامسة أبلغُ من النظر[6].

وقوله: (من كل مسلم)؛ أي: ما عدا مَنْ ذكرنا من الأجنبية، ومن

---

(١) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٣٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: صفح).

(٣) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٣٩).

(٤) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٤٦).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

يخاف به فتنته، وغيرُ المسلم لا يسلّم عليه، ولا يصافحه.

فقد سئل الإمام أحمد ﷺ عن مصافحة أهل الذمة، فقال: لا يعجبني[1].

وقوله: (تناثر) بضم المثناة الفوقية مبنيًّا لما لم يسم فاعله، ويصح بفتحها مبنيًّا للمعلوم، والأصل: تتناثر، فحذفت إحدى التاءين، وهو مجزوم في جواب الأمر، والتناثر: التبديد ورميه متفرقًا، والمعنى: تتساقط.

وقوله: (خطاياكم): جمع خطيئة، وهي الذنب، أو ما تُعمد منه، وجمعُ المضاف إليه باعتبار كلِّ مصافح، أو لكون أقل الجمع اثنين؛ كما في قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ﴾ [النساء: ١١]؛ يعني: أخوين فصاعدًا.

وأشار بذلك الناظم إلى ما أخرجه الطبراني في «الأوسط» بسند جيد عن حذيفة بن اليمان ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن المؤمن إذا لقي المؤمن، فسلم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما كما يتناثر ورق الشجر»[2].

وروى البزار عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ لقي حذيفة، فأراد أن يصافحه، فتنحى حذيفة، فقال: إني كنت جنبًا، فقال ﷺ: «إن المسلم إذا صافح أخاه، تحاتَّتْ خطاياهما كما يَتحاتُّ ورقُ الشجر»[3].

---

(١) انظر: «المغني» لابن قدامة (٩/ ٢٩٠).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٤٥)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٩٠): رواته لا أعلم فيهم مجروحًا.

(٣) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٢٠٠٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٧): وفيه مصعب بن ثابت، وثقه ابن حبان، وضعفه الجمهور.

وأخرج الطبراني بإسناده عن سلمان الفارسي ﷺ مرفوعًا: «إن المسلم إذا لقي أخاه، فأخذ بيده، تحاتت عنهما ذنوبهما كما يتحاتُّ الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلا غفر لهما، ولو كانت ذنوبهما مثلَ زبد البحر»(١).

وفي «صحيح البخاري»، والترمذي عن قتادة قال: قلت لأنس ﷺ: أكانت المصافحة في أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: نعم(٢).

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد»، وأبو داود بسند صحيح من طريق حميد عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «أقبل أهلُ اليمن، وهم أولُ من جاء بالمصافحة»(٣).

وفي «جامع ابن وهب» من هذا الوجه: وكانوا أولَ من أظهرَ المصافحة(٤).

وأخرج الترمذي ـ وقال: حسن ـ عن أنس ﷺ: قيل: يا رسول الله! الرجل يلقى أخاه، أينحني له؟ قال: «لا»، قال: فيأخذ بيده ويصافحه؟ قال: «نعم»(٥).

---

(١) لم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير»، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٧)، وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير سالم بن غيلان، وهو ثقة.

(٢) رواه البخاري (٦٢٦٣)، والترمذي (٢٧٢٩).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٦٧)، وأبو داود (٥٢١٣).

(٤) رواه عبدالله بن وهب في «الجامع في الحديث» (٢٢٤) عن أنس بن مالك موقوفًا.

(٥) رواه الترمذي (٢٧٢٨) وقال: حديث حسن.

قال ابن بطال: المصافحة حسنة عند عامة العلماء، وقد استحبها الإمام مالك بعد كراهة[1].

وقال النووي: المصافحة سنة مجمَع عليها عند التلاقي[2].

وقال عطاء الخراساني: قال رسول ﷺ: «تصافحوا يذهب الغل، وتهادوا تحابوا، وتذهب الشحناء». رواه الإمام مالك هكذا معضلًا[3].

وقد أسند من طرق فيها مقال.

وأخرج الطبراني بسند فيه نظر عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إن المسلمينِ إذا التقيا فتصافحا وتساءلا، أنزل الله بينهما مئة رحمة، تسعةً وتسعين لأبشِّهما وأطلقهما وأبرهما وأحسنهما مساءلةً بأخيه»[4].

ومعنى قوله: (لأبشهما)؛ أي: أكثرهما بشاشة، وهي طلاقة الوجه مع التبسم وحسن الإقبال، واللطف في المسألة.

ومعنى (أطلقهما)؛ أي: أكثرهما وأبلغهما طلاقةَ وجه، وهي بمعنى البشاشة.

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ مرفوعًا: «إذا التقى

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٤٤).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ١٠١).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٠٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٦٧٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٧): وفيه الحسن بن كثير بن عدي، ولم أعرفه، وبقية رجاله رجال الصحيح.

الرجلان المسلمان، فسلم أحدهما على صاحبه، فإن أحبَّهما إلى الله أحسنُهما بِشرًا لصاحبه، فإذا تصافحا، نزلت عليهما مئة رحمة، للبادئ منهما تسعون، وللمصافح عشرة»، رواه البزار[1].

وأخرج الإمام أحمد ـ واللفظ له ـ، والبزار، وأبو يعلى ـ ورواة الإمام أحمد كلّهم ثقات، إلا ميمون المرائي، وهذا الحديث مما أنكر عليه[2] ـ، عن أنس بن مالك ﷺ، عن نبي الله ﷺ قال: «ما من مسلمين التقيا، فأخذ أحدُهما بيد صاحبه، إلا كان حقًّا على الله ﷻ أن يحضر دعاءهما، ولا يفرق بين أيديهما حتى يغفر لهما»[3].

قال الإمام أحمد: ما أرى بميمون بن موسى المرائي بأسًا، وكان يدلِّس[4].

وقال أبو حاتم: صدوق[5].

وقال أبو داود: ليس به بأس[6].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٣٠٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٧): وفيه من لم أعرفهم.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٩٠).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٢)، والبزار في «مسنده» (٦٤٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١٣٩).

(٤) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٢٣٧).

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) انظر: «سؤالات أبي عبيد الآجري» (ص: ٣٥٦).

وقال النسائي: ليس بالقوي.

وقال عمرو بن علي: صدوق، ولكنه ضعيف، ووثقه ابن حبان[1].

*** تنبيهات:**

الأول: أولُ من صافحَ وعانق الأبُ الثالث شيخُ الأنبياء ـ عليهم السلام ـ إبراهيمُ خليلُ الرحمن عليه الصلاة والسلام؛ كما في «مثير الغرام»، و«الأنس الجليل»، و«الأوائل»، وغيرها[2].

وذكروا أنه لما اجتمع عليه الإسكندر الأكبر في المسجد المكي المفضل، صافحه وعانقه، وقبله بين عينيه، وأعطاه الراية وعممه، وتشرع الإسكندر بشريعته.

الثاني: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ عما اعتاده الناس من المصافحة بعد صلاة العصر والفجر، هل هو سنة مستحبة، أم لا؟ فأجاب رحمه الله تعالى: أما المصافحة بعد الصلاة، فبدعة لم يفعلها رسولُ الله ﷺ، ولم يستحبها أحد من العلماء. انتهى.

ومَثَّل العز بنُ عبد السلام بها للبدعة المباحة[3].

وظاهر كلام النووي: أنها سنة، وكون الناس حافظوا عليها في بعض

---

(١) انظر: «الثقات» لابن حبان (٩/ ١٧٣). وانظر ترجمة ميمون بن موسى في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٧٩ ـ مكتبة مصطفى البابي الحلبي).

(٢) انظر: «الأنس الجليل» للعليمي (١/ ٤٨). وذكره المصنف في «غذاء الألباب» (١/ ٢٥٢).

(٣) انظر: «قواعد الأحكام» للعز بن عبد السلام (٢/ ١٧٣).

الأحوال لا يخرج ذلك عن أصل السنة[1].

قال الحافظ ابن حجر: وللنظر فيه مجال، وينقض بمثل صلاة الرغائب؛ فإن أصل الصلاة النافلة سنة مع كراهتها، بل أطلق بعضهم تحريمها. انتهى[2].

وهل يتوجه مثل ذلك عقب الدروس، ونحو ذلك من مجامع الخيرات؟

الثالث: صرح الإمام ابن عقيل في «الفصول»: أن للرجل مصافحة العجوز، والبرزة، وظاهر إطلاقه: ولو كانت البرزةُ شابة أجنبية، وذكره عنه في «الآداب»[3]، وظاهر «الإقناع» و«الغاية» يخالفه[4]، وعبارة «الغاية»: وحرم مصافحة امرأة أجنبية شابة. انتهى[5].

فلم يستثن سوى ما أفهمه من قوله: (أجنبية) ذوات محارمه؛ يعني: وزوجته، وأمته، وبقوله: (شابة): العجوز، ولم يقل: خَفِرة، ولا مخدرة، حتى تخرج البرزة، وهذا معتمد المذهب بلا ريب.

الرابع: ذكر البخاري[6] في «صحيحه»: أن حماد بن زيد صافح الإمام

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٢١٠).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٥٥).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٤٦).

(٤) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٣٩)، و«غاية المنتهى» لمرعي الكرمي (١/ ٢٨٩).

(٥) انظر: «غاية المنتهى» لمرعي الكرمي (١/ ٢٨٩).

(٦) في الأصل: «السخاوي»، والصواب المثبت.

عبدَالله بن المبارك بيديه[1]، وفي لفظ: بكلتا يديه.

وذكره البخاري عن أبيه إسماعيل بن إبراهيم قال: رأيت حماد بن زيد وجاءه ابن المبارك بمكة فصافحه بكلتا يديه[2].

قال ابن بطال: الأخذ باليد هو مبالغة المصافحة، وذلك مستحب عند العلماء، وإنما اختلف في تقبيل اليد، فأنكره الإمام مالك، وأنكر ما روي فيه.

وأجازه آخرون، واحتجوا بما ورد من ذلك[3].

قال العلامة ابن عبد القوي في «منظومة الآداب»:

ويكـــره منـــك الانحنـــاء مـــسلِّمًا

وتقبيـلُ رأسِ المـرءِ حَـلَّ وفـي اليـد[4]

أي: بلا كراهة؛ لثبوت ذلك في عدة أخبار عن النبي ﷺ المختار.

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: تباح المعانقة، وتقبيلُ اليد والرأس تدينًا وإكرامًا واحترامًا، مع أمن الشهوة.

وظاهر عبارة «الآداب»: عدمُ إباحته لأمر الدنيا[5]، واختاره بعض

---

(١) انظر: «صحيح البخاري»، كتاب الاستئذان، باب الأخذ باليدين، قبل حديث (٦٢٦٥).

(٢) انظر: «التاريخ الكبير» للبخاري (١/ ٣٤٢).

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٤٥).

(٤) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٣٤).

(٥) في «الآداب الشرعية»: «وظاهر هذا عدم إباحته لأمر الدنيا».

الشافعية، والكراهة أولى.

قال المروذي: سألت أبا عبدالله ـ يعني: الإمام أحمد رضي الله عنه ـ عن قبلة اليد، فقال: إن كان على طريق التدين، فلا بأس، قبل أبو عبيدةَ يدَ عمر رضي الله عنهما، وإن كان على طريق الدنيا، فلا، إلا رجلًا يخاف سيفه أو سوطه[1].

وقال المروذي ـ أيضًا ـ: كرهها على طريق الدنيا[2].

وقال تميم بن سلمة التابعي: القبلة سنة.

وقال مهنا بن يحيى: رأيت أبا عبدالله أحمدَ بنَ حنبل كثيرًا يقبل وجهه ورأسه وخده، ولا يقول شيئًا، ورأيته لا يمنع من ذلك.

ورأيت سليمان بن داود الهاشمي يقبل جبهته ورأسه، فلا يمتنع من ذلك، ولا يكرهه.

وقال عبدالله بن الإمام أحمد: رأيت كثيرًا من العلماء والفقهاء والمحدثين، وبني هاشم وقريش والأنصار يقبلونه ـ يعني: أباه ـ، بعضهم يده، وبعضهم رأسه، ويعظمونه تعظيمًا، لم أرهم يفعلون ذلك بأحد من الفقهاء غيره، ولم أره أن يشتهي أن يفعل به ذلك.

وقال له إسماعيل بن إسحاق التقي: تَرى أن يقبل الرجل رأس الرجل أو يده؟ قال: نعم[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: تقبيلُ اليد لم يكونوا

---

(١) انظر: «الورع» للإمام أحمد (ص: ١٤٤).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

يعتادونه إلا قليلًا، وذكر ما رواه أبو داود وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنهم لما قدموا على النبي ﷺ عام مؤته، وقالوا: نحن الفرارون، قال: «بل أنتم العكارون، أنا فئة المؤمنين»، قال: فقبلنا يده[1].

قال الحافظ ابن حجر: وقبل أبو لبابةَ، وكعبُ بن مالك وصاحباه يدَ النبي ﷺ حين تاب الله عليهم، ذكره الأبهري.

وقبّل زيدُ بن ثابت يدَ ابن عباس رضي الله عنهم حين أخذ ابنُ عباس بركابه[2].

قال الأبهري: وإنما كرهها مالك إذا كانت على وجه التكبر والتعظم، وأما إذا كانت على وجه القربة إلى الله؛ لدينه أو لعلمه أو لشرفه، فإن ذلك جائز.

قال ابن بطال: وذكر الترمذي من حديث صفوان بن عسال رضي الله عنه: أن يهوديين أتيا النبي ﷺ، فسألاه عن تسع آيات... الحديث، وفي آخره: فقبلا يده ورجله، قال الترمذي: حديث حسن صحيح[3].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وحديث صفوان أخرجه ـ أيضًا ـ النسائي، وابن ماجه، وصححه الحاكم[4].

قال: وقد جمع الحافظ أبو بكر المقري «جزءًا في تقبيل اليد»، أورد فيه

---

(١) انظر: «مختصر الفتاوى المصرية لابن تيمية» للبعلي (ص: ٥٦٣ ـ ٥٦٤)، والحديث المذكور رواه أبو داود (٢٦٤٧).

(٢) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (٣٠) عن عمار بن أبي عمار.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦ ـ ٥٧)، والحديث المذكور رواه الترمذي (٢٧٣٣).

(٤) رواه النسائي (٤٠٧٨)، وابن ماجه (٣٧٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢).

أحاديث كثيرة وآثارًا.

فمن جيدها: حديث الزارع العبدي، وكان في وفد عبد القيس، قال: فجعلنا نتبادر من رواحلنا، فنقبل يد النبي ﷺ ورجله، أخرجه أبو داود[1].

من حديث أسامة بن شريك قال: قمنا إلى النبي ﷺ، فقبلنا يده[2]، وسنده قوي.

ومن حديث جابر: أن عمر رضي الله عنه قام إلى النبي ﷺ، فقبل يده[3].

ومن حديث بريدة في قصة الأعرابي والشجرة، فقال: يا رسول الله! ائذن لي أن أقبل رأسك ورجليك، فأذن له[4].

وأخرج البخاري في «الأدب المفرد» من رواية عبد الرحمن بن رزين قال: أخرج لنا سلمة بن الأكوع كفًّا لَهُ ضخمة، كأنها كفُّ بعير، فقمنا إليها فقبلناها[5].

وعن ثابت: أنه قبل يدَ أنس[6].

وأخرج ـ أيضًا ـ: أن عليًّا قبل يدَ العباس ورجلَه[7]، وأخرجه

---

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٥).

(٢) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (٢).

(٣) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (١١).

(٤) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (٥).

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٣).

(٦) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٤).

(٧) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٧٦).

ابن المقري[1].

وأخرج من طريق أبي مالك الأشجعي قال: قلت لابن أبي أوفى: ناولني يدك التي بايعتَ بها رسولَ الله ﷺ، فناولَنيها، فقبلتها[2].

قال النووي: تقبيل يد الرجلِ لزهدِه وصلاحه، أو علمه، أو شرفه، أو صيانته، أو نحو ذلك من الأمور الدينية لا يكره، بل يستحب.

فإن كان لغناه، أو شوكته، أو وجاهته عند أهل الدنيا، فمكروه شديد الكراهة.

وقال أبو سعيد المتولي: لا يجوز. انتهى كلام الحافظ في «الفتح»[3].

وقال سليمان بن حرب: هي ـ أي: تقبيل اليد ـ السجدةُ الصغرى[4].

وقال ابن عبد البر: يقال: تقبيل اليد إحدى السجدتين[5].

قال سليمان بن حرب: فأما ابتداء الإنسان بمدّ يده للناس ليقبلوها، وقصده ذلك، فمنهي عنه بلا نزاع، كائناً من كان؛ بخلاف ما إذا كان المقبِّل هو المبتدئ بذلك[6].

---

(١) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (١٣) عن ذكوان، عن رجل يقال له: صهيب.

(٢) رواه أبو بكر المقري في «الرخصة في تقبيل اليد» (٢٣).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (ص: ١٤٤).

(٥) انظر: «بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٢٧٥).

(٦) نقله ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٤٨).

ولما تناول أبو عبيدةَ بنُ الجراح يد أمير المؤمنين عمر رضي الله عنهما ليقبلها، قبضها، فتناول رجله، فقال: ما رضيتُ منك بتلك، فكيف هذه؟![1].

وقبض هشامُ بنُ عبد الملك يده ممن أراد أن يقبلها، وقال: مه؛ فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع، ومن العجم إلا خضوع[2].

وقال الحسن البصري: قُبلة يد الإمام العادل طاعة[3].

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة الزوجة شهوة، وقبلة الرجل أخاه دين[4].

وصرح الحافظ ابن الجوزي بأن تقبيل يد الظالم معصية، إلا عن خوف[5].

وقال في «مناقب أصحاب الحديث»: ينبغي للطالب أن يبالغ في التواضع للعالم، ويذل له.

قال: ومن التواضع تقبيلُ يده.

وقبل سفيانُ بنُ عُيينة والفضلُ بن عياض أحدهما يدَ حسين بن علي الجعفي، والآخر رجلَه[6].

---

(١) أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٧٥).

(٢) أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٧٥).

(٣) أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٧٥).

(٤) أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٢٧٥).

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٢٤٩).

(٦) المرجع السابق، الموضع نفسه.

قال أبو المعالي من أعالي علمائنا في «شرح الهداية»: تقبيل يد العالم، والكريم لرفده، والسيد لسلطانه جائز، وأما إن قبل يده لغناه، فقد روي: من تواضع لغنيٍّ لغناه، فقد ذهب ثلثا دينه. انتهى.

وقد أطلتُ الكلام على هذا المقام في شرح منظومة الآداب المسمى بـ «غذاء الألباب»[1]. والله ولي الصواب.

* **تتمة في آداب العُطاس:**

ولم يذكره الحافظ المصنف ـ روَّح الله روحه ـ؛ لعدم مطابقته لموضوع كتابه.

وقد يقال: بل يدخل في موضوع الكتاب؛ كما في الصحيح: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب»[2]، وكلٌّ محبوب لله ﷻ فيه فضل وثواب.

ورواه الإمام أحمد، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، وغيرهم، ولفظه: «إن الله يحب العطاس، ويكره التثاؤب، فإذا تثاءب أحدكم، فليردَّه ما استطاع، ولا يقل: هاه هاه؛ فإن ذلك من الشيطان يضحك منه»[3].

ورواه البخاري بلفظ: «إذا تثاءب أحدكم في الصلاة»[4].

---

(١) انظر: «غذاء الألباب» للسفاريني (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري (٦٢٢٣) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٢٨)، ومسلم (٢٩٩٤)، وأبو داود (٥٠٢٨)، والترمذي (٢٧٤٧) وقال: هذا حديث صحيح، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أورده ابن الأثير في «جامع الأصول» (٦/ ٦٢٢) باللفظ المذكور، وعزاه للبخاري، ورواه البخاري (٣٢٨٩ ـ طبعة دار طوق النجاة) من حديث أبي هريرة ﷺ، دون قوله: «في الصلاة».

ورواه النسائي بإسناد حسن، ولفظه: «العطاس من الله، والتثاؤب من الشيطان»[1].

وقد ذكر سيدنا الشيخ عبد القادر ـ قدس الله سره ـ في «الغُنْيَة» أنه روي في بعض الأخبار عن النبي ﷺ: «إن العبد إذا عطس، فقال: الحمد لله، قال الملك: رب العالمين، فإذا قال العبد: رب العالمين بعد الحمد، قال الملك: يرحمك ربك»[2].

قلت: الخبر الذي أشار إليه في «الغنْيَة» رواه الطبراني، والحافظ المصنف ـ رحمه الله ـ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما[3]، وسنده لا بأس به.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «حَقُّ المسلم على المسلم خمس: ردُّ السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس»[4].

ولمسلم في رواية: «حقُّ المسلم على المسلم ستّ»، قيل: وما هنّ يا رسول الله؟ قال: «إذا لقيته فسلمْ عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحَمِد الله، فَشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه»[5].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٤٢).

(٢) انظر: «الغنية» للشيخ عبد القادر الجيلاني (١/ ٤٠ ـ ٤١).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٢٨٤).

(٤) رواه البخاري (١٢٤٠)، ومسلم (٢١٦٢/ ٤).

(٥) رواه مسلم (٢١٦٢/ ٥).

وروى الترمذي، والنسائي بنحوه[1].

وفي «منظومة الآداب» للعلامة ابن عبد القوي رحمه الله ورضي عنه:

ويحسُنُ خفضُ الصوتِ من عاطسٍ وأن
يغطِّيَ وجهًا لاستتارٍ من الردي
ويحمَدُ جَهْرًا ولْيُشمِّتْهُ سامعٌ
لتحميدِهِ وليبدِ رَدَّ المعوَّدِ[2]

أي: يسن ويندب خفضُ صوت العاطس، إلا بقدر ما يُسمع جليسَه، وأن يغطي وجهه؛ لئلا يخرج منه ما يؤذي جلساءه.

قال الشيخ عبد القادر قدس الله روحه: ولا يلتفت يميناً ولا شمالًا[3].

وصح عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا عطس، غطى وجهه بثوبه ويده، ثم غض لها صوته[4].

قال أبو المظفر عونُ الدين بنُ هبيرة: قال بعض الأطباء: العطاسُ لا يكون أولَ مرض أبدًا، إلا أن يكون زكمة.

قال ابن هبيرة قدس الله روحه: إذا عطس الإنسان، استدل بذلك من نفسه على صحة بدنه، وجودة هضمه، واستقامة قوته.

---

(١) رواه الترمذي (٢٧٣٧)، والنسائي (١٩٣٨).

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٤١).

(٣) انظر: «الغنية» للشيخ عبد القادر الجيلاني (١/ ٤١).

(٤) رواه الترمذي (٢٧٤٥) وقال: حديث حسن صحيح.

وينبغي للعاطس أن يحمد الله ﷻ جهرًا؛ ليسمع مَنْ عنده، فإذا حمد، فليشَمِّته السامع وجوبًا؛ بأن يقول العاطس: الحمد لله، والتشميت أن يقول له: يرحمك الله، أو يرحمكم الله.

قال في «القاموس»: التسميت بالمهملة: ذكرُ الله على الشيء، والدعاءُ للعاطس، قال: وبالشين المعجمة: هو التسميت بالمهملة[1].

قال في «الإقناع»، و«المنتهى»، وغيرهما: تشميت العاطس إذا حَمِدَ فرضُ كفاية كردّ السلام إن كانوا جماعة، وإلا، ففرض عين[2].

وفي «الفتح»: حمد العاطس ظاهرُ الحديث يقتضي وجوبَه؛ لثبوت الأمر الصريح به، ولكن نقل النووي الاتفاقَ على استحبابه.

وأما لفظه، فنقل ابن بطال وغيره عن طائفة أن لا يزيد على الحمد لله، وعن طائفة: الحمد لله على كل حال، جاء ذلك عن ابن عمر، وقال: هكذا علمنا رسول الله ﷺ. أخرجه البزار، والطبراني، وأصله في الترمذي[3].

وعند الطبراني من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ رفعه: «إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله على كل حال»[4].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سمت، شمت).

(٢) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٤٠)، و«المنتهى» لابن النجار (١/ ٤٣٣).

(٣) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٢٠١١)، والطبراني في «مسند الشاميين» (٣٢٣)، والترمذي (٢٧٣٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٤٤١).

ومثله عند أبي داود من حديث أبي هريرة[1].

وكذا عند النسائي من حديث رفعه: «إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله على كل حال»[2].

وللإمام أحمد، والنسائي من حديث سالم بن عبيد، رفعه: «إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله على كل حال، أو الحمد لله ربِّ العالمين»[3].

وعند طائفة يقول: الحمد لله ربِّ العالمين، ورد كذلك في حديث ابن مسعود ﷺ، أخرجه البخاري في «الأدب المفرد»، وعند الطبراني[4].

وورد الجمع بين اللفظين، فعند البخاري في «الأدب المفرد» عن علي ﷺ: من قال عند عطسة سمعها: الحمد لله ربِّ العالمين على كل حال ما كان، لم يجد وجع الضرس ولا الأذن أبدًا[5]، وهو موقوف، رجاله ثقات، ومثله لا يقال من قِبل الرأي، فله حكم الرفع.

وأخرجه الطبراني عن علي ﷺ مرفوعًا: «من بادر العاطس بالحمد،

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٣٣).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٤٠) من حديث علي ﷺ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٥٣).

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٣٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٣٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٧): وفيه عطاء بن السائب، وقد اختلط.

(٥) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٢٦).

عوفي من وجع الخاصرة، ولم يَشْكُ ضرسَه أبدًا»[1]، وسنده ضعيف.

وعن طائفة: ما زاد من الثناء فيما يتعلق بالحمد كان حسناً، فقد أخرج أبو جعفر الطبري في «التهذيب» بسند لا بأس به عن أم المؤمنين أُم سلمة ﵂ قالت: عطس رجل عند النبي ﷺ، فقال: الحمد لله، فقال له النبي ﷺ: «يرحمك الله»، وعطس آخرُ، فقال: الحمد لله ربّ العالمين حمدًا كثيرًا مباركًا فيه، فقال: «ارتفع هذا على هذا تسع عشرة درجة»[2].

ويؤيده: ما أخرجه الترمذي وغيره من حديث رفاعةَ بنِ رافعٍ ﵁ قال: صليت مع النبي، فعطست، فقلت: الحمد لله كثيرًا طيبًا مباركًا فيه مباركًا عليه كما يُحِبُّ ربُّنا ويرضى، فلما انصرف، قال: «من المتكلم؟» ثلاثًا، فقلت: أنا، فقال: «والذي نفسي بيده! لقد ابتدرها بضعة وثلاثون مَلَكًا أيهم يصعد بها»[3].

وأخرجه الطبراني، وبين أن الصلاة المذكورة المغرب[4]، وسنده لا بأس به.

وأصله في «صحيح البخاري»، لكن ليس فيه ذكر العطاس، وإنما فيه: كنا نصلي مع النبي ﷺ، فلما رفع رأسه من الركعة، قال: سمع الله لمن

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧١٤١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٥٧ _ ٥٨): وفيه الحارث الأعور، وضعفه الجمهور، ووثق، ومن لم أعرفهم.

(٢) لم نقف عليه في المطبوع من «تهذيب الآثار».

(٣) رواه الترمذي (٤٠٤) وقال: حديث حسن.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥٣٢).

حمده، فقال رجل وراءه: ربنا لك الحمد. . . إلخ، وتقدم في محله[1].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ولا أصل لما اعتاده كثير من الناس من استكمال قراءة الفاتحة بعد قوله: الحمد لله رب العالمين، وكذا العدول عن الحمد إلى: أشهد أن لا إله إلا الله، أو تقديمها على الحمد، فمكروه.

وقد أخرج البخاري في «الأدب المفرد» بسند صحيح عن مجاهد: أن ابن عمر رضي الله عنهما سمع ابنه عطس، فقال: آب، فقال: وما آب؟ إن الشيطان جعلها ما بين العطسة والحمد[2].

وأخرجه ابن أبي شيبة بلفظ: (أش) بدل (أب)[3].

ونقل ابن بطال عن الطبراني: أن العاطس يُخَيَّر بين أن يقول: الحمد لله، أو يزيد: رب العالمين، أو: على كل حال[4].

قال في «الفتح»: والذي يتحرر: أن كل ذلك يجزئ، لكن ما كان أكثرَ ثناء كان أفضلَ، بشرط أن يكون مأثورًا.

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٦٠٠)، والحديث المذكور رواه البخاري (٧٩٩).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٣٧)، وفيه: «إن آب اسم شيطان من الشياطين جعلها بين العطسة والحمد».

(٣) كذا في الأصل و«فتح الباري»، وروى ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٩٩٣) عن مجاهد قال: عطس رجل عند ابن عمر فقال: أشهب، قال ابن عمر: أشهب اسم شيطان وضعه إبليس بين العطسة و(الحمد لله) ليذكر.

(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٦٠١)، والخبر المشار إليه رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٣٦٨) من حديث سالم بن عبيد رضي الله عنه مرفوعًا.

وقال النووي في «الأذكار»: اتفق العلماء على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقب عطاسه: الحمد لله، فلو قال: الحمد لله رب العالمين، كان أحسن، فلو قال: الحمد لله على كل حال، كان أفضل، كذا قال[1].

قال في «الفتح»: والأخبار التي ذكرتها تقتضي التخيير، ثم الأولوية[2].

وقول الناظم رحمه الله: (ردَّ المعود)؛ أي: المعتاد.

فيجب على العاطس بعدَ أن يحمد الله تعالى، ويثني عليه، أن يقول مجيبًا لمن شمته: يهديكم الله؛ لقول النبي ﷺ: «إذا عطس أحدكم، فليقل: الحمد لله، وليقل له أخوه أو صاحبه: يرحمك الله، فإذا قال له: يرحمك الله، فليقل: يهديكم الله ويصلح بالكم»، رواه البخاري[3].

وإن زاد: ويدخلكم الجنة عَرَّفَها لكم، فلا بأس به؛ لأنه روي عن الحسن أنه قاله[4]، وذكره في «الرعاية»، و«الآداب»، وغيرهما[5].

وقيل: يقول مثلَ ما قيل له، وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا عطس، فقيل له: يرحمك الله، قال: يرحمنا الله وإياكم، ويغفر لنا ولكم. رواه الإمام مالك[6].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٦٠١).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (١٩٣٧).

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣١٩).

(٦) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٥).

وقال الإمام أحمد: التشميت: يهديكم الله ويصلح بالكم، وهذا معنى ما نقل غيره.

وقال في رواية حرب: هذا عن النبي ﷺ من وجوه[1].

وذكر القاضي: أنه روي عن النبي ﷺ لفظان، أحدهما: (يهديكم الله)، والثاني: (يرحمكم الله)، كذا قال[2].

وصوب شيخ الإسلام: (يغفر الله لكم)؛ يعني: بدل (يرحمكم الله)[3].

قال القاضي: ويختار أصحابنا: (ويهديكم الله)؛ لأن معناه: يديم الله هداكم.

واختار بعض العلماء: يغفر الله لنا ولكم.

وقال الإمامان مالك، والشافعي: يخير بين هذا، وبين (يهديكم الله ويصلح بالكم)[4].

والذي ذهب إليه الجمهور: يهديكم الله ويصلح بالكم.

وذهب الكوفيون إلى أن يقول: يغفر الله لنا ولكم. أخرجه الطبري عن ابن مسعود، وابن عمر، وغيرهما[5].

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣١٩).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٥) لم نقف عليه عند الطبري، ورواه ابن عبد البر في «التمهيد» (١٧/ ٣٣١) عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا، ورواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

والحاصل: أن الإنسان إذا عطس، سُنَّ له أن يقول: الحمد لله، أو الحمد لله على كل حال، أو الحمد لله رب العالمين، كل ذلك ورد عن النبي ﷺ، وأن يقول له جليسه: يرحمك الله، وجاز الإتيان بميم الجمع وعدمه، وأن يقول العاطس مجيبًا لمن شمته: يهديكم الله... إلى آخره ـ كما مر ـ، وهو الأفضل، أو يقول: يغفر الله لنا ولكم، وقيل: يقول مثلَ ما قيل له؛ كما ذكرنا عن ابن عمر آنفًا[1].

* تنبيه:

يسن للعاطس إذا عطس أن يحمد الله تعالى كما تقدم، فحمدُه سنة، وتشميته إذا حمد فرضُ كفاية، وإجابةُ المشمت فرضُ عين، وذكر بعضُ العلماء أن تشميت العاطس إذا حمدَ الله فرض عين.

قال المحقق ابن القيم: ولا دافع له. انتهى[2]؛ لقول النبي ﷺ: «إذا عطس أحدكم، وحمد الله تعالى، كان حقًّا على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله»، رواه الشيخان[3].

ولفظ البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «فإذا عطس أحدكم، فحمد الله، فحق على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله»[4].

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٣٧).

(٣) رواه البخاري (٦٢٢٦)، ومسلم (٢٩٩٤)، من حديث أبي هريرة ﷺ، واللفظ للبخاري.

(٤) رواه البخاري (٦٢٢٣).

* **فوائد:**

الأولى: إذا عطس المسلم، فحمد ولم يشمته أحد، فسمعه أحد من الناس، ولو كان بعيدًا منه، شُرع له أن يشمته حتى يسمعه، ولو أهمله من قَرُب منه.

وقد أخرج ابنُ عبد البر بسند جيد عن أبي داود صاحب «السنن» رحمه الله تعالى: أنه كان في سفينة، فسمع عاطسًا على الشط حَمد، فاكترى قاربًا بدرهم حتى جاء إلى العاطس، فشمته، ثم رجع، فسئل عن ذلك، فقال: لعله يكون مجابَ الدعوة، فلما رقدوا، سمعوا قائلًا يقول: يا أهل السفينة! إن أبا داود اشترى الجنة من الله بدرهم. ذكر ذلك ابن حجر في «شرح البخاري»[(١)].

الثانية: قال المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»: مما كان [أهل][(٢)] الجاهلية يتطيرون به، ويتشاءمون منه: العطاس؛ كما يتشاءمون بالبوارح والسوانح.

قال رُؤبَة بنُ العجَّاج يصف فلاة:

قطعتها ولا أهاب العاطسا[(٣)]

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٦١٠ ـ ٦١١)، ولم نقف على هذه القصة عند ابن عبد البر.

(٢) ما بين معكوفتين من «مفتاح دار السعادة».

(٣) لم نقف عليه باللفظ المذكور، وفي «ديوان رؤبة بن العجاج» (ص: ٧١):

ألا تخاف اللُّجَم العَطُوسا

وقال امرؤ القيس:

وقــد أَغْتــدي قبــل العُطــاس بهيكــلٍ

شــديدٍ مــشكِّ الجَنْــبِ فَعْــم المنطَّــق[1]

أراد: أنه كان تنبه للصيد قبل أن: يتنبه الناسُ من نومهم؛ لئلا يـسمع عطاسًا، فيتشاءم به.

وكانوا إذا عطس من يحبونه، قالوا له: عمرًا وشبابًا، وإذا عطس مـن يكرهونه، قالوا له: وَرْيًا وقحابًا، والوري ـ كالرمي ـ: داء يصيب الكبـد، فيفسدها، والقُحاب ـ كالسعال وزناً ومعنى ـ، وكانوا إذا سـمعوا عطاسًـا، فتشاءموا به، قالوا للعاطس: بِكَ لا بي؛ أي: شؤمُ عطاسك بِك، لا بي.

وكان تشاؤمهم بالعطسة الشديدة أشدَّ، فلما جاء الله بالإسـلام، وأبطـل برسوله ﷺ ما كانت عليه الجاهلية الطغام؛ من الجهل والضلالة والآثام؛ نهـى أمته عن التشاؤم والتطير، وشرع لهم أن يجعلوا مكان الدعاء على العاطس بالمكروه دعاءً له بالرحمة.

ولما كان الدعاء على العاطس نوعًا من الظلم والبغي؛ جعـل الـدعاء لـه بلفظ الرحمة المنافي لذلك، وأمر العاطس أن يدعو لمشمِّتِه بالمغفرة والهداية وإصلاح البال[2].

الثالثة: لا يُستحب تشميتُ الذميِّ، نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه[3].

---

(١) انظر: «ديوان امرئ القيس» (ص: ١٧٢).

(٢) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٢).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٠).

وهل يباح أو يكره أو يحرم؟ أقوال:

قال الإمام ابنُ عقيل: لا يستحب تشميتُ الكافر، فإن شمت الكافرُ المسلمَ، أجابه بآمين يهديكم الله؛ فإنها دعوة تصلُح للمسلم والكافر.

وقد روى الإمام أحمد: أن اليهود كانوا يتعاطسون عند النبي ﷺ رجاءَ أن يقول لهم: يرحمكم الله، فكان يقول: «يهديكم الله، ويصلح بالكم»[1].

الرابعة: روي عن النبي ﷺ أنه قال: «من سبق العاطس بالحمد، أَمِنَ من الشَّوصِ واللوصِ والعلوص»[2]، وهذه أوجاع اختلف في بعضها؛ كما ذكره ابن الأثير وغيره[3].

قال في «التمييز»: والحديث ضعيف.

وقد نظمه بعضهم فقال:

مـن يـستبقْ عاطـسًا بالحمـدِ يـأمن مـنْ
شـوصٍ ولـوصٍ وعِلَّـوْص كـذا وردا
عنيـتُ بالـشوص داءَ الـرأسِ ثـم بمـا
يليـه داء الـبطن والـضرس اتبـع رشـدا[4]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٠٠) من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٥٠٩) باللفظ المذكور، وأورده الديلمي في «الفردوس» (٥٦٣٦) من حديث أنس رضي الله عنه بلفظ: من سبق العاطس وقي الشوص واللوص والعلوص.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٥٠٩).

(٤) انظر: «تمييز الخبيث من الطيب» لابن الديبع (ص: ١٦٨)، وفيه: «يبتدي» بدل «يستبق».

وفي بعضها، وهو أولى:

فالـداءُ فـي الـضرس شـوصٌ ثـم فـي أُذن

لـوصٌ وفـي الـبطن علـوصٌ كـذا وجـدا

قال في «القاموس»: الشوص: وجع الضرس والبطن، وقال في العلوص -كسِنَّور-: التخمة، ووجع في البطن، وقال في اللوص: وجع الأذن، أو البخر[1].

ومثل ذلك في «نهاية ابن الأثير»[2]، فظهر بما قلنا أولوية الشعر الثاني.

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: وكان غير واحد من أصحابنا المتأخرين يذكر هذا الخبر -يعني: «من سبق العاطس بالحمد...» إلخ-، ويعلمه الناس[3].

الخامسة: إذا عطس الإنسان، وحمد الله تعالى، شمته إلى ثلاث مرات، والاعتبار بالتشميت لا بالعطس، فإن عطس بعد التشميت ثلاثًا، دعا له بالعافية، ولم يشمته.

قال الناظم في «آدابه»:

وقـــلْ للفتـــى عوفيـــتَ بعـــد ثلاثـــةٍ

وللطفـــل بـــوركَ فيـــك وأمْـــره يحمَـــدِ[4]

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شوص، علص، لوص).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٥٠٩).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٨).

(٤) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٤١).

المراد هنا بالطفل: من لم يبلغ الحلم.

قال في «النهاية»: الطفل: الصبي، ويقع على الذكر والأنثى والجماعة، ويقال: طفلة، وأطفال[١].

وفي «القاموس»: الطفل بالكسر: الصغير من كل شيء، أو المولود[٢].

فإذا عطس الطفل، يقال له: بورك فيك؛ أي: بارك الله فيك أيها الغلام.

وقال سيدنا الشيخ عبد القادر في «الغنية»: يقال له: بورك فيك، وجبرك الله[٣].

وقد روي أنه عطس عند النبي ﷺ غلام لم يبلغ الحلم، فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال النبي ﷺ: «بارك الله فيك يا غلام»، رواه الحافظ السِّلَفِيّ في «انتخابه»[٤].

وقوله: (وَأْمره يحمدِ)؛ أي: ينبغي لمن سمع الصبي قد عطس أن يأمره أن يحمدَ الله ﷻ، فيقول له: قل: الحمد لله رب العالمين، ويُعلَّم الردَّ، وإن كان صغيرًا، حمد الله وَلِيُّه، أو مَنْ حضره، وقيل له نحو ذلك.

قال في «الآداب»: أما كونه يعلَّم الحمد، فواضح، وأما تعليمه الرد، فيتوجه فيه ما سبق في رد السلام[٥].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٣٠).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: طفل).

(٣) انظر: «الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٤١).

(٤) رواه أبو طاهر السلفي في «الطيوريات» (٦٧٢) عن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٧).

وهو أنه لا يجب على الصبي ردُّ السلام، ولا يسقط به إن كان مع بالغين فرضُ الكفاية.

واستظهر في «الآداب»: أنه يُدْعَى للطفل إذا عطس، وإن لم يحمد الله[1].

واستظهر ـ أيضًا ـ: أنه لا حكم لعطاس المجنون، وأنه يشرع الدعاء له في الجملة[2].

وقوله: (وأمرُه)، الظاهر للصبي، ومثله حديث عهدٍ بالإسلام ونحوه.

وأما البالغ إذا نسي أن يحمد الله، لم يذكره؛ كما جزم به في «الإقناع»، و«الغاية»[3]، ولا بأس بتذكيره.

قال المحقق ابن القيم قدس الله روحه: اختلف الناس في مسألتين:

الأولى: إذا ترك العاطس الحمد، هل يستحب لمن حضره أن يذكّره الحمد؟

قال ابن العربي: لا يذكره، وهذا جهل من فاعله.

وقال النووي: أخطأ من زعم ذلك، بل يذكره؛ لأنه يُروى عن النخعي، وهو من التعاون على البر والتقوى[4].

قال ابن القيم: وظاهرُ السنة تقوي قول ابن العربي؛ لأن النبي ﷺ لم

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (٢/ ٣٢٨).

(٣) انظر: «الإقناع» للحجاوي (١/ ٢٤٠)، و«غاية المنتهى» لمرعي الكرمي (٢/ ٢٨٩).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٢/ ٤٤٢).

يشمِّت الذي لم يحمدِ الله، ولم يذكِّره، وهذا تعزير[1] له وحرمان؛ لتركه الدعاء لما حرم نفسه بتركه الحمد، فنسي الله تعالى، فصرف قلوب المؤمنين وألسنتهم عن تشميته، والدعاءِ له.

ولو [كان][2] تذكيره سُنَّةً، لكان النبي ﷺ أولى بفعلها وتعليمها، والإعانةِ عليها[3].

الثانية: إن العاطس إذا حمد الله تعالى، فسمعه بعض الحاضرين دون بعض، هل يسن لمن لم يسمعه أن يشمته، وقد تقدم أن العاطس إذا حمد الله، كان تشميته فرضَ كفاية على الجماعة، وفرض عين على الواحد.

لكن لو شمته من لم يسمعه حمدَ اللهَ، هل يسقط الطلب عمن سمعه حمدَ؟ هذا الذي ينبغي أن يختلف فيه. والله أعلم.

وذكر في «شرح الإقناع» كـ «الآداب» ما يؤيد أنه ينبغي تذكير من نسي حمد الله.

قال أبو بكر المروذي: إن رجلًا عطس عند الإمام أحمد ﷺ، فلم يحمد الله، فانتظره أبو عبدالله أن يحمد الله فيشمته، فلما أراد أن يقوم، قال له أبو عبدالله ﷺ: كيف تقول إذا عطستَ؟ قال: أقول: الحمد لله، فقال له أبو عبدالله: يرحمك الله[4].

---

(١) في الأصل: «تقرير»، والتصويب من «زاد المعاد».

(٢) ما بين معكوفتين من «زاد المعاد».

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) انظر: «كشف القناع» للبهوتي (٢/ ١٥٨)، و«الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٨).

وهذا يؤيد ما سبق من كون بعض الأصحاب كان يذكر خبر: «من سبق العاطسَ بالحمد، أمن من الشوص...» إلخ[1]، ويعلمه الناس.

قال في «الآداب»: وهو متجه[2]، والله أعلم.

قلت: وبه تعلم عدم اعتبار الفورية ما بين العطاس والحمد والتشميت.

نعم، قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» في قوله: (إذا عطس المرء، فحمد الله، فحقٌّ على كل مسلم يسمعه أن يشمته): استدل به على استحباب مبادرة العاطس بالتحميد.

ونقل ابن دقيق العيد عن بعض العلماء: أنه ينبغي أن يتأنى في حقه حتى يسكن، ولا يعاجله بالتشميت.

قال: وهذا فيه غفلة عن شرط التشميت، وهو توقفه عن حمد العاطس.

وسمع ابن عمر رضي الله عنهما عاطسًا من ناحية المسجد، فقال له: رحمك الله إن كنتَ حمدت؛ كما في «الأدب المفرد» للبخاري[3].

السادسة: معتمد المذهب: أن لا يشمت شابة أجنبية، ولا تشمته.

وفي «الرعاية»: للرجل أن يشمت امرأة أجنبية.

وقيل: عجوز، أو شابة برزة.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٦٠٧ ـ ٦٠٨)، والخبر المذكور رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٩٣٦).

قال السامريّ: يكره أن يشمت الرجل المرأة إذا عطست، ولا يكره ذلك للعجوز.

قال الحافظ ابن الجوزي: روينا عن الإمام أحمد: كان عنده رجل من العباد، فعطست امرأة الإمام أحمد، فقال لها العابد: يرحمك الله، فقال الإمام أحمد: عابد جاهل[1].

ودار كلام علمائنا على جواز تشميت العجوز، والبرزة، ولو شابة.

قال سيدنا الشيخ عبد القادر ـ قدس الله سره ـ في «الغنية»: يجوز للرجل تشميتُ المرأة البرزة، والعجوز، ويكره للشابة الخفرة[2].

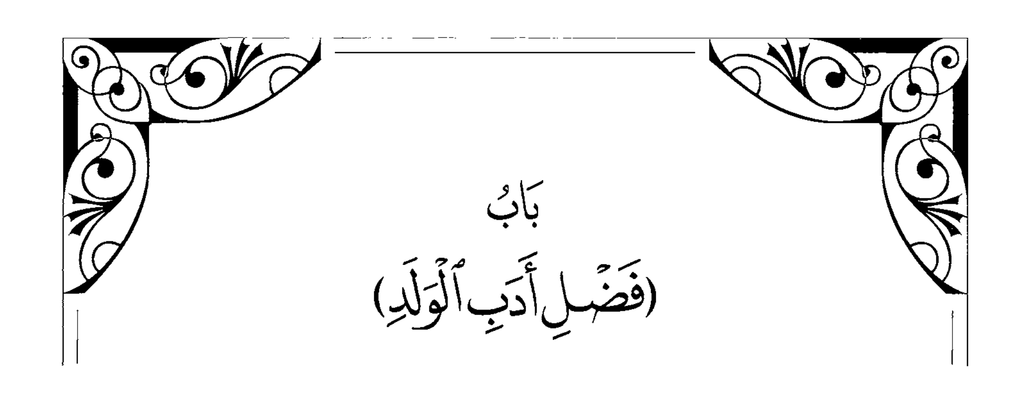
نعم، في «الآداب»: كلام أكثر الأصحاب على الفرق بين الشابة وغيرها، والسلام مثله بلا فرق، فظهر أنه لا يشمت الشابة، ولو برزة[3]، والله تعالى أعلم.

❐ ❐ ❐

(١) نقله ابن مفلح «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٢٥).

(٢) انظر: «الغنية» لعبد القادر الجيلاني (١/ ٤١).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٢/ ٣٢٦).



بَابُ
(فَضْلِ أَدَبِ الْوَلَدِ)

أي: فضل تأديب الوالد لولده، وذكر الحافظ حديثين:

الْحَدِيثُ الأَوَّلُ

٦٤٥ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لأَنْ يُؤَدِّبَ الرَّجُلُ وَلَدَهُ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ». رواه الترمذي وقال: غريب[1].

(عن جابرِ بنِ سَمُرَةَ) بنِ جنادةَ ـ بضم الجيم وتخفيف النون والدال المهملة ـ أبو عبدالله، وقيل: أبو خالد، من ولد قيس عيلان ـ بالعين المهملة ـ ابن مضرَ بنِ نزار بن معدِّ بنِ عدنانَ السوائي ـ بضم السين المهملة وتخفيف الواو والمد ـ نسبه إلى سواء بن عامرٍ بنِ صعصعةَ بنِ قيس عيلان، وجابر هذا هو وأبوه صحابيان.

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥١) وقال: هذا حديث غريب، وناصح هو أبو العلاء، كوفي، ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه.

(رضي الله عنه) وعن أبيه، وهو ابن أخت سعد بن أبي وقاص، وهي خالدةُ بنتُ أبي وقاص.

رُوي لجابر هذا مئة وستة وأربعون حديثًا، اتفق الشيخان على حديثين، وانفرد مسلم بثلاثة وعشرين حديثًا.

نزل جابر بن سمرة رضي الله عنهما الكوفة، وابتنى بها دارًا، ومات بها سنة أربع وسبعين، وقيل: سنة ست وستين أيام المختار، وصلى عليه عمرو بن الحريث المخزومي.

وقال أبو عمر بن عبد البر: توفي في إمرة بِشرِ بن مروان(١).

وجزم الذهبي أنه توفي في سنة ثلاث وسبعين(٢).

روى عنه: سماك بن حرب، وعامر الشعبي، وحصين بن عبد الرحمن.

(قال) جابر بن سمرة رضي الله عنه: **(قال رسول الله ﷺ: لأَن يؤدبَ)**: اللام في جواب قسم مقدر، **(الرجلُ)**: فاعل (يؤدب)، **(ولده)**: مفعول به؛ أي: حين يبلغ من السن والعقل مبلغًا يحتمل ذلك، ويدركه، ويتمرن عليه؛ بأن ينشئه على أخلاق الصحابة، ويدربه على نهج أولي النهى، ويعلمه القرآن العظيم، ويمرنه على الأدب وإدراك لغة العرب، ويهدد ابن سبع، ويأمره بالصلاة، ويضربه على تركها لعشرٍ، ففعل هذا مع ولده ونحوه.

(خيرٌ له)؛ أي: للأب ونحوه **(من أن يتصدق)** على الفقراء والمحتاجين **(بصاع من)** تمرٍ أو **(بُرّ)** ونحوهما؛ لأنه إذا أدبه، صارت أفعاله من صدقاته

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ٢٢٤).

(٢) انظر: «الكاشف» للذهبي (١/ ٢٨٧)، وفيه: «توفي ٧٢».

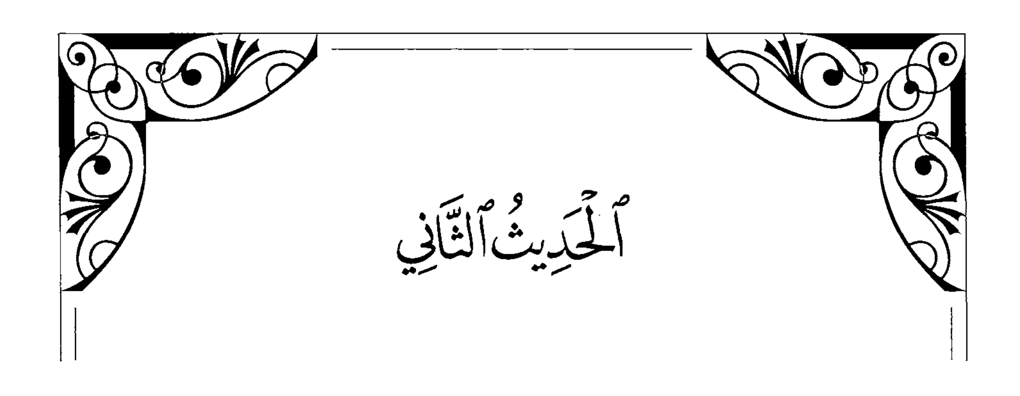
الجارية، وصدقة الصاع ينقطع ثوابها.

(رواه الترمذي وقال): حديث حسن (غريب)، وضعفه غيره؛ لأن فيه ناصحًا عن سماك، عن جابر.

قال الحافظ المنذري: ناصح هذا هو ابن عبدالله الحكمي، وإن هذا الحديث مما أنكره عليه الحفاظ. انتهى[1].

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٥٠).



الحديث الثاني

٦٤٦ ـ عَنْ سَعيدِ بن العاصِ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نُحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي وقال: غريب[1].

(عن سعيدِ بنِ العاص) بنِ سعيدِ بنِ العاصِ بنِ أميةَ بنِ عبدِ شمسِ بنِ عبدِ منافٍ القرشيّ.

ولد عام الهجرة، وقيل: سنة إحدى، وكان أحدَ أشراف قريش؛ ممن جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحفَ لعثمانَ بنِ عفان ﷺ، واستعمله عثمان على الكوفة، وغزا بالناس طبرستان، فافتتحها.

ويقال: إنه افتتح ـ أيضًا ـ جرجان سنة تسع وعشرين، وقيل: سنة ثلاثين، وانتقضت أذربيجان، فغزاها فافتتحها، ولما وقعت الفتن بعد قتل عثمان، اعتزل سعيدٌ الناس، فلما استوسق الأمر لمعاوية، ولاه المدينة، ثم عزله عنها، وولى مروانَ، وكان يعاقب بينهما في الولاية على المدينة.

ومات سعيدُ بنُ العاص (ﷺ) سنة تسع وخمسين[2].

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥٢) وقال: وهذا عندي حديث مرسل.

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٤٤١).

(قال) سعيدٌ هذا: **(إن رسول الله ﷺ قال: ما نَحَلَ)**؛ أي: ما أعطى **(والدٌ ولده)** يشمل ولده، وولدَ ولدِه **(من نِحْلة)**؛ أي: أعطية، يقال: نحل ـ بفتح النون والحاء المهملة ـ ؛ أي: وهب وأعطى.

قال في «النهاية»: النِّحْلَة: العَطية والهِبَة ابتداءً من غير عِوَض ولا استحقاق، يقال: نُحلة ـ بالضم ـ، والنِّحلة ـ بالكسر ـ: العَطية[1].

(أفضلَ من أدبٍ حسنٍ)؛ أي: من تعليمه ذلك، ومن تأديبه بنحو توبيخ وتهديد وضرب على ما يحسُن ليفعله، واجتناب ما يَشين ليتركه ويجتنبه؛ فإنَّ حسن الأدب يرفع العبدَ المملوكَ إلى رتبة الملوك.

قال الأصمعي: قال لي أعرابي: ما حرفتك؟ قلت: الأدب، قال: نعم الشيء، فعليك به؛ فإنه ينزل المملوك في حد الملوك[2].

قال العلامة ابن مفلح في «آدابه»: قال إسماعيل بن سعيد: سألت الإمام أحمد عما يجوز فيه ضرب الولد، قال: الولدُ يُضرب على الأدب، وسألته: هل يضرب الصبي على الصلاة؟ قال: إذا بلغ عشرًا.

وقال حنبل: قال أبو عبدالله ـ يعني: الإمام أحمد رضي الله عنه ـ: اليتيم يؤدَّب ويضرب ضربًا خفيفًا[3].

وفي «الآداب»: أن عمر بن الخطاب كتب إلى بعض الأمصار: علموا

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٨).

(٢) نقله ياقوت الحموي في «معجم الأدباء» (١/ ٤٨).

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٧٧).

أولادكم الصوم، والفروسية، وما سار من المثل، وما حسُن من الشعر[1].

قال في «الآداب»: كان يقال: من تمام ما يجب للأبناء على الآباء: تعليمُ الكتابة، والحساب، والسباحة.

قال: وقال الحجاج لمعلم ولده: علِّم ولدي السباحةَ قبل أن تعلمهم الكتابة؛ فإنهم يجدون من يكتب عنهم، ولا يجدون من يسبح عنهم[2].

وقال الميموني: سألت أبا عبدالله ـ يعني: الإمام أحمد ﷺ ـ: أيما أحبُّ إليك: أبدأ ابني بالقرآن، أو بالحديث؟ قال: لا، بالقرآن، قلت: أعلمه كله؟ قال: إلا أن يعسر عليه، فتعلمه منه.

ثم قال ـ يعني: الإمام أحمد ـ: إذا قرأ أولًا، تعود القراءة، ثم لزمها[3].

وقال ابن المبارك: العلم مقدَّم على [نفل] القرآن[4].

قال في «الآداب»: وهذا متعين إن كان مكلفًا؛ لأنه فرض، فيقدم على النفل.

وكلام الإمام أحمد إنما هو في الصغير؛ كما هو ظاهر السياق[5].

---

(١) المرجع السابق (١/ ٤٨٠)، والخبر المذكور أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٧٦٨ ـ ٧٦٩).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٤٨٠ ـ ٤٨١)، والخبر المذكور أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (٢/ ٧٦٩).

(٣) أورده ابن أبي يعلى في «طبقات الحنابلة» (١/ ٢١٤).

(٤) أورده ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (٢/ ٣٣)، وما بين معكوفتين منه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(رواه)؛ أي: حديثَ سعيد بن العاص رضي الله عنه المشروحَ أبو عيسى الترمذي، **(وقال)**: حديث **(غريب)**.

وذكره الحافظ المنذري في «الترغيب والترهيب» عن أيوب بن موسى، عن أبيه، عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «ما نحل والدٌ ولدًا من نحل أفضلَ من أدبٍ حسنٍ»، رواه الترمذي ـ أيضًا ـ، وقال: حديث غريب.

قال الحافظ المنذري: وهذا عندي مرسل[1].

وذكره الحافظ جلال الدين السيوطي في «الجامع الصغير»، وقال: رواه الترمذي، والحاكم من حديث عمرِو بنِ سعيدِ بنِ العاص.

وقال الترمذي: حسن غريب مرسل، كذا قال[2].

قلت: حديث عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد مناف القرشي هاجر الهجرتين؛ إلى الحبشة، ثم إلى المدينة، وقدم مع سفينة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه سنة خيبر، قتل شهيدًا بالشام يوم أجنادين سنة ثلاث عشرة.

وقيل: يوم مرج الصفر، فكيف يقال فيما رواه: مرسل، وسعيدٌ الذي نسب الحافظ ـ أيضًا ـ هذا الحديث له ابن العاص هو صحابي ـ أيضًا ـ؟ فالأظهر: ما في «فضائل الأعمال» من كون الحديث المذكور من مسند سعيد ابن العاص.

---

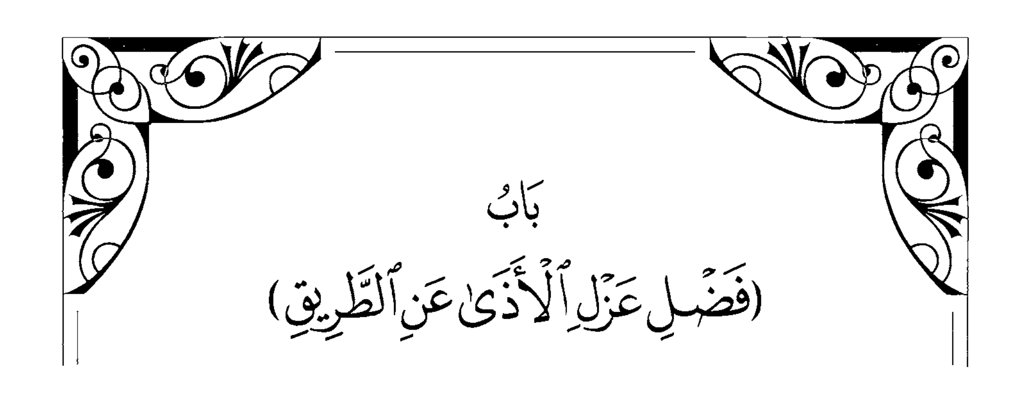
(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٥٠)، والحديث المذكور هو حديث الباب، تقدم تخريجه، وقوله: (وهذا عندي مرسل)، قاله الترمذي عقب روايته للحديث.

(٢) انظر: «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (٥/ ٥٠٣).

وروواه ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم»[1]، والله تعالى الموفق.

❐ ❐ ❐

(١) لم نقف عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه ابن ماجه (٣٦٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه.



بَابُ
(فَضْلِ عَزْلِ ٱلْأَذَىٰ عَنِ ٱلطَّرِيقِ)

وذكر الحافظ المصنف رحمه الله ورضي عنه في هـذا البـاب خمـسة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٦٤٧ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِـيِّ ﷺ قَـالَ: «بَيْنَمَـا رَجُـلٌ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ إِذْ وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَـهُ». أخرجه البخاري ومسلم[1].

وفي روايـة لمسلم: «فقـال: وَاللهِ لأُنَحِّيَنَّ هَـذَا عَـنِ المُـسْلِمِينَ لَا يُؤْذِيهِمْ، فَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ»[2].

(عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: بينما): (بينا) و(بينمـا) مـن أدوات الابتداء.

---

(١) رواه البخاري (٢٤٧٢)، ومسلم (١٩١٤/ ١٢٧).

(٢) رواه مسلم (١٩١٤/ ١٢٨).

وقوله: (**رجل يمشي**): مرفوع على الابتداء، وسُوغ الابتداء بـ(رجل)، وإن كان نكرة، وَصفه بأنه يمشي (**في طريق**).

وقوله: (**إذ وجد غصن شوك**): خبر المبتدأ؛ فإن (إذ) ظرفٌ لما مضى من الزمان، خافضٌ لشرطه، لكنها هنا للمفاجأة؛ لوقوعها بعد (بينما)، والغصن: واحدُ الأغصان، وهي أطراف الشجر ما دامت فيه نابتة، ويجمع الغصن على: غصون ـ أيضًا ـ، والشوكُ: معروف، الواحدةُ شوكة ـ بهاء ـ.

(**فأَخَّره**)؛ أي: عزل وأماط غصنَ الشوك عن الطريق، (**فشكر الله**) ﷻ ذلك (**له، فغفر له**) ذنوبه؛ لإماطة الأذى عن طريق الناس الذين هم عبادُ الله.

(**رواه البخاري، ومسلم، وفي رواية لمسلم**) من حديث أبي هريرة هذا: (**فقال**) الرجل لما رأى غصنَ الشوك في الطريق: (**واللهِ! لأنحينّ هذا**) الغصنَ؛ أي: أَحْرِفَه وأعزله وأزيله، (**عن**) طريق (**المسلمين**)؛ لا يؤذيهم بشوكه لبعده وإزالته عنهم، (**فأُدخل**) بضم الهمزة وسكون الدال المهملة وكسر الخاء المعجمة مبنيًّا لما لم يسم فاعله؛ أي: أدخله الله ﷻ (**الجنة**) دارَ النعيم والبقاء جزاءً لإزالة ما يؤذي المسلمين، وإن كان يسيرًا.

وفي رواية لمسلم ـ أيضًا ـ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه هذا: قال النبي ﷺ: «لقد رأيت رجلًا يتقلَّب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي المسلمين»(١).

وروى أبو داود من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «نزع رجل لم يعمل خيرًا قط غُصنَ شوك عن الطريق»، إما قال: «كان شجرة،

---

(١) رواه مسلم (١٩١٤/ ١٢٩).

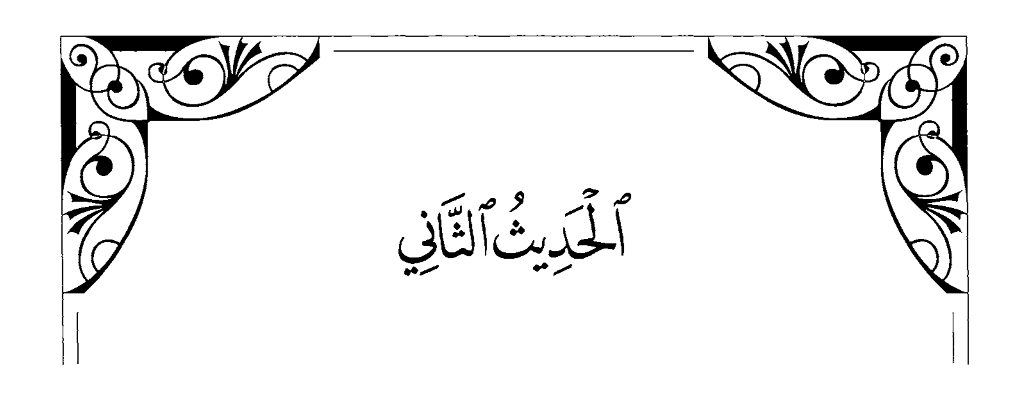
فقطعه»، وإما: «كان موضوعًا، فأماطه عن الطريق، فشكر الله ذلك له، فأدخله الجنة»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى بإسناد لا بأس به في المتابعات عن أنس بن مالك ﷺ قال: كانت شجرة تؤذي الناس، فأثارها رجل، فعزلها عن طريق الناس، قال نبي الله ﷺ: «فلقد رأيته يتقلب في ظلها في الجنة»[2].

* * *

(١) رواه أبو داود (٥٢٤٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٥٤)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٠٥٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٥): وفيه أبو هلال، وهو ثقة، وفيه كلام.



الحديث الثاني

٦٤٨ ـ عن أَبي بَرْزَةَ الأسلَميِّ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَنْتَفِعُ بِهِ، قَالَ: «اعْزِلِ الأَذَى عَنْ طَرِيقِ الْمُسْلِمِينَ»، أخرجه مسلم(١).

(عن أبي برزةَ) بفتح الباء الموحدة وسكون الراء بعدها زاي (الأسلميِّ) بفتح الهمزة وسكون السين المهملة وفتح اللام، نسبة إلى أسلمَ بنِ أفْصى بن حارثة، واسمه نَضْلَة ـ بفتح النون وسكون الضاد المعجمة ـ ابن عائد ـ بالدال المهملة ـ، وقيل: ابن عمرو، وقيل: ابن نيار، وقيل: عبدالله بن نضلة، وقيل: سلمة بن عبيد.

وقيل: كان اسمه نضلة بن نيار، فسماه النبي ﷺ: نضلة بن عبدالله، وقال: «نيار شيطان»(٢).

أسلم أبو برزة قديمًا، وشهد فتح مكة، وهو الذي قتل ابن خَطَل فيما

(١) رواه مسلم (٢٦١٨/ ١٣١).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦٢/ ٩٣) عن محمد بن مالك بن يزيد بن أبي برزة الأسلمي. وانظر: «الإصابة» لابن حجر (٦/ ٤٣٣).

قيل، ولم يزل يغزو مع النبي ﷺ حتى قبض، ثم تحول إلى البصرة فنزلها، ثم غزا خراسان، ومات بمرو، وقيل: بل رجع إلى البصرة، فمات بها سنة ستين، وقيل: أربع وستين.

روي له عن النبي ﷺ ستة وأربعون حديثًا، اتفق الشيخان على حديثين، وانفرد البخاري بحديثين، ومسلم بأربعة.

(ﷺ: **قلت لرسول الله ﷺ: علمني شيئًا**) من فعل الخيرات، إذا أنا فعلته، (**أنتفعُ به**)؛ أي: يثيبني الله على فعله ويأجرني بسببه، (**فقال**) ﷺ: (**اعزلْ**)؛ أي نَحِّ وأزلِ (**الأذى**) من شوكٍ وغيره مما يؤذي المارةَ (**عن طريق المسلمين**).

لا يخفى أن إماطة الأذى عن طريق المسلمين من شعب الإيمان، وهي أدنى شعبة؛ كما في حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وستون ـ أو سبعون ـ شعبة، أدناها: إماطةُ الأذى عن الطريق، وأرفعها: قولُ: لا إله إلا الله»، رواه البخاري، ومسلم، وأصحاب السنن الأربع[1].

قال الحافظ المنذري: أماط الشيء عن الطريق: نحاه وأزاله، والمراد بالأذى: كل ما يؤذي المار؛ كالحجر والشوكة والعظم والنجاسة[2].

وقد نبه ﷺ بإزالة الأذى عن الطريق، التي هي أدنى شعب الإيمان، على ما هو أرفع وأنفع منها بالأَولى.

---

(١) رواه البخاري (٩)، ومسلم (٣٥)، وأبو داود (٤٦٧٦)، والترمذي (٢٦١٤)، والنسائي (٥٠٠٥)، وابن ماجه (٥٧).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٧٦).

قال النووي: قد بين النبي ﷺ أعلى شعب الإيمان وأدناها، فبين أن أعلاها: التوحيد المتعين على كل مكلف، والذي لا يصح شيء من غيره من الشعب إلا بعد صحته، وأدناها: دفعُ ما يُتوقع به ضررُ المسلمين[1].

وبقي بينهما تمام العدد، فيجب علينا الإيمان به، وإن لم نعرف أعيان جميع أفراده؛ كما نؤمن بالملائكة وإن لم نعرف أعيانهم وأسماءهم.

والشعبة ـ بالضم ـ: القطعة، والمراد: الخصلة.

(أخرجه)؛ أي حديثَ أبي برزةَ المذكورَ **(مسلمٌ)** في «صحيحه».

وفي لفظ: قال أبو برزة ﷺ: قلت: يا نبي الله! إني لا أدري لعسى تمضي وأبقى بعدك، فزودني شيئًا ينفعني الله به، فقال رسول الله ﷺ: «افعل كذا، افعل كذا، وأمر[2] الأذى عن الطريق»[3]. ورواه ابن ماجه[4].

*** تنبيه:**

قال القاضي عياض: تكلف جماعة حصرَ هذه الشعب بطريق الاجتهاد، وفي الحكم بكون ذلك هو المراد صعُوبة[5].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وأقرب من عدها إلى الصواب

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (٢/ ٤).

(٢) قال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٨/ ٩٨): كذا رويناه عن عامة الرواة بـراء مشددة؛ أي: نحّه وأزله من المرور.

(٣) رواه مسلم (٢٦١٨/ ١٣٢).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٦٨١).

(٥) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٢٧٢).

طريقةُ ابن حبان، قال: وقد لخصت ما أوردوه فيما أذكره، وهو أن هذه الشعب تتفرع عن أعمال القلب، وأعمال اللسان، وأعمال البدن.

فأما أعمال القلب، ففيه المعتقدات والنيات، ويشتمل على أربع وعشرين خصلة:

الإيمان بالله، ويدخل فيه: الإيمان بذاته وصفاته وتوحيده بأن ليس كمثله شيء، واعتقاد حدوث ما دونه.

والإيمان بملائكته وكتبه ورسله، والقدر خيره وشره، والإيمان باليوم الآخر، ويدخل فيه: المسألة في القبر، والبعث والنشور، والحساب والميزان والصراط، والجنة والنار، ومحبة الله، والحب والبغض فيه.

ومحبة النبي ﷺ، واعتقاد تعظيمه، ويدخل فيه: الصلاة عليه، واتباع سنته.

والإخلاص، ويدخل فيه: ترك الرياء والنفاق، والتوبة والخوف، والرجاء والشكر، والوقار[1] والصبر، والرضا بالقضاء، والتوكل والرحمة.

والتواضع، ويدخل فيه: توقير الكبير، ورحمة الصغير، وترك الكبر، وترك الحسد، وترك الحقد، وترك الغضب.

وأعمال اللسان، ويشتمل على سبع خصال: التلفظ بالتوحيد، وتلاوة القرآن، وتعلم العلم وتعليمه، والدعاء والذكر، ويدخل فيه: الاستغفار، واجتناب الكذب.

وأعمال البدن يشتمل على ثمان وثلاثين خصلة، منها: ما يختص

---

(١) في «فتح الباري»: «والوفاء».

بالأعيان، وهي خمس عشرة خصلة: التطهر حسًّا وحكمًا، ويدخل فيه: اجتناب النجاسات، وستر العورة، والصلاة فرضًا ونفلًا، والزكاة كذلك، وفك الرقاب.

والجود، ويدخل فيه: إطعام الطعام، وإكرام الضيف، والصيام فرضًا ونفلًا، والاعتكاف، والتماس ليلة القدر، والحج والعمرة فرضًا ونفلًا، والطواف.

والفرار بالدين، ويدخل فيه: الهجرة من دار الشرك، والوفاء بالنذر، والتحري في الأيمان، وأداء الكفارات.

ومنها: ما يتعلق بالاتباع، وهي ست خصال: التعفف بالنكاح، والقيام بحقوق العيال.

وبر الوالدين، وفيه: اجتناب العقوق، وتربية الأولاد، ووصلة الرحم، وطاعة السادة، والرفق بالعبيد.

ومنها: ما يتعلق بالعامة، وهي سبع عشرة خصلة: القيام بالإمرة مع العدل، ومتابعة الجماعة، وطاعة أولات الأمور.

والإصلاح بين الناس، ويدخل فيه: قتال الخوارج والبغاة.

والمعاونة على البر، ويدخل فيه: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الحدود والجهاد، ومنه المرابطة، وأداء الأمانة، ومنه: أداء الخمس، والقرض مع وفائه، وإكرام الجار.

وحسن المعاملة، وفيه: جمع المال من حله، وإنفاق المال في حقه، وترك التبذير والإسراف، ورد السلام، وتشميت العاطس، وكف الضرر

عن الناس، واجتناب اللهو، وإماطة الأذى عن الطريق.

فهذه تسع وستون خصلة، ويمكن عدها تسعًا وسبعين خصلة باعتبار ما ضم بعضُه إلى بعض مما ذكر. انتهى[1].

قال الكرماني في «الكواكب الدراري لشرح البخاري»: قال التيمي: المراد: أن من وُجدت فيه الخصال، فهو مؤمن على سبيل الكمال، ثم إيمانُ كل واحد بقدر وجود هذه الخصال فيه.

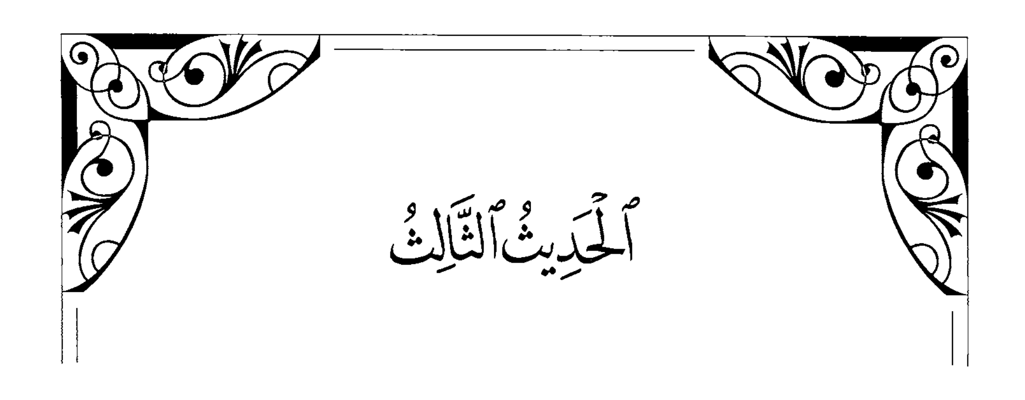
قال أبو حاتم البستي: تتبعت معنى هذا الحديث مدة، وعددت الطاعات، فإذا هي تزيد على هذا العدد شيئًا كثيرًا، فرجعت إلى السنن، فعددت كل طاعة عدَّها رسول الله من الإيمان، فإذا هي تنقص، فرجعت إلى كتاب الله فعددت كل طاعة عدها الله من الإيمان، فإذا هي تنقص، فضممت إلى الكتاب السنة، وأسقطت المعاد، فإذا كل شيء عدّه الله ورسوله من الإيمان هو تسع وسبعون، لا يزيد عليها ولا ينقص، فعلمت أن مراد النبي ﷺ: أن هذا العدد في الكتاب والسنة، وأطال، والله أعلم[2].

* * *

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٢ ـ ٥٣).

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ٨٤). وانظر: «صحيح ابن حبان» لابن حبان (١/ ٣٨٧).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٦٤٩ ـ عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أَعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا، فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أَعْمَالِهَا الأَذَى يُمَاطُ عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ تَكُونُ فِي الْمَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ». رواه مسلم[1].

(عن أبي ذَرّ) جُندبِ بنِ جُنادةَ الغِفاريِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضل صلاة الضحى)، (قال: قال رسولُ الله ﷺ: **عُرضت**): بضم العين المهملة وكسر الراء وفتح الضاد المعجمة مبنيًّا لما لم يسم فاعله، (**عليَّ**): بتشديد التحتية، (**أعمالُ أمتي**) يحتمل أن يكون هذا العرض ليلة الإسراء يقظة، ويحتمل أن يكون العرض منامًا؛ فإن رؤيا الأنبياء وحي، وتقدم نحوه في أول الكتاب في (فضل بناء المساجد)، (**حسنُها وسيئُها**): بالرفع على أنه بدل من أعمال أمته التي هي نائب الفاعل، (**فوجدت في محاسن أعمالها الأذى**)؛ من نحو حجر وشوك ونجاسة (**يُماط**)؛ أي: ينحّى ويُزال، (**عن الطريق**) المسلوكِ؛ دفعًا لأذية المسلمين المارين فيه، (**ووجدت في مساوئ**

(١) رواه مسلم (٥٥٣).

أعمالها)؛ أي: أعمال أمتي، **(النخاعة)**: بضم النون؛ أي: النخامة التي تخرج من الفم مما يلي أصل النخاع، والمراد هنا: البصاق، تكون وتوجد **(في المسجد)**؛ أي مسجد كان من مساجد المسلمين **(لا تدفن)**.

وفي لفظ: «لم تدفن»[1]؛ أي: لا يدفنها صاحبها الذي صدرت منه، ولا غيره، فلا يختص الذم بصاحب النخاعة، بل يريد فيه: من رآها من المسلمين ولم يزلها.

(رواه مسلم)، ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه[2].

وفي الصحيحين من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: بينا رسولُ الله ﷺ يخطب يومًا، إذ رأى نخامة في قِبلَة المسجد، فتغيظ على الناس، ثم حكَّها، قال: وأحسبه قال: فدعا بزعفران، فلطخه به، ثم قال: «إن الله عز وجل قِبَلَ وجهِ أحدِكم إذا صلى، فلا يبزق بين يديه»، ورواه أبو داود، واللفظ له[3].

وتقدمت في (بناء المساجد) من حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرضت لي أجورُ أمتي، حتى القذاةُ ـ بتخفيف الذال المعجمة وقصر الهمزة، وهو ما يقع في العين والماء والشراب من تراب أو تبنٍ أو

---

(١) أورده السيوطي في «الجامع الصغير»، وعزاه للإمام أحمد ومسلم وابن ماجه، ولم نقف على هذا اللفظ في النسخ التي بين أيدينا من تلك المصنفات. انظر: «فيض القدير بشرح الجامع الصغير» للمناوي (٤/ ٣١٣).

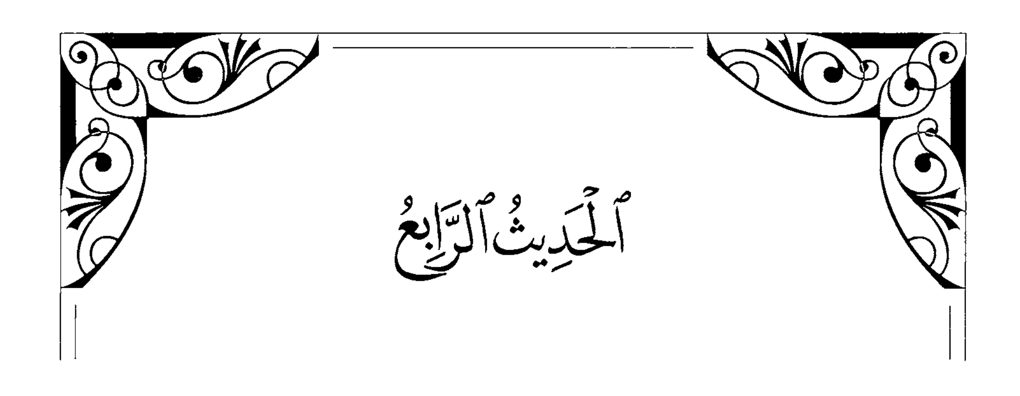
(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٨)، وابن ماجه (٣٦٨٣)، وتقدم تخريجه عند مسلم.

(٣) رواه البخاري (٤٠٦)، ومسلم (٥٤٧)، وأبو داود (٤٧٩).

وسخ أو غير ذلك ـ يخرجها الرجل من المسجد. . . » الحديث[1]. والله أعلم.

* * *

(١) تقدم الحديث برقم (٢١).



الحديث الرابع

٦٥٠ ـ عَنْ أَبِـي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَبَسُّمُكَ فِـي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَإِرْشَادُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّلَالِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الحَجَرَ وَالشَّوْكَةَ وَالْعَظْمَ عَنِ الطَّرِيقِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَإِفْرَاغُكَ مِنْ دَلْوِكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب[1].

(**عن أبي ذَرٍّ**) أيضًا (ﷺ، **قال: قال رسولُ الله ﷺ: تبسُّمُك في وجه أخيك**) المسلمِ (**لك صدقةٌ**)؛ يعني: إظهارك له البشاشةَ والبِـشر إذا لَقيتـه تؤجرُ على الصدقة، والتبسُّمُ دون الضحك، ويقال: هو الضحك بلا صـوت، وقيل: ظهور الأسنان بلا صوت، والضحك: ظهورها مع صوت لا يُـسمع من بُعد، فإن سُمع من بعد، فقهقهة.

يقال: بَسَم ـ بالفتح ـ يبسم بسمًا، فهو باسم، وابتسم، وتبسم، والمبسم: الثغر، ورجل مبسام: كثير التبسم.

(**وأمرُك بالمعروف**)؛ أي: بما عرفه الشرع بالحسن، (**ونهيـك عـن**

---

(١) رواه الترمذي (١٩٥٦).

المنكر)؛ أي: ما أنكره الشرع وقبَّحه، **(صدقةٌ)** تُثاب عليها، **(وإرشادُك)**؛ أي: دلالتك وهدايتك، **(الرجل)**؛ أي: الشخص، **(في أرض ضلال)**؛ أي: في برية الفلاة؛ كما هو في لفظ: «في أرض فلاة» بدل (ضلال)[1]، **(لك صدقة)** تثاب عليها.

(وإماطتك)؛ أي: إزالتك وتنحيتك **(الحجرَ والشوكة والعظم عن الطريق)** المسلوكِ، أو المتوقع السلوك **(لك صدقة)** تؤجرُ عليها، **(وإفراغُك)**؛ أي: صَبُّك **(من دلْوك)** بفتح الدال المهملة وسكون اللام: واحد الدلاء الذي يُستسقى بها، **(في دلو أخيك لك صدقة)**، وتقدم من هذا ما لعله يشفي ويكفي.

وفيه: إشعارٌ إلى أن العزلة، وإن كانت فاضلة، إلا أنه لا ينبغي للإنسان أن يكون وحشيًّا نافرًا، بل يقوم بحق الحق، وحقوقِ الخلق.

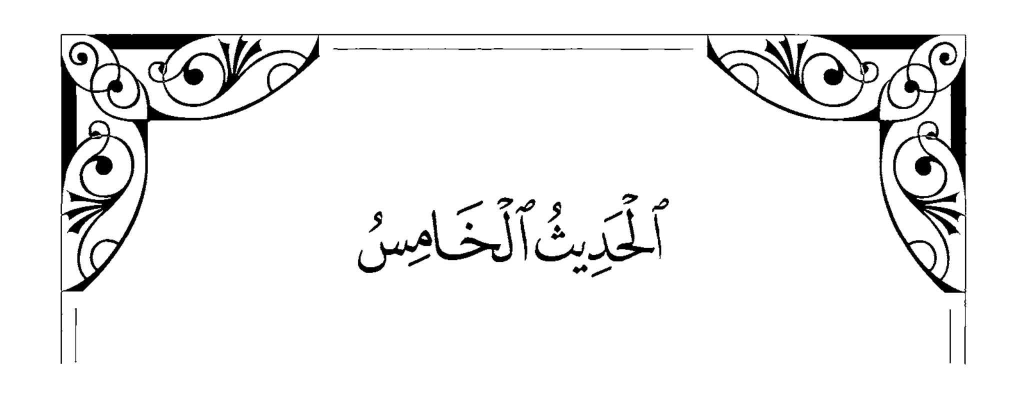
(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب)، ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان، وغيرهم[2].

* * *

---

(١) أورد الديلمي في «الفردوس» (٦٤٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ: مشيك مع أخيك في أرض فلاة صدقة.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٨٩١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٩)، وتقدم تخريجه عند الترمذي.



الحديث الخامس

٦٥١ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ شَـجَرَةً كَانَتْ تُؤْذِي المُـسْلِمِينَ، فَجَـاءَ رَجُـلٌ فَقَطَعَهَـا فَـدَخَلَ الْجَنَّـةَ». رواه مسلم[1].

(عن أبي هريرةَ) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ﷺ): **أن رسـول الله ﷺ قـال: إن شجرة)** ذاتَ شوك **(كانت)** تلك الشجرةُ في طريـق المـسلمين **(تـؤذي)** بشوكها **(المسلمين)** المارين بها، **(فجاء رجل)** من المسلمين، **(فقطعها)**، وقطع أذاها عن المسلمين، فشكر الله تعالى صنعه، **(فدخل)** به **(الجنـة)** التـي هي دار المتقين، ومحلُّ رحمة رب العالمين.

(رواه مسلم) في «صحيحه».

قال الإمام النووي: هذه الأحاديث المذكورة ظاهرة فـي فـضل إزالـة الأذى، سواء كان الأذى شجرة تؤذي، أو غصن شوك، أو حجر يعثـر بـه، أو قذر، أو جيفة، أو غير ذلك، وتقدم أن إماطة الأذى عن الطريق مـن شـعب الإيمان[2].

---

(١) رواه مسلم (١٩١٤/ ١٣٠).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١٧١).

وقدمنا في شرح الحديث الأول من هذا الباب من حديث أبي هريـرة ﷺ عند مسلم في رواية: أن النبي ﷺ قال: «رأيت رجلًا يتقلب فـي الجنـة فـي شجرة قطعها من ظهر الطريق»[1]؛ أي: يتنعم في الجنة بملاذها بـسبب قطعـه الشجرة.

وروى الطبراني في «معجمه الكبير» عن المستنير بن أخضرَ بنِ معاويـةَ، عن أبيه قال: كنت مع معقل بن يسار ﷺ في بعض الطرقات، فمررنـا بـأذًى، فأماطه، أو نحّاه عن الطريق، فرأيت مثله، فأخذ بيدي وقال: يا ابن أخـي! ما حملك على ما صنعت؟ قلت: يا عم! رأيتك صنعتَ شيئًا، فصنعتُ مثلـه، فقال: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «من أماط أذى من طريـق المـسلمين، كتبت له حسنة متقبلة، ومن تقبلت منه حسنة، دخل الجنة»[2].

ورواه البخاري في «الأدب المفرد» عن المستنير بن أخضر بن معاوية ابن قرة عن جده[3].

قال الحافظ المنذري: وهو الصواب[4].

وروى الطبراني في «الكبير» أيضًا، ورواته ثقات عن أبي شـيبة الهـروي قال: كـان معـاذ ﷺ يمشي، ورجل معه، فرفع حجرًا من الطريق، فقال: ما هذا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رفع حجرًا مـن الطريـق،

---

(١) رواه مسلم (١٩١٤/ ١٢٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٢١٦).

(٣) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٣).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٧٨).

كتبت له حسنة، ومن كانت له حسنة، دخل الجنة»[1].

ورواه في «الأوسط» من حديث أبي الدرداء ﵁، إلا أنه قال: «من أخرج من طريق المسلمين شيئًا يؤذيهم، كتب الله له حسنة، ومن كتب له عنده حسنة، أدخله بها الجنة»[2]. والله تعالى الموفق.

❐ ❐ ❐

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٥): رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٢)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٥): وفيه أبو بكر بن أبي مريم، وهو ضعيف.



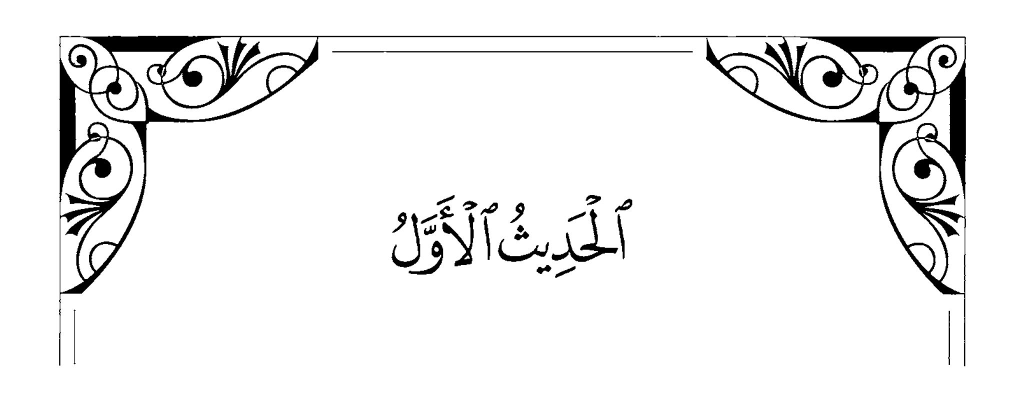
بَابُ (فَضْلِ ٱلْإِصْلَاحِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ) وَفَضْلِ قَضَاءِ حَوَائِجِ ٱلْإِخْوَانِ وَفَضْلِ زِيَارَتِهِمْ

(قال الله ﷻ: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ﴾)؛ أي: تناجيهم مما يديرونه بينهم (﴿إِلَّا﴾) نجوى (﴿مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ﴾)؛ أي: حثَّ عليها؛ حيث لم يكن له مال يتصدّق به على الفقراء والمساكين من المسلمين، (﴿أَوْ﴾) أمر بـ (﴿مَعْرُوفٍ﴾)، وهو كلُّ ما يستحسنه الشرع، ويأمر به، ويحث عليه، ويوعد عليه الثواب من جميع أنواع أعمال البر، (﴿أَوْ﴾) أمر بـ (﴿إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾) من المسلمين، (﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾) المذكورَ (﴿ٱبْتِغَآءَ﴾)؛ أي: طلبَ (﴿مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾) ﷻ؛ أي: رضاه، (﴿فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ﴾) قرأ أبو عمرو، وحمزة بالتحتية، وقرأ الباقون بالنون[1]، (﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾).

وقد ذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الباب خمسة أحاديث.

* * *

(١) انظر: «التيسير في القراءات السبع» لأبي عمرو الداني (ص: ٩٧).



الحديث الأول

٦٥٢ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَفْضَلَ مِنْ دَرَجَةِ الصِّيَامِ وَالصَّلَاةِ وَالصَّدَقَةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «إِصْلَاحُ ذَاتِ البَيْنِ، وَفَسَادُ ذَاتِ البَيْنِ الحَالِقَةُ». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

(**عن أبي الدرداء**) عُويمرِ بنِ عامرٍ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل صلاة الضحى)، (**قال: قال رسول الله ﷺ: ألا**): أداة استفتاح وعرض، (**أخبركم**) معشرَ الصحابة فمَنْ بعدكم من سائر الأمة من المسلمين (**بـ**) درجةٍ هي (**أفضل من**) درجة (**الصيام**) النفل، (**و**) درجة (**الصلاة، و**) درجة (**الصدقة**)؛ يعني: النوافل الكثيرات المستمرات من ذلك كله؟ (**قالوا**)؛ أي: قال من كان الخطاب معهم من الصحابة، أو بعضهم: (**بلى يا رسول الله**)، أخبرْنا بذلك صلى الله وسلم عليك؛ فإنا نرغب إليك في بيان ذلك، ودلالتنا على ما هو أفضلُ من الصيام والصلاة والصدقة، (**قال**) ﷺ: الأفضل من ذلك كلِّه (**إصلاحُ ذات البيْن**)؛ أي: بين المسلمين، وكشفُ التشاحن عنهم، ورفعُ الفساد من بينهم.

---

(١) رواه أبو داود (٤٩١٩) والترمذي (٢٥٠٩).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﵁: قال رسولُ الله ﷺ: «يعدل بين الاثنين صدقة»[(١)].

قال الحافظ المنذري: أي: يصلح بينهما بالعدل. انتهى[(٢)].

قال ﷺ: **(وفسادُ ذات البينِ الحالقةُ)**: قال في «المطالع»: يصلح ذات بينهم، ذاتُ الشيء: نفسُه وحقيقتُه، قال: وتكون ذات دعمًا للكلام؛ كقولهم: ذات يوم، وذات ليلة، قال: وذات بينهم من هذا؛ أي: الذي هو وصلُهم وأُلفتهم، والبين: الوصل والألفة. انتهى[(٣)].

(رواه أبو داود، والترمذي، وقال) الترمذي: **(حديث حسن صحيح)**، ورواه الإمام أحمد، وابن حبان في «صحيحه»[(٤)].

قال الترمذي: ويروى عن النبي ﷺ: أنه قال: «هي الحالقة، لا أقول: تحلق الشعر، ولكن تحلق الدين»[(٥)]؛ أي: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين وتستأصله كما يستأصلُ الموسى الشعر.

وروى أبو داود عن أم كلثوم بنتِ عقبةَ بنِ أبي مُعَيط ﵂: أن النبي ﷺ

---

(١) رواه البخاري (٢٩٨٩)، ومسلم (١٠٠٩).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٢٠).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (٣/ ٨٦ ـ ٨٧).

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٠٩٢)، وتقدم تخريجه عند أبي داود والترمذي.

(٥) انظر: «سنن الترمذي» (٤/ ٦٦٣)، والحديث المذكور رواه الترمذي (٢٥١٠) من حديث الزبير بن العوام ﵁.

قال: «لم يكذب من نمى بين اثنين لِيصلح»، وفي رواية: «ليس بالكاذب من أصلح بين الناس، فقال خيرًا، أو نمى خيرًا»[1].

قلت: وهو في الصحيحين عنها، ولفظه: أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس، فينمي خيرًا، أو يقول خيرًا»[2].

ولفظ مسلم: «ليس الكاذب»[3].

وبه ترجم البخاري[4]، أي: ليس بذي كذب؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فصلت: ٤٦]؛ أي: وما ربك بذي ظلم؛ فإن نفي الظالميَّة لا يستلزم كونه ظالمًا، فلذلك يقدر كذا؛ لأن الله لا يظلم مثقال ذرة؛ يعني: ليس عنده ظلم أصلًا.

قوله: (أو نمى خيرًا)، قال الحافظ المنذري: يقال: نميتُ الحديثَ بتخفيف الميم: إذا بلَّغته على وجه الإصلاح، وبتشديدها: إذا كان على وجه إفساد ذات البين، ذكر ذلك أبو عبيد، وابن قتيبة، والأصمعي، والجوهري، وغيرهم[5]. انتهى.

---

(١) رواهما أبو داود (٤٩٢٠).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٢)، ومسلم (٢٦٠٥).

(٣) في «صحيح مسلم» (٨/ ٢٨ ـ الطبعة التركية): «ليس الكذاب».

(٤) انظر: «صحيح البخاري» (٣/ ١٨٣)، وفيه: «باب: ليس الكاذب الذي يصلح بين الناس».

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٢٠).

وكذا ذكره ابن الأثير في «النهاية»، ثم قال: وقال الحربي: (نمى) مشددة، وأكثر المحدثين يقولونها مخففة، قال: وهذا لا يجوز، ورسولُ الله ﷺ لم يكن يلحن، ومن خففه لزمه أن يقول: خيرٌ بالرفع.

وهذا ليس بشيء؛ فإنه ينتصب بـ (نمى) كما انتصب بـ (قال)، وكلاهما ـ على زعمه ـ لازمان، وإنما (نمى) متعدٍّ، يقال: نميت الحديث؛ أي: رفعته وأبلغته[1].

وفي «معجم الطبراني» من حديث عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «أفضلُ الصدقة إصلاحُ ذاتِ البين»[2].

قال الحافظ المنذري: وهذا الحديث حسن بحديث أبي الدرداء المتقدم[3].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال لأبي أيوب: «ألا أدلك على تجارة؟» قال: بلى، قال: «صِلْ بين الناس إذا تفاسدوا، وقرِّب بينهم إذا تباعدوا»، رواه البزار[4].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ١٢٠).

(٢) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٠) وقال: رواه الطبراني والبزار، وفيه عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، وهو ضعيف. ولم نقف عليه في المطبوع من مصنفات الطبراني، ورواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٢٠٥٩).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٢١).

(٤) رواه البزار في «مسنده» (٦٦٣٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وقال: وهذا الحديث لا نعلم يروى عن أنس إلا من هذا الوجه، ولا نعلم حدث به عن حميد إلا عبدالله بن عمر، ولا حدث به عنه إلا عبد الرحمن ابنه، وعبد الرحمن لين =

والطبراني وعنده: «ألا أدلك على عمل يرضاه الله ورسوله؟» قال: بلى . . . فذكره[1].

ورواه الطبراني ـ أيضًا ـ، والأصبهاني من حديث أبي أيوب ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا أيوب! ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله؟ تصلح بين الناس إذا تباغضوا وتفاسدوا»، هذا لفظ الطبراني[2].

ولفظ الأصبهاني: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلك على صدقة يحب الله موضعها؟» قال: قلت: بلى بأبي أنت وأمي، قال: «تصلح بين الناس؛ فإنها صدقة يحبّ الله موضعَها»[3].

وروى الأصبهاني من حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «من أصلح بين الناس، أصلح الله أمره، وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتقَ رقبة، ورجع مغفورًا له ما تقدم من ذنبه»[4]. والله أعلم.

* * *

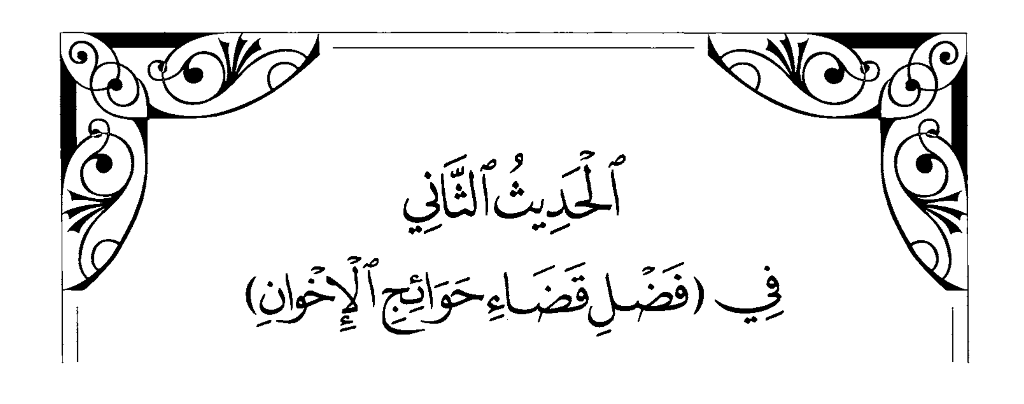
= الحديث، وقد حدث بأحاديث لم يتابع عليها. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٠): وفيه عبد الرحمن بن عبدالله العمري، وهو متروك.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٩٩٩) من حديث أبي أمامة ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٠): وعبدالله بن حفص صاحب أبي أمامة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٢٢) من حديث أبي أيوب ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٧٩): وفيه موسى بن عبيدة، وهو متروك.

(٣) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨٠).

(٤) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٨٦).



الحديث الثاني
في (فضل قضاء حوائج الإخوان)

٦٥٣ ـ عَنْ عبدِالله بنِ عُمَرَ ﷺ قالَ: قالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». أخرجه البخاري ومسلم، وهذا لفظه[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ (عبدِالله بنِ) أمير المؤمنين (عمرَ) بنِ الخطاب (ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المسلم أخو المسلم)؛ لأنه يجمعهما دين واحد، وهو مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠]، فإذا كان المؤمنون إخوة، أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف القلوب واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر القلوب واختلافها؛ فإن الأخ من شأنه أن يوصل إلى أخيه النفع، ويكفَّ عنه الضر، ومن أعظم الضر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم: الظلم، ومن ثَمّ قال ﷺ: (لا يظلمه)؛ أي: لا يُدخل عليه ضررًا في نفسه، أو دينه، أو عرضه، أو ماله من غير أمر شرعي؛

(١) رواه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

لأن ذلك قطيعة محرمة تنافي أخوة الإسلام، بل لا يختص منع الظلم بالمسلم، بل هو حرام في حق الذمي ونحوه.

ومر في حديث أبي ذر ﷺ الإلهي: «يا عبادي! إني حَرّمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تَظالموا»[1].

ومن ذلك: خذلانُ المسلم لأخيه المسلم، وهو المعبر عنه بقوله ﷺ: (**ولا يُسْلمه**)؛ أي: يترك نصرتَه المشروعة، ولا سيما مع الاحتياج والاضطرار إليها؛ لأن من حقوق أُخوة الإسلام التناصرَ؛ فإن المؤمن مأمور أن ينصر أخاه؛ كما قال النبي ﷺ: «انصرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل: يا رسول الله! أنصرُه مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه عن الظلم، فذلك نصرُك إياه»، خرجه البخاري بمعناه من حديث أنس ﷺ[2]، وخرجه مسلم بمعناه من حديث جابر ﷺ[3].

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند مسلم في «صحيحه» أنه ﷺ قال: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا...» الحديث، وفيه: «وكونوا عبادَ الله إخوانًا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا ـ ويشير إلى صدره ثلاث مرات ـ، بحسب امرئ من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلمِ على المسلم حرام،

(١) تقدم الحديث برقم (٦٢٥).

(٢) رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٣) رواه مسلم (٢٥٨٤).

دمُه وماله وعرضه»[١]، ورواه الترمذي[٢].

وخرج الإمام أحمد من حديث واثلَة بنِ الأسقعِ عن النبيِّ ﷺ: «كلُّ المسلم على المسلم حرام، دمُه وعرضه وماله، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله»[٣].

وخرج أبو داود من حديث أبي طلحةَ الأنصاريِّ، وجابرِ بنِ عبدالله رضي الله عنهم عن النبيّ ﷺ قال: «ما من مسلم يخذل امرأً مسلمًا في موضع تُنتهك فيه حرمتُه، ويُنتقص فيه من عرضه، إلا خذله الله في موطنَ يحبُّ فيه نصرته...» الحديث[٤].

ويأتي بتمامه في المتن في: (فضل مَنْ ردّ عن عرض أخيه)[٥]، وسنذكر هناك ما يناسب المقام، ويليق به.

قال ﷺ: **(من كان في حاجة أخيه)** المسلم، **(كان الله في حاجته)**، وهذا كما قال الحافظ ابن رجب: يرجع إلى أن الجزاء من جنس العمل، وقد تكاثرت النصوص بهذا المعنى[٦].

قال: ومن أنواع الصدقة: المشي بحقوق الآدميين الواجبة إليهم.

---

(١) رواه مسلم (٢٥٦٤/ ٣٢).

(٢) رواه الترمذي (١٩٢٧) وقال: حديث حسن غريب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٩١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٧٢): رواه أحمد، ورجاله ثقات.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٨٤).

(٥) سيأتي الحديث برقم (٦٨٢).

(٦) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٣٨).

قال ابن عباس رضي الله عنهما: من مشى بحق أخيه إليه ليقضيه، فله بكل خطوة صدقة[1].

وأخرج الطبراني من حديث أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «أفضل الأعمال إدخالُ السرور على المؤمن؛ كسوتَ عورته، أو أشبعتَ جوعته، أو قضيت له حاجة»[2].

ويعث الحسن البصري قومًا من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البناني، فخذوه معكم، فأتوا ثابتًا، فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه، فقال: قولوا له: يا أعمش! أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك خيرٌ لك من حجة بعد حجة؟ فرجعوا إلى ثابت، فترك اعتكافه، وذهب معهم[3].

وكان ﷺ إذا جاءه طالبُ حاجة، أقبل بوجهه على أصحابه، وقال: «اشفعوا تؤجروا»، رواه الشيخان بمعناه[4]، وجاء في لفظ: «فلتؤجروا»[5].

قال في «الفتح»: وينبغي أن تكون هذه اللام مكسورة؛ لأنها لامُ (كي)،

---

(١) المرجع السابق (ص: ٢٤٩)، والأثر المذكور رواه المروزي في «البر والصلة» (٣١٩).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٠٨١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٠): وفيه محمد بن بشير الكندي، وهو ضعيف.

(٣) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٣٤١).

(٤) رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه.

(٥) في الأصل: «فليؤجروا»، والتصويب من «صحيح مسلم» (٢٦٢٧).

وتكون الفاء زائدة، كما زيدت في حديث: «قوموا فلأصلي لكم»، فمعنى الحديث: اشفعوا كي تؤجروا.

قال: ويحتمل أن تكون لام الأمر، والمأمور به التعرضُ للأجر بالشفاعة، فكأنه قال: اشفعوا تتعرضوا بذلك للأجر، وتكسر هذه اللام على أصل لام الأمر، ويجوز تسكينها تخفيفًا لأجل الحركة التي قبلها.

قال: ووقع في رواية أبي داود: «اشفعوا لتؤجروا»(١)، وهو يقوي أن اللام للتعليل، وجوز الكرماني أن تكون الفاء سببية، واللام بالكسر، ويحتمل أن تكون زائدة على رأي، أو عاطفة على (اشفعوا)، واللام لام الأمر، أو على مقدر؛ أي: اشفعوا لتؤجروا، ولفظ: (اشفعوا تؤجروا) في تقدير: إن تشفعوا تؤجروا، والشرط يتضمن السببية، فإذا أتي باللام، وقع التصريح بذلك.

وقال الطيبي: الفاء واللام زائدتان للتأكيد؛ لأنه لو قيل: (اشفعوا تؤجروا)، صح؛ أي: إذا عرض المحتاج حاجته عليَّ، فاشفعوا له إلي؛ فإنكم إن شفعتم، حصل لكم الأجر، سواء قُبلت شفاعتكم، أم لا، «ويُجري الله على لسان نبيه ما شاء»(٢)؛ أي: من موجبات قضاء الحاجة وعدمها؛ أي: إن قضيتُها، أو لم أقضها، فهو بتقدير الله تعالى وقضائه(٣).

---

(١) رواه أبو داود (٥١٣١) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ بلفظ: «اشفعوا إلي لتؤجروا».

(٢) وهو تتمة الحديث المتقدم: «اشفعوا تؤجروا». رواه البخاري (١٤٣٢)، ومسلم (٢٦٢٧)، من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٥٠ ـ ٤٥١).

وروى الطبراني في «الأوسط»، والحاكم وقال: صحيح الإسناد عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «من مشى في حاجة أخيه، كان خيرًا له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يومًا ابتغاءَ وجه الله، جعل الله بينه وبين النار ثلاثَ خنادقَ، كلُّ خندق أبعدُ مما بين الخافقين»[1].

ولفظ الحاكم: «لأَنْ يمشي أحدكم مع أخيه في قضاء حاجته ـ وأشار بإصبعه ـ أفضلُ من أن يعتكف في مسجدي هذا شهرين»[2].

وروى الطبراني بسند رجاله ثقات عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام في حاجة أخيه»[3]، وتقدم من ذلك طرف صالح.

(ومن فرج عن) عبدٍ **(مسلمٍ كُربةً)** بالضم، مشتقة من الكَرب بالفتح، وهو الحزن يأخذ بالنفس، والجمعُ كروب، وكربَهُ الغم، فاكتربَ، فهو مكروب، وكريب.

(فرج الله) عَزَّ وَجَلَّ **(عنه)**؛ أي: عن المفرج الكربة عن أخيه المسلم، **(بها)**؛ أي: بسبب تفريجها وكشفها عن أخيه، **(كُرْبة)** بضم الكاف وسكون الراء، **(من كُرَب)** بضم الكاف وفتح الراء: جمع كربة، **(يومِ القيامة)** العظمى.

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣٢٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٢): إسناده جيد.

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٦).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٨٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٩٣): رجاله ثقات.

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: في هذا: فضلُ إعانة المسلم، وتفريج الكرب عنه، ويدخل في كشف كُربه وتفريجها مَنْ أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته.

قال: والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته ورأيه ودلالته[1].

(ومن ستر مسلمًا، ستره الله) ﷻ **(يومَ القيامة)**.

قال النووي: فيه: فضل ستر زلات المسلم، ثم قال: والستر المندوب إليه المراد به: الستر على ذوي الهيئات ونحوهم؛ ممن ليس معروفًا بالأذى والفساد، فأما المعروف بذلك، فيستحب أن لا يستر عليه، بل يرفع قضيته إلى ولي الأمر، إن لم يخفْ من ذلك مفسدة؛ لأن الستر على مثل هذا يُطمعه في الإيذاء والفساد، وانتهاك الحرمات، وجسارة غيره على مثل فعله.

هذا كله في مثل ستر معصية وقعت وانقضت، أما معصية رآه عليها، وهو بعدُ متلبسٌ بها، فتجب المبادرة بإنكارها عليه، ومنعه منها متى قدر على ذلك، ولا يحل تأخيرها، فإن عجز، لزمه رفعُها إلى ولي الأمر إذا لم يترتب على ذلك مفسدة.

وأما جرحُ الرواة والشهود، والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب جرحهم عند الحاجة، ولا يحل الستر إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة[2].

قال النووي: وهذا مجمع عليه.

---

(١) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١٣٥).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

قال العلماء رضي الله عنهم في القسم الأول الذي يستر فيه: هذا الستر مندوب، فلو رفعه إلى السلطان ونحوه، لم يأثم بالإجماع، لكن خلاف الأولى، وقد يكون في بعض صوره ما هو مكروه. انتهى[١].

(أخرجه البخاري، ومسلم، وهذا لفظه)؛ أي: لفظ مسلم، ورواه أبو داود[٢].

وزاد فيه رزين العبدري: «ومن مشى مع مظلوم حتى يثبت له حقه، ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الأقدام»[٣].

قال الحافظ المنذري: لم أرَ هذه الزيادة في شيء من أصوله، وإنما رواه ابن أبي الدنيا، والأصبهاني، والنسائي[٤].

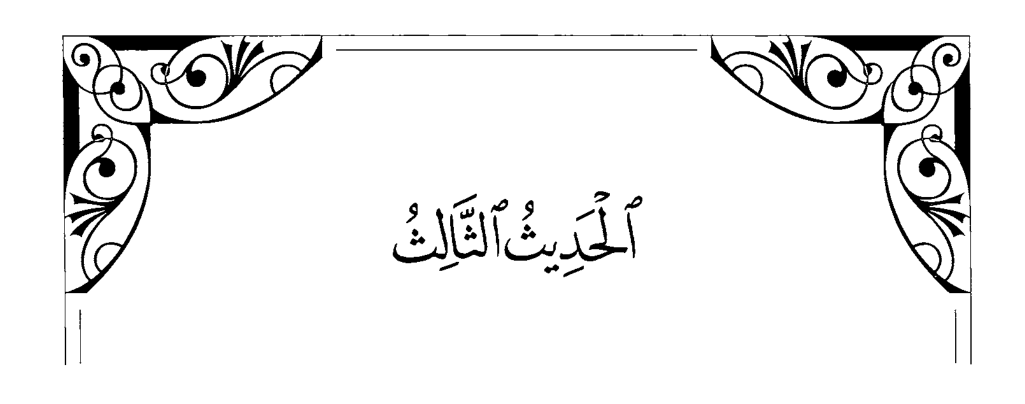
* * *

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) رواه أبو داود (٤٨٩٣)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.

(٣) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٦/ ٥٦١).

(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٦٢)، وفيه: «كما سيأتي» بدل «والنسائي»، والخبر المذكور رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٥١) عن رجاء بن حيوة عن آتٍ أتاه لم يره من قبلُ ولا بعد. ورواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١١٦٢) من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا، ولم نقف عليه عند النسائي.



الحَدِيثُ الثَّالِثُ

٦٥٤ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَـةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْـهِ فِـي الـدُّنْيَا وَالآخِـرَةِ، وَمَـنْ سَـتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْـدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ». رواه مسلم[1].

(**عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: مـن**)؛ أي: أي شـخص مسلم (**نفَّس**)؛ أي: فَرَّج (**عن مؤمن كربةً**)؛ أي: شدة (**من كُرب الـدنيا**)، سواء كانت في بدنه، أو ماله، أو ولده، أو في غير ذلك، (**نفس الله عنه كربـة**) عظيمةً (**من كُرب يوم القيامـة**) وأهوالـه؛ لأن الجـزاء مـن جـنس العمـل، (**ومن يسر**)؛ أي: سَهَّل ولانَ في الطلب، وفسح له في المدة، وتغافل عن الإلحاح في الطلب، بل سهل (**على معسر**) بالدَّين الذي عليه، (**يـسر الله عليـه**) صعابَ أموره (**في الدنيا والآخرة**) جزاء لما عامل به عباده من اليسر، وعدمِ التشديد.

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).

(ومن ستر مسلمًا)؛ بأن اطَّلع له على زلة أو زلات، فسترها عليه، ولم يُفْشِها، ولم يفضحه بها على رؤوس الأشهاد، (ستره) الله (في الدنيا)؛ بأن لا يُطلع الناسَ على عيوبه وزلاته، أو إذا اطلعوا، ستروا عليه بتوفيق الله وإلهامه، (و) ستره؛ أي: أسبلَ السترَ عليه في (الآخرة)، فلم يفضحه، ولم يُطلع على زلاته وذنوبه أحدًا جزاء وفاقًا.

(والله) ﷻ (في عون العبد) بالحفظ والإعانة، وتسديد الأمور والصيانة (ما كان)؛ أي: مدةَ دوامِ كونِ العبد (في عون أخيه) المسلمِ.

(رواه مسلم)، وكذا أصحاب السنن الأربع، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما[1].

*** فائدتان:**

الأولى: سئل شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: ما السبب في أن الفرج يأتي عند انقطاع الرجاء بالخلق، وما الحيلة في صرف القلب عن التعلق بهم، وتعلقه بالله ﷻ؟

فقال: سبب هذا تحقيقُ التوحيد: توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية، فتوحيد الربوبية: أنه لا خالق إلا الله ﷻ، فلا يَستقلُّ شيء سواه بإحداث أمر من الأمور، بل ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، وكل ما سواه إذا قدر شيئًا، فلا بد له من شريك معاون، وضد مصرف[2].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٤٦)، والترمذي (١٩٣٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٨٨)، وابن ماجه (٢٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٥٩)، وتقدم تخريجه عند مسلم.

(٢) في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣١): «معوق».

فإذا طلب مما سواه إحداثَ أمر من الأمور، طلب منه ما لا يستقل به، ولا يقدر وحده عليه... إلى أن قال: والراجي مخلوق طالب بقلبه لما يريده من ذلك المخلوق، وذلك المخلوق عاجز عنه.

ثم هذا من الشرك الذي لا يغفره الله، فمن كمالِ نعمته وإحسانه إلى عباده أن يمنع تحصيل مطالبهم بالشرك؛ حتى يصرف قلوبهم إلى التوحيد، ثم إن وَحّده العبدُ توحيدَ الإلهية، حصلت له سعادة الدنيا والآخرة... إلى أن قال: فمن تمامِ نعمة الله على عباده المؤمنين: أن ينزل بهم من الشدة والضر ما يُلجئهم إلى توحيده، فيدعونه مخلصين له الدين، ويرجونه لا يرجون سواه، وتتعلق قلوبهم به لا بغيره، فيحصل لهم التوكل عليه، والإنابة إليه، وحلاوة الإيمان، وذوق طعمه، والبراءة من الشرك ما هو أعظمُ نعمة عليهم من زوال المرض والخوف والجدب، أو حصول اليسر وزوال العسر في المعيشة؛ فإن ذلك لذة بدنية، ونعمة دنيوية قد يحصل للكافر منها أعظمُ مما يحصل للمؤمن.

وأما ما يحصل لأهل التوحيد المخلصين، فأعظمُ من أن يعبر عنه مقال، أو يستحضر بفضله[1] بال، ولكل مؤمن من ذلك نصيب بقدر إيمانه، ولهذا قال بعض السلف: يا ابن آدم! لقد بورك لك في حاجة أكثرتَ فيها من قرع باب سيدك[2].

وأطال ـ روَّح الله روحه ـ المجال إلى أن قال: وفي الصحيحين عن ابن

---

(١) في «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٣٣٣): «تفصيله».

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٣٣١ ـ ٣٣٣).

عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقول عندَ الكرب: «لا إله إلا الله الحليمُ العظيم، لا إله إلا الله ربُّ العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات السبع والأرض ربُّ العرش العظيم»[1].

وروى أبو داود عن أبي بكرة[2] رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «دعوة المكروب: اللهمَّ رحمتك أرجو، فلا تكلني إلى نفسي طرفة عين، وأصلح لي شأني كلَّه، لا إله إلا أنت»[3].

الفائدة الثانية: كما يشرع للمسلم سترُ زلات أخيه المسلم، يشرع لكل مسلم سترُ زلات نفسِه، فيستر المسلم على نفسه إذا وقع منه ما يعاب.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «اجتنبوا هذه القاذورات التي نهى الله عنها، فمن ألمّ بشيء منها، فليستتر بستر الله، وليتب إلى الله؛ فإنه من يُبْدِ لنا صفحته، نُقِمْ عليه كتابَ الله»، رواه أبو داود، والبيهقي، وأخرجه الحاكم[4]، وهو في «الموطأ» من مرسل زيدِ بنِ أسلمَ[5].

قال ابن بطال: في الجهر بالمعصية استخفافٌ بحقّ الله ﷻ ورسوله،

---

(١) المرجع السابق (١٠/ ٢٥٩ ـ ٢٦٠)، والحديث المذكور رواه البخاري (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠) بنحوه.

(٢) في الأصل: «بكر الصديق»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٠).

(٤) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (٨/ ٣٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٦١٥)، ولم نقف عليه عند أبي داود.

(٥) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٨٢٥).

وبصالحي المؤمنين، وفيه ضرب من العناد لهم، وفي الستر بها السلامةُ من الاستخفاف؛ لأن المعاصي تُذل أهلها، ومن إقامة الحدّ عليه إن كان فيه حد، ومن التعزير إن لم توجب حَدًّا.

وإذا تمحض حقّ الله، فهو أكرمُ الأكرمين، ورحمته سبقت غضبه، فلذلك إذا ستره في الدنيا، لم يفضحه في الآخرة، والذي يجاهر يفوته جميع ذلك[1].

وفي الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى للعبد يوم القيامة: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيلتفت العبد يمنة ويسرة، فيقول الله ﷻ له: لا بأس عليك، إنك في ستري، لا يطلع على ذنوبك غيري»[2].

قال المهلب: في الحديث تفضل الله على عباده؛ لستره لذنوبهم يوم القيامة، وأنه يغفر ذنوب من شاء منهم.

والحاصل: أن العصاة المؤمنين يوم القيامة على قسمين:

أحدهما: من معصيتُه بينه وبين ربه، ودلّ الحديث على أن هذا القسم على قسمين: قسم تكون معصيته مستورة في الدنيا، فهذا يسترها الله عليه في القيامة؛ كما هو منطوق الحديث.

---

(١) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٦٣ ـ ٢٦٤)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٨٧).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما بنحوه، ولفظ البخاري: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيعطى كتاب حسناته».

وقسم تكون معصيته مجاهرة، فدلّ مفهوم الحديث على أنه بخلاف ذلك.

والقسم الثاني: من تكون معصيته بينه وبين العباد، فهم على قسمين ـ أيضًا ـ:

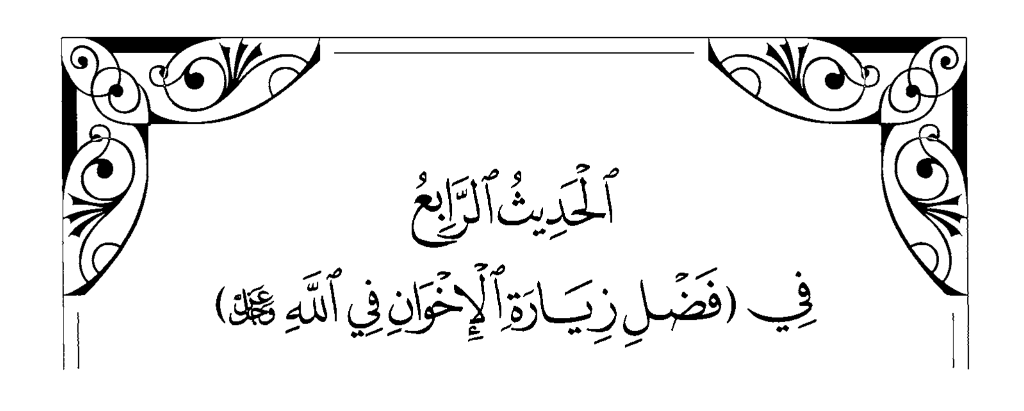
قسم ترجح سيئاتهم على حسناتهم، فهؤلاء يقعون في النار، ثم يخرجون بالشفاعة.

وقسم تتساوى حسناتهم وسيئاتهم، فهؤلاء لا يدخلون الجنة حتى يقع بينهم التقاصّ؛ كما دل عليه حديث أبي سعيد[1]، والحقُّ ـ جل شأنه ـ يفعل ما يشاء، ويغفر لمن يشاء من المؤمنين. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه البخاري (٢٤٤٠).



الحديث الرابع

في (فضل زيارة الإخوان في الله عز وجل)

٦٥٥ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللَّهُ لَهُ عَلَى مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَه عَلَيْك مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللَّهِ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكَ بِأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم[١].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (رضي الله عنه، **عن النبي ﷺ: أن رجلًا)** ممن كان قبلكم من الأمم المؤمنين بالله وبأنبيائهم المرسلين إليهم **(زار أخًا له)** في الله تعالى، وكان ذلك الأخ الصالح **(في قرية)** بفتح القاف وتكسر: المصر الجامع، والنسبة إليها: قَرِيّ، وقَروِيّ، والجمع قرى، وأَقرى: لزمها، والقاري: ساكنُها؛ كما في «القاموس»[٢].

وقوله: **(أخرى)**؛ أي: غير قريته التي هو ساكنها، **(فأرصد)**؛ أي: أقعدَ **(الله)** عز وجل **(على مَدَرجته)**؛ أي: طريقه، والمدرجة ـ بفتح الميم والراء ـ:

(١) رواه مسلم (٢٥٦٧).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قري).

هي الطريق، سميت بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها؛ أي: يمضون ويمشون، (**ملكًا**): مفعول (أرصد)؛ أي: أمر الله ﷻ ملكًا من ملائكته أن يقعد على طريق الرجل الزائر لأخيه في صورة آدمي، (**فلما أتى**) الرجل القاصدُ أن يزور أخًا له في قرية غير بلد الزائر (**عليه**)؛ أي: على الملك القاعد على الطريق في صورة رجل من بني آدم، سأله بأمر من الله ﷻ بأن (**قال له**)؛ أي: للزائر: (**أين تريد**) بسيرك في هذه الطريق؟ (**قال: أريد**)؛ أي: أقصد وأعمد (**أخًا لي في هذه القرية**) أزوره، وأسلم عليه، وأنظر إليه، (**قال**) الملك للرجل الزائر: (**هل له**)؛ أي: الذي تريد زيارته (**عليك من نعمة تَرُبُّها**)؛ أي: تقوم بإصلاحها، وتنهض إليه بسبب ذلك؟

وفي «النهاية»: تحفظها وتراعيها وتربيها؛ كما يربي الرجل ولده، يقال: ربَّ فلان ولده تربية، وربًا، وربيته، ورباه، كله بمعنى واحد. انتهى[1].

(**قال**) الرجل الزائر: (**لا**)؛ أي: لا نعمة له عليَّ أريد أن أربها، (**غير أني أحببته في الله**) ﷻ، لا لنعمة أرغب فيها، ولا لنقمة أحذرها وأتقيها، (**قال**) الملك للرجل الذي يريد زيارة أخيه في الله: أبشر؛ (**فإني رسولُ الله**) ﷻ (**إليك**) بأن أخبرك بما يفرحك وما يسرك: (**بأن الله**) سبحانه وتعالى (**قد أحبك**)؛ أي: رحمك ورضي عنك، وأراد لك الخير، وأن يفعل بك فعلَ المحب من الخير.

والمحبة في حق العباد: ميل القلب، وسيأتي الكلام عليها قريبًا، فدلّ

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ١٨٠).

هذا الحديث على فضيلة المحبة في الله تعالى، وأنها سبب لحب الله تعالى للعبد.

وفيه: فضيلة زيارة الإخوان الصالحين.

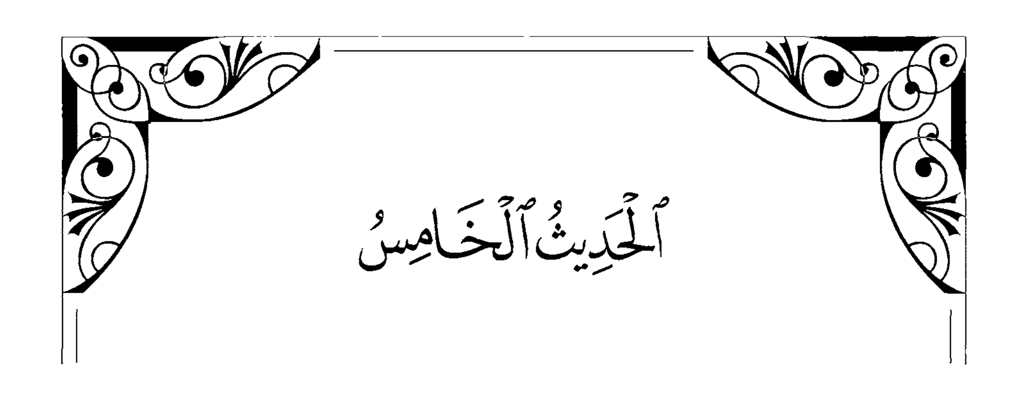
وفيه: أن الآدميين قد يرون الملائكة.

وقوله: **(كما أحببته)** أيها الزائر **(فيه)**؛ أي: في الله عز وجل.

(رواه مسلم) في «صحيحه»[1].

* * *

(1) تقدم تخريجه.



الحديث الخامس

٦٥٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ: أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا». رواه الترمذي وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث غريب[(١)].

(عن أبي هريرة) أيضًا **(ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من عاد مريضًا)**؛ أي: زاره، فالعيادة: زيارة المريض وافتقاده.

قال القاضي عياض: سميت عيادة؛ لأن الناس يتكررون؛ أي: يرجعون عَودًا لِبدء، يقال: عدت المريض عَودًا، وعيادة، فالياء منقلبة عن واو[(٢)]؛ كما في «المطلع» وغيره[(٣)]، وتقدم في (فضل عيادة المريض) من (كتاب الجنائز)[(٤)].

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٨) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (١٤٤٣).

(٢) انظر: «إكمال المعلم» (٨/ ٣٧)، و«مشارق الأنوار» (٢/ ١٠٥)، وكلاهما للقاضي عياض.

(٣) انظر: «المطلع على أبواب المقنع» للبعلي (ص: ١١٤).

(٤) تقدم الحديث برقم (١٥٨).

(أو زار أخًا له في الله) ﷻ غير مريض، **(ناداه)**؛ أي: نادى كل واحد من عائد المريض، ومن زائر الأخ في الله تعالى **(منادٍ)** من قِبل السماء بإذن الله جل وعلا: **(أن)**، وفي لفظ: (بأن)[1]، **(طبتَ)** بقصدك زيارةَ أخيك، وإرادتك تأكيدَ المحبة وتثبيت المودة، **(وطاب)**؛ أي: صلح ونجح **(ممشاك)**؛ لأنه في طاعة مولاك، ومن يعلم سرك ونجواك، **(وتبوأت)**؛ أي: اتخذت وهيأت لك **(من الجنة)** التي هي دار المتقين، ومحل رحمة أرحم الراحمين **(منزلًا)** تنزله وتسكنه، وتأوي إليه مع المنعَم عليهم في الدرجات العالية والنعيم المقيم.

(رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: حديث غريب).

قلت: بل قال الترمذي: حديث حسن، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[2].

قال في «الفتح»: حسنه الترمذي، وصححه ابن حبان[3].

قال: وله شاهد عند البزار من حديث أنس ﷺ بسند جيد[4]،

---

(١) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٤٧)، وعزاه لابن ماجه والترمذي وابن حبان، ولم نقف على هذا اللفظ في النسخ التي بين أيدينا من تلك المصنفات.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٩٦١)، وتقدم تخريجه عند الترمذي وابن ماجه.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) روى البزار في «مسنده» (٦٨٦٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ مرفوعًا: «ما تحاب اثنان في الله تبارك وتعالى إلا كان أفضلهما أشدهما حبًّا لصاحبه»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٦): رجاله رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثقه غير واحد على ضعف فيه.

وعند مالك[1].

وصححه ابن حبان من حديث معاذ بن جبل ﷺ مرفوعًا، ولفظه: «حقَّت محبتي للمتزاورين فيّ. . .» الحديث[2].

وأخرجه الإمام أحمد بسند صحيح من حديث كعب[3] بن مالك[4]، وعند الطبراني من حديث صفوان بن عسال ﷺ رفعه: «من زار أخاه المؤمن، خاض في الرحمة حتى يرجع». انتهى[5].

قلت: لفظ حديث أنس بن مالك ﷺ: عن النبي ﷺ قال: «ما من عبد أتى أخاه يزوره في الله، إلا ناداه منادٍ من السماء: أنْ طبتَ، وطابت لك الجنة، وإلا قال الله في ملكوت عرشه: عبدي زارني، وعليّ قراه، فلم يرض له بثواب دون الجنة»، رواه البزار، وأبو يعلى بإسناد جيد[6].

---

(١) روى الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٢) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون لجلالي؟ اليوم أظلُّهم في ظلِّي يوم لا ظلَّ إلا ظلِّي».

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٧).

(٣) في الأصل: «عتبان»، والتصويب من «مسند الإمام أحمد».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٦٠) بنحوه.

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٠٠)، والحديث المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» للهيثمي (٢/ ٢٩٨)، وقال: وفيه عبد الأعلى بن أبي المساور، وهو ضعيف. ولم نقف عليه في المطبوع من مصنفات الطبراني.

(٦) رواه البزار في «مسنده» (٦٤٦٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤١٤٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٣): رواه البزار وأبو يعلى، ورجال أبي يعلى =

وروى الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» من حديث أنس أيضًا ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم برجالكم في الجنة؟» قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «النبي في الجنة، والصدّيق في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة. . .» الحديث[1].

وفي «أوسط الطبراني» عن أبي رزين العقيلي ﷺ مرفوعًا: «يا أبا رزين! إن المسلم إذا زار أخاه المسلم، شيعه سبعون ألف ملك يصلّون عليه يقولون: اللهم كما وصله فيك، فصِلْه»[2]، أورده الحافظ المنذري بصيغة: (روي)[3]، وهي في اصطلاحه لما لم يتطرق إليه احتمالُ التحسين.

وروى الطبراني في «أوسطه» بسند نحو ما قبله عن بريدة بن الحصيب ﷺ مرفوعًا: «إن في الجنة غرفًا تُرى ظواهرها من بواطنها، وبواطنها من ظواهرها، أعدها الله للمتحابين فيه، والمتزاورين فيه، والمتباذلين فيه»[4].

= رجال الصحيح غير ميمون بن عجلان، وهو ثقة.

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٤٣)، و«المعجم الصغير» (١١٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٣١٢): وفيه إبراهيم بن زياد القرشي، قال البخاري: لا يصح حديثه، فإن أراد تضعيفه فلا كلام، وإن أراد حديثًا مخصوصًا فلم يذكره، وأما بقية رجاله فهم رجال الصحيح.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٢٠)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٣): وفيه عمرو بن الحصين، وهو متروك.

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٩٠٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٨): وفيه إسماعيل بن سيف، وهو ضعيف.

وروى الطبراني ـ أيضًا ـ بسند منقطع عن عون قال: قال عبدالله ـ يعني: ابن مسعود ﷺ ـ لأصحابه حين قدموا عليه: هل تجَالَسون؟ قالوا: لا نترك ذلك، قال: فهل تَزاورون؟ قالوا: نعم يا أبا عبد الرحمن؛ إن الرجل منا ليفقد أخاه، فيمشي على رجليه إلى آخر الكوفة حتى يلقاه، قال: إنكم لن تزالوا بخير ما فعلتم ذلك[1].

* **فوائد:**

الأولى: يُشرَع أن تكون زيارة الإخوان غِبًّا، والغِبُّ في نحو الادّهان: أن يدهن يومًا، ويدع يومًا؛ مأخوذ من غب الإبل.

قال الجوهري: هو أن ترد الماء يومًا، وتدعه يومًا، قال: وأما الغب في الزيارة، فقال الحسن: في كل أسبوع، «زر غبًّا، تزدد حبًّا»[2]. انتهى.

وفي «لامية ابن الوردي» من الشافعية:

غب وزر غبًّا تزدد حبًّا فمن

أكثرَ الترداد أضناه[3] الملل[4]

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٨٩٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٥): إسناده منقطع.

(٢) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: غبب)، والحديث المذكور رواه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٢٥٣٥) من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا، ورواه البزار في «مسنده» (٣٩٦٣) من حديث أبي ذر ﷺ مرفوعًا، وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٤٩٨): وقد ورد من طرق أكثرها غرائب، لا يخلو واحد منها من مقال.

(٣) في الأصل: «أصماه»، والتصويب من «شرح لامية ابن الوردي».

(٤) انظر: «فتح الرحمن الرحيم في شرح نصيحة الإخوان» للقناوي (ص: ٢١١).

قال شارحها الغزى: أي: غبْ عن صديقك برهة من الزمان ليحرك كل منكما الشوق إلى الآخر، اقتبس الحديث المشهور على الألسنة: «زر غبًّا تزددْ حبًّا»(١).

وقال في «النهاية»: وفيه؛ أي: الحديث: «زر غبًّا تزدد حبًّا»: الغب في ورود الإبل: أن ترد الماء يومًا، وتدعه يومًا، ثم تعود، فنقله إلى الزيارة، وإن جاء بعد أيام.

وقال الحسن: في كل أسبوع. انتهى(٢).

وفي «القاموس»: الغب بالكسر: عاقبة الشيء؛ كالمغبة بالفتح، وورود يوم وظمأ آخر، وفي الزيارة: أن تكون كل أسبوع، ومن الحمى: ما تأخذ يومًا، وتدع يومًا. انتهى(٣).

وفي «فروع العلامة ابن مفلح»: قد ذكر ابن الصيرفي الحراني في «نوادره» الشعر المشهور؛ يعني: في عيادة المريض، وهو:

لا تضجرنَّ عليلًا في مساءلةٍ
إن العيادة يوم بينَ يومينِ

بل سله عن حاله وادعُ الإله له
واجلسْ بقدر فُواق بين حَلبين

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٣٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غبب).

مـــن زار غبًّـــا أخًـــا دامـــتْ مودتـــه

وكـــان ذاك صـــلاحًا للخليلـــين[1]

الفائدة الثانية: ترجم البخاري في «صحيحه» في الزيارة ما نصه: (هل يزور صاحبه كلَّ يوم بكرة وعشيًّا؟)[2].

قال في «الفتح»: كأن البخاري رمز بالترجمة إلى توهين الحديث المشهور: «زر غبًّا تزدد حبًّا»، وقد ورد من طرق أكثرها غرائب، لا يخلو واحد منها من مقال.

قال: وقد جمع طرقه أبو نعيم وغيره، وجاء من حديث علي، وأبي ذر، وأبي هريرة، وعبدالله بن عمرو، وأبي برزة، وعبدالله بن عمر، وأنس، وجابر، وخبيب بن مسلمة، ومعاوية بن حَيدة رضي الله عنهم[3].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقد جمعتها في جزء مفرد.

وأقوى طرقه: ما أخرجه الحاكم في «تاريخ نيسابور»، والخطيب في «تاريخ بغداد»، والحافظ أبو محمد بن السقا في «فوائده» من طريق أبي عقيل يحيى بن حبيب بن إسماعيل بن عبدالله بن حبيب بن أبي ثابت، عن جعفر ابن عون، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها[4].

---

(١) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٥٤٣)، والأبيات لمحمد بن الجهم كما في «تاريخ بغداد» للخطيب (٥/ ١٤٦).

(٢) انظر: «صحيح البخاري» (٨/ ٢١).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٨).

(٤) المرجع السابق (١٠/ ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، والحديث المذكور رواه الخطيب في =

قال في «الفتح»: وأبو عقيل كوفي مشهور بكنيته، قال ابن أبي حاتم: سمع منه أبي، وهو صدوق.

وذكره ابن حبان في «الثقات»، وقال: ربما أخطأ وأغرب[1].

قال في «الفتح»: وقد اختلف عليه في رفعه ووقفه.

وقد رفعه ـ أيضًا ـ يعقوبُ بن شيبة، عن جعفر بن عون، رويناه في «فوائد أبي محمد بن السقا» عن أبي بكر بن أبي شيبة، عن جده يعقوب.

وأخرجه ابن حبان في «صحيحه» من طريق عبد الملك بن أبي سليمان، عن عطاء، قال: دخلت أنا وعبيد بن عمير على عائشة ﵂، فقالت: يا عبيد ابن عمير! ما يمنعك أن تزورنا؟ قال: قول الأَوَّلُ: زر غبًّا تزدد حبًّا، فقال عبيدالله بن عمير[2]: دعونا من بطالتكم هذه، وأخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فذكر الحديث في صلاته ﷺ[3]. انتهى.

وأخرج الطبراني عن عبدالله بن عمرو بن العاص ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «زره غبًّا تزدد حبًّا»[4].

= «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٨٢).

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٩).

(٢) في الأصل: «عبدالله بن عمر» بدل «عبيدالله بن عمير»، والتصويب من «صحيح ابن حبان».

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٩)، والحديث المذكور رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠).

(٤) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٥)، وفيه: «زر» بدل «زره»، وقال: رواه الطبراني، وإسناده جيد.

ورواه البزار من حديث أبي هريرة، ثم قال: لا يُعلم فيه حديث صحيح[1].

قال الحافظ المنذري: وهذا الحديث قد روي عن جماعة من الصحابة، واعتنى غير واحد من الحفاظ بجمع طرقه، والكلام عليها، ولم أقف له على طريق صحيح كما قال البزار، بل له أسانيد حسان عند الطبراني وغيره[2].

وذكر الحافظ المنذري ما رواه ابن حبان في «صحيحه» عن عطاء من دخوله هو وعبيد بن عمير على أم المؤمنين عائشة ﵂، ولفظه: فقالت لعبيد ابن عمير: قد آن لكم أن تزورونا، فقال: أقول يا أمه كما قال الأَوَّلُ: زر غبًّا تزدد حبًّا، قال: فقالت: دعونا من بطالتكم هذه، قال ابن عمير: أخبرينا بأعجب شيء رأيتيه من رسول الله ﷺ، فذكر الحديث في نزول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[آل عمران: ١٩٠][3].

الثالثة: جزم أبو عبيد في «الأمثال» بأنه من أمثال العرب[4].

قال في «الفتح»: وكان هذا كلامًا شائعًا في المتقدمين، فروينا في «فوائد أبي محمد بن السقا» قال: أنشد أبو الهلال بن العلاء:

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٩٣١٥)، وقال: ليس في «زر غبًّا تزدد حبًّا» عن النبي ﷺ حديث صحيح.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٤٨ ـ ٢٤٩).

(٣) المرجع السابق (٣/ ٢٤٩)، والحديث المذكور تقدم تخريجه قريبًا.

(٤) قال أبو عبيد في «الأمثال» (ص: ١٤٨) في (باب تحاسد ذوي القرابات وقطيعتهم أرحامهم): ومنه قوله ﷺ لأبي هريرة: «يا أبا هريرة! زر غبًّا تزدد حبًّا».

الله يعلـــــــم أننـــــــي
لـــك أخلـــصُ الثقلـــين قلبـــا
لكـــــن لقـــــولِ نبينـــــا
زوروا علــــى الأيـــام غِبًّـــا
ولقولـــــه مـــــن زار غبْـــــ
ـــبًا مـــنكم يـــزداد حبًّـــا[1]

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: وكان يمكنه أن يوجز فيقول:

لكـــــن لقـــــول نبينـــــا
مـــن زار غبًّـــا زاد حبًّـــا

قال: وقد أنشدونا لأبي محمد بن هارون القرطبي راوي «الموطأ»:

أقِـــلَّ زيـــارةَ الإخـــوا
نِ تـــزدْد عنـــدهم قربـــا
فـــإن المـــصطفى قـــد قـــا
ل زُرْ غبًّـــا تـــزد حبًّـــا[2]

قال الحافظ في «الفتح»: ولا منافاة بين هذا الحديث ـ أي: حديث الباب ـ، وبين كون النبي ﷺ كان يغشى بيتَ الصديق بكرة وعشيًّا؛ لأن

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٩٩).
(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

عمومه يقبل التخصيص، فيحمل على مَنْ ليست له خصوصية ومودة ثابتة، فلا ينقص زيارته من منزلته.

قال ابن بطال: الصديق الملاطف لا يزيده كثرة الزيارة إلا محبة؛ بخلاف غيره[1].

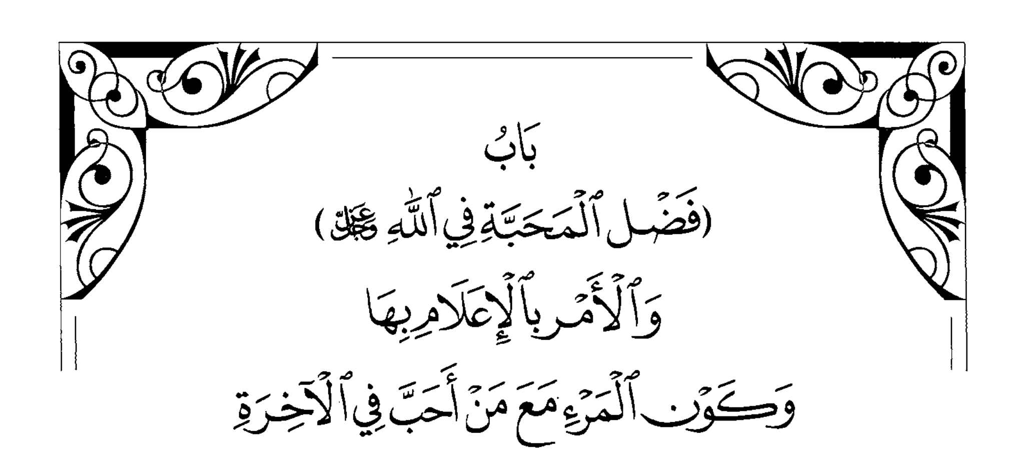
ولهذا قال في «الفروع»: ويتوجه في العيادة، ومثلها الزيارة، اختلافه بالغب وعدمه باختلاف الناس، والعمل بالقرائن، وظاهر الحال[2]. والله تعالى أعلم.

❐ ❐ ❐

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٢/ ١٣٩).



بَابُ
(فَضْلِ الْمَحَبَّةِ فِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ) وَالْأَمْرِ بِالْإِعْلَامِ بِهَا وَكَوْنِ الْمَرْءِ مَعَ مَنْ أَحَبَّ فِي الْآخِرَةِ

اعلم ـ وفقنا الله وإياك لمحبته، ومحبة من يحبه تعالى ـ : أن أصل كل فعل وحركة في العالم من الحب والإرادة، فالحب أصل كل عمل، ومبدؤه، كما أن البغض والكراهة مانع وصادّ لكل ما انعقد سبب إرادته، فهو أصل كل ترك إذا فسر الترك بالأمر الوجودي كما يفسره بذلك أكثر أهل النظر.

وأما إذا عني بالترك مجرد عدم الفعل؛ تارة يكون لعدم مقتضيه من المحبة والإرادة ولوازمهما، وقد يكون لوجود مانعه من البغض والكراهة وغيرهما.

فأما وجود الفعل؛ فلا يكون إلا عن محبة وإرادة، حتى دَفْعه للأمور التي يكرهها ويبغضها هو؛ لما في ذلك من المحبة واللذة التي يجدها بالدفع، فيقال: شفى صدره وقلبه.

والشفاء والعافية محبوب.

والمحبة والإرادة تكون إما بواسطة، وإما بغير واسطة؛ مثل فعله للأشياء التي يكرهها؛ كشرب الدواء المكروه، وفعل الأشياء المخالفة لهواه، وصبره عليها، ونحو ذلك؛ فإن هذه الأمور وإن كانت مكروهة من بعض

الوجوه، فإنما تفعل ـ أيضًا ـ لمحبة وإرادة، وإن لم تكن المحبة لنفسها، بل المحبة لملازمها.

فإنه يحب العافية والصحة المستلزمة لإرادة شرب الدواء، ويحب رحمة الله ونجاته من عذابه المستلزم لإرادة ترك ما يهواه؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾[النازعات: ٤٠]، فلا يترك الحيُّ ما يحبه ويهواه إلا لما يحبه ويهواه، لكن يترك أضعفهما محبة لأقواهما محبة؛ كما يفعل ما يكرهه لما محبتُه أقوى من كراهته ذلك، وكما يترك ما يحبه لما كراهتُه أقوى من محبة ذلك.

ولهذا كانت المحبة والإرادة أصلًا للبغض والكراهة، وغاية لها، وملزومًا لها من غير عكس، فكل بغض في العالم إنما هو لمنافاة المحبوب، ولولا وجود المحبوب لم يكن البغض؛ بخلاف الحب للشيء؛ فإنه قد يكون لنفسه، لا لأجل منافاته للبغض.

وبغض الإنسان وغضبه مما يضادّ ويؤذي محبوبه هو تابع مستلزم لمحبته، ولولا محبته للشيء لم يبغض عدمه، ولهذا تجد من لا يحب الشيء لا يكره عدمه، ولهذا كان أوثق عرى الإيمان الحب في الله، والبغض في الله[1]، وكان من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان[2].

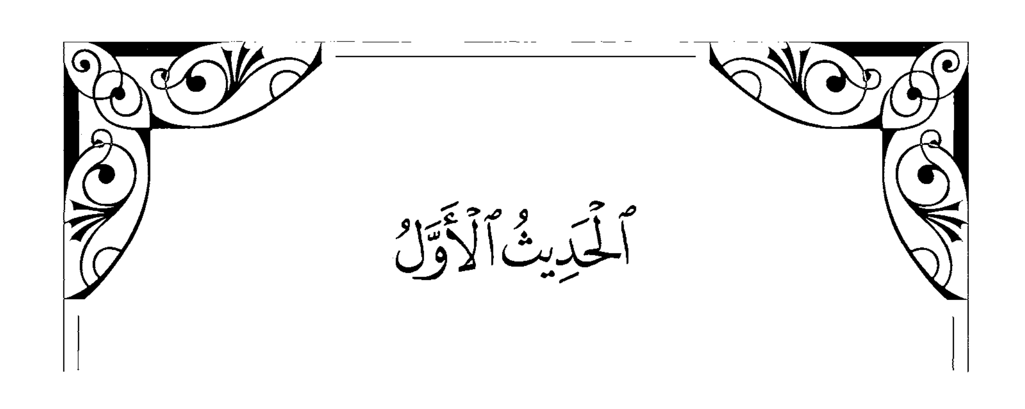
---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٢٤ ـ ط مؤسسة الرسالة) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨١) من حديث أبي أمامة رضي الله عنه.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الباب ثلاثة عشر حديثاً.

* * *



ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٦٥٧ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَمَنْ كَانَ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَنْ يَرْجِعَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاث)**: هو مبتدأ، والجملة خبر، وجاز الابتداء بالنكرة؛ لأن التنوين عوض المضاف إليه، فالتقدير: ثلاثُ خصال، ويحتمل في إعرابه غير ذلك.

قال الكرماني: أو لأنه صفة موصوف محذوف، وهو مبتدأ بالحقيقة؛ أي: خصالٌ ثلاث[2].

(مَنْ): قال الكرماني: هو مبتدأ، والشرط والجزاء معًا خبره، أو الشرط فقط، على اختلاف فيه، و(مَن) إما شرطية، وإما موصولة متضمنة

---

(١) رواه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣).

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ١٠٠).

لمعنى الشرط[1].

(كُنَّ)؛ أي: حصلت، فهي تامة، **(فيه)**؛ أي: قُمن به، واتصف بهن، **(وجد)** بمعنى: أصاب، ولهذا عُدّي لمفعول واحد **(حلاوةَ الإيمان)** استعارة تخييلية، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لوازم ذلك الشيء، وأضافه إليه، وفيه تلميح بقصة المريض، والصحيح؛ لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًّا، والصحيح يذوق حلاوته على ما هي عليه، فكلما نقصت الصحة شيئًا ما؛ نقص ذوقه بقدر ذلك، فكانت هذه الاستعارة من أوضح ما يقوي الاستدلال بأن الإيمان يزيد وينقص.

ومعنى حلاوة الإيمان: استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضا الله ورسوله، وإيثار ذلك على عرض الدنيا.

وقال القاضي عياض: هذا الحديث بمعنى حديث: «ذاق طعمَ الإيمان مَنْ رضي بالله تعالى ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»[2].

قال الشيخ محمد بن أبي جمرة: إنما عبر بالحلاوة؛ لأن الله شبه الإيمان بالشجرة في قوله: ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[إبراهيم: ٢٤]، فالكلمة هي كلمة الإخلاص، والشجرة أصل الإيمان، وأغصانُها اتباعُ الأمر واجتنابُ النهي، وزهرها ما يهم به المؤمن من الخير، وثمرها عمل الطاعات، وحلاوة الثمر جنى الشجرة، وغاية كماله تناهي نضج الثمرة،

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٢٧٠)، والحديث المذكور رواه مسلم (٣٤) من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.

وبه تظهر حلاوتها[١].

الخصلة الأولى: (من)؛ أي: أي عبد مسلم، **(كان الله)** ﷻ **(ورسوله)** نبينا محمد ﷺ **(أحبَّ)**: منصوب؛ لأنه خبر (كان).

قال البيضاوي وغيره: المراد بالحب هنا: الحب العقلي، الذي هو إيثارُ ما يقتضي العقل السليم رجحانَه، وإن كان على خلاف هوى النفس؛ كالمريض يعاف الدواء بطبعه، فينفر عنه، ويميل إليه بمقتضى عقله، فيهوى تناوله.

فإذا تأمل المرء أن الشارع لا يأمر وينهى إلا بما فيه صلاح عاجل، أو خلاص آجل، والعقل يقتضي رجحان جانب ذلك، تمرن على الائتمار بأمره؛ بحيث يصير هواه تبعًا له، ويلتذ بذلك التذاذًا عقليًا؛ إذ الالتذاذُ العقلي إدراكُ ما هو كمال وخير من حيث هو كذلك.

وعبر الشارع عن هذه الحالة بالحلاوة؛ لأنها أظهرُ اللذائذ المحسوسة.

قال: وإنما جعل هذه الأمور الثلاثة عنواناً لكمال الإيمان؛ لأن المرء إذا تأمل أن المنعم بالذات هو الله ﷻ، وأن لا مانح ولا مانع في الحقيقة سواه، وأن ما عداه وسائط، وأن الرسول هو الذي يبين له مراد ربه؛ اقتضى ذلك أن يتوجه بكليته نحوه، فلا يحب إلا ما يحب؛ ولا يحب مَن يحب إلا من أجله، وأن يتيقن أن جملة ما وعد وأَوعَدَ حق، تيقناً يخيل إليه الموعود كالواقع، فيحسب أن مجالس الذكر رياض الجنة، وأن العَوْد إلى الكفر إلقاء

---

(١) انظر: «بهجة النفوس» لابن أبي جمرة (١/ ٢٦ ـ ٢٧).

في النار. انتهى[1].

قال في «الفتح»: وشاهد الحديث من القرآن: قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾، ثم هدد على ذلك وتوعد بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا۟﴾[التوبة: ٢٤][2].

*** فائدة:**

قال في «الفتح»: في الحديث إشارة إلى التحلي بالفضائل، والتخلي عن الرذائل، فالأول من الأول، والأخير من الثاني.

وقال الشيخ محيي الدين النووي: هذا حديث عظيم، وهو أصل من أصول الدين[3].

وقوله: **(مما سواهما)**؛ أي: سوى الله ورسوله ﷺ، وإنما قال: «مما سواهما»، ولم يقل: (ممن)؛ ليعم من يعقل ومن لا يعقل.

قال: وفيه دليل على أنه لا بأس بهذه التثنية، وأما قوله ﷺ للذي خطب فقال: ومن يعصهما: «بئس الخطيبُ أنتَ»[4]، فليس من هذا؛ لأن المقصود في الخطب الإيضاحُ، وأما هنا، فالمرادُ الإيجاز في اللفظ؛ ليحفظ، ويدل عليه: أن النبي ﷺ حيث قاله في موضع آخر قال: «ومن

---

(١) انظر: «تحفة الأبرار» للبيضاوي (١/ ٣٩ ـ ٤٢).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٦١).

(٣) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٤) رواه مسلم (٨٧٠) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

يعصهما، فلا يضرُّ إلا نفسه»[1].

واعترض بأن هذا الحديث ـ يعني: «ومن يعصهما، فلا يضر إلا نفسه» ـ إنما ورد ـ أيضًا ـ في خطبة النكاح.

وأجيب: بأن المقصود في خطبة النكاح ـ أيضًا ـ الإيجاز، فلا نقض.

وثم أجوبة أخرى:

منها: دعوى الترجيح، فيكون خبر المنع أولى؛ لأنه عام، والآخر يحتمل الخصوصية، ولأنه ناقل، والأخر مبني على الأصل، ولأنه قول، والآخر فعل.

وُردَّ بأن احتمال التخصيص في القول ـ أيضًا ـ حاصل، بل ليس فيه صيغة عموم أصلًا.

ومنها: دعوى أنه من الخصائص، فيمتنع من غير النبي ﷺ، ولا يمتنع منه؛ لأن غيره إذا جمعَ، أوهم إطلاقه التسوية؛ بخلافه هو؛ فإن منصبه لا يتطرق إليه إيهام ذلك، وإلى هذا مال ابنُ عبد السلام.

ومنها: دعوى التفرقة بوجه آخر، وهو أن كلامه هنا ﷺ جملة واحدة، فلا يحسن إقامة الظاهر فيها مقام المضمر، وكلام الذي خطب جملتان، لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر، وتعقب هذا؛ بأنه لا يلزم من كونه لا يكره إقامة الظاهر فيهما مقام المضمر أن يكره إقامة المضمر فيهما مقام الظاهر، فما[2] وجه الرد على الخطيب، مع أنه ﷺ جمع ـ كما تقدم ـ؟

---

(١) رواه أبو داود (١٠٩٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) في الأصل: «كما»، والتصويب من «فتح الباري».

ويجاب: بأن قصة الخطيب ـ كما قلنا ـ ليس فيها صيغة عموم، بل هي واقعةُ عين، فيحتمل أن يكون في ذلك المجلس من يُخشى عليه توهمُ التسوية[١].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: ومن محاسن الأجوبة في الجمع بين حديث الباب وقصة الخطيب: أن تثنية الضمير هنا للإيماء بأن المعتبر هو المجموع المركب من المحبتين، لا كل واحد منهما؛ فإنها وحدها لاغية إذا لم ترتبط بالأخرى.

فمن يدعي حبَّ الله مثلًا، ولا يحب رسوله، لا ينفعه ذلك، ويشير إليه قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فأوقع محبته متابعته مكتنفة بين قطري[٢] محبة العباد لله، ومحبة الله للعباد، وأما أمر الخطيب بالإفراد، فلأن كل واحد من العصيانين مستقل باستلزام الغواية؛ إذ العطف في تقدير التكرير، والأصل استقلالُ كلٍّ من المعطوفين في الحكم.

ويشير إليه: قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، فأعاد (أطيعوا) في الرسول، ولم يعده في (أولي الأمر)؛ لأنهم لا استقلال لهم في الطاعة كاستقلال الرسول. انتهى ملخصًا من كلام البيضاوي، والطيبي[٣].

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٦١ ـ ٦٢).

(٢) في الأصل: «قطر»، والمثبت من «فتح الباري».

(٣) المرجع السابق (١/ ٦٢).

و[قال][1] الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وثم أجوبة أخرى غير مرضية[2].

والله أعلم.

* **تنبيه:**

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»: محبة الله تعالى على درجتين:

إحداهما: فرض لازم، وهي أن يحب الله سبحانه محبةً توجب له محبة ما فرض عليه، وبغض ما حرمه عليه، ومحبة رسوله المبلغ عنه أمره ونهيه، وتقديم محبته على النفوس والأهلين ـ أيضًا ـ، والرضا بما بلغه عن الله من الدين، وتلقي ذلك منه بالرضا والتسليم، ومحبة الأنبياء والرسل والمتبعين لهم بإحسان جملةً وعمومًا لله ﷻ، وبغض الكفار جملةً وعمومًا لله ﷻ، فهذا القدر لا بد منه في تمام الإيمان الواجب، ومن أخلّ بشيء منه، فقد نقص من إيمانه الواجب بحسب ذلك.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء: ٦٥]، وكذلك ينقص من محبته الواجبة بحسب ما أدخل به من ذلك؛ فإن المحبة الواجبة تقتضي فعلَ الواجبات، وتركَ المحرمات.

وخرج أبو نعيم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ

(١) ما بين معكوفتين يقتضيه السياق.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

يقول: «إن سالمًا ـ يعني: مولى أبي حذيفة ـ شديدُ الحبّ لله، لو كان لا يخاف الله، ما عصاه»[1]، يشير إلى أن محبته الله تمنعه من أن يعصيه.

وذكر أبو عبيد في «غريبه»: أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ قال: نِعْمَ العبدُ صُهيب، لو لم يخفِ الله، لم يعصِه[2].

وقال الحسن ـ أي: البصري ـ: ابن آدم! أحبَّ الله يحبك الله، واعلم أنك لن تحبّ الله حتى تحب طاعته[3].

ومن ثم يعلم أن الإخلال ببعض الواجبات، وارتكاب بعض المحرمات، ينقص به الإيمان الواجب بحسب ذلك؛ كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن...» الحديث[4].

وقد روى الإمام أحمد من طريق الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أُبيّ بن كعب ﷺ قال: من أصبح وأكبرُ همه غير الله، فليس من الله[5].

وقد روي هذا مرفوعًا من حديث أنس بأسانيدَ ضعيفة[6].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ١٧٧).

(٢) انظر: «غريب الحديث» لأبي عبيد (٣/ ٣٩٤).

(٣) وأورده ابن رجب في «جامع العلوم الحكم» (ص: ٧٥) بلفظ: «اعلم أنك لن تحب الله حتى تحب طاعته». ولم نقف عليه مسندًا.

(٤) رواه البخاري (٢٤٧٥)، ومسلم (٥٧)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٥) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٣٣).

(٦) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٥٨٥، ١٠٥٨٦) وقال: إسناده ضعيف، وكذلك ما قبله.

فهذه الدرجة من محبة الله فرض واجب على كل مسلم، وهي درجة المقتصدين أصحابِ اليمين.

الدرجة الثانية: درجة السابقين المقربين، وهي أن ترتقي المحبة إلى محبة ما يحبه الله من نوافل الطاعات، وكراهة ما يكرهه من دقائق المكروهات، وإلى الرضا بما يقدره ويقضيه مما يؤلم النفوس من المصيبات[1].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله تعالى: وهذا أفضل مستحب مندوب إليه[2].

قال رحمه الله تعالى: ومحبة الرسول ﷺ ـ أيضًا ـ على درجتين:

إحداهما: فرض، وهي المحبة التي تقتضي قبولَ ما جاء به من عند الله، وتلقيه بالمحبة والتعظيم، والرضا به والتسليم، وعدم طلب الهدى من غير طريقه بالكلية.

ثم حسن الاتباع له فيما بلَّغه عن ربه؛ من تصديقِهِ في كل ما أخبر، وطاعته فيما أمر به من الواجبات، والانتهاء عما نهى عنه من المحرمات، ونصرة دينه [والجهاد][3] لمن خالفه بحسب القدرة، فهذا القدر لا بد منه، ولا يتم الإيمان بدونه.

والدرجة الثانية: فضل، وهي المحبة التي تقتضي حسنَ التأسي به،

---

(١) انظر: «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب (ص: ٣/ ٣٠١ـ٣٠٢، ٣٠٤ـ٣٠٥ـ ضمن مجموع رسائل ابن رجب).

(٢) المرجع السابق (٣/ ٣٠٥).

(٣) ما بين معكوفتين من «استنشاق نسيم الأنس».

وتحقيق الاقتداء بسنته في أخلاقه وآدابه، ونوافله وتطوعاته، وأكله وشربه ولباسه، وحسن معاشرته لأزواجه، وغير ذلك من آدابه الكاملة، وأخلاقه الطاهرة الفاضلة، والاعتبار بمعرفة سيرته وأيامه، واهتزاز القلب عند ذكره وتصوره، وكثرة الصلاة والسلام عليه؛ لما سكن في القلب من محبته، وتعظيمه وتوقيره، ومحبة استماع كلامه، وإيثاره على كلام غيره من المخلوقين.

ومن أعظم ذلك: الاقتداءُ به في زهده في الدنيا، والاجتزاء باليسير منها، ورغبته في الآخرة.

قال سهلٌ التستري: من علامة حبِّ الله حبُّ القرآن، وعلامة حب القرآن حبُّ النبي ﷺ، وعلامة حب النبي ﷺ حبُّ سنته، وعلامة حب السنة حبُّ الآخرة، ومن علامة حب الآخرة بغضُ الدنيا، وعلامة بغض الدنيا أن لا يأخذ منها إلا زادًا يبلغه إلى الآخرة[1]. انتهى ملخصًا.

الخصلة الثانية: من الموجبات لوجدان العبد حلاوة الإيمان: ما أشار إليها بقوله: (**وأن يحب**) العبد المؤمن (**المرءَ**) المسلم، بنصب (المرء)؛ لأنه مفعول، وفاعله الضمير الراجع إلى (مَن)، (**لا يحبه إلا لله ﷻ**).

قال يحيى بن معاذ: حقيقة الحب في الله: أن لا يزيد بالبر، ولا ينقص بالجفاء[2].

---

(١) انظر: «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب (٣/ ٣٢٤ـ٣٢٥ـ ضمن مجموع رسائل ابن رجب)، والأثر المذكور أورده أبو طالب المكي في «قوت القلوب» (٢/ ٨٨).

(٢) أورده أبو القاسم القشيري في «رسالته» (١/ ٣٥١).

وقوله: (لا يحبه إلا لله) حالية، يحتمل أن تكون بياناً لهيئة الفاعل، أو المفعول، أو كليهما معًا؛ كما في الكرماني[1].

والخصلة الثالثة: ما أشار إليها بقوله: **(ومن)**؛ أي: أي مؤمن آمنَ بالله ورسوله **(كانَ)** من صلابة إيمانه، وتحقيق إيقانه **(أنْ يقذف)**؛ أي: يرمى بقوة ويوقع **(في النار)** المحرقة للأبدان، المتلفة للأعيان **(أحبّ إليه)**؛ أي: أهون وأسهل عليه **(من أن يرجع)** بعد إسلامه وإيمانه **(في الكفر)** بالله ﷻ، ورسوله ﷺ **(بعد أن أنقذه الله)**؛ أي: بعد إنقاذه من الكفر إلى الإيمان.

وفي رواية: «وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه»[2].

والإنقاذُ أعمُّ من أن يكون بالعصمة منه ابتداء؛ بأن يولد على الإسلام، ويستمر، أو بالإخراج من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان؛ كما وقع لكثير من الصحابة.

وعلى الأول فيحتمل قوله: (أن يرجع) و(يعود) على معنى الصيرورة؛ بخلاف الثاني؛ فإن العود والرجوع فيه على ظاهره.

فإن قيل: لم عدَّى الرجوع أو العود، بـ (في) ولم يعدِّه بـ (إلى)؟

فالجواب: أنه ضمنه معنى الاستقرار؛ كأنه قال: يستمر فيه، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ﴾[الأعراف: ٨٩]، والكراهة ضد الإرادة، وتستعمل عرفًا بمعنى التنفير.

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (١/ ١٠٠).

(٢) رواه البخاري (٢١).

قال القاضي عياض: لا تصح محبةُ الله ورسوله حقيقة، وحب العبد في الله، وكراهة الرجوع في الكفر إلا لمن قوي بالإيمان يقينه، واطمأنت به نفسه، وانشرح به صدره، وخالط الإيمانُ لحمه ودمه، فهذا الذي يجد حلاوة الإيمان، والحب في الله من ثمرات حب الله.

وقال الإمام مالك: المحبة في الله من واجبات الإسلام[1].

وهو دأبُ أولياء الله تعالى.

(أخرجه)؛ أي: حديث أنس المذكور **(البخاري، ومسلم)**، ورواه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[2].

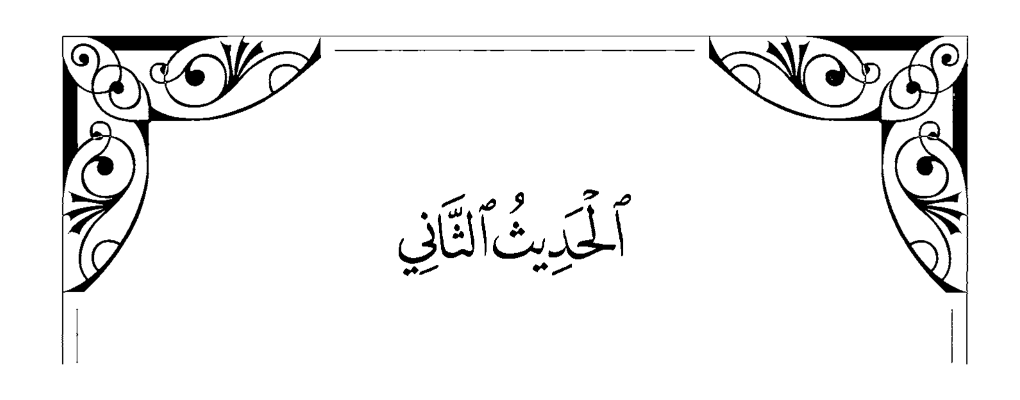
وفي رواية: «ثلاثٌ من كنّ فيه وجدَ حلاوة الإيمان وطعَمه: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب في الله، ويبغض في الله، وأن توقد نارٌ عظيمة فيقع فيها أحبّ إليه من أن يشرك بالله شيئًا»[3].

* * *

(١) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (١/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٠٣)، والترمذي (٢٦٢٤)، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.

(٣) وهي رواية النسائي (٤٩٨٧).



الحديث الثاني

٦٥٨ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الله تَعَالى يَقُولُ يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلاَلِي اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم[1].

(عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله تعالى يقول يوم القيامة) العظمى.

قال النووي في «شرح مسلم»: فيه دليل لجواز قول: (الله يقول)، قال: وهو الصواب الذي عليه العلماء كافة، إلا ما حكي عن بعضهم من كراهة ذلك، وأنه لا يقال: (يقول الله)، بل يقال: (قال الله)، وقد جاء جوازه في القرآن العظيم، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ﴾[الأحزاب: ٤]، وأحاديث صحيحة كثيرة[2].

(أين المتحابون)؛ أي: الذين يحب بعضهم بعضًا، **(بجلالي)**: بعظمتي وطاعتي، لا لغرض من أغراض الدنيا **(اليومَ)**؛ يعني: يوم القيامة الذي هو

(١) رواه مسلم (٢٥٦٦).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١٢٣).

يوم البعث والنشور، والجزاء على العمل المسطور، **(أُظِلُّهم)**؛ أي: المتحابين بجلالي، **(في ظِلِّي)**؛ أي: ظل عرشي، **(يومَ لا ظلَّ)** للخلق يستظلون به من الحر والشمس، ووهج الموقف وأنفاس الخلق **(إلا ظلي)**.

وجاء في رواية في غير مسلم: «ظل عرشي»[1].

قال القاضي عياض: ظاهره: أنه في ظله من الحر ونحوه، قال: وهذا قول الأكثرين.

وقال عيسى بن دينار: معناه: كنفه من المكاره، وإكرامه وجعله في كنفه وستره، ومنه قولهم: السلطان ظل الله في أرضه.

وقيل: يحتمل أن الظل هنا عبارة عن الراحة والنعيم؛ يقال: هو في عيش ظليل؛ أي: طيب[2].

(رواه مسلم) في «صحيحه»[3].

وروى الطبراني من حديث أبي أيوب ﷺ مرفوعًا: «المتحابون في الله على كراسي من ياقوت حول العرش»[4].

* * *

ونحوه:

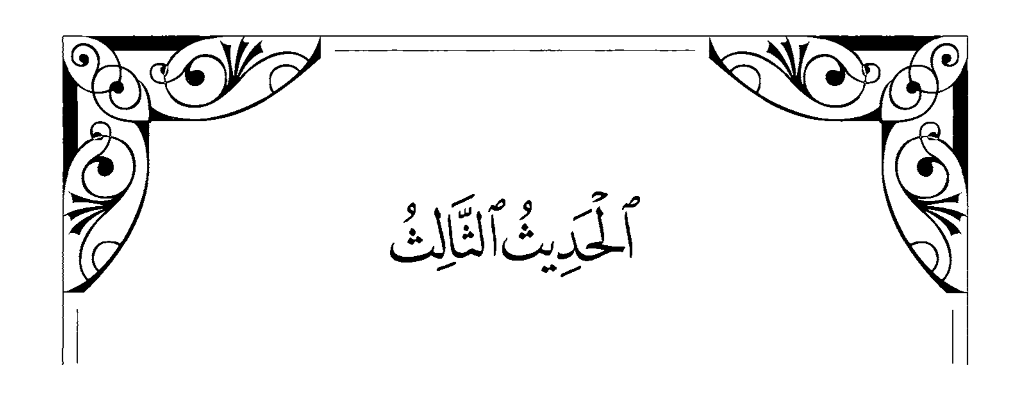
---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٨) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

(٢) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٨/ ٣٥).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩٧٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٧): وفيه عبدالله بن عبدالعزيز الليثي، وقد وثق على ضعف كثير.



الحديث الثالث

٦٥٩ ـ عن مُعَاذِ بن جَبَلٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «قَالَ الله: المُتَحَابُّونَ فِي جَلاَلِي لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح[1].

(عن) سيد الفقهاء أبي عبدِ الرحمنِ **(معاذِ بنِ جبل ﷺ)**، تقدمت ترجمته في (فضل لا إله إلا الله عند الموت)، **(قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تعالى: المتحابون)**؛ أي: الذين يحب بعضهم بعضًا **(في جلالي)**؛ أي: في عظمتي، ومن أجلي، لا لغرض من الأغراض غير ذلك **(لهم)** يومَ القيامة **(منابرُ)**؛ أي: كراسي ومقاعد عالية **(من نور)**.

لا يخالف هذا حديثَ أبي أيوب المذكور[2]؛ فإنه صحيح؛ لأنه يحمل على أحد أمرين:

الأول: أن يكون لبعضهم كراسي من نور، ولبعضهم كراسي من ياقوت.

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٩٠).

(٢) تقدم تخريجه قريبًا.

والثاني: أن الجميع من الياقوت ونحوه، ولشدة صفائه وضيائه لا يرى إلا كالنور.

(يغبطهم) بتلك الكراسي العالية، والمنابر السامية **(النبيون)** صلوات الله وسلامه عليهم، **(والشهداء)** الذين قتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمته؛ من الغبط ـ بفتح الغين المعجمة وسكون الموحدة فطاء مهملة ـ : حسد خاص، يقال: غبطت الرجل أغبطه غبطًا: إذا اشتهيت أن يكون لك مثل ما له، وأن يدوم عليه ما هو فيه، وحسدته أحسده حسدًا: إذا اشتهيت أن يكون لك ما له، وأن يزول عنه ما هو فيه.

وفي حديث: أن النبي ﷺ جاء أصحابه وهم يصلّون في جماعة، فجعل يغبِّطهم[1]، هكذا روي بالتشديد؛ أي: يحملهم على الغبط، ويجعل هذا الفعل عندهم مما يغبط عليه، وإن روي بالتخفيف، فيكون قد غبطهم؛ لتقدمهم وسبقهم إلى الصلاة[2].

فالحديث في حق الأنبياء ـ عليهم السلام ـ يحمَل إما على أن مثل هذا مما يغبط فيه، أو يغبطونهم أن يكون لأممهم مثلُ ما لهم من القرب والمنابر، من غير أن يزول ما لهم، وما هم فيه من المنازل العالية، والنعيم المقيم.

(رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح)[3].

ولهذا الحديث قصة وسبب، فعن أبي إدريس الخولاني قال: دخلت

---

(١) أورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٣٤٠).

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٣) تقدم تخريجه.

مسجد دمشق، فإذا فتى براقُ الثنايا، وإذا الناس معه، فإذا اختلفوا في شيء، أسندوه إليه، وصدروا عن رأيه، فسألت عنه، فقيل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد، هَجَّرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، وهو يصلي، فانتظرته حتى قضى صلاته، ثم جئته من قِبل وجهه، فسلمت عليه، ثم قلت: والله إني أحبك لله، فقال: اللهِ؟ فقلت: الله، فأخذ بحبوة ردائي، فجذبني إليه فقال: أبشرْ؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: وجبت محبتي للمتحابين فيّ، وللمتجالسين فيّ، وللمتزاورين فيّ، وللمتباذلين فيّ»، رواه الإمام مالك بإسناد صحيح، وابن حبان في «صحيحه»[1].

وعن أبي مسلم قال: قلت لمعاذ: واللهِ إني لأحبك لغير دنيا أرجو أن أصيبها منك، ولا قرابة بيني وبينك، قال: فلأي شيء؟ قلت: لله، قال: فجذب حبوتي، ثم قال: أبشرْ إن كنت صادقًا؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المتحابون في الله في ظل العرش يوم لا ظل إلا ظله، يغبطهم بمكانهم النبيون والشهداء».

قال: ولقيت عبادةَ بنَ الصامت، فحدثته بحديث معاذ، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول عن ربه تبارك وتعالى: «حقت محبتي...» الحديث الآتي[2]، وهو سادسُ أحاديث الباب[3].

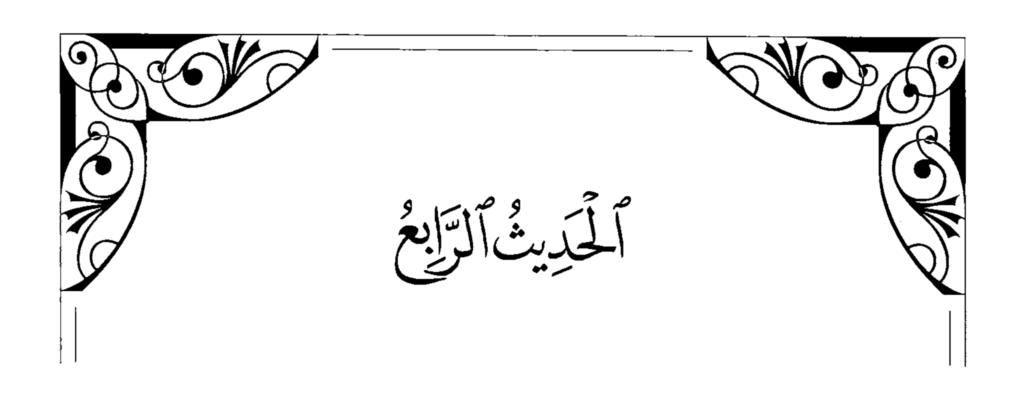
* * *

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٢٨).

(٣) سيأتي الحديث برقم (٦٦٢).



الحديث الرابع

٦٦٠ ـ عَنْ أَبِـي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ الله فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله ﷻ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسجِدِ إِذَا خَرَجَ مِنْهُ حَتَّى يَعُودَ إِلَيْهِ، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَى ذَلك وَتفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ الله خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ الله، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ». أخرجه البخاريُّ ومسلمٌ بنحوه[1].

(**عن أبي هريرةَ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: سبعة**) أشخاص من صالحي أمتي (**يُظلهم الله في ظله يوم لا ظلَّ**) موجود (**يومئذ**) يُستظل ويُنتفع به (**إلا ظلُّه**)، وهو يوم القيامة إذا قام الناس لرب العالمين، وقربت الشمس من الرؤوس، واشتد عليهم الحر والبؤس، وأخذهم العرق والجهد، فلا ظل لشيء يومئذ إلا للعرش، وقد يراد به: ظل الجنة، وهو نعيمها.

أحدهم: (**إمام عادل**)، وهو الذي يأخذ ما يأخذ بحق، ويضعه في

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

محالِّه من غير ظلم ولا جور.

(و) **الثاني**: (**شاب**)؛ أي: فتى (**نشأ في عبادة الله** ﷻ) وطاعته؛ فإن ذلك أشق عليه؛ لغلبة شهوته، وكثرة الدواعي إلى طاعته لهواه، فأفنى شبابه ونشاطه في طاعة مولاه.

(و) **الثالث**: (**رجل**) من المسلمين (**قلبُه معلق**)، وفي لفظ: «متعلق» بزيادة التاء الفوقية[1]، (**بالمسجد**) من شدة حبه له، وفي لفظ: «بالمساجد»[2]، وهو كناية عن انتظاره أوقات الصلاة، فلا يصلي صلاة ويخرج منه إلا وهو ينتظر وقت صلاة أخرى، (**وإذا صلى**) صلاة، (**وخرج منه**) حَنَّ قلبه واشتاق إليه، وتعلق قلبه به (**حتى يعود**)؛ أي: يرجع (**إليه**)، وليس معناه دوام الجلوس فيه.

(و) **الرابع**: (**رجلان**) من المسلمين (**تحابّا في الله**)، لا لغرض سواه، (**اجتمعا على ذلك، وتفرقا عليه**)؛ أي: على الحب في الله، فلم يقطع محبتهما عارض دنيوي، وسواء اجتمعا اجتماعًا حقيقيًا أم لا حتى فرقهما الموت، بل كان سبب اجتماعهما حب الله، وفيه، وله، واستمرا على ذلك حتى افترقا من مجالسهما، وهما صادقان في حب كل واحد منهما صاحبه لله تعالى حالَ اجتماعهما وافتراقهما، وهذا محل مناسبة هذا الحديث للترجمة.

(و) **الخامس**: (**رجل**)؛ أي: شخص من ذكر وأنثى (**ذكر الله**) ﷻ (**خاليًا**).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٩).

(٢) انظر التعليق السابق.

وفي رواية النسائي: «ذكر الله في خلاء» بفتح الخاء المعجمة والمـد[1]، وهو المكان الخالي.

قال القرطبي: خاليًا؛ يعني: من الخلق، أو الالتفات إلى غير الله تعـالى، وإن كان في ملأ[2].

(ففاضت)؛ أي: سالت وجرت بالدموع **(عيناه)**: تثنية عين، وأسـند الفيض إليها مع أن الفائض إنما هو الدمع مبالغة؛ كأن العين صـارت دمعًـا فائضًا، أو مجاز؛ لكون العين محل الدمع، وهو فائض منها.

(و) السادس: (رجل دعته امرأة)؛ أي: عرضت نفسها عليـه، وهـي **(ذات منصب)** بفتح الميم وسكون النون وكسر الصاد المهملـة؛ أي: صـاحبة حسب ونسب في قومها، **(وجمال)** وحسن في نفسها، فعرضت نفسها عليـه، ودعته ليزني بها، وقيل: دعته ليتزوج بها، والأول الصواب، **(فقال)** بلسانه وبقلبه ليزجر نفسه: **(إني أخاف الله)** رب العالمين[3].

وفي رواية: «إني أخاف الله»، بإسقاط (رب العالمين)[4]، وهي الموجودة في نسخة «الفضائل» هنا، وكذا في «ترغيب الحافظ المنذري»[5].

---

(١) رواه النسائي (٥٣٨٠). ورواه البخاري (٦٨٠٦).

(٢) انظر: «المفهم» للقرطبي (٣/ ٧٧).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ برواية ابن القاسم» (١٥٥) بلفظ: «إنـي أخـاف الله رب العالمين».

(٤) تقدم تخريجها عند البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٣٦).

(و) **السابع**: **(رجل)**؛ أي: شخص مسلم من ذكر أو أنثى **(تصدق)** بفتح المثناة الفوقية وفتح الصاد المهملة وتشديد الدال المهملة وفتحها فقاف، **(بصدقة)** تطوع، **(فأخفاها)**؛ ليسلم من شائبة الرياء والسمعة، وقهرًا لنفسه لما جُبلت عليه النفوس من حب المدحة والثناء الحسن، حتى من شدة إخفائه لها **(لا تعلم)**: بفتح الميم وضمها، **(شماله)**: بكسر الشين المعجمة، وهو مرفوع على الفاعلية، **(ما تنفق يمينه)**: جملة في محل نصب على المفعولية؛ لأن (ما) موصول اسمي، و(تنفق) صلته، والعائد محذوف؛ أي: لا تعلم شماله الذي ـ أو: شيئاً ـ تنفقه يمينه، و(يمينه): فاعل (تنفق)؛ يعني: لو قدرت الشمال رجلًا متيقظًا، لما علم ما تصدقت به يمينه، مع شدة القرب والملاصقة؛ للمبالغة في الإخفاء.

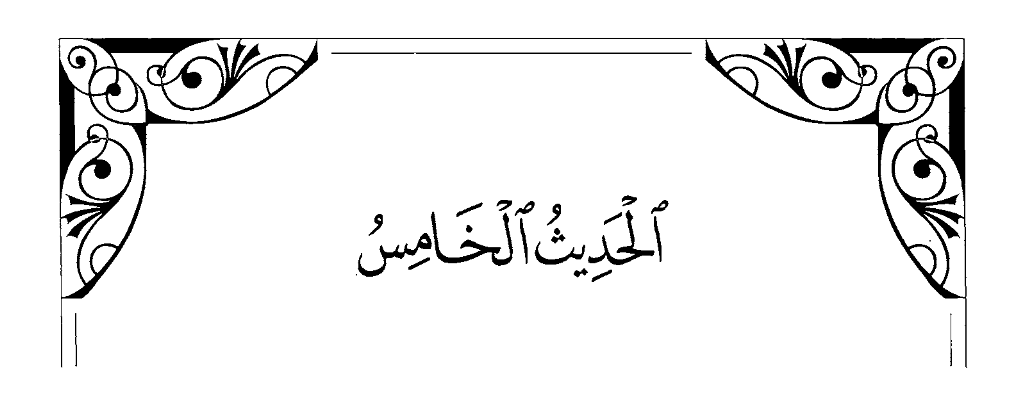
وقد تقدم هذا الحديث وشرحه مطولًا في (فضل الصدقة) من (كتاب الزكاة)[1]، والله أعلم.

(أخرجه البخاري، ومسلم بنحوه)[2].

* * *

(١) تقدم الحديث برقم (٢٤٠).

(٢) تقدم تخريجه.



الحَدِيثُ الخَامِسُ

٦٦١ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ العِبَادِ عِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ»، قِيلَ: مَنْ هُمْ يَا رسولَ الله؟ لَعَلَّنَا نُحِبُّهُمْ، قَالَ: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ الله مِنْ غَيْرِ أَموالٍ وَلَا أَنْسَابٍ، وُجُوهُهُمْ نُورٌ، وهُمْ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزِنَ النَّاسُ»، ثُمَّ تَلا هَذه الآيَةَ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1]. هذا الحديث إسناده على شرط مسلم، والله أعلم.

(عن أبي هريرة ﷺ) أيضًا **(قال: قال رسول الله ﷺ: إن من العباد)** الصالحين **(عبادًا)** لله تعالى رب العالمين **(يغبطهم)** بمنازلهم الرفيعة، وأنوارهم الساطعة، ودرجاتهم الرفيعة **(الأنبياءُ)** والرسلُ الذين هم خلاصة الخلق، وأصفياءُ الحق، **(والشهداء)** الذين بذلوا نفوسهم النفيسة في مرضاة الله، وقتلوا في الجهاد لإعلاء كلمته، **(قيل: من هم يا رسول الله؟ لعلنا نحبهم)**، فننتفع بحبهم، ونثاب عليه، ونحظى بقربهم، ونتسابق إليه، **(قال)** ﷺ: هم **(قوم**

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٦)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦١١٠).

تحابوا)؛ أي: أحبَّ بعضهم بعضًا (**بروح الله**) ﷻ من وحيه وطاعته، والمبادرة لمراضيه، والمباعدة عن مناهيه، فلم يتحابوا إلا لله، وفي الله، وبالله، (**على غير أموال**) يتنابونها، (**ولا أنساب**) يحتفظونها، (**وجوهُهم**)؛ أي: أولئك المتحابون (**نور**) مضيء أضوأ من البرق، (**وهم**) يوم القيامة والفزع الأكبر (**على منابرَ من نور**)، قد أمنوا من الفزع الأكبر وسائر المخاوف، (**لا يخافون**)؛ لما نالوا من رفعة المقام، والتقرب والإكرام (**إذا**)؛ أي: وقتَ وزمن (**خاف الناس**) المخلطون، (**ولا يحزنون إذا حزن الناس**) العاصون والمذنبون، (**ثم تلا**) ﷺ (**هذه الآية**) الكريمة: (﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾[يونس: ٦٢]).

والخوفُ من توقع حصول المكروه في المستقبل، والحزن على فوات محبوب في الماضي، والمراد: في الآخرة، ويوم الجزاء، وإلا فهم في الدنيا أشدّ الناس خوفًا وحزناً.

ويروى عن النبي ﷺ: أنه سئل: من أولياء الله تعالى؟ فقال: «**الذين إذا رأيتهم ذكرتَ الله تعالى**»[(١)].

قال ابن عطية: وهذا وصف لازم للمتقين؛ لأنهم يخشعون ويتخشعون[(٢)].

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٥٠٣٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «الذين إذا رُؤوا ذكر الله»، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٨): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب الرازي، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» لابن عطية (٣/ ١٢٨).

قال الحافظ المصنف رحمه الله ورضي عنه: **(هذا الحديث)**؛ يعني: حديثَ أبي هريرة المشروحَ **(إسناده على شرط مسلم. والله أعلم)**، ولم يعزه إلى كتاب من دواوين كتب الإسلام المدونة.

قلت: وقد رواه النسائي في «سننه الكبرى»، وابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله عبادًا ليسوا بأنبياء، يغبطهم الأنبياء والشهداء»، قيل: من هم؟ لعلنا نحبهم، قال: «هم قوم تحابوا بنور الله، من غير أرحام ولا أنساب، وجوهُهم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوۡلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [يونس: ٦٢][1].

وروى الطبراني بإسناد جيد عن أبي أُمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن لله عبادًا يُجلسهم يوم القيامة على منابر من نور، يغشى وجوهَهم النور حتى يفرغ من حساب الخلائق»[2].

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد عن العرباضِ بنِ ساريةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله ﷻ: المتحابون بجلالي في ظل عرشي يوم لا ظل إلا ظلي»[3].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٢٣٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٥٢٧)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٧): إسناده جيد.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٢٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٩): إسناده جيد.

وروى الطبراني بإسناد حسن عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيبعثنَّ الله أقوامًا يوم القيامة وجوهُهم النور، على منابر اللؤلؤ، يغبطهم الناس، ليسوا بأنبياء ولا شهداء»، قال: فجثا أعرابي على ركبتيه، فقال: يا رسول الله! حَلِّهم لنا نعرفهم، قال: «هم المتحابون في الله من قبائلَ شتى، وبلاد شتى، يجتمعون على ذكر الله يذكرونه»(١).

وروى أبو داود في «سننه» من حديث أمير المؤمنين عمرَ بنِ الخطابِ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من عباد الله لأناسًا ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يومَ القيامة بمكانهم من الله»، قالوا: يا رسول الله! فخبرنا من هم، قال: «هم قوم تحابوا بروح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله! إن وجوههم لنور، وإنهم لعلى نور، ولا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس»، وقرأ هذه الآية: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾(٢).

وروى الإمام أحمد من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ، عن رسول الله ﷺ قال: «يا أيها الناس! اسمعوا واعقلوا، واعلموا أن لله ﷻ عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء على منازلهم وقربهم من الله»، فجثا رجل من الأعراب من قاصية الناس، وألوى بيده إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! ناس من الناس ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء

---

(١) أورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٧٧)، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن. ولم نقف عليه في المطبوع من مصنفات الطبراني.

(٢) رواه أبو داود (٣٥٢٧).

والشهداء على مجالسهم وقربهم من الله! انعتهم لنا؛ يعني: صفهم لنا، شكلهم لنا، فسُرَّ وجهُ النبي ﷺ بسؤال الأعرابي، فقال رسول الله ﷺ: «هم ناس من أفناءِ الناس، ونوازع القبائِل، لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا ـ وفي لفظ: وتصادقوا ـ، يضع الله لهم يوم القيامة منابر من نور، فيجلسون عليها، فيجعل في وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، ويفزع الناس يوم القيامة ولا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[1].

ورواه أبو يعلى الموصلي بإسناد حسن[2]، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[3]، والله تعالى الموفق.

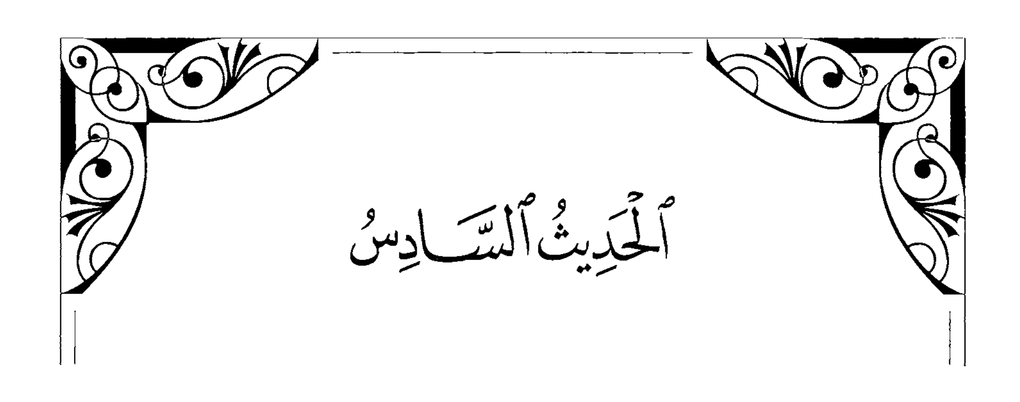
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٣٤٣)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٧): رجاله وثقوا.

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦٨٤٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٣١٨) من حديث ابن عمر ﷺ بنحوه.



٦٦٢ ـ عَنْ عُبَادَةَ بنِ الصَّامِتِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَرْفَعُهُ إلى الرَّبِّ ﷻ قَالَ: «حَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ، وَحَقَّتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَوَاصِلِينَ فِيَّ». أخرجه الإمام أحمد في «مسنده»[1].

(**عن عُبادةَ بنِ الصامتِ** ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضل السجود للواحد المعبود)، (**عن النبيّ** ﷺ، **يرفعه إلى الربّ** ﷻ **قال: حقت**)؛ أي: وجبت ولزمت، (**محبتي للمتحابّين**)؛ أي: للذين يحب بعضهم بعضًا، (**فِيَّ**) بكسر الفاء وتشديد التحتية؛ أي: في طاعتي وعبادتي، لا لنسب ولا سبب، بل لوجه الله الكريم، والسلوك على صراطه المستقيم.

(**وحقت محبتي للمتزاورين**)؛ أي: الذين يزور بعضهم بعضًا (**فيّ**)، لا لدنيا يصيبونها، ولا لنكبة يتقونها، (**وحقت محبتي للمتباذلين**)؛ أي: للذين يبذل بعضهم لبعض الدينار والدرهم، وغيرهما من سائر ما يُنتفع به من الحبوب والأقوات والثياب، والمراكب وغيرها (**فيّ**)، لا لطمع يرجونه،

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٩).

ولا لشر يدفعونه ويتقونه.

(وحقت محبتي للمتواصلين)؛ أي: الذين يصل بعضهم بعضًا بأيّ أنواع أسباب الوصلة؛ من بذل المال، ولين المقال، وتعليم العلوم، والشفاعة للمظلوم، كل ما يفعلونه من ذلك وأمثاله **(فيَّ)**؛ أي: طلبًا لمرضاتي، ونيلًا لطاعتي، ورغبة في محابي من سائر مخلوقاتي، وانعكافًا على امتثال أوامري، واجتنابًا لمناهي وزواجري، فجدير للمتصف بهذه الأوصاف أن ينال محبتي التي هي الغاية القصوى، ومن ثم شمر لنيلها خواص العباد من أهل الإيمان والتقوى.

(أخرجه) سيدنا **(الإمام أحمد في مسنده)** بإسناد صحيح، والطبراني في «معجمه الكبير»، والحاكم في «صحيحه»، وإسناده صحيح، وزادا: «وحقت محبتي للمتناصحين».

وفي آخره: «المتحابون في الله على منابر من نور، يغبطهم بمكانهم النبيون والصديقون والشهداء»[1].

قال العلماء: ليس المراد: أن الأنبياء ومَنْ معهم يغبطون المتحابين حقيقةً، بل القصدُ بيانُ فضلهم وعلو قدرهم عند ربهم على آكد وجه وأبلغه.

وروى الإمام أحمد، والطبراني في «الكبير»، والحاكم، والبيهقي من حديث معاذ بن جبل ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «وجبت

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٦)، وتقدم تخريجه عند الإمام أحمد.

محبتي للمتحابين فيَّ، وللمتجالسين فيَّ، وللمتباذلين فيَّ، وللمتزاورين فيَّ»[1].

وأخرج الإمام أحمد ـ ورواته ثقات ـ عن شرحبيلَ بنِ السمطِ: أنه قال لعمرو بن عبسة ﷺ: هل أنت محدّثي حديثاً سمعتَه من رسول الله ﷺ، ليس فيه نسيان ولا كذب؟ قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قال الله ﷻ: قد حقت محبتي للذين يتحابون من أجلي، وقد حقت محبتي للذين يتصادقون من أجلي»[2].

ورواه الطبراني في الثلاثة، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[3].

وروى الإمام أحمد ـ بإسناد لا بأس به ـ من حديث عبدالله بن عباس ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «إن لله ﷻ جلساء يوم القيامة عن يمين العرش، وكلتا يدي الله يمين، على منابر من نور، وجوههم من نور، ليسوا بأنبياء ولا شهداء ولا صديقين»، قيل: يا رسول الله! من هم؟ قال: «هم المتحابون بجلال الله

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٣٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣١٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨٩٩٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٣٨٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٩): ورجال أحمد ثقات.

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٠٨٠)، و«المعجم الصغير» (١٠٩٥)، وأورده الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٩) وعزاه للطبراني في الثلاثة، ولم نقف عليه في المطبوع من «المعجم الكبير»، وعند الحاكم في «المستدرك».

تعالى، المتحابون بجلال الله تبارك وتعالى»[1].

وروى الإمام أحمد، والبيهقي من حديث البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: كنا جلوسًا عند النبي ﷺ، فقال: «أيُّ عُرى الإسلام أوثق؟» قالوا: الصلاة، قال: «حسنة، وما هي بها»، قالوا: صيام رمضان، قال: «حسن، وما هو به»، قالوا: الجهاد، قال: «حسن، وما هو به»، قال: «إن أوثق عرى الإيمان: أن يحب في الله، ويبغض في الله»[2].

ورواه الطبراني من حديث ابن مسعود أخصر منه[3].

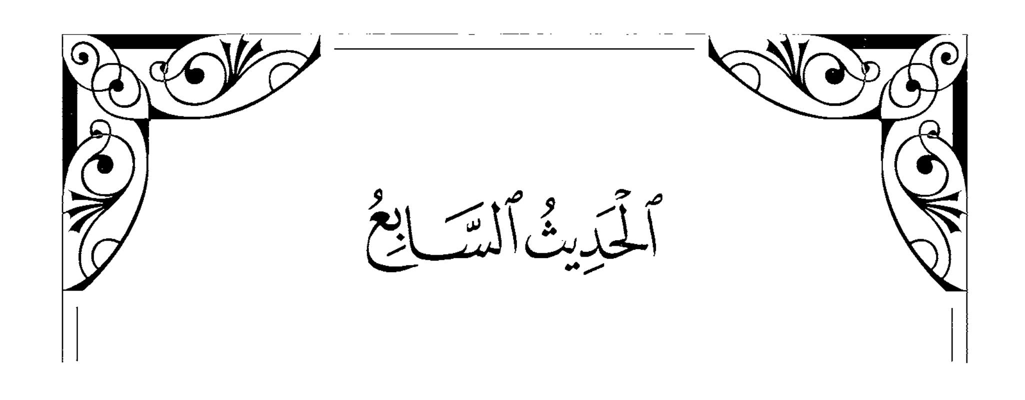
وفي الباب أحاديثُ كثيرة. والله أعلم.

* * *

(1) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٢) وقال: رواه أحمد بإسناد لا بأس به. ولم نقف عليه عنده، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٨٦)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٧): رواه الطبراني ورجاله وثقوا.

(2) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٨٥٢٤ ـ ط مؤسسة الرسالة)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٩٥١١).

(3) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٣١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٦٣): وفيه عقيل بن الجعد، قال البخاري: منكر الحديث.



الحديث السابع

٦٦٣ ـ عَنْ مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ قَـالَ: «مَنْ أَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله، وَأَحَبَّ لله، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ إِيمَانَهُ». رواه الترمذي وقال: حديث حسنٌ[1].

(**عن معاذِ بنِ أنسٍ الجهنيِّ** ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فـضل صـلاة اثنتي عشرة ركعة)، (**أن رسول الله ﷺ قال**: من)؛ أي: كل شخص، فـ (من): اسم موصول متضمن للشرط، (**أعطى**) شيئًا، جـلَّ أو قلَّ (لـ) وجه (**الله**)؛ طلبًا لمرضاته، وتقربًا إليه، ورغبة فيما لديـه، (**ومنـع لله**)، فلـم يعـط مـن يتقوى بما أعطاه على معاصي الله ونحوها، (**وأحبَّ لله**) تعـالى لا لنـسب، ولا سبب.

قال ابن رسلان: أجمعت الأمة على أن الحـب لله ولرسـوله فـرض، ولا يفسر الحب بالطاعة؛ لأن الطاعة ثمرته، فلا بد أن يتقدم الحب لله، ثم بعد ذلك يطيع المحبوب.

ولا يخفى عليك أن ابن رسلان ذهب وهله إلى غير المطلـوب، فـإن

---

(١) رواه الترمذي (٢٥٢١).

المقصود بالحديث: أن يحب الشخصُ غيره من المسلمين لله تعالى، يوضحه: قوله في حديث أبي أمامة ﷺ قولُ النبي ﷺ: «من أحب لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله»[1]، **(فقد استكمل إيمانه)**، وفي حديث أبي أمامة: «فقد استكمل الإيمان»، رواه أبو داود في «سننه»[2]، والحافظ المصنف ـ أيضًا ـ في «المختارة»[3].

(رواه)؛ أي: حديثَ معاذ بن أنس الجهني المشروحَ **(الترمذي)** في «سننه»، **(وقال: حديث حسن)**، ورواه الإمام أحمد، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه البيهقي، وغيرهم[4].

قال العلماء: وليس المراد بالحب والبغض هنا حبّ الطبع وبغضه؛ فإن طبع الإنسان حب نفسه وما يلائمه، ومن الآدميين كذلك، فإذا قوي ميل طبعه وتأكد، سمي: عشقًا، والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن المبغوض، فإذا قوي، سمي: مقتًا، بل المراد: حب العقل والعلم وبغضه، كما يحب بعقله مَنْ هو ملازم على طاعة الله، فيحبه لله، وكذلك إذا رآه مخالفًا لله في أوامره ونواهيه، بغضه لله، وقد قدمنا من ذلك ما لعله يكفي ويشفي.

* * *

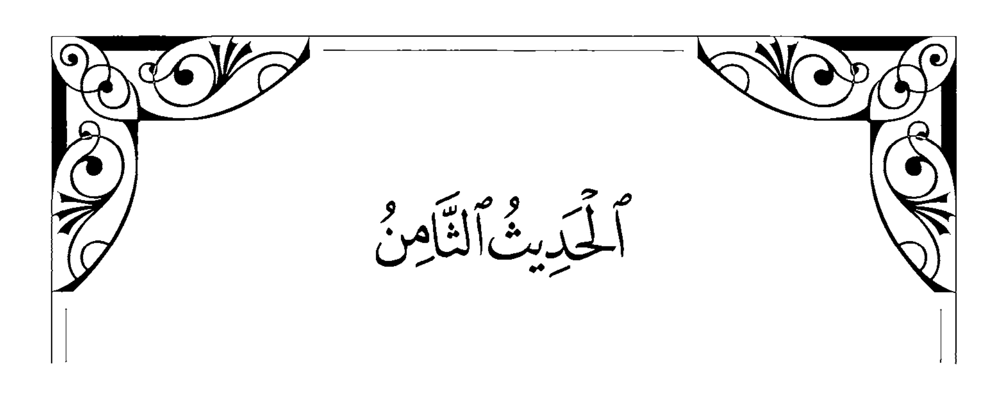
---

(١) رواه أبو داود (٤٦٨١).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) لم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٤٣٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٦٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٥).



ٱلۡحَدِيثُ ٱلثَّامِنُ

٦٦٤ ـ عَنِ المِقْدَام بنِ مَعْدِي كَرِب ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَحَبَّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُعْلِمْهُ». رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه النسائي في «عمل اليوم والليلة»، وهذا لفظ الترمذي[1].

(**عن المقدادِ بنِ معدي كرب** ﷺ)، تقدمت ترجمته في (باب: من جهز غازيًا) من (كتاب الجهاد)، (**قال: قال رسول الله** ﷺ: **إذا أحب أحدكم**) معشرَ الصحابة فمَنْ بعدهم من سائر المسلمين (**أخاه**)؛ أي: المؤمن، أو أحبت المرأة صاحبتها المؤمنة لله تعالى.

وقوله: (**فَلْيُعْلمه**)؛ أي: يُعلم أخاه أنه يحبه لله.

قال الغزالي: إنما أمر الرجل بإعلامه بحبه؛ لأنه يوجب زيادة الحب؛ فإن الرجل إذا عرف أن أخاه يحبه، أحبه بالطبع لا محالة، ثم إذا عرف أنه يحبه، ازداد حبه لا محالة، فلا يزال الحب يتزايد بين المحبين، وذلك مطلوب بالشرع، مرغوب إليه بالطبع.

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢٤)، والترمذي (٢٥٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٠٦).

(رواه أبو داود، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب)، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، والبخاري في «الأدب المفرد»، وابن حبان، والحاكم[1].

قال المصنف رحمه الله تعالى: **(ورواه النسائي في عمل اليوم والليلة، وهذا لفظ الترمذي)**.

وروى الإمام أحمد، والمصنف في «المختارة» ـ وسنده حسن ـ من حديث أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إذا أحب أحدكم صاحبه، فليأته في منزله، فليخبره أنه يحبه لله»[2]؛ أي: لا لغيره من إحسان أو امتنان أو غير ذلك؛ فإنه أبقى للألفة، وأثبتُ للمودة، وبه تجتمع الكلمة، وينتظم شمل الإسلام.

وروى البيهقي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «إذا أحب أحدكم عبدًا، فليخبره ـ أي: بمحبته له، ندبًا ـ، فإنه يجد مثلَ الذي يجد له»[3]؛ يعني: يجد عنده له من المحبة مثل الحب الذي عنده له، وهذا بالطبع.

وعلى القلوب من القلوب دلائل

بالود قبل تشاهد الأشباح[4]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٣٠)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٤٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٢٢).

(٢) رواه الأمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٤٥)، ولم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٠١٠).

(٤) قاله بكر بن النطاح. انظر: «لباب الآداب» للثعالبي (ص: ١٥٥).

ولي في المعنى:

القلـــبُ ميـــزانُ ودّ المـــرء فاصـــح ولا
تمـلْ عــن القلــب يــا هــذا الفتــى حِــوَلا

فاســتفتِ قلبـك فــي مَــنْ أنــت تــصحبه
فإنـــــه شـــــاهدٌ لا يبتغـــــي مـــــثلا

وروى البخاري في «تاريخه» من حديث وابصة ـ بكسر الموحـدة وفـتح الصاد المهملة ـ ابنِ معبدٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اسـتفْتِ نفـسَك وإن أفتاك المفتونَ»[1]، ورواه الإمام أحمد[2].

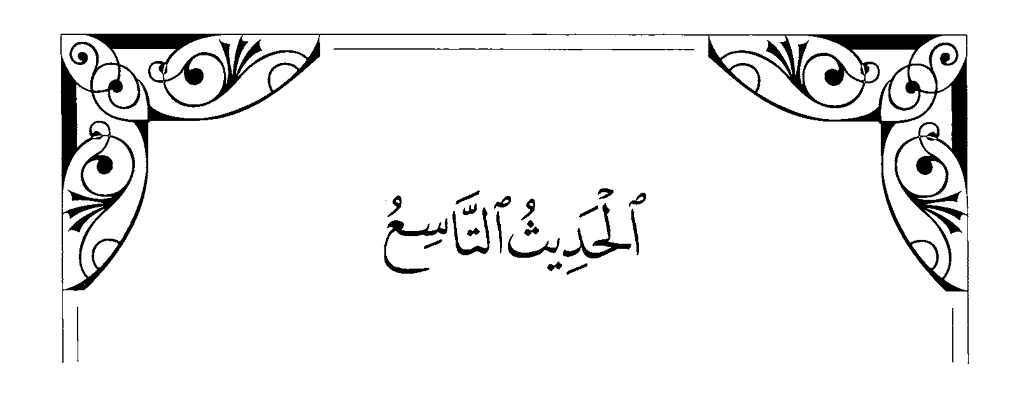
قال النووي: إسناده حسن[3].

* * *

(١) رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٢٢٨).

(٣) انظر: «رياض الصالحين» للنووي (ص: ١٣٠)، وفيه: حديث حسن.



٦٦٥ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَعْلَمْتَهُ؟» قَالَ: لَا، قَالَ: «أَعْلِمْهُ»، قَالَ: فَلَحِقَهُ، فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي اللهِ، فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أبو داود[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ** ﷺ: **أن رجلًا)** من الصحابة ﷺ **(كان عند النبي** ﷺ، **فمرَّ)**؛ أي: جاز، يقال: مر مرًّا ومرورًا: جاز وذهب، ومره، ومر به: جاز عليه، **(به)**؛ أي: بالنبي ﷺ، ويحتمل عَود الضمير على الرجل الذي كان عند النبي ﷺ، **(رجلٌ)** من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، **(فقال)** الرجل الجالسُ عند النبي ﷺ: **(يا رسول الله! إني لأحبُّ هذا)** الرجلَ المارَّ، **(فقال)** النبي ﷺ **(له)**؛ أي: للرجل الذي كان جالسًا عنده، وقال: إني أحب هذا الرجل المار، **(أعلمته؟)** أي: أخبرته بحبك إياه، **(قال: لا)**، ما أعلمتُه بذلك، **(قال النبي)** ﷺ له: **(أعلمْه)** بحبك له، **(فـ)** قام الرجل المحب و**(لحقه)**؛ أي: لحق الرجلَ المحبوبَ وأخبره، **(فقال)** له: **(إني**

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢٥).

أحبك في الله) ﷻ، ولوجهه الكريم، فأجابه الرجل، و**(قال: أَحَبَّك) اللهُ (الذي أحببتني له)**، دعا له بأن يحبه الله؛ لكونه أحبه لوجه الله تعالى، ومن أحبه الله، حباه وأكرمه، وقربه ونعَّمه.

وفي «معجم الطبراني»، وعند أبي يعلى ـ ورواته رواة الصحيح، إلا مباركَ بن فضالةَ ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما تحابَّ رجلان في الله، إلا كان أحبهما إلى الله ﷻ أشدهما حبًّا لصاحبه»[1].

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، إلا أنهما قالا: «كان أفضلهما أشدّهما حبًّا لصاحبه»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[2].

ومباركُ بن فضالة كان عفان يرفعه ويوثقه؛ كما قال أبو حاتم، وكان يحيى القطان يحسن الثناء عليه[3].

قال ابن معين: صالح[4].

وقال ابن عدي: عامةُ أحاديثه أرجو أن تكون مستقيمة[5].

ووثقه ابن خزيمة، وابن حبان، وأخرجا له في صحيحيهما غير

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٨٩٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٤١٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٦): ورجال أبي يعلى رجال الصحيح غير مبارك بن فضالة، وقد وثقه غير واحد على ضعف فيه.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٦)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٢٣).

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٣٣٩).

(٤) قال ابن معين في «تاريخه» برواية الدوري (٤/ ٨٣): ثقة.

(٥) انظر: «الكامل في ضعفاء الرجال» لابن عدي (٦/ ٣٢٠).

ما حديث، وضعفه النسائي[1]، وغيره.

وقال أبو داود: شديد التدليس، فإذا قال: حدثنا، فهو ثبت[2].

وكذا قال أبو زرعة[3]. والله أعلم.

وروى الطبراني ـ بإسناد جيد قوي ـ عن أبي الدرداء ﵁ يرفعه: «ما من رجلين تحابا في الله بظهر الغيب إلا كان أحبّهما إلى الله أشدّهما حبًّا لصاحبه»[4].

وروى البزار ـ بإسناد حسن ـ عن عبدالله بن عمرو ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «من أحبَّ رجلًا لله، فقال: إني أحبك في الله، فدخلا جميعًا الجنة، فكان الذي أحب أرفعَ منزلة من الآخر ألحق بالذي أحبَّ لله»[5].

فإن هذه المحبة من محبة الله، لأجله وابتغاء وجهه تعالى، وكل من كانت محبته لله أشدّ، كان أفضل.

فمحبة ما يحبه الله من الأعيان والأعمال من تمام محبة الله، وهو من

---

(١) انظر: «الضعفاء والمتروكين» للنسائي (ص: ٩٨).

(٢) انظر: «سؤالات أبي عبيد الآجري» (ص: ٢٨١).

(٣) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٨/ ٣٣٩). وانظر ترجمة مبارك بن فضالة في «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٧٨ ـ طبعة مكتبة مصطفى البابي الحلبي)، وعنه نقل المصنف.

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٧٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٦): ورجاله رجال الصحيح غير المعافى بن سليمان، وهو ثقة.

(٥) رواه البزار في «مسنده» كما في «كشف الأستار» للهيثمي (٣٥٩٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٧٩): إسناده حسن.

صريح الإيمان؛ فإن الحب لله وفي الله مطلوبٌ شرعًا، مستحسَن طبعًا، وإن كان كثيرٌ من الناس قد يغلط في معرفة كثير من ذلك، أو وجوده، فيظن في أنواع من المحبة أنه محبة لله، ولا تكون لله، وقد يظن وجود المحبة لله في أمور، ولا تكون موجودة، بل قد يعتقد وجود المحبة لله، وتكون معدومة، وقد يعتقد في بعض الحب أنه لله، ولا يكون لله؛ كما قد يعتقد وجود العلم أو العبادة أو غير ذلك من الصفات في بعض الأشخاص والأحوال، ولا يكون ثابتًا، وقد يعتقد في بعض الأعمال أنه معمول لله، ولا يكون كذلك.

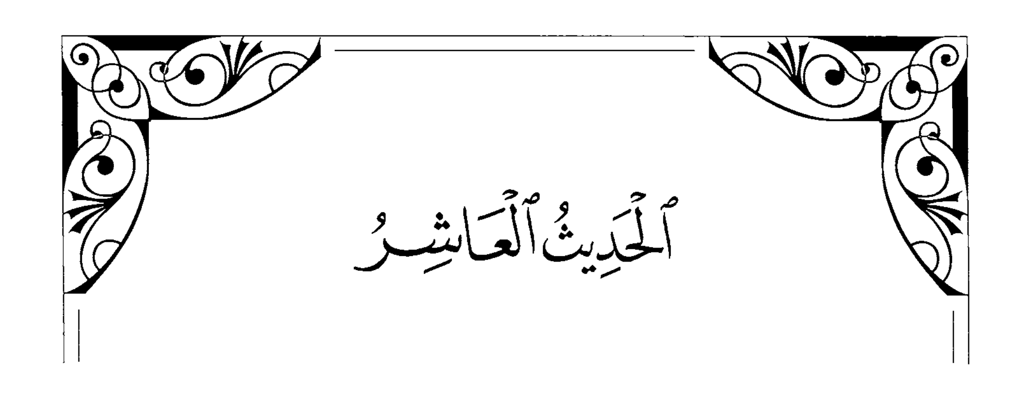
فمحبة ما يحبه الله تعالى من الأعمال الظاهرة والباطنة، وهي الواجبات والمستحبات، إذا أحببت لله، كان ذلك من محبة الله، ولهذا يوجب ذلك محبة الله لعبده؛ كما في الحديث الصحيح عن الله ﷻ: «من عادى لي وليًّا، فقد بارزني في المحاربة، وما تقرّب إليّ عبدي بمثل أداءِ ما افترضتُ عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أُحِبَّه، فإذا أحببته، كنت سمعه الذي يسمع به...» الحديث[1]، والله الموفق.

(رواه)؛ أي: حديثَ أنس المشروحَ **(أبو داود)** في «سننه»[2].

* * *

(١) رواه البخاري (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ بنحوه.

(٢) تقدم تخريجه.



الحديث العاشر

في (**قوله ﷺ: المرء**)؛ أي: الشخص المسلم كما يأتي بيانه (**مع من أحبّ**)، وهو بعضُ حديث في الصحيحين كما يأتي قريبًا.

وقد جمع أبو نعيم طرقَ هذا الحديث في جزء سماه: «كتاب المحبين»، وبلغ عدد الصحابة فيه نحو العشرين، وأكثرهم بلفظ حديث ابن مسعود، وفي بعضها بلفظ حديث أنس رضي الله عنهما.

فأما حديث أنس، فهو:

٦٦٦ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَتَى قِيَامُ السَّاعَةِ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الصَّلاَةِ، فَلَمَّا قَضَى صَلاَتَهُ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ عَنْ قِيَامِ السَّاعَةِ؟» فَقَالَ الرَّجُلُ: أَنَا يَا رَسُولَ الله، قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: يَا رَسُولَ الله! مَا أَعْدَدْتُ لَهَا كَبِيرَ صَلاَةٍ وَلَا صَوْمٍ إِلَّا أَنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، وَأَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»، فَمَا رَأَيْتُ فَرِحَ المُسْلِمُونَ بَعْدَ الإِسْلاَمِ فَرَحَهُمْ بِهَا. صحيح، رواه البخاريُّ ومسلمٌ بنحوه[1].

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٧، ٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩). ورواه الترمذي (٢٣٨٥) =

(عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ)، وفي لفظ لأنس: أن رجلًا من أهل البادية[1]، وفي رواية الزهري عن أنس: أن رجلًا من الأعراب[2].

وفي رواية سالم بن أبي الجعد عن أنس: بينما أنا والنبي ﷺ خارجَين من المسجد، فلقينا رجل عند سدة المسجد[3].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وقد بينت في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أنه ذو الخويصرة اليماني الذي بَالَ في المسجد، وأن حديثه في ذلك مخرج عند الدارقطني[4]، وأنه من زعم أنه أبو موسى، أو أبو ذر، فقد وهم؛ فإنهما وإن اشتركا في معنى الجواب، وهو أن المرء مع من أحب، فقد اختلف سؤالهما؛ فإن كلًّا من أبي موسى وأبي ذر إنما سأل عن الرجل يحب القوم ولم يلحق بهم[5]؛ كما يأتي قريبًا.

والذي قال: (إنه أبو موسى الأشعري) ابنُ بشكوال، واحتج في ذلك بحديثين لا حجة فيهما[6]، فلفظ حديث أبي موسى: قلت: يا رسول الله!

= واللفظ لـه.

(١) رواه البخاري (٦١٦٧).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٢م).

(٣) رواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٤).

(٤) رواه الدارقطني في «سننه» (١/ ١٣١) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، وقال: سمعان مجهول.

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٥).

(٦) انظر: «غوامض الأسماء المبهمة» لابن بشكوال (١/ ٣٧٦).

المرء يحب القوم ولما يلحق بهم[1].

ولفظ حديث أبي ذر: قلت: يا رسول الله! الرجل يحب القوم، ولا يستطيع أن يعمل بعملهم، قال: «أنت يا أبا ذر مع مَنْ أحببت»[2].

قال جلال الدين البلقيني في «الإفهام لما في البخاري من الإبهام»: روى الدارقطني عن عبدالله بن مسعود ﷺ قال: جاء أعرابي فبال في المسجد، فأمر النبي ﷺ بمكانه فاحتفر، فصب عليه دلوًا من ماء، فقال الأعرابي: يا رسول الله! المرء يحب القوم، ولم يعمل بعملهم، فقال: «المرء مع من أحب»[3].

وفي رواية: **(فقال: يا رسول الله!)** أخبرني **(متى قيام الساعة؟)** وفي لفظ من حديث أنس ﷺ: متى الساعة قائمة؟[4]؛ يعني: القيامة، وإنما سميت بالساعة؛ لسرعة مجيئها، أو لقربها، أو لأن بعث الموتى من قبورهم يكون في أسرع من اللمحة، أو لأن فصل القضاء في ذلك اليوم في قدر ساعة.

ويروى عن أمير المؤمنين علي رضوان الله عليه: أنه سئل عن محاسبة الخلق، فقال: كما يرزقهم في غداة واحدة، كذلك يحاسبهم في

---

(١) رواه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٦).

(٣) انظر: «الإفهام لما في البخاري من الإبهام» للبلقيني (ص: ٥٤٢)، والحديث المذكور تقدم تخريجه عند الدارقطني في «سننه» (١/ ١٣١)، وقال الدارقطني: سمعان مجهول.

(٤) رواه البخاري (٦١٦٧).

ساعة واحدة[1].

(فقام النبي ﷺ) بعد سؤال الرجل، وقبل جواب سؤاله **(إلى الصلاة)**، وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: دخل رجل والنبي ﷺ يخطب[2].

ويجمع بينهما بأن الرجل سأل والنبي ﷺ يخطب، فلم يجبه حينئذ، فلما صلى النبي ﷺ، **(وقضى صلاته)**، وانصرف منها، وخرج من المسجد، رآه فتذكر سؤاله، أو عاوده الأعرابي في السؤال، **(قال)** ﷺ: **(أين)** الرجل **(السائلُ عن قيام الساعة؟ فقال الرجل: أنا)** هو **(يا رسول الله، قال: ما أعددت لها؟)**.

قال الكرماني: سلك مع السائل أسلوبَ الحكيم، وهو تلقي السائل بغير ما يطلب مما يهمه أو هو أهم[3].

(قال) الرجل: **(يا رسول الله! ما أعددتُ لها كثير صلاة، ولا)** كثير **(صوم)**، وفي لفظ: «ويلك، ما أعددت لها؟»[4]، زاد معمر عن الزهري عن أنس عند مسلم: «من كثير عمل أحمد عليه نفسي»[5].

وفي رواية سالم بن أبي الجعد في الصحيحين: فكأن الرجل استكان، ثم قال: ما أعددتُ من كبير صلاة ولا صوم ولا صدقة[6].

---

(١) أورده القرطبي في «التذكرة» (ص: ٥٦٣)، ولم نقف عليه مسندًا.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٠٢) بنحوه.

(٣) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٢/ ٣٥ ـ ٣٦).

(٤) رواه البخاري (٦١٦٧).

(٥) رواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٢م).

(٦) رواه البخاري (٧١٥٣)، ومسلم (٢٦٣٩/ ١٦٤).

(إلا أني أحبُّ الله ورسوله)، قال الكرماني: هذا الاستثناء يحتمل أن يكون متصلًا، وأن يكون منقطعًا[1].

(فقال رسول الله ﷺ: المرءُ مع من أحبّ، وأنت مع من أحببتَ)، وفي لفظ: «فإنك مع من أحببت»[2]؛ أي: تلحق بهم حتى تكون في زمرتهم.

وبهذا يندفع إيرادُ أن منازلهم متفاوتة، فكيف تصح المعية؟ فيقال: إن المعية تحصل بمجرد الاجتماع في شيء ما، ولا يلزم في جميع الأشياء، فإذا اتفق أن الجميع دخلوا الجنة، صدقت المعية، وإن تفاوتت الدرجات.

وفي رواية عن أنس رضي الله عنه: قال له النبي ﷺ: «إنك مع من أحببت، ولك ما احتسبت»، أخرجه أبو نعيم[3].

وفي لفظ آخر: «المرء مع من أحب، وله ما اكتسب»[4].

وفي آخر عن مسروق، عن عبدالله: «أنت مع من أحببت، وعليك ما اكتسبت، وعلى الله ما احتسبت»[5].

قال أنس: (فما رأيت فرح المسلمون) بشيء (بعدَ الإسلام)؛ أي: بعد دخولهم في دين الإسلام الذي صاروا به مسلمين (فرحَهم)؛ أي: كفرحهم (بها)؛ أي بتلك الكلمة، أو البشارة.

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٢/ ٣٣).

(٢) رواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٣).

(٣) لم نقف عليه عند أبي نعيم، ورواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ٢٢٦).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٨٦).

(٥) رواه البزار في «مسنده» (١٩٥٠) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

وفي رواية عن أنس في الصحيح: فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: «نعم»، ففرحنا [يومئذ فرحًا] شديدًا[١].

وفي رواية أخرى عن أنس: فلم أر المسلمين فرحوا فرحًا أشدّ منه[٢].

وفي رواية أخرى عن أنس ﷺ في الصحيحين: فما فرحنا بشيء فرحَنا بقول النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت»[٣].

قال أنس ـ كما في الصحيحين ـ: فأنا أحبُّ النبي ﷺ، وأبا بكر، وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم[٤].

قال الحافظ المصنف رحمه الله ورضي عنه: هذا (**حديث صحيح، رواه البخاري، ومسلم بنحوه**)[٥].

وفي رواية للبخاري: أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! متى الساعة قائمة؟ قال: «ويلك! وما أعددت لها؟» قال: ما أعددت لها إلا أني أحبُّ الله ورسوله ـ وفي لفظ: لا شيء، إلا أني أحب الله ورسوله[٦] ـ قال: «إنك مع من أحببت»، قال أنس: ونحن كذلك، قال: «نعم»، ففرحنا

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٧)، وما بين معكوفتين منه.

(٢) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٥٥) باللفظ المذكور، ورواه البزار في «مسنده» (٣٠٢٣) بلفظ: فما رأيت المسلمين فرحوا بشي بعد الإسلام أشد فرحًا منه.

(٣) رواه البخاري (٣٦٨٨).

(٤) رواه البخاري (٣٦٨٨)، ومسلم (٢٦٣٩/ ١٦٣).

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) رواه البخاري (٣٦٨٨).

يومئذ فرحًا شديدًا[1].

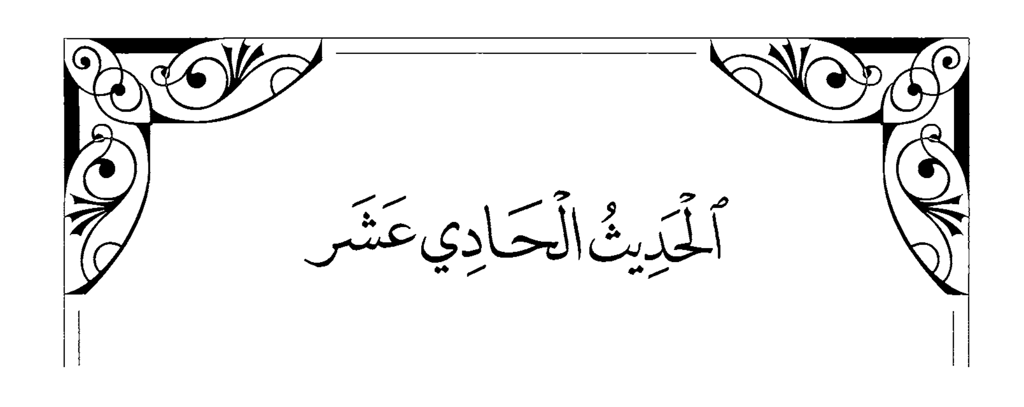
ورواه الترمذي، ولفظه: قال أنس: ما رأيت أصحاب رسـول الله ﷺ فرحوا بشيء ـ أو لم أرهم فرحوا بشيء ـ أشدَّ منه، قال رجل: يـا رسـول الله! الرجل يحب الرجل على العمل من الخير يعمل به، ولا يعمل بمثله، فقـال رسول الله ﷺ: «المرء مع من أحب»[2].

* * *

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٧).

(٢) اللفظ المذكور رواه أبو داود (٥١٢٧). ورواه الترمذي (٢٣٨٥) بنحوه، وقـال: حديث صحيح.



الحَدِيثُ الحَادِي عَشَر

٦٦٧ ـ عَنْ عَبْدِالله بن مَسْعودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله! كَيْفَ تَرَى فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فقَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». أخرجاه أيضًا[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ **(عبدِالله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قال: جاء رجل)**.

قال في «الفتح»: أولى ما فسر به هذا الرجل المبهم أنه أبو موسى. قال: وإنه هو راوي الحديث، لا عبدالله بن مسعود؛ فإن أصحاب شعبة قالوا: عن عبدالله، ولم ينسبوه، نعم، صنيعُ البخاري يقتضي أنه كان عند أبي وائل عن ابن مسعود، وعن أبي موسى جميعًا، وأن الطريقين صحيحان.

وقد وقع في رواية جرير بن عبد الحميد هذه عند البخاري عن قتيبة عنه[2].

وقد أخرجه مسلم عن إسحاق بن راهويه، وعثمان بن أبي شيبة،

---

(١) رواه البخاري (٦١٦٩)، ومسلم (٢٦٤٠/ ١٦٥).

(٢) رواه البخاري (٦١٦٩) من طريق قتيبة، عن جرير، عن الأعمش، أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

كلاهما عن جرير، فقال: عن عبدالله حسب[1].

ولما كان الأكثر أنه متى جاء عبدالله غيرَ منسوب، يكون المراد به: ابن مسعود؛ عزوا هذا الحديث له[2].

قال في «الفتح»: وهنا خرج على غير القاعدة؛ فإن المراد بعبدالله الغير منسوب: عبدالله بن قيس، وهو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه[3].

والحاصل: أن الحديث صح عن كل من عبدالله بن مسعود، وعبدالله ابن قيس الذي هو أبو موسى الأشعري؛ كما هو في كلام الحافظ الضياء قدس الله روحه.

وأما الرجل المبهم، فقال في «الفتح»: أولى ما فسر به أنه أبو موسى، فقد روى أبو عوانة من رواية محمد بن كناسة عن الأعمش في هذا الحديث عن شقيق، عن أبي موسى، قلت: يا رسول الله!... فذكر الحديث[4].

ولكن يعكر عليه ما وقع في رواية وهب بن جرير؛ فإن لفظه: عن عبدالله قال: جاء أعرابي فقال: يا رسول الله! إني أحب قومًا، ولا ألحق بهم... الحديث[5]، وأبو موسى وإن جاز أن يُبهم نفسه فيقول: أتى رجل؛ فغير جائز أن يصف نفسه بأنه أعرابي[6].

---

(١) رواه البخاري (٢٦٤٠/ ١٦٥).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٨ ـ ٥٥٩).

(٣) المرجع السابق (١٠/ ٥٥٩).

(٤) رواه أبو عوانة في «مستخرجه» (١١٥٣٨ ـ ط الجامعة الإسلامية).

(٥) رواه ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ١١٢) من طريق أبي نعيم.

(٦) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٩).

ويأتي في حديث صفوان بن عسال: أنه أعرابي جهوريُّ الصوت[1].

قال في «الفتح»: فهذا الأعرابي يحتمل أن يكون صفوان بن قدامة؛ فقد أخرج الطبراني وصححه أبو عوانة من حديثه قال: قلت: يا رسول الله! إني أحبك، قال: «المرء مع من أحب»[2].

وقال الجلال البلقيني في كتابه: إن هذا ـ يعني: الرجل المبهم في حديث ابن مسعود ـ هو الذي يصلح تفسيره بأبي موسى، أو بأبي ذر، لا كما قال ابن بشكوال في حديث أنس: متى الساعة؟... الحديث[3]؛ لأن ذاك فيه: جاء رجل من أهل البادية[4]؛ كما قدمنا.

(فقال) ذلك الرجل الذي جاء: **(يا رسول الله! كيف ترى)**، وفي لفظ في الصحيح: كيف تقول[5]، **(في رجل أحبّ قومًا)** من صالحي المسلمين، **(ولما يلحقْ بهم)**، وفي رواية: ولم يلحق[6]، والأولى أولى؛ لأن (لما) في مثل هذا المقام أبلغُ من (لم)؛ لأن النفي بها أبلغ من النفي بـ (لم)، فيؤخذ

---

(١) سيأتي الحديث برقم (٦٦٩).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٩)، والحديث المذكور رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٤٠٠)، وأبو عوانة في «مستخرجه» (١١٥٤٢ ـ ط الجامعة الإسلامية).

(٣) انظر: «الإفهام لما في البخاري من الإبهام» للبلقيني (ص: ٥٤٢)، وحديث أنس ﷺ تقدم برقم (٦٦٦).

(٤) رواه البخاري (٦١٦٧).

(٥) رواه البخاري (٦١٦٩).

(٦) انظر التعليق السابق.

منه: أن الحكم ثابت، ولو بعد اللحاق.

ووقع في حديث أنس عند مسلم: ولما يلحق بعملهم[1].

وفي حديث أبي ذر: ولا يستطيع أن يعمل بعملهم[2].

وفي بعض طرق حديث صفوان بن عسال عند أبي نعيم: بمثل عملهم[3].

(فقال) ﷺ: **(المرء)**؛ أي: الإنسان من ذكر وأنثى **(مع من أحبّ. أخرجاه)**؛ يعني: البخاري ومسلم، **(أيضًا)**: مصدر (آض): إذا رجع؛ أي: كما أخرجا حديث أنس أخرجا حديث ابن مسعود رضي الله عنهما[4].

* * *

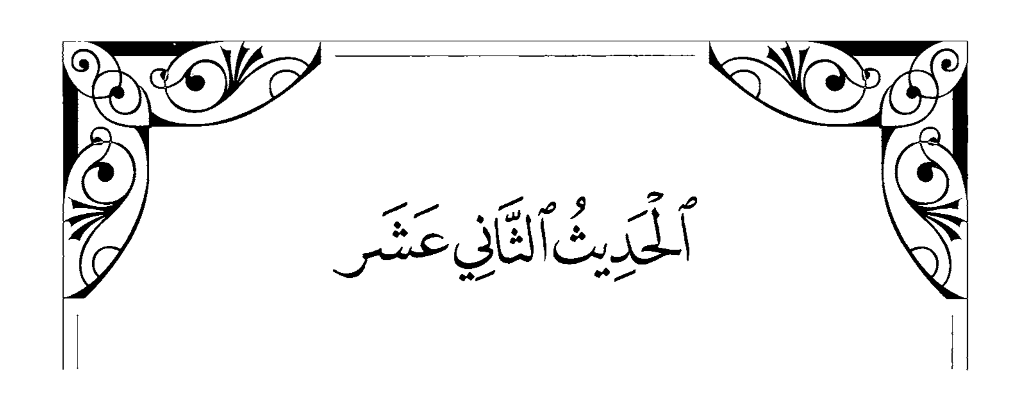
---

(١) أورده ابن حجر باللفظ المذكور في «فتح الباري» (١٠/ ٥٦٠)، وعزاه لمسلم. ورواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٣)، وفيه: «قال أنس: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم».

(٢) رواه أبو داود (٥١٢٦)، وفيه: «كعملهم» بدل «بعملهم».

(٣) أورده ابن حجر في «فتح الباري» (١٠/ ٥٦٠)، وعزاه لأبي نعيم.

(٤) تقدم تخريجه.



الحديث الثاني عشر

٦٦٨ ـ عَنْ عبدِالله بن قَيسٍ أبي مُوسَى ﷺ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». أخرجاه أيضًا[١].

(عن عبدالله بن قيسٍ أبي موسى): بالجر بدلٌ ممن قبله، أو عطف بيان، **(الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: المرء مع من أحب)**[٢].

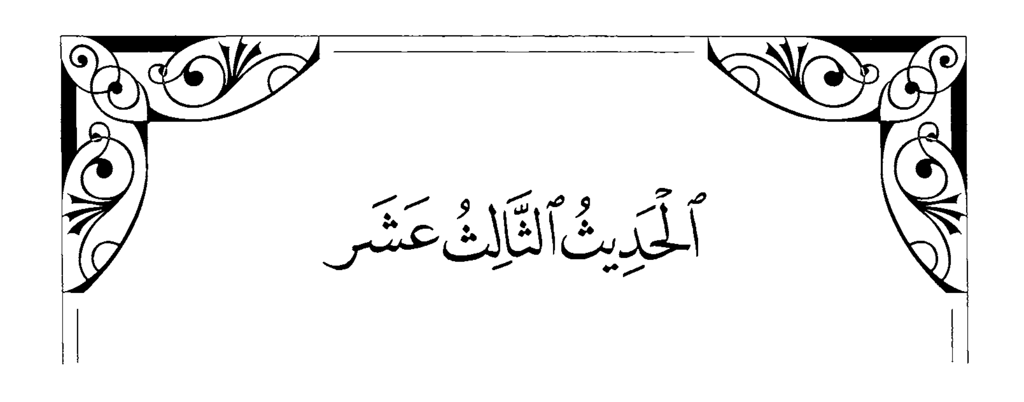
قلت: لفظ حديث أبي موسى قال: قيل للنبي ﷺ: الرجل يحبّ القوم ولما يلحق بهم، قال: «المرء مع من أحب»؛ كما في «صحيح البخاري».

(أخرجاه)؛ أي: البخاري، ومسلم **(أيضًا)**.

* * *

(١) رواه البخاري (٦١٧٠)، ومسلم (٢٦٤١).

(٢) انظر التعليق السابق.



الحديث الثالث عشر

٦٦٩ ـ عَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ ﷺ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ جَهْوَرِيُّ الصَّوْتِ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! الرَّجُلُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَمَّا يَلْحَقْ بِهِمْ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». رواه الترمذي وقال: حديث صحيح[1].

(عن صفوان بن عسال) بفتح العين وتشديد السين المهملتين فألف فلام، ابن الربض ـ بفتح الراء والموحدة فضاد معجمة ـ ابن زاهر المرادي، سكن الكوفة، وحديثه فيهم.

يقال: إن عبدالله بن مسعود ﷺ روى عنه، وروى عنه: زرُّ بنُ حبيش، وعبدالله بن سلمة.

(قال) ﷺ: **(جاء أعرابي)**: أصلُ الأعراب: سكان البوادي، **(جهوريُّ الصوت)**.

وفي لفظ من حديث صفوان: قال زر بن حبيش: قلت لصفوانَ بن عسال: هل سمعتَ من رسول الله ﷺ في الهوى ـ أي: المحبة ـ شيئًا؟ قال:

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٨٧) وقال: حديث حسن صحيح.

نعم، كنا مع رسول الله ﷺ في مسير، فناداه أعرابي بصوت له جهوري، فقال: يا محمد! فأجابه النبي ﷺ على قدر ذلك، فقال: «هاؤم»، قال: أرأيت المرء يحبُّ القوم... الحديث[1].

قوله: (فقال: هاؤم): قال في «النهاية»: أجابه بنحو من صوته هاؤم بمعنى: تعال، وبمعنى: خذ، ويقال للجماعة؛ كقوله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾[الحاقة: ١٩]، وإنما رفع صوته ـ عليه الصلاة والسلام ـ من طريق الشفقة عليه؛ لئلا يحبط عمله من قوله تعالى: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢]، فعذره لجهله، ورفع ﷺ صوته حتى كان مثلَ صوته، أو فوقه؛ لفرط رأفته به؛ لئلا يحبط عمله[2].

(فقال) الأعرابي: (**يا محمدُ! الرجلُ يحبُّ القوم، ولمَّا يلحقْ بهم، فقال رسول الله ﷺ: المرء**)؛ أي: الإنسان يوم القيامة (**مع من أحبَّ**)، فيدخل في زمرته.

(**رواه**) أبو عيسى (**الترمذي، وقال: حديث صحيح**)، ورواه ـ أيضًا ـ النسائي، وابن خزيمة وصححه[3].

وروى أبو داود في «سننه» عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله! الرجل يحب القوم، ولا يستطيع أن يعمل بعملهم، قال: «أنت يا أبا ذر مع

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٣٢١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٨٣).

(٣) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١١٧٨)، ولم نقف عليه في المطبوع من «صحيح ابن خزيمة».

من أحببت»، قال: فإني أحبُّ الله ورسوله، قال: «فإنك مع مـن أحببتـه»، قال: فأعادها أبو ذر، فأعادها رسول الله ﷺ[1].

* **فوائد:**

الأولى: حب الله ورسوله والصالحين وأهل الخير الأحياء والأموات مطلوبٌ شرعيّ مستحسَن طبعًا، وتقدم أن محبة الله ومحبة رسوله منها فـرضٌ لازم، ومستحب، ومندوب.

الثانية: لا يشترط بمحبة الصالحين أن يعمل عملهم؛ إذ لو عَمِله، لكان منهم، ومثلَهم؛ كما صرح به في الأحاديث المذكورة، ثم لا يلزم من كونـه معهم أن يكون منزله مثل منازلهم، ولا جزاؤه مثل جزائهم.

وقال الكرماني في «شرح البخاري»: اتباعُ الرسول ﷺ وإن كان الأصـلُ فيه أنه لا يحصل إلا بامتثال جميع ما أمر به؛ فإنه قد يحصل من طريق التفـضُّل باعتقاد ذلك، وإن لم يحصل استيفاء العمل بمقتضاه.

بل محبة من يعمل بذلك كافية في حصول أصل النجاة مـع العـاملين بذلك؛ لأن محبتهم إنما هي لأجل طاعتهم، والمحبة من أعمال القلـوب، فأثاب الله محبّهم على معتقده إذ النية هي الأصل، والعمل تابع لها.

قال: وليس من لازم المعية الاستواء في الدرجات[2].

الثالثة: قال بعض العارفين: يكفي المحبين شرفًا هذه المعية.

---

(١) رواه أبو داود (٥١٢٦).

(٢) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٢/ ٣٤)، و«فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٥٨).

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «استنشاق نسيم الأنس من نفحات رياض القدس»: محبة الله تستلزم امتثالَ طاعته، واجتنابَ معصيته، وكذلك محبةُ الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، والتابعين لهم بإحسان.

فالمحبة الصحيحة لهم تقتضي مشاركتهم في أصل عملهم، وإن عجز عن بلوغ غايته؛ كما قال أنس رضي الله عنه: أنا أحب الله عز وجل ورسولَه ﷺ، وأبا بكر، وعمر رضي الله عنهما، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم[(١)].

ولهذا قال السائل للنبي ﷺ: ما أعددتُ لها من كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة[(٢)].

فدل أنه قد أتى من ذلك بما وجب عليه، ولم يأت بأزيد من ذلك[(٣)].

قال الحافظ ابن رجب في الكتاب المذكور: عن عبيد بن عمير: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! الرجلُ يحب المصلين، ولا يصلي إلا قليلًا، ويحب الصائمين ولا يصوم إلا قليلًا، ويحب المتصدقين ولا يتصدق إلا قليلًا، ويحب المجاهدين ولا يجاهد إلا قليلًا، وهو في ذلك يحب الله ورسوله، قال: «هو يوم القيامة مع من أحبَّ»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٣٩/ ١٦٣).

(٢) تقدم الحديث برقم (٦٦٦).

(٣) انظر: «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب (٣/ ٣٧٧ ـ ٣٧٨ ـ ضمن مجموع رسائل ابن رجب).

(٤) رواه سفيان بن عيينة في «جزئه» (١٣). ورواه ابن قدامة في «المتحابين في الله» (٧) من طريق ابن عيينة.

وقال الحسن البصري رحمه الله: ابن آدم! لا تغتر بقول من يقول: «المرء مع من أحب»؛ إنه من أحب قومًا، اتبع آثارهم، ولن تلحق بالأبرار حتى تتبع آثارهم، وتأخذ بهديهم وتقتدي بسننهم، وتصبح وتمسي وأنت على مِنْهَاجِهِمْ، حريصًا على أن تكون منهم، فتسلك سبيلهم، وتأخذ طريقهم، وإن كنت مقصرًا في العمل، فإنما ملاك الأمر أن تكون على استقامة، أما رأيت اليهود والنصارى وأهلَ الأهواء المُرْدِيَة يحبون أنبياءهم، وليسوا معهم؛ لأنهم خالفوهم في القول والعمل، وسلكوا غير طريقهم، فصار موردهم النار، نعوذ بالله من ذلك. انتهى[1].

وهذا بيّنٌ ظاهر؛ فإن أهل الأهواء بمعزل عن معية الأولياء، فَأَنَّى للرافضة الباغضة، والشيعة الشنيعة، المباينة للشريعة، وإن زعمت حبّ أمير المؤمنين أبي الحسين الأنزع البطين، وموافقته في الدرجات العالية والنعيم المقيم، مع بغضهم أصحابَ الرسول، ومخالفتهم الأصول، ونبذهم النقول، ومعاداتهم لأهل الحق؛ فهم كالنصارى مع المسيح ونحوهم من كل معتقد الاعتقاد الفاسد، ومنتهج غير المنهج الصحيح، وإنما تحصل المعية لأهل السنة السنية، من أهل الفرقة الناجية المرضية، وإن قصروا في العمل حيث صلحت النيّة، والله الموفق.

قال البدر الغزي:

---

(١) انظر: «استنشاق نسيم الأنس» لابن رجب (٣/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩ ـ ضمن مجموع رسائل ابن رجب)، والأثر المذكور أورده السخاوي في «المقاصد الحسنة» (ص: ٥٩٩)، وعزاه للعسكري من جهة داود بن المحبر، حدثنا الحسن بن واصل قال: قال الحسن... فذكره مختصرًا.

مـــن رام أن يبلـــغ أقـــصى المنـــى

فـــي الحـــشر مـــع تقـــصيره فـــي القُـــرَبْ

فلـــيخلص الحـــبَّ لمـــولى الـــورى

والمـــصطفى فـــالمرءُ مـــع مَـــنْ أَحَـــبّ

وقال قبله الحافظُ ابنُ حجر العسقلاني:

وقائـــلٍ هـــل عمـــل صـــالح

أعددتـــه يَـــدفع عنـــك الكُـــرَبْ

فقلـــتُ حبـــي خدمـــةَ المـــصطفى

وحبـــه فـــالمرءُ مـــع مـــن أَحَـــبّ

ولي في مثل ذلك:

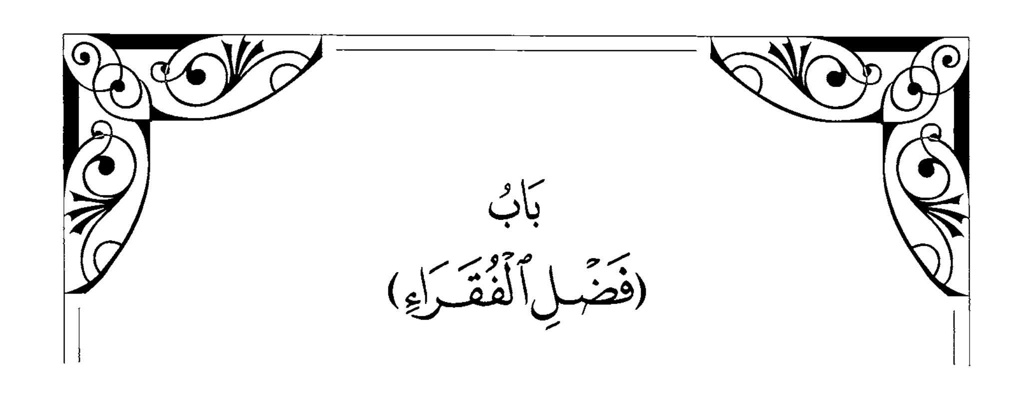
وســـائلٍ مـــا جنـــة المختـــشى

مـــن هـــولِ يـــومِ الفـــزع المرتقَـــبْ

فقلـــت حـــبُّ الله والمـــصطفى

وصحبِـــه فـــالمرءُ مـــع مـــن أَحَـــبّ

❐❐❐



بَابُ
(فَضْلِ ٱلْفُقَرَاءِ)

الفقر ـ بفتح الفاء وتضم ـ : ضدّ الغنى.

قال في «النهاية»: قد اختلف في الفقير والمسكين، فقيل: الفقير: الذي لا شيء له، والمسكين: الذي له بعضُ ما يكفيه، وإليه ذهب الشافعي.

وقيل فيهما بالعكس، وإليه ذهب أبو حنيفة(١).

ومعتمد مذهب الإمام أحمد: أن الفقير مَنْ وجد يسيرًا من كفايته، أو لا يجد شيئًا أصلًا، فإن لم يجد شيئًا، أو وجد دون نصف كفايته، فهو فقير، والمسكين: من وجد نصفها فأكثر، ولم يجد تمام كفايته.

وعن الإمام أحمد رواية مرجوحة: أن المسكين أشدُّ حاجة؛ وفاقًا لأبي حنيفة، واختاره ثعلب من أصحابنا؛ كما في «الفروع»(٢).

والحاصل: أنه متى أطلق الفقير، شمل المسكين، ومتى أطلق المسكين، شمل الفقير؛ فهما كالإيمان والإسلام إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا.

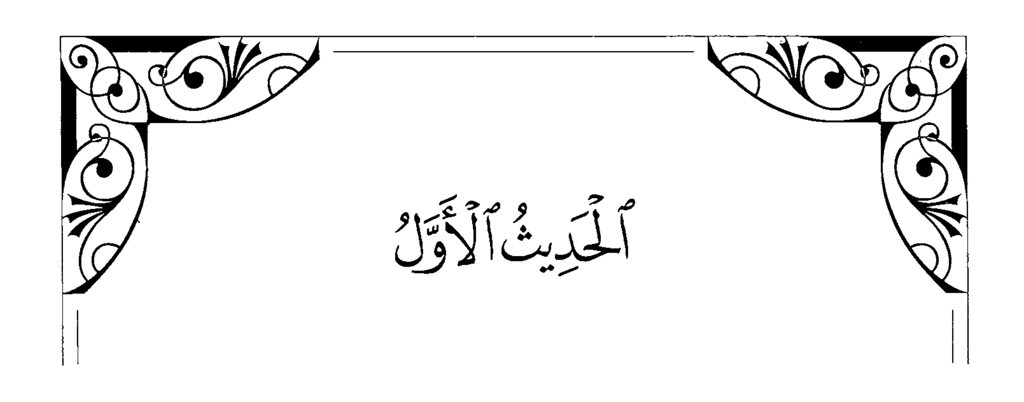
---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٦٢).

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (٢/ ٤٤٥).

وذكر الحافظ المصنف في هذا الباب ستة أحاديث.

* * *



الْحَدِيثُ الأَوَّلُ

٦٧٠ ـ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟» قَالُوا: نَقُولُ: هَذَا مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنكَحَ، أَو شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قَالَ أَنْ يُسْمَعَ لِقَوْلِهِ، فَسَكَتَ النَّبِيُّ ﷺ، وَمَرَّ رَجُلٌ آخَرُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا؟» قَالُوا: نَقُولُ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللهِ: هَذَا مِنْ فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، هَذَا حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ لَمْ يُنْكَحْ، وَإِنْ شَفَعَ لَا يُشَفَّعْ، وَإِنْ قَالَ لَا يُسْمَعْ لِقَوْلِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَهَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». رواه البخاريُّ بنحوه[1].

(عن سهلِ بنِ سعدٍ) الساعديِّ الخزرجيِّ الأنصاريِّ (ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضل المشي إلى الصلاة)، (قال: مَرَّ على النبي ﷺ رجلٌ)، وفي لفظ: مر رجل على النبي ﷺ[2]، (فقال النبي ﷺ: ما تقولون في هذا الرجل؟)، وفي الرواية الأخرى: فقال لرجل عنده: «ما رأيك في هذا؟»[3].

(١) رواه البخاري (٦٤٤٧).

(٢) وهي رواية البخاري (٦٤٤٧).

(٣) انظر التعليق السابق.

قال البلقيني: الرجل الذي كان عند النبي ﷺ، وقال له: «ما رأيك في هذا؟» هو أبو ذر الغفاري ﷺ، رواه ابن حبان في «صحيحه»، وأبو يعلى في «مسنده»، ولفظ ابن حبان: أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: «انظر إلى أرفع رجل في المسجد في عينك»، فنظرتُ فإذا رجلٌ في حلة... الحديث[1].

وأما الرجلان المفضل عليه والمفضل، فلم يُسَمِّهما، وبيض لهما في «إفهامه»، ولم أقف على من سماهما.

(قالوا)؛ أي: قال أبو ذر ومَنْ كان معه من الصحابة ﷺ: **(نقول)** يا رسول الله! **(هذا)** الرجلُ **(من أشرفِ)**؛ أي: عالي **(الناس)** ورفعائهم وأمجادهم، من الشرف ـ محركة ـ: العلو، والمكان العالي، والمجد لا يكون إلا بالآباء، أو علو الحسب؛ كما في «القاموس»[2].

ثم قالوا: **(هذا)** الرجل **(حريّ)**؛ أي: جدير وخليق **(إن خَطَبَ)** من أحدٍ كريمته ليتزوجها **(أن يُنكَح)** بضم التحتية وسكون النون وفتح الكاف مبنيًّا للمفعول؛ أي: أن يزوجه كريمته المخطوبة، **(أو)**؛ أي: وحريّ إن **(شفع)** في شيء لدى مُعَظَّم من أمير وكبير **(أن يُشفع)** بضم التحتية وفتح الشين المعجمة وتشديد الفاء؛ أي: تقبل شفاعته، **(و)** حريّ بهذا الرجل **(إن قال)** مقالًا **(أن يُسمع)** بضم التحتية وسكون السين المهملة وفتح الميم فعين مهملة

---

(١) انظر: «الإفهام لما في البخاري من الإبهام» للبلقيني (ص: ٥٦٠ ـ ٥٦١)، والحديث المذكور رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٨١) من حديث أبي ذر ﷺ، ولم نقف عليه عند أبي يعلى.

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شرف).

(**لقوله**)، ولا يخيب مقاله، ولا يرد، ولا يلغط عند حديثه، بل يسمع مقاله؛ لأنه من أعيان الناس وأشرافهم.

(**فسكت النبي ﷺ**)، ولم يبد لهم مقالًا، (**ومر**) بعد ذلك (**رجل آخر**) على إثر مرور الرجل الأول، وبعدما قيل فيه من المدحة والثناء ما قيل، من فقراء المسلمين وصالحيهم، (**فقال النبي ﷺ: ما تقولون في هذا**) الرجل؟ (**قالوا: نقول: والله يا رسول الله! هذا**) رجل (**من فقراء المسلمين، هذا حري**)؛ أي: جدير (**إن خطب، لم**) وفي لفظ: «أن لا»[1]، (**يُنكَح**)؛ لفقره، وقلة ذات يده، (**وإن شفع لا يشفع**)؛ لعدم شرفه وجلالة قدره، (**وإن قال لا يسمع لقوله**)؛ لعدم اعتباره في العيون، ولخساسة قدره بحسب الظنون، (**فقال النبي ﷺ**): ليس الأمر كما زعمتم، ولا الحال كما ظننتم، (**والله! لهذا**) الرجلُ الفقير الذي تزدريه أعينكم (**خيرٌ**) وأفضلُ (**من ملءِ الأرض**) بجميع أقطارها على سبيل الفرض والتقدير.

والمراد به: كثرة ما يفضل هذا الفقير عن مثل هذا الغني، والمراد: تفخيم هذا الرجل الصالح، وأن الفقر لا يحط من قدره، ولا ينقص من منزلته.

(**رواه البخاري بنحوه**).

وروى النسائي في «سننه»، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر! ترى كثرة المال هو الغنى؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فترى قلة المال هو الفقر؟» قلت: نعم يا رسول الله،

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٧).

قال: «إنما الغنى غنى القلب».

ثم سألني عن رجل من قريش، فقال: «هل تعرف فلاناً؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «فكيف تراه أو تُراه؟» قلت: إذا سأل أُعطِيَ، وإذا حضر أدخل، قال: ثم سألني عن رجل من أهل الصفة فقال: «هل تعرف فلاناً؟» فقلت: لا والله لا أعرفه[1] يا رسول الله، فما زال يُحَلّيه وينعته حتى عرفته، فقلت: قد عرفته يا رسول الله، قال: «كيف تراه، أو تُراه؟» قلت: هو رجل مسكين من أهل الصُّفة، قال: «هو خير من طلاع الأرض من الآخر»، قلت: يا رسول الله! فلا يعطى من بعض ما يعطى الآخر، فقال: «إذا أعطي خيرًا فهو أهله، وإذا صرف عنه، فقد أعطي حسنة»[2].

قوله: (من طلاع الأرض)؛ أي: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويفيض، وفي الحديث: أنه جاءه ﷺ رجل به بَذاذةٌ تعلو عنه العين، فقال: «هذا خير من طلاع الأرض ذهبًا»[3]؛ أي: ما يملؤها حتى يطلع عنها ويسيل.

ومنه: حديث عمر رضي الله عنه: لو أن لي طلاع الأرض ذهبًا[4].

وحديث الحسن: لأن أعلمَ أني بريء من النفاق، أحبُّ إليّ من طلاع الأرض ذهبًا[5].

---

(١) في الأصل: «عرفه»، والتصويب من مصدري التخريج.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٨٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٥).

(٣) أورده ابن قتيبة في «غريب الحديث» (١/ ٣٤٦) من حديث عبدالله بن شقيق مرسلًا.

(٤) رواه البخاري (٣٦٩٢).

(٥) رواه جعفر بن محمد الفريابي في «صفة المنافق» (٧٢).

وروى الإمام أحمد في «مسنده» بأسانيدَ محتجٍّ بها في الصحيح، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي ذر ﷺ أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «انظر أرفعَ رجل في المسجد»، فنظرت فإذا رجل عليه حلة، قلت: هذا، قال لي: «قال انظر إلى أوضع رجل في المسجد»، قال: فنظرت فإذا رجل عليه أخلاق، قال: قلت: هذا، قال: فقال رسول الله ﷺ: «لهذا عند الله يوم القيامة خيرٌ من ملء الأرض مثل هذا»[1].

وذلك لأن الله ﷻ لا ينظر إلى صور العباد، وإنما ينظر إلى قلوبهم؛ لأنها محلُّ تقوى الله تعالى، فهي محل نظر الله ﷻ.

وفي الحديث: أنه ﷺ قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[2].

وحينئذ فقد يكون كثير ممن له صورة حسنة، أو مال أو جاه، ورئاسة في الدنيا، ويكون قلبه خرابًا من التقوى، ويكون من ليس له شيء من ذلك قلبه مملوءًا من التقوى، فيكون أكرمَ عند الله ﷻ، بل ذلك هو الأكثر وقوعًا.

كما في الصحيحين: عن حارثة بن وهب، عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف، لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُستكبرٍ»[3].

وفي «مسند سيدنا الإمام أحمد» من حديث أنس ﷺ، عن النبي ﷺ

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ١٧٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨١).

(٢) رواه مسلم (٢٥٦٤/ ٣٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣).

قال: «أما أهلُ الجنة، فكلُّ ضعيفٍ مستضعف أشعثُ ذو طِمْرين، لو أقسم على الله لأبره، وأما أهل النار، فكل جعظـريّ جَـوَّاظ، جمـاعٍ مَنّـاعٍ، ذي تبع»[1].

قوله: عتل ـ بضم العين المهملة والفوقية فلام مشددة ـ هو: الـشديد الجافي، والفَظُّ الغليظ من الناس.

والجواظ ـ بفتح الجيم وتشديد الواو فظاء معجمـة ـ : المختـال فـي مشيه، المتكبر في نفسه، فهو وصف للمتكبر الجافي.

وقال الحافظ المنذري: هو الضخم المختال في مشيه.

وقيل: القصير البطين[2].

وقيل: الجموع المنوع.

(والجعظريّ) بالجيم المفتوحة وسكون العين المهملة وفـتح الظـاء المعجمة المشالة: الفَظّ الغليظ، والأكول الغليظ، والقصير المنتفخ بمـا لـيس عنده.

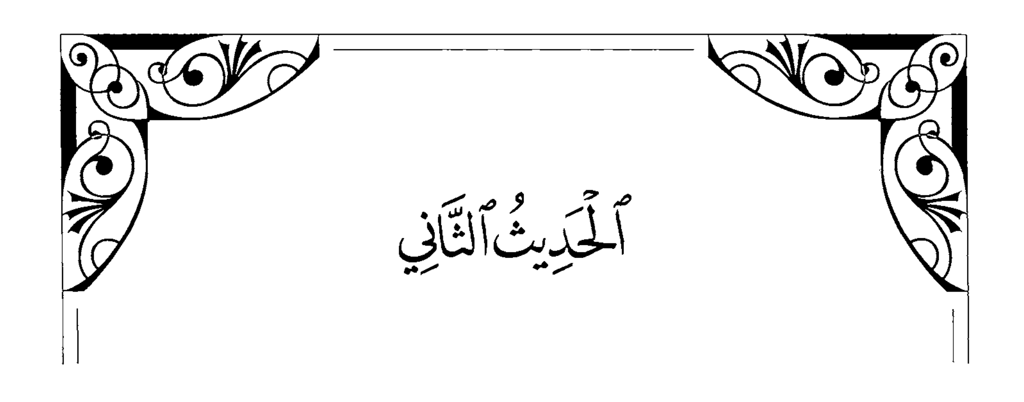
والجعظار: الشرهُ الأكولُ الضخمُ. والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٤٥)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائـد» (١٠/ ٢٦٤): وفيه ابن لهيعة، وحديثه يُعتضد.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٥٣).



الحديث الثاني

٦٧١ ـ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ عَبْدَهُ المُؤْمِنَ، الفَقِيرَ، المُتَعَفِّفَ، أَبَا العِيَالِ». رواه ابن ماجه[1].

(عن عِمرانَ بنِ حُصينٍ ﷺ)، تقدمت ترجمته في (السلام)، (قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله) ﷻ (يحب عبدَه المؤمن) بالله ورسوله، وما جاء به من الدين القويم، (الفقيرَ): يشمل المسكين؛ لأن المراد به هنا: من ليس بِغَنيٍّ، (المتعففَ)، أي: المبالغ في العفة.

قال في «النهاية»: التعفف هو: الكفُّ عن الحرام، والسؤال من الناس؛ أي: من طلبَ العفةَ وتكلفها، مع الحاجة والفقر أحبه الله، وأعطاه الله إياها.

وقيل: التعفف والاستعفاف: الصبر والنزاهة عن الشيء، يقال: عفَّ يَعِفُّ عِفَّة، فهو عفيف.

ومنه حديث: «اللهم إني أسألك العفة والغنى»[2].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢١).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٦٤)، والحديث المذكور =

وذلك لطموح بصيرته عن الخلق إلى الخالق.

(أبا العيال): جمع عَيّل ـ بفتح العين وتشديد الياء التحتية ـ، وجمع العيال: عياييل؛ كجيد وجياد.

قال في «القاموس»: عال فلان عولًا وعيالة: كثر عياله؛ كأعول[1].

وفي الحديث: إشعار بأنه يندب للفقير إظهارُ التعفف، وعدم الشكوى.

واعلم أن الفقر فقران: فقر مثوبة، وفقر عقوبة.

فعلامة الأول: أن يحسن خلقه، ويطيع ربه، ولا يشكو، ويشكر الله على فقره.

وعلامة الثاني: أن يسوء خلقه، ويعصي ربه، ويشكو ويتسخط.

والذي يحبه الله ﷻ الأول دون الثاني، وإنما خص أبا العيال؛ لأن حاجته أشد، وهو للمسألة أعوز.

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «من سأل الناس في غير فاقة نزلت به، أو عيال لا يطيقهم، فتح الله عليه بابَ فاقة من حيث لا يحتسب»، رواه البيهقي[2].

قال الحافظ المنذري: وهو حديث جيد في الشواهد[3].

= رواه مسلم (٢٧٢١) من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى».

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عيل).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٣٥٢٦).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٣٢٣).

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد، ورواته محتج بهم في الصحيح، والطبراني في «الكبير»، والبزار من حديث عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مسألة الغنيّ شَينٌ في وجهه يوم القيامة»، وزاد البزار: «ومسألة الغنيّ نار، إن أُعطي قليلًا فقليل، وإن أُعطي كثيرًا فكثير»[1].

(رواه)؛ أي: حديثَ عمران بن حصين المشروحَ **(ابن ماجه)** في «سننه» بإسناد ضعيف، لكن له شواهد.

وروي بإسناد حسن عن رافع بن خديج رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «إذا أحبَّ الله عز وجل عبدًا، حماه الدنيا كما يظل أحدكم يحمي سقيمه الماء»[2].

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم بلفظه من حديث قتادة، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[3].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «اطلعت في الجنة، فرأيت أكثرَ أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ٤٢٦)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٨/ ١٧٥)، والبزار في «مسنده» (٣٥٧٢)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١/ ٣٢٣): رواه أحمد بإسناد جيد.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٢٩٦) من حديث رافع بن خديج رضي الله عنه.

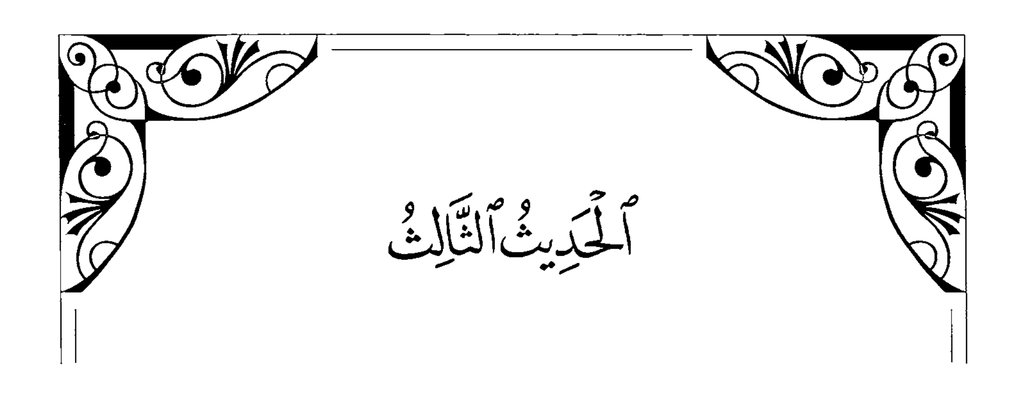
(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٦٤)، من حديث قتادة بن النعمان رضي الله عنه.

(٤) رواه البخاري (٦٤٤٩)، ومسلم (٢٧٣٧).

ورواه الإمام أحمد بإسناد جيد من حديث عبدالله بن عَمرو رضي الله عنهما، إلا أنه قال فيه: «واطلعت في النار، فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء»[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ١٧٣).



الحديث الثالث

٦٧٢ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِيناً، وَأَمِتْنِي مِسْكِيناً، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ». رواه ابن ماجه[1].

(عن أبي سعيدٍ) سعدِ بنِ مالكٍ **(الخدريِّ ﷺ قال: أحبوا المساكين)**؛ لأن حبهم من الدين، فالمساكين الصابرون حبهم لله رب العالمين.

قال أبو سعيد الخدري ﷺ معللًا لأمره بحبِّ المساكين: **(فإني)** الفاء للتعليل **(سمعت رسولَ الله ﷺ يقول في دعائه)**؛ أي: في بعض أدعيته: **(اللهم)** هذه الصيغة كثر استعمالها في الدعاء، ومعناها: يا ألله، فالميم عوض عن حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم ـ مثلًا ـ، وإنما يقال: اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يدخل عليها حرف النداء إلا في نادر الشعر؛ كقول الراجز:

إنـــي إذا مـــا حـــدثٌ ألمّـــا

أقـــولُ يـــا اللهـــمَّ يـــا اللهمـــا[2]

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٢٦).

(٢) قاله أبو خراش الهذلي. انظر: «الحماسة البصرية» لصدر الدين البصري (٢/ ٤٣١).

واختص هذا الاسم بقطع همزته عند النداء، ووجوب تفخيم لامه بدخول حرف النداء عليه مع التعريف، وتقدم ذلك.

(أحيني) بهمزة قطع مفتوحة وسكون الحاء المهملة، يقال: حيي يحيا ـ من باب تعب ـ حياء، فهو حَيِيّ، وتصغيره حُيَيّ، ويتعدى بالهمز، فيقال: أحياه الله، وهذا من المتعدي؛ لأن قوله: (مسكينًا): مفعول به.

قال البيهقي: وجه هذا الحديث عندي: أنه ﷺ لم يسأل حال المسكنة التي يرجع معناها للقلة والاحتياج، وإنما سأل مسكنة يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع[1].

وقال الإمام السبكي: لم يكن رسول الله ﷺ فقيرًا من المال قَطّ، ولا كانت حالته حالةَ فقير، بل كان أغنى الناس بالله، قد كفي دنياه في نفسه وعياله، وكان يقول: «اللهم أحيني مسكينًا»، المراد به: استكانة القلب، لا المسكنة التي هي نوع من الفقر[2].

وقال البيهقي في «سننه»: الذي يدل عليه حاله ﷺ عند وفاته: أنه لم يسأل الله المسكنة إلا التي يرجع معناها إلى الإخبات والتواضع، فكأنه[3] ﷺ يسأل الله تعالى أن لا يجعله من الجبارين والمتكبرين[4].

قوله: (وأمتني)، وفي لفظ: «وتوفني»[5]، (مسكينًا)؛ أي: مخبتًا

---

(١) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٧/ ١٢).

(٢) انظر: «طبقات الشافعية الكبرى» للسبكي (٣/ ١٣٤).

(٣) في الأصل: «وكان»، والمثبت من «السنن الكبرى».

(٤) انظر: «السنن الكبرى» للبيهقي (٧/ ١٢).

(٥) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٤٢٥).

متواضعًا، لا جبارًا، ولا متكبرًا، **(واحشرني)**؛ أي: اجمعني واجعلني يوم البعث والنشور **(في زمرة)**؛ أي: جماعة **(المساكين)** المنكسرة قلوبهم لعزة عظمة ربهم، وأن لا يحشرني في زمرة الأغنياء المسرفين.

قال القتيبي: المسكنة حرف مأخوذ من السكون، يقال: تمسكن؛ أي: تخشَّعَ وتواضع[1].

قال السهروردي: لو سأل الله ﷺ أن يحشر المساكين في زمرته، لكان لهم الفخر العميم، والفضل العظيم، فكيف وقد سأل أن يحشر في زمرتهم.

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(ابن ماجه)**، وتمامه: «وإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا وعذاب الآخرة»، رواه الحاكم بالزيادة المذكورة، وقال: صحيح الإسناد[2].

ورواه أبو الشيخ، والبيهقي عن عطاء بن أبي رباح: سمع أبا سعيد يقول: أيها الناس! لا تحملنكم العسرة على طلب الرزق من غير حِلّه؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم توفني فقيرًا، ولا توفني غنيًّا، واحشرني في زمرة المساكين؛ فإن أشقى الأشقياء من اجتمع عليه فقر الدنيا، وعذاب الآخرة»[3].

قال أبو الشيخ: زاد فيه غير أبي زرعة عن سليمان بن عبد الرحمن: «ولا تحشرني في زمرة الأغنياء»[4].

---

(١) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص: ١٦٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩١١).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٤٩٩).

(٤) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٦٧).

وصحح هذا الحديث الحاكم[1]، والحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ، وادعى الحافظ ابن الجوزي، وكذا شيخ الإسلام ابنُ تيمية أنه موضوع[2]، وظاهر صنيع الحافظ المنذري، والحافظ السيوطي: أنه صحيح[3]، وهو ظاهر صنيعِ الحافظ هنا، وصححه في «المختارة»[4].

ولفظ الحافظ ابن الجوزي ـ بعد ذكره للحديث المشروح بلفظه ـ: هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ، وأعله بأبي مبارك بأنه رجل مجهول.

قاله أبو حاتم الرازي، وأعله بيزيد بن سنان.

قال الإمام يحيى بن معين عنه: إنه ليس بشيء.

وقال ابن المديني: ضعيف الحديث.

وقال النسائي: متروك الحديث[5].

وذكره الحافظ ابن الجوزي ـ أيضًا ـ من حديث أنس رضي الله عنه، وفي آخره: فقالت عائشة رضي الله عنها: لم يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩١١).

(٢) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٣٢٨)، و«أحاديث القصاص» لابن تيمية (ص: ١٠١).

(٣) صححه السيوطي في «الجامع الصغير» كما في «فيض القدير» للمناوي (٢/ ١٠٣).

(٤) رواه الضياء المقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣٣٢) من حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه، وقال: وفي إسناده من لم أجده. ولم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٥) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٣٢٨).

بأربعين خريفًا، يا عائشة! لا تردي المساكين ولو بشق تمرة، يا عائشة! أحبي المساكين وقربيهم؛ فإن الله يقربك يوم القيامة».

قال: وفي سنده الحارث بن النعمان، قال البخاري: منكر الحديث[1]. انتهى.

وتعقبه السيوطي بأن حديث أنس أخرجه الترمذي[2]، والبيهقي في «الشعب»[3]، وقال: الحارث لم يتهم بكذب، بل قال فيه أبو حاتم: ليس بقوي[4]، ومن يوصف بهذا، يحسن حديثه بالمتابعة، وحديث أبي سعيد المشروح صححه الحاكم[5]، وأقره الذهبي، والبيهقي[6].

وورد ـ أيضًا ـ من حديث عبادة بن الصامت، أخرجه ابن عساكر في «تاريخه»[7].

قلت: ذكر الحافظ المنذري حديث أنس بصيغة التمريض، وقد عُلم أنها إلى ما لا يتطرق إليه احتمال التحسين.

قال: وقال الترمذي: حديث غريب.

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) رواه الترمذي (٢٣٥٢).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (١٤٥٣، ١٠٥٠٧).

(٤) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٣/ ٩١).

(٥) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٩١١) وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٦) انظر: «التلخيص» للذهبي (٤/ ٣٢٢)، و«شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ١٦٧).

(٧) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٨/ ١٩٤).

ثم أورد له شاهدًا من حديث ابن عباس ﷺ، وفيه: «إذا صليت، فقل: اللهم إني أسألك فعلَ الخيرات، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وإذا أردت بعبادك فتنة، فاقبضني إليك غير مفتون»، رواه الترمذي وحسنه[1].

قلت: وقد أخرج هذا الحديث بطوله ـ وهو حديث المنام ـ الإمامُ أحمد من حديث معاذ، وهو حديث اختصام الملأ الأعلى[2].

ورواه الترمذي وقال: حديث صحيح، قال: وسألت محمد بن إسماعيل البخاري عن هذا، فقال: هذا حديث حسن صحيح، وفيه: «اللهم إني أسألك فعل الخيرات، وترك المنكرات، وحب المساكين، وأن تغفر لي وترحمني، وإذا أردت فتنة في قوم، فتوفني غيرَ مفتون الحديث»[3].

فحب المساكين قد وصى به النبي ﷺ غيرَ واحد من أصحابه المشهورين؛ فقد قال أبو ذر ﷺ: وصاني رسول الله ﷺ أن أحبَّ المساكين، وأن أدنوَ منهم. رواه الإمام أحمد[4].

ومر حديث عائشة عند الترمذي[5].

ويروى أن داود ـ عليه السلام ـ كان يجالس المساكين، ويقول: يا رب!

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٦٧)، والحديث المذكور رواه الترمذي (٣٢٣٣).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٥/ ٢٤٣).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٣٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٧).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٥٢).

مسكين بين مساكين[1].

ولم يزل السلف الصالح يوصون بحب المساكين.

ذكر الحافظ ابن رجب في «اختيار الأولى لشرح حديث اختصام الملأ الأعلى»: كتب سفيان الثوري إلى بعض إخوانه: عليك بالفقراء والمساكين، والدنو منهم؛ فإن رسول الله ﷺ كان يسأل ربه حبَّ المساكين[2].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه يحب المساكين، ويجلس إليهم، ويحدثهم ويحدثونه، وكان النبي ﷺ يكنيه: أبا المساكين[3].

وفي رواية: أنه كان يطعمهم، وربما أخرج لهم عُكَّة فيها العسل، فسقوها[4].

وكانت زينب أم المؤمنين تسمى: أم المساكين؛ لكثرة إحسانها إليهم[5].

وفي وصف ضرار بن ضمرة[6] لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧٣).

(٢) انظر: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب (ص: ٩٥).

(٣) رواه الترمذي (٣٧٦٦)، وقال: وأبو إسحاق المخزومي هو إبراهيم بن الفضل المدني، وقد تكلم فيه بعض أهل الحديث من قبل حفظه.

(٤) رواه الترمذي (٣٧٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٥) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٦/ ٦١).

(٦) في الأصل: «مرة»، والمثبت من «حلية الأولياء».

رضوان الله عليه: كان يعظم أهل الدين، ويحب المساكين[1].

ومر ابنه السبط أميرُ المؤمنين الحسن ﷺ على مساكين يأكلون، فدعوه فأجابهم، وأكل معهم، وتلا: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[النحل: ٢٣]، ثم دعاهم إلى منزله، فأطعمهم وأكرمهم[2].

وكان أبو عبد الرحمن عبدُالله بنُ عمرَ ﷺ لا يأكل غالبًا إلا مع المساكين، وكان يقول: لعل بعض هؤلاء أن يكون مَلِكًا يوم القيامة[3].

وقال الفضيلُ بنُ عياض: من أراد عز الآخرة، فليكنْ مجلسُه مع المساكين[4].

وقال الحافظ ابن رجب: محبة المساكين توجب إخلاص العمل لله ﷻ؛ لأن الإحسان إليهم لمحبتهم لا يكون إلا لله؛ لأن نفعهم في الدنيا لا يرجى غالبًا، فأما من أحسن إليهم ليُمدح بذلك، فما أحسن إليهم حُبًّا لهم، بل حبًّا لأهل الدنيا، وطلبًا لمدحهم له بحب المساكين[5].

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١/ ٨٤).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١١٠) من فعل الحسين بن علي ﷺ.

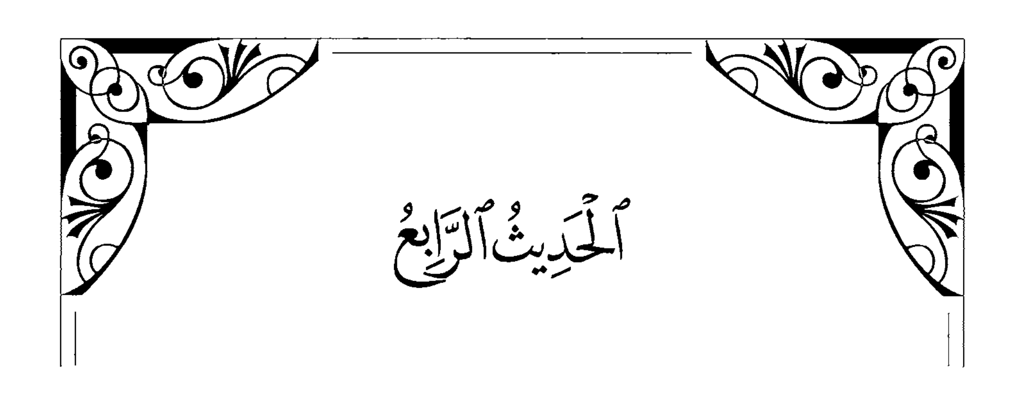
(٣) أورده ابن رجب في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص: ٩٨).

(٤) أورده ابن رجب في «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» (ص: ٩٨).

(٥) انظر: «اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى» لابن رجب (ص: ١٠٢).

واعلم: أن المساكين إذا أطلقوا، إنما يراد بهم غالبًا: من لا مال له يكفيه؛ فإن الحاجة توجب السكون والتواضع؛ بخلاف الغنى؛ فإنه يثمر الطغيان، ولما كان المسكين عند الإطلاق لا ينصرف إلا إلى من لا كفاية له من المال، وصى الله تعالى بإيتاء المساكين، وإطعامهم الطعام، والله ولي الإنعام.

* * *



الحديث الرابع

٦٧٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا». رواه البخاريُّ مسلمٌ[١].

(عن أبي هريرة) عبدِ الرحمن بنِ صخرٍ (رضي الله عنه **قال: قال رسول الله ﷺ: اللهم)**؛ أي: يا ألله، **(اجعل رزقَ آلِ)** نبيك **(محمدٍ)** ﷺ **(قوتًا)**، وفي رواية: «كفافًا»[٢]، والكفاف: هو الذي ليس فيه فضل عن الكفاية.

وفي رواية: «اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتًا»[٣].

وفي رواية للبخاري: «اللهم ارزق آل محمد قوتًا»[٤].

قال الحافظ ابن حجر: اللفظ الأول هو المعتمد؛ فإن الثاني صالح لأن يكون دعاء بطلبه القوتَ في ذلك اليوم، وأن يكون طلب لهم القوت دائمًا؛ بخلاف اللفظ الأول؛ فإنه يُعين الاحتمال الثاني، وهو الدال على الكفاف.

---

(١) رواه البخاري (٦٤٦٠)، ومسلم (١٠٥٥).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٣٤٣).

(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦١٠٣).

(٤) رواه البخاري (٦٤٦٠).

وعلى ذلك شرحه ابن بطال، فقال: فيه دليل على فضل الكفاف، وأخذ البلغة من الدنيا، والزهد فيما فوق ذلك رغبةً في توفير نعيم الآخرة، وإيثارًا لما يبقى على ما يفنى، فينبغي أن يُقتدى به ﷺ في ذلك.

وقال القرطبي: معنى الحديث: أنه طلب الكفاف؛ فإن القوت ما يقوت البدنَ، ويكف عن الحاجة، وفي هذه الحالة سلامة من آفات الغنى والفقر جميعًا. انتهى[(١)].

وقال الإمام النووي في «شرح مسلم»: قوله ﷺ: «اللهم اجعلْ رزقَ آل محمد قوتًا»، قيل: كفايتهم من غير إسراف، وهو بمعنى قوله في الرواية الأخرى: «كفافًا»، وهو سدّ الرمق[(٢)]. انتهى.

وقال القرطبي: يقوتهم ويكفيهم بحيث لا يسومهم الجهد، ولا ترهقهم الفاقة، ولا تذلهم المسألة والحاجة، ولا يكون في ذلك فضول يخرج إلى الترفّهِ والتبسطِ في الدنيا، والركون إليها[(٣)]. انتهى.

وقال الحافظ ابن رجب في شرح حديث: «إن أغبطَ أوليائي عندي لمؤمنٌ خفيفُ الحاذ»[(٤)]: قوله: «وكان رزقه كفافًا، فصبر على ذلك»[(٥)]: هذا خير الرزق؛ كما في حديث: «خير الرزق ما يكفي»، رواه الإمام أحمد

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٩٣).

(٢) انظر: «شرح النووي على مسلم» للنووي (١٨/ ١٠٥ ـ ١٠٦).

(٣) انظر: «المفهم» للقرطبي (٣/ ١٠٠).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٧) من حديث أبي أمامة ﷺ، وقال: حديث حسن.

(٥) انظر التعليق السابق.

في «الزهد»[1]، ولفظة: «خير الرزق الكفاف» عن زياد بن جبير مرسلًا[2].

وروى ابن عدي، والديلمي في «مسند الفردوس» من حديث أنس ﷺ مرفوعًا: «خير الرزق ما كان يومًا بيوم»[3].

وقد فسر طائفة من المحدّثين المفسرين قوله تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[طه: ١٣١] بهذا، فقالوا: المراد: رزق يوم بيوم.

وفي «صحيح مسلم» عن عبدِالله بنِ عمرٍو ﷺ، عن النبي ﷺ أنه قال: «قد أفلح من هُدي إلى الإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقَنَّعه الله به»[4].

وروى نحوه الترمذي، والنسائي من حديث فَضالةَ بنِ عُبيدٍ ﷺ، عن النبي ﷺ، ولفظه: قال: «طوبى لمن هُدي للإسلام، وكان عيشه كفافًا، وقنع»[5].

وفي «المسند»، و«سنن ابن ماجه» عن أنس مرفوعًا: «ما من غني ولا فقير إلا ودّ يوم القيامة أنه أوتي قوتًا»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ١٠) من حديث سعد بن مالك ﷺ.

(٢) أورده السيوطي في «الجامع الصغير»، وعزاه الإمام أحمد في «الزهد» عن زياد بن جبير مرسلًا. انظر: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٤٧٢).

(٣) رواه ابن عدي في «الكامل في ضعفاء الرجال» (٣/ ٢٤٧)، وأورده الديلمي في «الفردوس» (٢٩٠٧).

(٤) رواه مسلم (١٠٥٤).

(٥) رواه الترمذي (٢٣٤٩)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٧٩٣)، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(٦) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١١٧)، وابن ماجه (٤١٤٠).

وروى ابن أبي الدنيا من حديث أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «اللهمَّ مَنْ أَحبني، فارزقه العفافَ والكفاف، ومن أبغضني، فأكثرْ مالَه وولده»[1].

وفي «سنن الترمذي»، وابن ماجه عن النبي ﷺ قال: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافًى في بدنه، عنده قوتُ يومه، فكأنما حيزتْ له الدنيا»[2].

وخرجه الطبراني، وزاد في أوله: «ابنَ آدم! عندك ما يكفيك، وأنت تطلب ما يُطغيك! لا بقليل تقنع، ولا من كثير تشبع»، وزاد في آخره: «فعلى الدنيا العفاء»[3].

وقال أمير المؤمنين عمرُ بنُ الخطاب ﷺ: كونوا أوعية للكتاب، ينابيع للعلم، وسلوا الله رزقَ يوم بيوم، وعُدُّوا أنفسَكم في الموتى، ولا يضركم أن لا يكثر لكم[4].

(رواه)؛ أي: حديثَ أبي هريرة المشروحَ **(البخاري، ومسلم)**، وكذا

---

(١) لم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا، ورواه أبو بكر الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (٢٩٨٠).

(٢) رواه الترمذي (٢٣٤٦)، ابن ماجه (٤١٤١)، من حديث عبيدالله بن محصن ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن غريب.

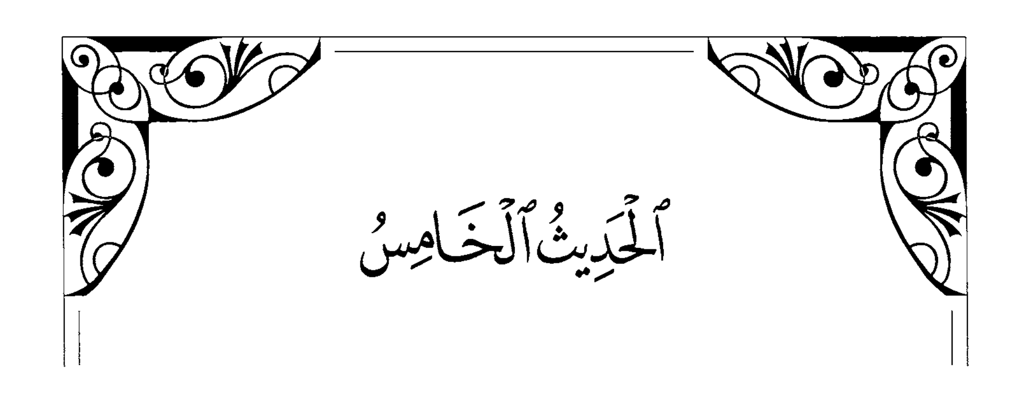
(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٨٧٥) من حديث عمر ﷺ، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٢٨٩): وفيه أبو بكر الداهري، وهو ضعيف.

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «التواضع والخمول» (١٢).

الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، وغيرهم[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٤٦)، والترمذي (٢٣٦١)، وابن ماجه (٤١٣٩)، وتقدم تخريجه عند البخاري ومسلم.



الحديث الخامس

٦٧٤ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ أَنَّهَا قَالَتْ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. رواه مسلم[١].

(عن) أم المؤمنين **(عائشةَ)** الصدِّيقة **(﵂ أنها قالت: ما شبع آل محمد)** ﷺ المرادُ من آله هنا: نساؤه وخدمه ومَنْ يعوله، **(من خبز)** بضم الخاء المعجمة وسكون الموحدة فزاي **(شعير)**: بالجر مضافًا إليه، **(يومين متتابعين)**؛ أي: يلي أحدُهما الآخر، **(حتى قبض)** بالوفاة والانتقال من حياة الدنيا إلى الرفيق الأعلى، والدرجاتِ العالية، والنعيمِ المقيم **(رسولُ الله ﷺ)**.

(رواه مسلم).

وروى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم عن عائشة ـ أيضًا ـ ﵂ قالت: كان يأتي علينا الشهرُ وما نوقد فيه نارًا، إنما هو التمر والماء، إلا أن نؤتى باللحم[٢].

وفي رواية: قالت: ما شبع آلُ محمد من خبزِ بُرٍّ ثلاثًا[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٠/ ٢٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٥٠)، والبخاري (٦٤٥٨)، ومسلم (٢٩٧٢).

(٣) رواه البخاري (٥٤٣٨).

وفي رواية: ما أكل آلُ محمد أكلتين في يوم واحد، إلا أحدهما تمر[1].

وكانت تقول لعروةَ بنِ الزبير: يا ابن أختي! إنا لننظر إلى الهلال، ثم الهلال، ثم الهلال، ثلاثة أهلة في شهرين، وما أوقد في أبيات رسول الله ﷺ نار.

قال: قلت: يا خالة! فما كان يعيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح، وكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ ألبانها، فيسقيناه[2].

وقالت في رواية عنها: ما توفي رسولُ الله ﷺ حتى شبع الناس من الأسودين: التمر والماء[3].

وروى الإمام أحمد، ومسلم، وابن سعد، وغيرهم عنها رضي الله عنها قالت: والله! لقد مات رسول الله ﷺ وما شبع من خبز وزيت في يوم واحد مرتين[4].

وفي رواية عند الإمام أحمد: أنها كانت تقول لعروة: وايم الله يا ابن أختي! إن كان يمر على آل محمد الشهرُ لم يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار... الحديث، وفيه: إلا أن حولنا أهل دور من الأنصار جزاهم الله خيرًا في الحديث والقديم، فكلَّ يوم يبعثون إلى رسول الله ﷺ بغزيرة شياههم،

---

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٧/ ٢٦٩).

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٢).

(٣) رواه مسلم (٢٩٧٥) بنحوه.

(٤) رواه مسلم (٢٩٧٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٥)، ولم نقف عليه عند الإمام أحمد.

فينال رسول الله ﷺ من ذلك . . . الحديث[1].

وفي «المسند»، والصحيحين، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: والذي نفسي بيده! ما شبع رسولُ الله ﷺ وأهله ثلاثة أيام تِباعًا من خبزِ حنطةٍ حتى فارق الدنيا[2].

وروى الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن عائشة رضي الله عنها قالت: والذي بعث محمدًا بالحق! ما رأى منخلًا، ولا أكل خبزًا منخولًا منذ بعثه الله إلى أن قبض، قيل: كيف كنتم تصنعون بالشعير؟ قالت: كنا نقول: أف أف[3].

وروى الطبراني عن أم سلمةَ رضي الله عنها قالت: لم ننخل لرسول الله ﷺ دقيقًا قَطّ[4].

وروى البخاري، ومسلم، وغيرهما عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما شبع رسول الله ﷺ ثلاثة أيام تباعًا حتى مضى لسبيله[5].

وروى الإمام أحمد، وابن سعد، والترمذي وصححه عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يبيت الليالي المتتابعة طاويًا، وأهلهُ لا يجدون عَشاء،

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ١٠٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٤٣٤)، والبخاري (٥٣٧٤)، ومسلم (٢٩٧٦)، والترمذي (٢٣٥٨).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٧١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٢): وفيه سليمان بن رومان، ولم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

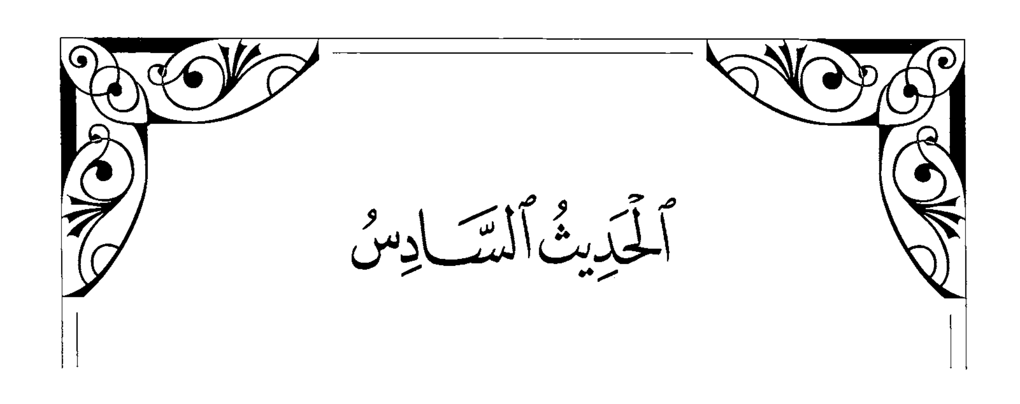
(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٣/ ٣٢٩).

(٥) رواه البخاري (٥٤١٦)، ومسلم (٢٩٧٠).

وكان عامة خبزهم الشعير[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٥٥)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٠)، والترمذي (٢٣٦٠) وقال: حديث حسن صحيح.



الحديث السادس

٦٧٥ ـ عن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قال: أَلَسْتُمْ فِي طَعَامٍ وَشَرَابٍ مَا شِئْتُمْ؟ لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم[١].

(**عن النعمانِ بنِ بشيرٍ** ﷺ)، تقدمت ترجمته في (فضائل الذكر)، (**قال لأصحابه**)، ومن كان عندَه وقتَ خطابه: (**ألستم**) معشرَ المسلمين؛ من الجند وغيرهم (**في طعام**) كثيرٍ طيبٍ، (**وشرابٍ**) لذيذٍ من عسل وحلوى ولبن، وغير ذلك، تأكلون من الطيبات، وتشربون (**ما شئتم**) لكثرِ ما عندكم، ووجدان ما تطلبون وتشتهون، والله! (**لقد**): فاللام في جواب قسم مقدر كما شرحنا، (**رأيت نبيكم**) محمدًا (**رسولَ الله ﷺ ما يجد من الدَّقَل**) هو ـ بفتح الدال المهملة والقاف ـ: رديء التمر.

قال في «القاموس»: الدقل ـ محركة ـ: أردأ التمر[٢].

وقال في «الشامية»: الدقل: حشف التمر[٣].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٧٧/ ٣٤).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: دقل).

(٣) انظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي (٧/ ١٠٦).

(ما)؛ أي: شيئًا (يملأ) منه (بطنه) الشريف؛ أي: لا يجد من حشف التمر ورديئه، فضلًا عن جيده، ما يحصل به الشبع.

(رواه مسلم) في «صحيحه»، ورواه الإمام أحمد، وابن سعد، وأبو يعلى، وابن أبي شيبة في «المصنف»[1].

ولفظ الإمام أحمد: عن النعمان بن بشير ﷺ: والله ﷻ! لربما أتى على رسول الله ﷺ اليومُ يظل يلتوي ما يشبع من الدَّقل[2].

وروى الإمام أحمد برجال الصحيح عن علي بن أبي رباح قال: كنت بالإسكندرية مع عَمرو بن العاص ﷺ، فذكروا ما هم فيه، فقال رجل من الصحابة: لقد توفي رسول الله ﷺ وما شبع أهلُه من الخبز الغليث ـ قال موسى بن علي: يعني: الشعير ـ، والسُّلْت إذا خلطا[3].

السلت ـ بسين مهملة مضمومة فلام ساكنة فمثناة فوقية ـ: هو ضرب من الشعير.

وفي «القاموس»: السلت بالضم: الشعير، أو ضرب منه، أو الحامض[4]. انتهى.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢١)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٦)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٣٢٢). ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٢٣) من حديث النعمان بن بشير ﷺ، عن عمر ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» من حديث النعمان بن بشير ﷺ، عن عمر ﷺ: لقد رأيت رسول الله ﷺ يلتوي ما يجد ما يملأ به بطنه من الدقل.

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٤/ ١٩٧).

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سلت).

وروى ابن سعد عن الأعرج قال: قال أبو هريرة ﷺ: كان رسول الله ﷺ يجوع، قلت لأبي هريرة: وكيف ذلك الجوع؟ قال: لكثرة من يغشاه وأضيافه، وقوم يلزمونه لذلك، فلا يأكل طعامًا أبدًا إلا ومعه أصحابه وأهلُ الحاجة يتتبعون من المسجد، فلما فتح الله ﷻ خيبر، اتسع الناس بعضَ الاتساع، وفي الأمر بعدُ ضيق، والمعاش شديد، وهي بلاد لا زرع فيها، إنما طعام أهلها التمر، وعلى ذلك أقاموا[1].

* **تنبيهات:**

الأول: كان فقر النبي ﷺ اختياريًا.

وقد روى الإمام أحمد، وابن حبان من حديث أبي هريرة ﷺ، ويعقوبُ ابن سفيان، وابنُ مردويه عن ابن عباس ﷺ: أن جبريل جلس إلى النبي ﷺ، فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ خلق قبل الساعة، قال: يا محمد! إن الله تعالى يخيرك بين أن تكون عبدًا نبيًا، وبين أن تكون نبيًا ملكًا، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبريل كالمستشير له، فأشار جبريل إلى رسولِ الله ﷺ أنْ تواضعْ لربك، فقال رسول الله ﷺ: «بل أكون نبيًا عبدًا»[2].

قال ابن عباس ﷺ: فما أكل بعد ذلك طعامًا متكئًا حتى لقي ربه[3].

---

(١) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٢٣١)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٥)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٣) رواه يعقوب بن سفيان في «المعرفة والتاريخ» (١/ ١٧٦) من حديث ابن عباس ﷺ، وأورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٧/ ٦)، وعزاه لابن مردويه وغيره.

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لقد هبط عليّ ملك من السماء ما هبط على نبي قبلي، ولا يهبط على أحد بعدي، وهو إسرافيل ـ عليه السلام ـ، فقال: أنا رسول ربك إليك، أمرني أن أُخَيِّرَكَ إن شئت نبيًّا عبدًا، وإن شئت نبيًّا ملكًا، فنظرت إلى جبريل، فأومأ إليّ أن تواضعْ، فلو أني قلت: نبيًّا ملكًا، لسارت معي الجبال ذهبًا»[1].

وروى الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن جرير: قيل للنبي ﷺ: إن شئت أعطيناكَ خزائنَ الأرضِ ومفاتيحَها ما لم يعط نبيٌّ قبلك، ولا يعطاها أحدٌ بعدك، ولا ينقصك ذلك مما عند الله شيئًا، وإن شئت جمعتها لك في الآخرة، فقال: «اجمعوها لي في الآخرة»[2].

وروى الإمام عبدُالله بنُ المبارك عن أبي أُمامةَ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض عليّ ربي ليجعل لي بطحاء مكةَ ذهبًا، فقلت: لا يا ربّ، ولكن أشبع يومًا ـ أو قال: ثلاثة، أو نحو هذا ـ، فإذا جعتُ، تضرعْتُ إليك، وإذا شبعت حَمِدْتك وشكرتك»[3]، ورواه الترمذي وحسنه[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٣٠٩)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ١٩): وفيه يحيى بن عبدالله البابلتي، وهو ضعيف.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣١٨٠٠) عن حبيب بن أبي ثابت عن خيثمة بن عبد الرحمن، وحماد بن إسحاق في «تركة النبي ﷺ» (ص: ٤٧)، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٨٦) عن حبيب، وأورده السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٢٣٨) عن خيثمة، وعزاه للفريابي غيرهم.

(٣) رواه عبدالله بن المبارك في «الزهد» (٢/ ٥٤).

(٤) رواه الترمذي (٢٣٤٧) وقال: حديث حسن.

وروى ابن حبان في «صحيحه» من حديث جابرٍ ﵁ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُتيتُ بمقاليد الدنيا ـ أي: مفاتيحها ـ على فرسٍ أبلقَ عليه قَطيفةٌ من سُندس»[1].

وفي الباب عدة أحاديث عن جماعة من الصحابة ﵃.

الثاني: قال الحافظ ابنُ عبدِالله العجلي: سألت نعيم بن حماد، فقلت: جاء عن رسول الله ﷺ أنه لم يشبع في يوم خبزًا مرتين[2]، وجاء عنه: أنه كان يُعِدّ لأهله قوتَ سنة[3]، فكيف هذا؟

قال: كان يعد لأهله قوت سنة، فتنزل النازلة، فيقسمه، فيبقى بلا شيء[4].

وقال الحافظ ابنُ كثير: المراد: أنه ﷺ كان لا يدخر شيئًا مما يسرع إليه الفساد؛ كالأطعمة ونحوها؛ لما ثبت في الصحيحين عن عمر ﵁ قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسول الله ﷺ مما لم يوجفِ المسلمون عليها بخيل ولا ركاب، فكان يعزل نفقة أهله سنة، ثم يجعل ما بقي في الكراع والسلاح عُدّةً في سبيل الله ﷻ[5].

قال: ومما يؤيد ما قلناه: ما رواه الإمام أحمد بسند رجاله ثقات عن

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٣٦٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٧٤)، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٠٥)، من حديث عائشة ﵂.

(٣) رواه البخاري (٥٣٥٧) من حديث عمر ﵁.

(٤) انظر: «معرفة الثقات» للعجلي (٢/ ٢١٦).

(٥) رواه البخاري (٥٣٥٧)، ومسلم (١٧٥٧/ ٤٨) واللفظ له.

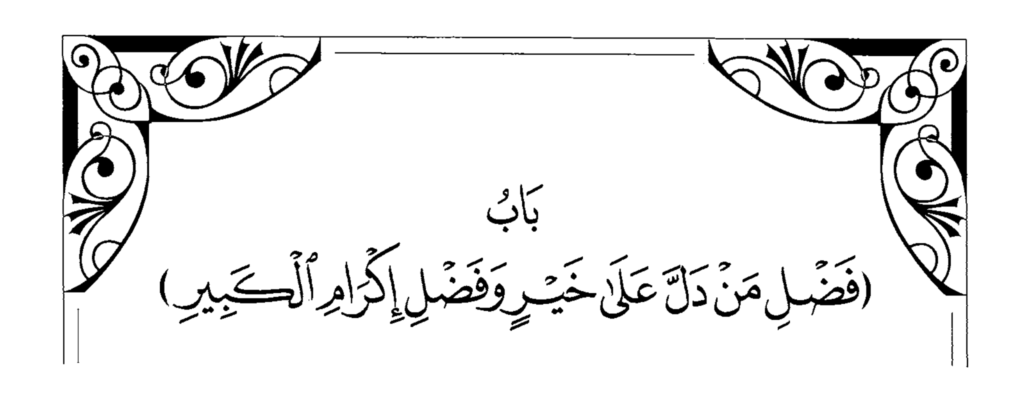
أنس ﷺ قال: أُهديت لرسول الله ﷺ ثلاث طوائر، فأطعم خادمة طائرًا، فلما كان من الغد، أتته به، فقال لها رسول الله ﷺ: «ألم أنهك أن ترفعي شيئًا لغد؛ فإن الله تعالى يأتي برزق غد»[1].

الثالث: دلت الأحاديث المارة على الزهد في الدنيا وفضيلته، وسيأتي الكلام عليه عند ذكر الحافظ المصنف له في آخر الكتاب إن شاء الله تعالى.

❐ ❐ ❐

---

(١) انظر: «البداية والنهاية» لابن كثير (٦/ ٥٤)، والحديث المذكور رواه الإمام أحمد في «المسند» (٣/ ١٩٨)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٠٣): إسناده حسن.



بَابُ (فَضْلِ مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ وَفَضْلِ إِكْرَامِ ٱلْكَبِيرِ)

وذكر الحافظ المصنف في ذلك أربعة أحاديث:

[ٱلْحَدِيثُ] ٱلْأَوَّلُ

٦٧٦ ـ عَن أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! إِنِّي أُبْدِعَ بِي، فَاحْمِلْنِي، قَالَ: «لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكَ عَلَيهِ، وَلَكِنِ ائْتِ فُلَاناً، فَلَعَلَّهُ أَنْ يَحْمِلَكَ»، فَأَتَاهُ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَن دَلَّ عَلَى خَيْرٍ؛ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

(عن أبي مسعود)، واسمه عُقبةُ بنُ عمرِو بنِ ثعلبةَ **(الأنصاريِّ)** الخزرجيِّ البدريِّ (ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل الصدقة على القرابة).

(قال) أبو مسعود الأنصاري ﷺ: **(جاء رجل)** لم أقف على تسميته **(إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! إني أُبْدِعَ)** بضم الهمزة وسكون الموحدة

(١) رواه مسلم (١٨٩٣/ ١٣٣).

وكسر الدال المهملة (بي)؛ أي: هلكت راحلتي، وانقطع بي.

وروي: (بُدِّع)[1] بضم الموحدة وتشديد الدال.

قال القاضي عياض وغيره: وليس بمعروف في اللغة[2].

قال في «المطالع»: قوله: (أبدع بي) ـ بضم الهمزة ـ قال بعضهم: هكذا استُعملت هذه اللفظة فيمن وقفت به دابته، وأَعْيَتْ كلالًا.

قال: ورواه العذري: (بدع بي) بغير همز وبتشديد الدال.

قال: والمعروف: (أبدع)، وأبدعت الركاب: كَلَّت وعطبت أيضًا.

وقيل: لا يكون الإبداع إلا مع ظَلَع، وأبدعت به راحلته؛ أي: ظلعت[3].

(فاحملني)؛ أي: على دابة من عندك، **(قال)** ﷺ: **(لا أجد ما)**؛ أي: دابة ولا ظهرًا **(أحملك عليه، ولكن ائت فلاناً)** لرجلٍ من الصحابة عيَّنه له، **(فلعله أن يحملك)**.

وفي رواية: فقال رجل: يا رسول الله! أنا أدله على من يحمله[4].

(فأتاه) ـ بقصر الهمزة ـ ؛ أي: جاء فلاناً الذي عين لذلك؛ يعني: أنه إذا استحمله حمله، **(فحمله، فأتى)** الرجلُ المحمول **(رسولَ الله)** منصوب على المفعولية (ﷺ، **فأخبره)** بأنه ذهب إلى الرجل الذي عينه له، ودلَّه عليه،

---

(١) رواه أبو عوانة في «مسنده» (٧٤٠٢)، وابن عساكر في «معجمه» (١٣٤٦).

(٢) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٦/ ٣١٦).

(٣) انظر: «مطالع الأنوار» لابن قرقول (١/ ٤٥٨).

(٤) هذا لفظ مسلم.

فاستحمله فحمله، **(فقال رسول الله ﷺ)** حينئذ: **(من دل على خير، فله)** من الأجر والثواب **(مثلُ أجر فاعله)** وثوابه؛ لأن المتسبب في الخير كفاعله.

(رواه مسلم)، وكذا رواه الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي[1].

قوله: «من دلَّ على خير؛ فله مثل أجر فاعله»، قال النووي: المراد أن له ثوابًا كما أن لفاعله ثوابًا، ولا يلزم أن يكون قدر ثوابهما سواء. انتهى[2].

وذهب بعض الأئمة إلى أن المثل المذكور في هذا الحديث ونحوه إنما هو بغير تضعيف.

واختار القرطبي: أنه مثله سواء في القدر والتضعيف.

قال: لأن الثواب على الأعمال إنما هو بفضل من الله ﷻ، فيهبه لمن يشاء على أي شيء صدر منه، خصوصًا إذا صحت النية التي هي أصل الأعمال في طاعة وقربة عجز عن فعلها مانع منع منها، فلا بعدَ في مساواة أجر ذلك العاجز لأجر القادر الفاعل، أو يزيد عليه.

قال: وهذا جارٍ على كل ما ورد مما يشبه ذلك؛ كحديث: «من فَطَّر صائمًا؛ فله مثلُ أجره»[3].

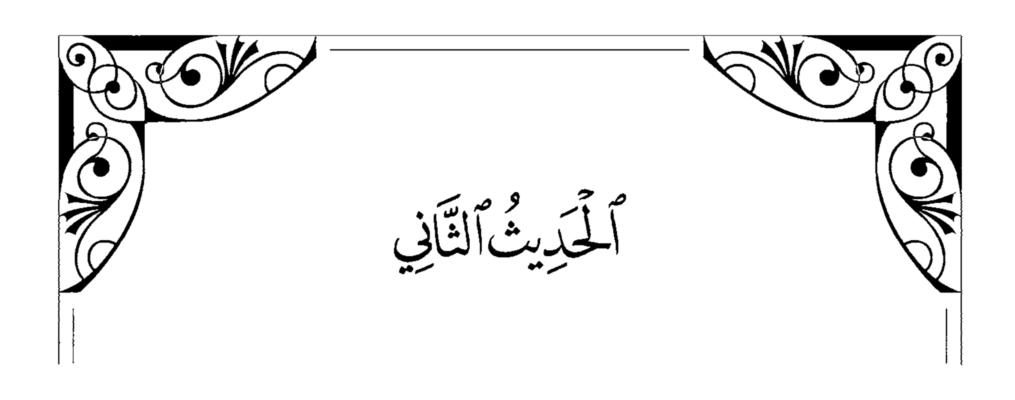
* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٧٠٨٤ ـ ط الرسالة)، وأبو داود (٥١٢٩)، والترمذي (٢٦٧١).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٣/ ٣٩).

(٣) انظر: «المفهم» للقرطبي (٣/ ٧٢٧)، والحديث رواه الترمذي (٨٠٧) من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.



الحديث الثاني

٦٧٧ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ، فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَحْمِلُهُ، فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الخَيْرِ كَفَاعِلِهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قال: أتى النبيَّ ﷺ رجل يستحمله)**؛ أي: يطلب منه أن يحمله، فالسين هنا للطلب، **(فلم يجد)** الطالبُ **(عندَه)**؛ أي: عند النبي ﷺ **(ما يحمله)** عليه من الظَّهر، **(فدله)**؛ أي: دلَّ النبيُّ ﷺ الطالبَ أن يحمل **(على رجل آخر)** من أصحابه ﵃، فوافق عنده فضل ظَهر، **(فحمله)** عليه، **(فأتى)** الرجلُ **(النبيَّ ﷺ)**؛ أي: رجع إليه، **(فأخبره)** أن الرجل الذي دلَّه عليه قد حمله، **(فقال)** النبي ﷺ: **(إن الدالَّ على الخير)** من ذكرٍ أو أنثى **(كفاعِله)** في الأجر والثواب.

(رواه الترمذي وقال: حديث غريب).

ويدخل في هذا معلمُ العلم بالأَولى.

---

(١) رواه الترمذي (٢٦٧٠).

وروى الطبراني في «الكبير» من حديث سهلِ بنِ سعدٍ الساعديِّ، ومن حديث أبي مسعودٍ، مرفوعًا: «الدالُّ على الخير كفاعله»[1].

ورواه البزار، وأبو يعلى الموصلي من حديث أبي مسعود رضي الله عنه[2].

وذلك لإعانته على فعل الخير، فإن حصل فله مثلُ ثوابه، وإن لم يحصل فله ثوابُ دلالته.

وتمام الحديث: «والدال على الشر كفاعله»[3].

وروى الإمام أحمد في «المسند»، والحافظ المصنف الضياء في «المختارة» من حديث بُريدةَ بنِ الحصيب رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدالُّ على الخير كفاعله، والله يحبُّ إغاثةَ اللهفان»[4].

ورواه ابن أبي الدنيا في كتابه «فضل قضاء الحوائج» عن أنس بإسناد حسن، مرفوعًا[5].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٥٩٤٥) من حديث سهل رضي الله عنه، و(١٧/ ٢٢٧) من حديث أبي مسعود رضي الله عنه.

(٢) رواه البزار في «مسنده» (١٧٤٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢٩٦) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) رواه أبو بكر الإسماعيلي في «معجم أسامي شيوخه» (١/ ٤٦٥) من حديث أنس رضي الله عنه، والديلمي في «الفردوس» (٣١٢١) من حديث عائشة وابن مسعود رضي الله عنهما.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٥٧) دون الجزء الأخير منه، ولم نقف عليه عند الضياء. ورواه بتمامه تمام في «فوائده» (١٥٨٣)، وفي إسناده سليمان الشاذكوني، وهو ضعيف. انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٣/ ٢٩٥).

(٥) رواه ابن أبي الدنيا في «قضاء الحوائج» (٢٧).

قال في «النهاية»: اللهفان هو: المكروب، يقال: لَهِف يلهَف لهَفًا، فهو لَهْفان، ولُهِفَ، فهو ملهوف.

وفي حديث: أنه ﷺ كان يحب إغاثة الملهوف[1].

قال في «النهاية»: الإغاثة بمعنى الإعانة، وأغاث الله البلاد يغيثها: إذا سقاها الغيث، وهو المطر[2].

وترجم في «صحيح البخاري»: (باب: تعاون المؤمنين بعضهم بعضًا)[3]، وفيه الحديث المشهور: «المؤمنُ للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا». أخرجه النسائي، وغيره[4].

قال ابن بطال: المعاونة في أمور الآخرة، وكذا في الأمور المباحة من الدنيا، مندوبٌ إليها[5].

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ٢٨٢)، وفيه: «إغاثة اللهفان» بدل: «إغاثة الملهوف»، والحديث لم نقف عليه بهذا اللفظ، ورواه أبو يعلى في «مسنده» (٤٢٩٦)، والبزار في «مسنده» (٧٥٢١)، من حديث أنس ﷺ بلفظ: «الدال على الخير كفاعله، والله يحب إغاثة اللهفان»، وفيه زياد النميري. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٣/ ١٣٧): وثقه ابن حبان ـ وقال: يخطئ ـ وابن عدي، وضعفه جماعة، وبقية رجاله ثقات، ورواه أبو يعلى كذلك.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٠٠).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٨/ ١٢).

(٤) رواه النسائي (٢٥٦٠) من حديث أبي موسى ﷺ، ورواه البخاري من حديثه (٦٠٢٦).

(٥) انظر: «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٢٢٧).

وقد مرَّ حديث أبي هريرة: «واللهُ في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه»[1].

وتقدم حديث ابن عباس رضي الله عنهما رفعه: «من سعى لأخيه المسلم في حاجة، قُضيت له أو لم تُقض؛ غفر له»[2].

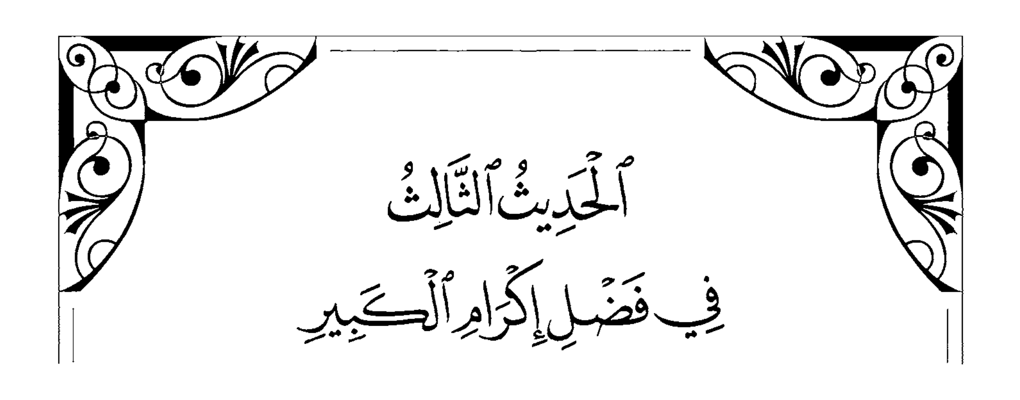
وفي هذه الأحاديث الحضُّ على الخير بالفعل، وبالتسبب إليه بكل وجه. والله أعلم.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.



الحديث الثالث
في فضل إكرام الكبير

٦٧٨ ـ عَن أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا أَكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيَّضَ اللهُ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ(١).

(عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما أكرم)؛ أي: وَقَّر واعتبر (شابٌّ) من شُبان المسلمين (شيخًا) من المسلمين (لـ) أجلِ (سنه)؛ أي: لكبره ولشيخوخته، لا لأمر آخر، (إلا قَيَّض الله) ﷻ (له)؛ أي: لذلك الشاب؛ يعني: إلا سبب وقَدَّر، يقال: هذا قيض لهذا، وقياض له؛ أي: مساوٍ له، (مَنْ)؛ أي: شخصًا من بني آدم (يُكرمه)؛ أي: يوقره، ويحتفل به، ويقوم بلازمه، ويتعاهد شؤونه (عند) كبر (سنه) واحتياجه لمن يقوم بأَوَدِه؛ مجازاة له على فعله؛ بأن يقدر له عُمرًا يبلغ به من الشيخوخة، ويقيض له مَنْ يكرمه.

وفي ذلك إشعارٌ بأنه من الأسباب التي يطول بها العمر؛ بشرط إخلاص النية لوجه الله ﷻ.

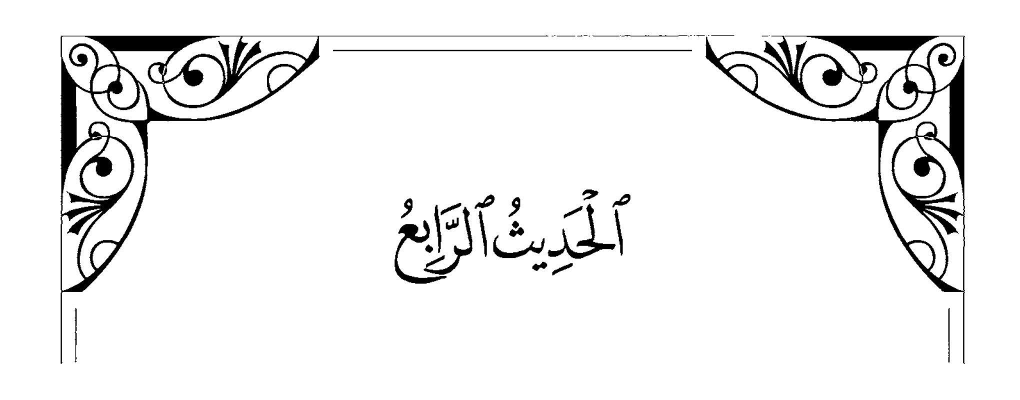
---

(١) رواه الترمذي (٢٠٢٢).

(رواه الترمذي وقال: حديث غريب)، وقـال العلقمـي والمنـاوي: حسن، وقد رمز السيوطي لحسنه[1].

* * *

(١) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٥/ ٤٢٥).



الحديث الرابع

٦٧٩ ـ عَن أَبِـي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِن إِجْلاَلِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرِ الغَالِي فِيْهِ وَالجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

(عن أبي موسى) عبدِالله بنِ قيسٍ (الأشعريِّ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: إن من إجلال الله) ﷻ (إكرامَ ذي)؛ أي: صاحب (الشيبة المسلم)؛ يعني: المسلم الشايب، (و) إكرام (حامل القرآن) العظيم؛ لأنه حبلُ الله المتين، ووحيه المبين، (غير الغالي فيه)؛ أي: التشدد[2] فيه، ومجاوزة الحدِّ من كثرة البحث عن بواطنِ مشتبهاته، والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها، (و) غير (الجافي عنه).

قال في «النهاية»: إنما قال ﷺ ذلك لأن من أخلاقه وآدابه التي أمر بها القصدَ في الأمور، وخير الأمور أوساطها، وكلا طرفَيْ قصدِ الأمور ذميم.

وأصل الغلو: الارتفاع، ومجاوزة القدر في كل شيء، يقال: غاليتُ

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٤٣).

(٢) في الأصل: «المتشدد»، والتصويب من «النهاية» لابن الأثير.

الشيءَ، وبالشيء، وغلوت فيه أغلو: إذا جاوزت فيه الحد[1].

والجفاء: غلاظة الطبع وقلة الأدب.

ومنه حديث: «من بدا جفا»[2].

(بدا) ـ بالدال المهملة ـ؛ أي: خرج إلى البادية؛ أي: من سكن البادية غلظ طبعه لقلة[3] مخالطة الناس.

وفي صفة النبي ﷺ: ليس بالجافي ولا المهين[4].

يروى بضم الميم وفتحها؛ أي: ليس بالغليظ الخلقة والطبع، أو ليس بالذي يجفو أصحابه.

وكذا (المهين) بضم الميم؛ أي: لا يهين أصحابه، ولا مَنْ جالسه وصحبه، والفتح على المفعول من المهانة؛ أي: الحقارة. والله أعلم.

(و) إن من إجلال الله تعالى إكرامَ (ذي)؛ أي: صاحب **(السلطان)** من خليفةٍ ومَلكٍ ووزير وأمير، وكل مَنْ له ولاية **(المقسط)**؛ أي: العادل في حكمه، يقال: أقسط يُقسط، فهو مُقسط: إذا عدل، وقَسط ويَقسط، فهو قاسط: إذا جار، فكأن الهمزة في (أقسط) للسلب؛ كما يقال:

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٣٨٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧١)، والبزار في «مسنده» (٩٧٤٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٤٦): رواه أحمد والبزار، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح خلا الحسن بن الحكم النخعي، وهو ثقة.

(٣) في الأصل: «لعلة»، والصواب المثبت.

(٤) رواه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١/ ٤٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٥٦)، من حديث هند بن أبي هالة ﷺ.

شكا إليه فأشكاه.

(رواه أبو داود).

وروى الطبراني في «الأوسط»، والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «البركة مع أكابركم»[1].

وعنه أيضًا رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ليس منَّا مَن لم يوقِّرِ الكبيرَ، ويرحمِ الصغيرَ، ويأمُرْ بالمعروف، وينهى عن المنكر». رواه الإمام أحمد، والترمذي، وابن حبان في «صحيحه»[2].

وأخرج الحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد على شرط مسلم ـ من حديث عبدِالله بنِ عمرَ رضي الله عنهما يبلغ به النبيَّ ﷺ قال: «ليس منَّا مَن لم يرحَمْ صغيرنا، ويعرِفْ حقَّ كبيرِنا»[3].

وروى الإمام أحمد بإسناد حسن، والطبراني من حديث عُبادةَ بنِ الصامتِ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس من أمتي مَن لم يُجِلَّ كبيرَنا، ويرحَمْ صغيرَنا، ويعرف لعالمنا»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٩٩١)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٠) وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٥٧)، والترمذي (١٩٢١) وقال: حديث حسن غريب، وابن حبان في «صحيحه» (٤٥٨).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠٩).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٣)، والطبراني في «مكارم الأخلاق» (١٤٧).

ورواه الحاكم، إلا أنه قال: «ليس منَّا»[1].

وروى مثله الطبراني من حديث واثلةَ بنِ الأسقعِ رضي الله عنه وليس فيه: «ويعرف لعالمنا»[2].

وروى الترمذي من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «ليس منا مَن لم يرحم صغيرَنا، ويعرف شرَفَ كبيرنا»[3].

ورواه أبو داود، إلا أنه قال: «ويعرف حقَّ كبيرنا»[4].

(قوله في هذه الأحاديث: «ليس منَّا» ونحوه؛ أي: ليس من أهل سنَّتنا وطريقتنا، وليس المراد به إخراجه من الدين.

ولكن فائدة إيراده بهذا اللفظ المبالغة، والحض على توقير الكبير، ورحمة الصغير، والردع عن التهاون في حفظ حقوقهم، ومراعاة أحوالهم؛ كما يقول الرجل لولده عند معاتبته: لستُ منكَ، ولستَ مني؛ أي: ما أنت على طريقتي.

وقيل: ليس على ديننا الكامل، وهدينا الفاضل، بل خرج من فرع من فروع الدين، وإن كان معه أصلُه المكين، فإذا لم يرحم الصغير بالشفقة عليه، والإحسان إليه، ويرعَ حقَّ الكبير بما يستحقه من التعظيم والتبجيل؛ لم يكن

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٤٢١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ٩٥).

(٣) رواه الترمذي (١٩٢٠).

(٤) رواه أبو داود (٤٩٤٣).

على هدينا الفاضل، وديننا الكامل.

وأخرج الطبراني في «الكبير» من حديث أبي أُمامة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يستخفُّ بهم إلا منافق: ذو شيبة في الإسلام، وذو العلم، وإمام مُقسط»[1].

قال الحافظ عبد العظيم المنذري: رواه الطبراني في «الكبير» من طريق عبيدِالله بنِ زُحَرَ، عن عليٍّ بنِ يزيدَ، عن القاسم، وقد حسَّنها الترمذي لغير هذا المتن[2].

وقال في عبيدالله بن زحر: قال ابن معين: ليس بشيء.

وقال ابن حبان: يروي الموضوعات عن الأثبات، وإذا روى عن علي ابن يزيد، أتى بالطامات، وإذا اجتمع في إسناده عبيدالله، وعلي بن يزيد[3]، والقاسم بن عبد الرحمن، لم يكن ذلك الحديث إلا مما عملت أيديهم.

وقال الدارقطني: ليس بالقوي.

وقال أبو زرعة الرازي: صدوق.

وقال النسائي: لا بأس به[4].

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٧٨١٩).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٦٥).

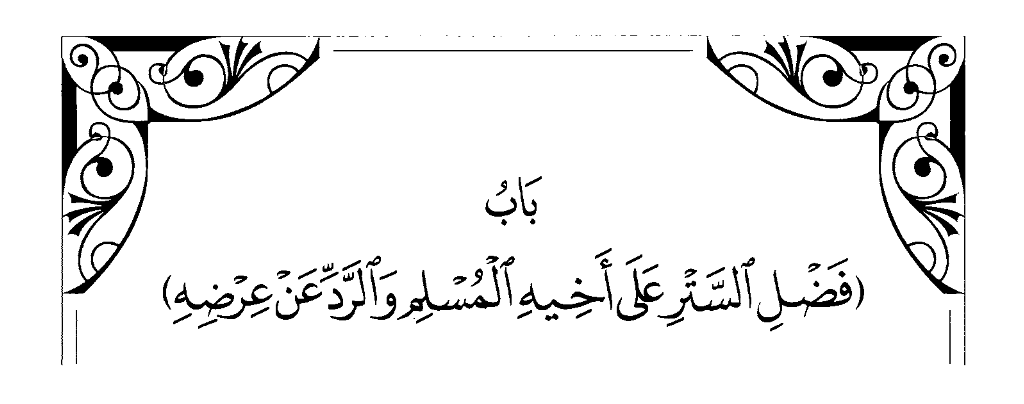
(٣) وقع في هذا الموضع والذي قبله في الأصل: «علي بن زيد»، والتصويب من «المجروحين» لابن حبان (٢/ ٦٢).

(٤) المرجع السابق (٤/ ٥٧٤ ـ مصطفى البابي الحلبي).

قال الحافظ المنذري: وحَسَّن الترمذي غيرَ ما حديثٍ له عن عليِّ بنِ زيدٍ عن القاسم[1].

❐❐❐

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.



بَابُ
(فَضْلِ السَّتْرِ عَلَى أَخِيهِ الْمُسْلِمِ وَالرَّدِّ عَنْ عِرْضِهِ)

ذكر الحافظ المصنف ـ روَّح الله روحه ـ في هذا الباب ستة أحاديث:

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ

قَد تَقَدَّمَ فِي قَضَاءِ حَوَائِجِ الإِخْوَانِ:

٦٥٣/ م ـ حَدِيثُ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، وَفِيْهِ: «وَمَن سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(١).

ما **(قد تقدم في)** فضل **(قضاء حوائج الإخوان)** من المسلمين؛ **(حديث)** أبي عبدِ الرحمنِ عبدِالله **(بنِ عمرَ رضي الله عنهما وفيه)**؛ أي: في حديث ابن عمر المشار إليه: **(ومن ستر مسلمًا، ستره الله يوم القيامة)**، ولفظه:

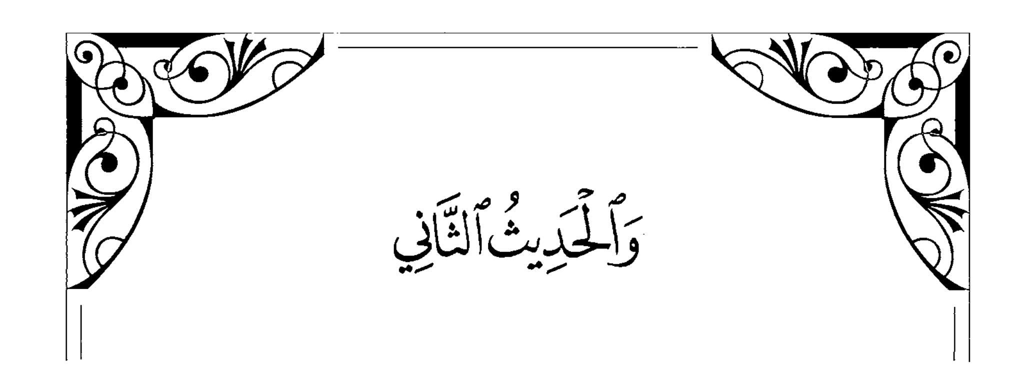
عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يُسْلمه، مَن كان في حاجة أخيه؛ كان الله في حاجته، ومَن فرَّج عن مسلم كربةً؛ فرَّج الله عنه بها كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن ستر

(١) تقدم تخريجه.

مسلمًا . . . » الحديث .

(أخرجه البخاري، ومسلم)، وتقدم شرحه هناك بما فيه غُنية .

* * *



وَٱلْحَدِيثُ ٱلثَّانِي

٦٥٤/ م ـ وَحَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَفِيْهِ: «مَن سَتَرَ مُسْلِمًا؛ سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[(١)].

(حديث أبي هريرة، وفيه: من ستر مسلمًا؛ ستره الله في الدنيا والآخرة)، ولفظه:

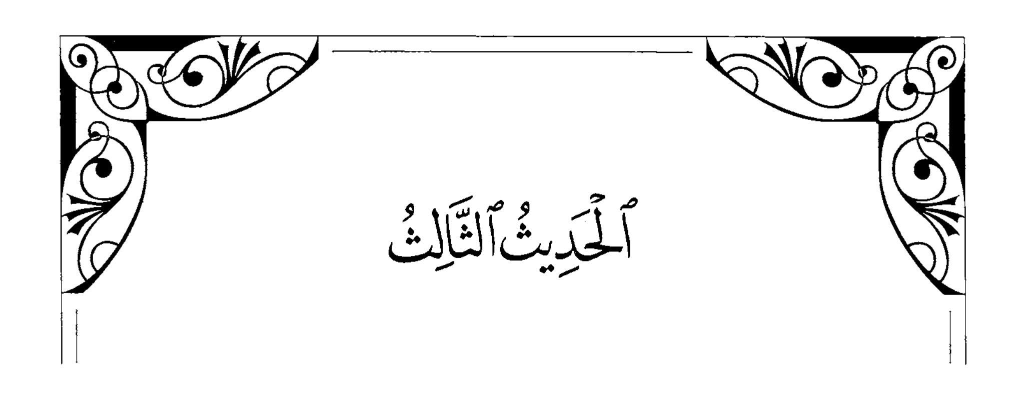
عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نفَّس عن مؤمن كربةً من كرب الدنيا؛ نفَّس الله عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومَن يسَّر على معسر؛ يسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة، ومَن ستر مسلمًا؛ ستره الله في الدنيا والآخرة، واللهُ في عون العبد ما كان العبدُ في عون أخيه».

(رواه مسلم)، وقدَّمنا من شرحه هناك ما أغنى عن إعادته.

* * *

---

(١) تقدم تخريجه.



الحديث الثالث

٦٨٠ ـ عَن عُقْبَةَ بنِ عَامِرٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَن رَأَى عَورَةً فَسَتَرَهَا؛ كَانَ كَمَنْ أَحْيَا مَوْءُودَةً». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ[1].

(عن) أبي عامرٍ (عُقبةَ بنِ عامرٍ) الجهنيِّ (﵁) تقدمت ترجمته في (فضل الصيام في سبيل الله) من (كتاب الصوم)، (عن النبي ﷺ قال: من)؛ أي: أيُّ شخص (رأى عورةَ أخيه) المسلم ـ العورةُ جمعُها (عَورات): وهي كلُّ ما يستحيا منه إذا ظهر، فكل عيب وخلل في شيء فهو عورة، والكلمة القبيحة الزائغة عن الرشد يقال لها: عورة ـ (فسترها) ولم يُبدها، ولم يُظهرها للناس = (كان) له من الأجر والثواب (كَمَن)؛ أي: شخص من المسلمين (أحيا موءودة) ـ زاد في رواية: «من قبرها»[2] ـ: وهي الجارية المدفونة حية، سميت بذلك؛ لما يُطرح عليها من التراب، فيؤودُها؛ أي: يثقلها حتى تموت، وكانت العرب تدفن البنات حية مخافةَ العار، ولا شك أن في إحياء الموءودة الأجرَ الغزير، والثواب الكثير.

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٢٨١).

(٢) هذا لفظ النسائي.

رواه أبو داود، والنسائي)، ورواه البخاري في «الأدب المفرد» والحاكم[1].

وسبب هذا الحديث ورواية عقبة ﷺ له كما في «سنن أبي داود» عن كعبِ بنِ علقمةَ: أنه سمع أبا الهيثم دخيناً[2] كاتبَ عقبةَ بنِ عامر، فقال: كان لنا جيران يشربون الخمر، فنهيتهم فلم ينتهوا، فقلت لعقبةَ بنِ عامرٍ: إن جيراننا هؤلاء يشربون الخمر، وإني نهيتهم فلم ينتهوا، وأنا داع لهم الشُّرَط، قال: ويحك! دَعْهم؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من رأى...»، فذكره[3].

(قوله: (الشرط): هو بضم الشين المعجمة وفتح الراء.

قال في «النهاية»: شُرط السلطان: نخبةُ أصحابه الذين يقدمهم على غيرهم من جنده، والنسبة إليهم شرطيّ[4].

قال ابن رسلان: سموا بذلك؛ لأن لهم علاماتٍ يُعرفون بها من هيئة وملبس.

وقيل: سموا بالشَّرَط، وهو رُذال المال؛ لأنهم استهانوا أنفسهم فصاروا أرذال الناس. انتهى.

---

(١) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٧٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٦٢) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٢) في الأصل: «دجيناً»، والتصويب من «سنن أبي داود».

(٣) رواه أبو داود (٤٨٩٢).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤٦٠).

وقال الجوهري: والشَّرَط: رُذال المال[1].

وفي «المصباح»: وصاحب الشُّرَط؛ يعني: الحاكم، والشُّرَطة: الجند، والجمع (شُرَط)؛ مثل رُطَبة ورُطَب، و(الشُّرَط) على لفظ الجمع: أعوانُ السلطان[2].

وفي «القاموس»: الشُّرَط؛ كـ(صُرَد): هم أولُ كتيبة تشهد الحرب، وتتهيأ للموت، وطائفة من أعوان الولاة، وهو شرطي؛ كـ(تركي)، و(جُهَني)، سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسَهم بعلامات يُعرفون بها[3].

ووجه الشبه بين الساتر لعورة أخيه ومحيي الموءودة: أن الساتر دفعَ عن المستور الفضيحة بين الناس التي هي كالموت، فكأنه أحياه؛ كما أن من أحيا الموءودة أخرجها من قبرها بحيث لا يعرف أمرها، ولا أنها كانت مدفونة؛ كما أخفى عورة المسلم وسترها، فلم يُطلع أحدًا عليها.

ولفظ الحديث عند المنذري عن أبي داود، والنسائي: عن دخين[4] أبي الهيثم كاتب عُقبة بن عامر قال: قلت لعقبة بن عامر: إن لنا جيراناً يشربون الخمر، وأنا داعٍ الشرط ليأخذوهم، قال: لا تفعل، وعِظْهم وهددهم، قال: إني نهيتهم فلم ينتهوا، وأنا داع الشرط ليأخذوهم، قال عقبة: ويحك! لا تفعل؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من ستر عورة، فكأنما استحيا

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: شرط).

(٢) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: شرط).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: شرط).

(٤) في الأصل: «دجين»، والصواب المثبت.

موءودة في قبرها».

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1].

وأخرج مسلم في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﵁: أن النبي ﷺ قال: «لا يستر عبد عبدًا في الدنيا، إلا ستره الله يوم القيامة»[2].

وروى الطبراني في «الأوسط» و«الصغير» من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ مرفوعًا: «لا يرى مؤمن من أخيه عورة فيسترها عليه إلا أدخله الله بها الجنة»[3].

وعن رجاء بن حياة قال: سمعت مَسلَمة بنَ مخلَدٍ ﵁ يقول: بينا أنا على مصر، فأتى البواب فقال: إن أعرابيًّا على الباب يستأذن، فقلت: من أنت؟ قال: جابر بن عبدالله، قال: فأشرفت عليه فقلت: أنزل إليك أو تصعد؟ قال: لا تنزل، ولا أصعد، حديث بلغني أنك ترويه عن رسول الله ﷺ في ستر المؤمن جئت أسمعه، قلت: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَن ستر على مؤمن عورة؛ فكأنما أحيا موءودة»، فضرب بعيره راجعًا. رواه

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ١٦٨)، والحديث رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥١٧)، والحاكم في «المستدرك» (٨١٦٢). قال المنذري: رجال أسانيدهم ثقات، ولكن اختلف فيه على إبراهيم بن نشيط اختلافًا كثيرًا، ذكرت بعضه في «مختصر السنن».

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٠/ ٧٢).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٤٨٠)، و«المعجم الصغير» (٢/ ٢٥٣). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ٢٤٦): إسنادهما ضعيف.

الطبراني في «الأوسط»[(١)].

وروى ابن ماجه في «سننه» بإسناد حسن عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ يقول: «مَن ستر عورة أخيه؛ ستر الله عورته يوم القيامة، ومَن كشف عورة أخيه المسلم؛ كشف الله عورته حتى يفضحه بها في بيته»[(٢)].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: صعد رسول الله ﷺ على المنبر، فنادى بصوت رفيع فقال: «يا معشر مَن أسلم بلسانه ولم يُفْضِ الإيمان إلى قلبه! لا تؤذوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه مَن تتبع عورة أخيه المسلم؛ تتبع الله عورته، ومَن تتبع الله عورته؛ يفضحْهُ ولو في جوف رحله»، ونظر ابن عمر يومًا إلى الكعبة فقال: ما أعظمك! وما أعظم حرمتك! والمؤمنُ أعظمُ حرمةً عند الله منك. رواه ابن حبان في «صحيحه»، والترمذي في «سننه»[(٣)].

وروى أبو داود من حديث أبي برزة رضي الله عنه مرفوعًا، وفيه: «لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم؛ فإنه مَن اتبع عوراتهم، تتبع الله عورته، ومَن تتبع الله عورته، يفضحه في بيته»[(٤)].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨١٣٣)، وفيه أبو سنان القسملي، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٣٤): وثقه ابن حبان وابن خراش في رواية، وضعفه أحمد والبخاري ويحيى بن معين.

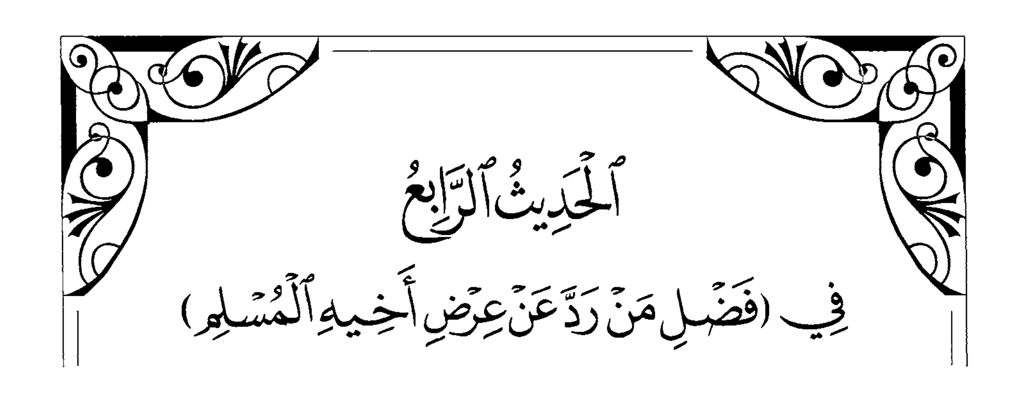
(٢) رواه ابن ماجه (٢٥٤٦).

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٦٣)، والترمذي (٢٠٣٢) وقال: حديث حسن غريب.

(٤) رواه أبو داود (٤٨٨٠).

وفي الباب عدة أحاديث.

* * *



الحديث الرابع
في (فضل من ردّ عن عرض أخيه المسلم)

العِرض ـ بكسر العين المهملة وسكون الراء ـ : موضعُ المدح والذم من الإنسان، سواء كان في نفسه، أو في سلفه، أو من يلزمه أمره.

وقيل: هو جانبه الذي يصونه من نفسه وحسبه، ويحامي عنه أن ينتقص أو يثلب.

وقال ابن قتيبة: عرض الرجل: نفسه وبدنه لا غير؛ كما في «النهاية»[1].

وفي «القاموس»: العرض ـ بالكسر ـ : الجسد، وكل موضع يعرق[2] منه، والنفس؛ وجانب الرجل الذي يصونه من نفسه وحسبه أن ينتقص أو يثلب، وسواء كان في نفسه، أو في سلفه، أو من يلزمه أمره، أو موضع المدح والذم منه، أو ما يفتخر به من حسب أو شرف، وقد يراد به الآباء والأجداد[3].

٦٨١ ـ عَن أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَن

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٠٩).

(٢) في الأصل: «تفرق»، والتصويب من «القاموس».

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عرض).

عِرْضِ أَخِيْهِ؛ رَدَّ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(عن أبي الدرداء) عُويمرِ بنِ عامرٍ (رضي الله عنه) تقدمت ترجمته في (فضل صلاة الضحى)، **(عن النبي ﷺ قال: مَنْ)**؛ أي: كل شخص مسلم **(ردَّ عن عرض أخيه)** المسلم في الدين إذا ثُلب أو انتقِص، **(ردَّ الله وجهه عن النار)** المعهودة التي وقودها الناسُ والحجارة **(يوم القيامة)** العظمى، وحشر الناس لفصل القضاء.

رواه الترمذي وقال: حديث حسن)، ورواه الإمام أحمد في «المسند»[2].

وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[الحجرات: ١٠]، فإذا كان المؤمنون إخوة، أمروا فيما بينهم بما يوجب تآلف قلوبهم واجتماعها، ونهوا عما يوجب تنافر قلوبهم واختلافها، وهذا من ذاك؛ فإن الأخ من شأنه أن يرد عن عرض أخيه، ويكفَّ عنه الضر، ويوصل إليه النفع.

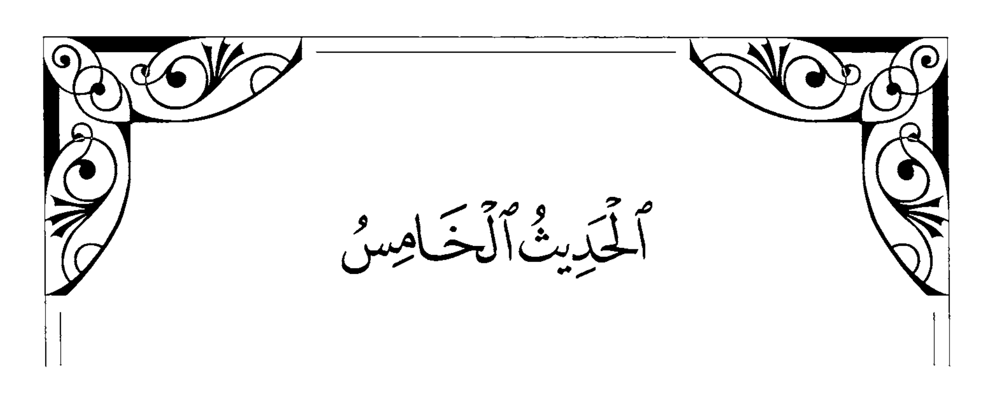
ومن أعظم الضر الذي يجب كفه عن الأخ المسلم، الاستطالة في عرضه وثلبه؛ فهو من أعظم الظلم، وكفُّ الظلم لا يختص بالمسلم، بل هو محرم في حق كل أحد، ويوضح ذلك ويكشفه ويبينه:

* * *

---

(١) رواه الترمذي (١٩٣١).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٤٥٠).



الحديث الخامس

٦٨٢ ـ عَن جَابِرِ بنِ عَبْدِاللهِ وَأَبِي طَلْحَةَ الأَنْصَارِيَّيْنِ رضي الله عنهما قَالاَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنِ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَهَكُ فِيْهِ حُرْمَتُهُ، وَيُنْتَقَصُ فِيْهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيْهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنِ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيْهِ مِنْ عِرْضِهِ، وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

(عن جابرِ بنِ عبدِالله وأبي طلحةَ الأنصاريَّيْنِ، رضي الله عنهما) تقدمت ترجمةُ جابر في أول الكتاب في (فضل الأذان)، وترجمة أبي طلحة في (فضل الصلاة على النبي ﷺ)، (قالا)؛ أي: جابر وأبو طلحة رضي الله عنهما: (قال رسول الله ﷺ: ما من امرئ) ـ بتثليث الميم[2] ـ: هو الإنسان، أو الرجل، ولا يجمع من لفظه، أو سُمِعَ مَرْؤُون، والأنثى بهاء، يقال: مَرَةٌ، والامرَأَةُ.

وفي (امرئ) مع ألف الوصل ثلاث لغات: فتحُ الراء دائمًا، وضمُّها

(١) رواه أبو داود (٤٨٨٤).

(٢) في هامش الأصل: «لعلها بتثليث الراء»، وهو الصواب كما سيذكر لاحقًا، وعبارة «القاموس»: «والمَرْءُ مثلثة الميم...».

دائمًا، وإعرابُها دائمًا، وتقول: هذا امرُؤٌ ومَرْءٌ، ورأيتُ امرَأً ومَـرْءًا، ومـررتُ بامْرِئٍ وبِـمَرْءٍ معربًا من مكانين؛ كما في «القاموس» وغيره[1].

(**يَخْذُل**) ـ بفتح أوله وسكون الخـاء المعجمـة، فـذال معجمـة أيـضًا مضمومة ـ من: خذَل خِذلاناً ـ بكسر أوله ـ: ترك نصرته، فهو خـاذل لـه، وخذول.

(**امرأً مسلمًا**)؛ أي: يخلي بينه وبين من يظلمه ولا ينصره.

قال في «النهاية»: الخذل: ترك الإعانة والنصرة[2].

(**في موضع**) من المواضع؛ أي: في مقام ومكان (**تُنتهك فيه**)؛ أي: في ذلك الموضع (**حرمته**)؛ أي: احترامه؛ بأن يبالَغَ في أذيته بالقول أو الفعـل مما لا يحل فعلُه.

قال في «القاموس»: نهَكَه؛ كـ (منَعَه): غلبه، والثوبَ: لبسه حتـى خَلَق، ونهَك عرضَه: بالغ في شتمه، والنَّهْك: المبالغة في كل شيء، ونَهِكـه السلطانُ؛ كـ (سمِعَه) نَهْكًا ونَهْكةً: بالغ في تنهيكه عقوبة؛ كأنهكه[3].

(**و**) ما من امرِئ يخذل امرأً مسلمًا في موضـع (**ينتقص فيه من عرضـه**)؛ أي: حسبه وموضع المدح والذم منه حسبما قدمنا (**إلا خذلـه الله**) ﷻ فلـم يعنه، ولم ينصره (**في موطن**): (مَفْعِل) من الوطن، وهو الموضـع.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مرأ).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ١٦).

(٣) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: نهك)، وفيه: بالغ في عقوبتـه؛ كأنهكه.

قال في «القاموس»: الوطن ـ محركة، ويسكن ـ: منزل الإقامة، ومواطن مكة: مرافقها، ومن الحرب: مشاهدها.

(يحب فيه)؛ أي: في ذلك الموطن **(نصرته)**؛ أي: يكون فيه أحوج إلى نصرته ومعونته وإعانته، وهو يوم القيامة.

(و) قال ﷺ: **(وما من امرئ)** مسلم **(ينصر)** امرأً **(مسلمًا في موضع يُنتقص فيه)**؛ أي: في ذلك الموضع **(من عرضه، وينتهك فيه من حرمته، إلا نصره الله)** ﷻ **(في موطن يحب فيه)**[1]؛ أي: في ذلك الموطن **(نصرته)** وإعانته ومساعدته، وهو يوم القيامة؛ جزاء وفاقًا.

(رواه أبو داود)، وكذا الإمام أحمد، والحافظ المصنف في «المختارة»[2].

قال التميمي: وإسناد حديث جابر حسن.

قال الحافظ ابن رجب: المؤمن مأمور أن ينصر أخاه كما قال ﷺ: «انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا»، قيل: يا رسول الله! أنصره مظلومًا، فكيف أنصره ظالمًا؟ قال: «تمنعه عن الظلم، فذلك نصرك إياه». خرجه البخاري بمعناه من حديث أنس[3]، ومسلم بمعناه من حديث جابر[4].

---

(١) في هامش الأصل: «نسخ «فضائل» ما فيها لفظة (فيه) بعد (يحب)، وهو موجود في الحديث. مؤلف».

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٠)، ولم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».

(٣) رواه البخاري (٦٩٥٢).

(٤) رواه مسلم (٢٥٨٤/ ٦٢).

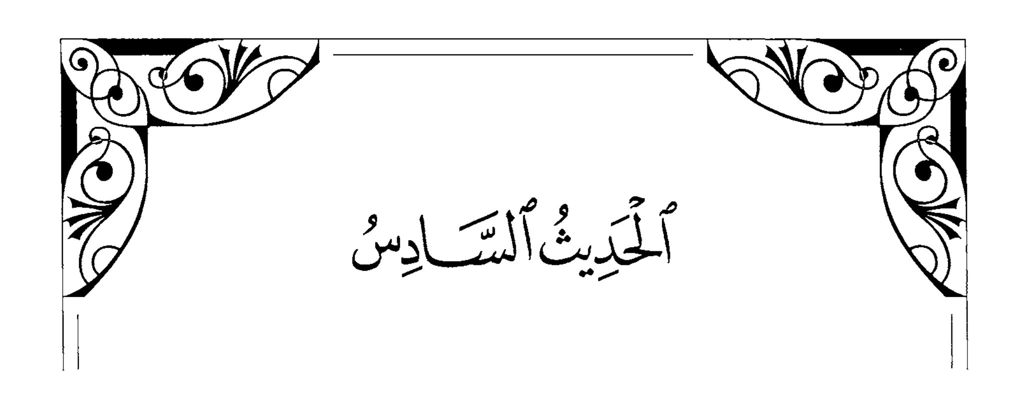
وروى الإمام أحمد من حديث أبي أُمامةَ بنِ سهلٍ، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: «مَن أُذلَّ عنده مؤمنٌ فلم ينصره، وهو يقدر على أن ينصره؛ أذلَّه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة»[1].

وأخرج البزار من حديث عمرانَ بنِ حصينٍ، عن النبي ﷺ قال: «مَن نصر أخاه بالغيب، وهو يستطيع نصرَه؛ نصره الله في الدنيا والآخرة»[2].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٨٧)، وفيه ابن لهيعة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٢٦٧): وهو حسن الحديث، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٣٣٣)، والحديث رواه البزار في «مسنده» (٣٥٤٤)، وقال: لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ بإسناد أحسن من هذا الإسناد.



الحديث السادس

٦٨٣ ـ عَن مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ الجُهَنِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَمَى مُؤْمِنًا مِنْ مُنَافِقٍ، أُرَاهُ قَالَ: بَعَثَ اللَّهُ مَلَكًا يَحْمِي لَحْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَمَنْ رَمَى مُسْلِمًا بِشَيْءٍ يُرِيدُ شَيْنَهُ بِهِ؛ حَبَسَهُ اللَّهُ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَخْرُجَ مِمَّا قَالَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

(**عن معاذِ بنِ أنسٍ الجهنيِّ** ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل صلاة اثنتي عشرة ركعة بعد صلاة الضحى)، (**عن النبي ﷺ قال: من حمى**)؛ أي: منع، يقال: حمى الشيء يَحميه حَمْيًا وحَمِيَّةً وحِماية ـ بالكسر ـ: منعه، وكلأه، شخصًا (**مؤمنًا**) بالله ورسوله؛ بأن أراد نفسه أو عرضه أو ماله، فمنع ذلك (**من**) شخص (**منافق**) يُظهر الإسلام، ويُبطن الكفر والآثام، فلم يدعه يخلُصُ إليه بأذاه، (**أراه**) ـ بضم الهمزة ـ؛ أي: أظنه، والضمير يرجع إلى النبي ﷺ (**قال: بعث الله**)؛ أي: قَيَّض الله (**مَلَكًا**) من ملائكته (**يحمي لحمه**)؛ أي: لحم حامي المؤمن من المنافق، ومانعِه من ظلمه وأذيته واعتدائه عليه (**يوم القيامة**) العظمى (**من نار جهنم**)؛ جزاء لفعله وحمايته المؤمنَ من عدو الله

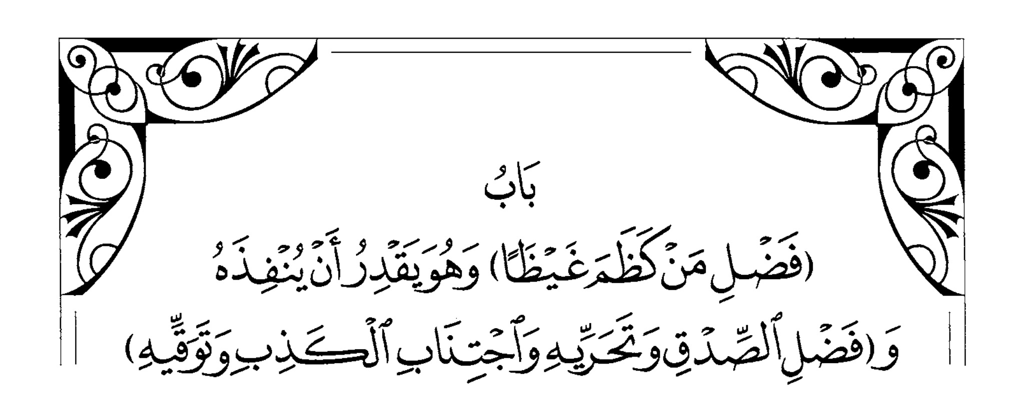
(١) رواه أبو داود (٤٨٨٣).

المنافق ونحوه، فلم تمسَّ لحمَه النار؛ جزاءً وفاقًا.

(ومن)؛ أي: كل شخص مكلف **(رمى)** شخصًا **(مسلمًا بشيء)** قبيح؛ من قذف وسبٍّ ونحوهما **(يريد)** برميه له **(شينه)**؛ أي: عيبه، يقال: شانه يشينه ضد زانه يزينه، والشاين: العايب، **(به)**؛ أي: بما رماه ونسبه إليه، **(بعثه)**؛ أي: أرسله وأثاره من سائر أماكنه إلى أن أوقفه **(على جسر)**؛ أي: قنطرة **(جهنم)** الذي هو على متنها، ولا يزال محبوسًا عليه **(حتى يخرج)** ويخلص **(من ما)**؛ أي: من الذي **(قال)**، ورمى به المؤمن، أو من غبِّ قوله وإفكه وافترائه، وأنَّى بذلك يومئذ؟

(رواه أبو داود).

❒❒❒



بَابُ
(فَضْلِ مَنْ كَظَمَ غَيْظًا) وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يُنْفِذَهُ
وَ(فَضْلِ الصِّدْقِ وَتَحَرِّيهِ وَاجْتِنَابِ الْكَذِبِ وَتَوَقِّيهِ)

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في ذلك أربعة أحاديث:

الْحَدِيثُ الْأَوَّلُ

٦٨٤ ـ عَن مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفِذَهُ؛ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيُّ، وَهَذَا لَفظُهُ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(عن معاذِ بنِ أنسٍ) الجهنيِّ **(ﷺ، عن النبي ﷺ)**: أنه **(قال: من كظم غيظًا)**.

قال في «النهاية»: كظمُ الغيظ: تجرُّعه واحتمالُ سببه، والصبر عليه،

---

(١) رواه أبو داود (٤٧٧٧)، وابن ماجه (٤١٨٦)، والترمذي (٢٠٢١).

ومنه حديث: «إذا تثاءبَ أحدُكم؛ فليكظم ما استطاع»[1]؛ أي: فليحبسه مهما أمكنه[2].

والغيظُ: صفة تغيرُ الإنسانَ عند احتداده، يتحرك لها ويلتهب.

والمراد بالغيظ الغضب.

قال في «القاموس»: الغيظ: الغضب، أو أشدُّه، أو سَوْرته[3] وأوَّله، يقال: غاظه ويَغيظه، فاغتاظ، وغَيَّظَه فتغَيَّظ، وأغاظه، وغايظه. انتهى[4].

والغضب: فورانُ الدم وغليانه، وقيل: عرض يتبعه غليانُ دم القلب لإرادة الانتقام.

ويؤيد الأولَ حديثُ الإمام أحمد والترمذي: أنه ﷺ قال في خطبته: «ألا إن الغضب جمرة تتوقَّد في قلب ابن آدم، أما ترون إلى حمرة عينيه، وانتفاخ وَدَجيه؟ ـ وفي لفظ: أوداجه[5] ـ . . . » الحديث[6].

(وهو يستطيع أن ينفذه)؛ أي: يقدر أن يجيزه ويفعل مقتضاه، ويشفي غيظه بخلوصه إليه ومضيه، وهو ـ بالذال المعجمة ـ ، وأما نفد ـ بالدال

---

(١) رواه مسلم (٢٩٩٤/ ٥٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٤/ ١٧٨).

(٣) في الأصل: «ثورته»، والمثبت من «القاموس».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: غيظ).

(٥) هذا لفظ الإمام أحمد والترمذي، ولم نقف على لفظ: «ودجيه» في النسخ التي بين أيدينا.

(٦) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٣/ ١٩)، والترمذي (٢١٩١)، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وقال: حديث حسن صحيح.

المهملة؛ كـ (سمع) ـ نفاداً ونفدًا، فهو بمعنى: فني وذهب، وأنفده: أفناه؛ كاستنفده.

وجملة قوله: (وهو يستطيع) حاليةٌ، والواو للحال، وهي معترضة ما بين فعل الشرط الذي هو (كظم)، وجوابه، وهو: **(دَعَاه الله)** ﷻ **(يوم القيامة)** العظمى لتجزى كل نفس ما عملت من خير أو غيره وترى، **(على رؤوس الخلائق)** متعلق بـ (دعاه)؛ يعني: بمرأى من أهل الموقف، أو وهم ينظرونه وقد دعي إلى ما يراد به من الكرامة وحسن الجزاء **(حتى)**؛ أي: إلى غاية أن **(يخيره)** الله ﷻ **(في أي)** حوراء من **(الحور)** العين **(شاء)**؛ أي: أراد واختار.

و(الحور): جمع (حوراء): وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء، شديدة سواد العين.

وقال زيد بن أسلم: الحوراء: التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد، وصفاء اللون(١).

وقال الحسن: الحوراء: شديدة بياض العين، شديدة سواد العين(٢).

قال المحقق ابنُ القيم في كتابه «حادي الأرواح»: واختلف في اشتقاق هذه اللفظة، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحور في كلام العرب: البِيض(٣)،

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٠١)، وفيه (٣٠٢) عن مجاهد: يحار فيها الطرف من رقة الحلل وصفاء اللون.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «صفة الجنة» (٣٠٣).

(٣) رواه الطستي كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٧/ ٤٢٠) بلفظ: الحوراء: البيضاء الممتعة.

وكذلك [قال] قتادة: الحور: البِيض[1].

وقال مقاتل: [الحور: البيض الوجوه[2].

وقال مجاهد]: الحور العين: التي يحار فيهن الطرف بادٍ مخُّ[3] سوقهن من وراء ثيابهن، ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرآة من رقة الجلد، وصفاء اللون[4].

وقال في «حادي الأرواح»: وهذا من الاتفاق، وليست اللفظة مشتقة من الحيرة. وأصل الحَوَر: البياض، والتحوير: التبييض.

قال: والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين، وهو شدة بياضها مع قوة سوادها، فهو يتضمن الأمرين.

والعِينُ من النساء: جمع (عيناء)، وهي العظيمة العين، ورجل أعينُ: إذا كان ضخم العين، وامرأة عيناء، والجمعُ (عِين)[5].

قال في «حادي الأرواح»: والصحيح أن العِين: اللاتي جمعت أعينُهن صفاتِ الحسن والملاحة[6].

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٣٥٦) عن قتادة، عن الحسن.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل بن سليمان» (٣/ ٣١٣)، وفيه: ﴿وَحُورٌ عِينٌ﴾[الواقعة: ٢٢]؛ يعني: البيضاء العيناء، حسان الأعين.

(٣) في الأصل: «باندماج»، والمثبت من «تفسير مجاهد» (ص: ٥٩٠).

(٤) انظر: «حادي الأرواح» لابن قيم الجوزية (ص: ١٥٠)، وما بين معكوفتين منه.

(٥) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٦) المرجع السابق (ص: ١٥١).

(رواه أبو داود، وابن ماجه، والترمذي، وهذا)؛ أي: اللفظ المشروح (لفظه)؛ أي: لفظ الترمذي، (وقال) الترمذي: حديث (حسن غريب).

ورواه الإمام أحمد في «المسند»[1].

وأخرج نحوه ابنُ أبي الدنيا في كتابه «ذم الغضب» بإسناد حسن عن أبي هريرة رضي الله عنه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «مَن كظم غيظًا وهو يقدر على إنفاذه، ملأ الله قلبه إيماناً»[2].

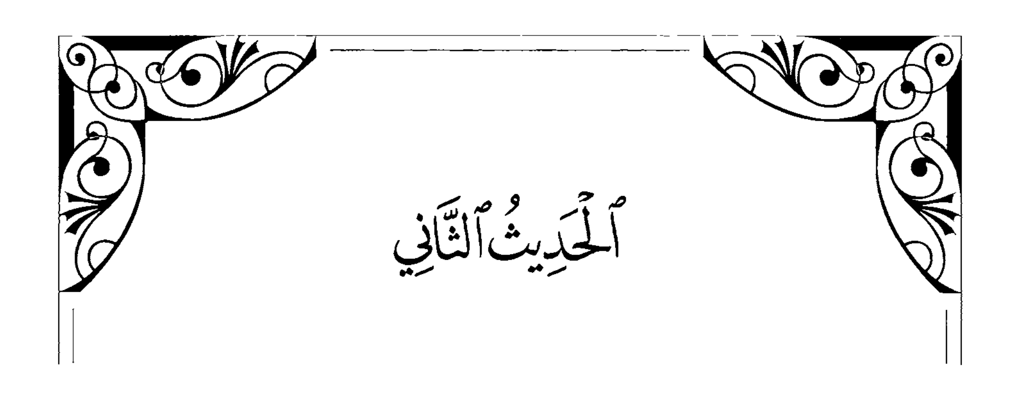
وذلك لأنه لما قهر نفسه الأمارة بالسوء؛ انجلت ظلمة قلبه، فامتلأ يقيناً وإيماناً؛ لأنه مع كونه قادرًا على إنفاذه كظم غيظه، وكفَّ عن إمضائه، وتجرع غضبه، فجازاه الله بتنوير قلبه بالإيمان، وامتلائه منه.

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٤٠).

(٢) لم نقف عليه عند ابن أبي الدنيا، ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١/ ١٣٢)، ومن طريقه الطبري في «تفسيره» (٤/ ٩٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (٣/ ١٠٢)، قال العقيلي: وقد روي من غير هذا الطريق بأسانيد صالحة.



الحديث الثاني

٦٨٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا مِن جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ ﷻ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمن عبدِالله (بنِ) أمير المؤمنين (عمرَ) بنِ الخطاب (ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: **ما من جُرعة**) بضم الجيم وسكون الراء، فعين مهملة، ويروى بفتح الجيم، فالضم الاسمُ من الشرب اليسير، والفتح المرة الواحدة منه.

وفي حديث الحسن بن علي ـ رضوان الله عليهما ـ وقيل له في يوم حَارٍّ: تجرَّع، فقال: إنما يتجرَّع أهلُ النار[2].

قال في «النهاية»: التجرُّع: شرب في عَجَلة، وقيل: هو الشرب قليلًا، أشار به إلى قوله: ﴿يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ﴾[إبراهيم: ١٧][3].

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٨٩). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٣٣): إسناده صحيح، رجاله ثقات.

(٢) أورده أبو موسى الأصفهاني في «المجموع المغيث» (١/ ٣٢١).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٢٦١).

ولما كان تجرع الصبر على الغيظ من أشد الأشياء على النفس؛ أطلق على كفِّ الغيظ وهضمه، وعدمِ العمل بما يشفي نفسَه منه، فقال: ما من جرعة تجرعها الشخص من جميع المشروبات الغاصة وصبر عليها (**أعظم أجرًا**)؛ أي: أكثر ثوابًا لفاعله عند الله (**من جرعةِ غيظٍ كظمها**)؛ أي: كفها وسترها (**عَبْدٌ ابتغاءَ وجه الله**)؛ أي: طلب مرضاته، ورغبة فيما لديه من الأجر الجزيل، والثواب الفضيل.

قال في «المصباح»: جرَعتُ الماءَ من باب (نفع)، وجرِعتُ أجرع من باب (تعب) لغةٌ، وهو ـ أي: التجرُّع ـ: الابتلاع، والجُرعة من الماء كاللُّقمة من الطعام، وهو ما يُجرَع مرة واحدة، والجمع (جُرَع)؛ مثل: غُرفة وغُرَف، واجترعْتُه مثلُ جرعْتُه.

وتجرُّعُ الغصص في كظم الغيظ مستعار من ذلك[1].

(**رواه**)؛ أي: روى حديث ابن عمر رضي الله عنه المشروحَ (**ابنُ ماجه**).

وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «ما تجرَّع عبدٌ جرعة أفضلَ عند الله من جرعة غيظ يكظمها ابتغاءَ وجه الله عز وجل»[2]، ورواه الطبراني في «الكبير»[3].

وروى الإمام أحمد ـ أيضًا ـ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: جرع).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٢٨).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٩٩٤ ـ الجريسي).

قال: «ما من جرعة أحبُّ إلى الله من جرعة غيظ يكظمها عبدٌ، ما كظم عبدٌ لله إلا ملأ الله جوفَه إيماناً»[1].

قال الحسن البصري ـ رحمه الله تعالى ـ: أربع من كُنَّ فيه عصمه الله من الشيطان، وحَرَّمه على النار: من ملك نفسه عند الرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب[2].

قال الحافظ ابن رجب رحمه الله: هذه الأربعة التي ذكرها الحسن هي مبدأ الشر كله؛ فإن الرغبة في الشيء: هي ميل النفس إليه لاعتقاد نفعه، فمن حصل له رغبة في شيء؛ حملته تلك الرغبة على طلب ذلك الشيء من كل وجه يظنه موصلًا إليه، وقد يكون كثير منها محرمًا، وقد يكون ذلك الشيء المرغوب فيه محرمًا.

والرهبة: هي الخوف من الشيء، وإذا خاف الإنسان من شيء تسبب في دفعه بكل طريق يظنه دافعًا له، وقد يكون كثير منها محرمًا.

والشهوة: هي ميل النفس إلى ما يلائمها، وتلتذ به، وقد تميل كثيرًا إلى ما هو محرم؛ كالزنا والسرقة وشرب الخمر، بل وإلى الكفر والسحر والنفاق والبدع.

والغضب: هو غليان دم القلب طلبًا لدفع المؤذي عند خشية وقوعه، أو طلبًا للانتقام ممن حصل منه الأذى بعد وقوعه، وينشأ من ذلك كثير من

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٧).

(٢) رواه الدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ٥٢٧).

الأفعال المحرمة؛ كالقتل والضرب، وأنواع الظلم والعدوان، وكثير من الأقوال المحرمة؛ كالقذف والسبِّ والفحش، وربما ارتقى إلى درجة الكفر؛ كما جرى لجبلةَ بنِ الأيهمِ، وكالأيمان التي لا يجوز التزامها شرعًا؛ كطلاق الزوجة الذي يعقبه الندم والذم، فعلى العاقل كظمُ غيظه وغضبه.

وكان من دعاء النبي ﷺ: «أسألك كلمة الحق في الغضب والرضا»[1]، وهذا عزيز جدًّا، وهو أن الإنسان لا يقول سوى الحق، سواء غضب أو رضي، وأكثر الناس إذا غضب لا يتوقف فيما يقول.

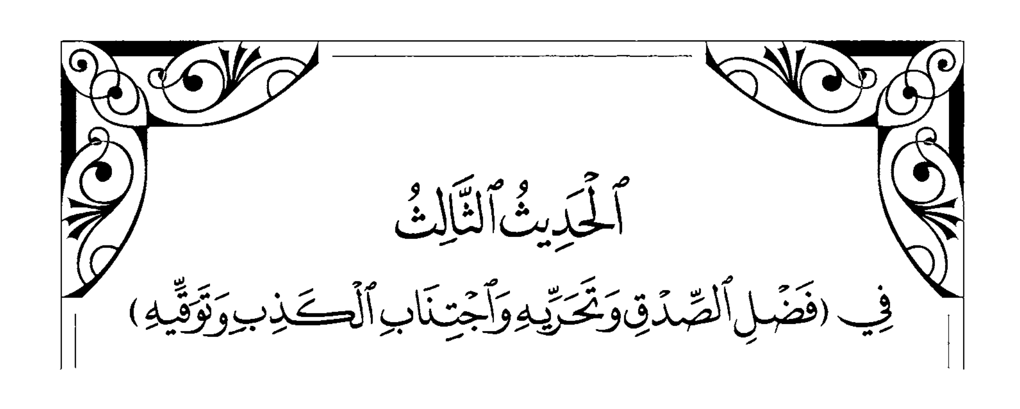
وخرج الطبراني من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا: «ثلاث من أخلاق الإيمان: مَن إذا غضب لم يُدخله غضبه في باطل، ومَن إذا رضي لم يُخرجه رضاه من حقٍّ، ومَن إذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[2].

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦٤)، والنسائي (١٣٠٥)، والبزار في «مسنده» (١٣٩٢)، من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه.

(٢) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٤٧)، والحديث رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (١/ ١١٤)، وفيه بشر بن الحسين. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٥٩): كذاب.



الحَدِيثُ الثَّالِثُ
فِي (فَضْلِ الصِّدْقِ وَتَحَرِّيهِ وَاجْتِنَابِ الْكَذِبِ وَتَوَقِّيهِ)

قال الله تعالى: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[الحج: ٣٠].

قال الراغب: ﴿الزُّورِ﴾: الكذب، قيل له ذلك لكونه مائلًا عن الحق، و(الزَّور) بفتح الزاي: الميل[١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

قال الراغب: أصل الصدق والكذب في القول، ماضيًا كان أو مستقبلًا، وعدًا كان أو غيره، ولا يكونان بالقصد الأول إلا في الخبر، وقد يكونان في غيره؛ كالاستفهام والطلب.

والصدق مطابقةُ القول الضميرَ والمخبَرَ عنه، فإن انخرم شرط؛ لم يكن صدقًا، بل إما أن يكون كذبًا، أو مترددًا بينهما على اعتبارين؛ كقول المنافق: محمد رسول الله، فإنه يصح أن يقال: صدق؛ لكون المخبر عنه كذلك، ويصح أن يقال: كذب؛ لمخالفة قوله لضميره؛ كما في «الفتح»[٢].

---

(١) انظر: «المفردات» للراغب (ص: ٢١٧).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٠٧).

والصدِّيق: من كثر منه الصدق.

وقد يستعمل الصدق والكذب في كل ما يحق في الاعتقاد ويحصل؛ نحو: صدق ظني، وفي الفعل؛ نحو: صدق في القتال، ومنه: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات: ١٠٥].

قال ابن [التين][1]: قد اختلف في قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]، فقيل: معناه: مثلهم، وقيل: منهم.

٦٨٦ ـ عَن عَبْدِاللهِ بنِ مَسعُودٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالصِّدْقِ؛ فَإِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا، وَإِيَّاكُمْ وَالْكَذِبَ؛ فَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَمَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الْكَذِبَ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[2].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ **(عبدِالله بنِ مسعودٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: عليكم)** معشرَ الصحابة فمَنْ بعدهم من سائر المسلمين **(بالصدق)**؛ أي: الزموه، وتخلقوا به؛ **(فإن الصدق)** أعاد الظاهر مع أن المقام يقتضي الإضمار؛ لمزيد الاعتناء والاعتبار، والتلذذ بصريح اسم الصدق عن الإضمار، **(يهدي)** ـ بفتح أوله ـ من الهداية، وهي هنا: الدلالة الموصلة إلى المطلوب

---

(١) ما بين معكوفتين من «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٠٧).

(٢) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧/ ١٠٥).

(إلى البِرِّ) ـ بكسر الموحدة ـ أصله: التوسع في فعل الخير، وهو اسم جامع للخيرات كلها، ويطلق على العمل الخالص الدائم، **(وإن البر يهدي)** هدايةً موصلة **(إلى الجنة)** التي هي دار المؤمنين، ومقر المتقين، ومصداقه من كتابُ الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[الانفطار: ١٣]، **(وما يزال الرجل)**؛ أي: ما ينفك ويبرح الشخص من ذكرٍ وأنثى، وإنما خص الرجل في الحديث جريًا على الغالب **(يصدق)** في مقاله ـ وفي لفظ في الصحيحين: «وإن الرجل لَيصدقُ»[١] ـ **(ويتحرى)**؛ أي: يقصد **(الصدق)** ويكثر الاعتناء به **(حتى يُكتب)** ـ بضم أوله مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ ؛ أي: تكتبه الملائكة بأمر الله **(عند الله)** ﷻ **(صِدِّيقًا)** ـ بكسر الصاد والدال مشددة المهملتين ـ ؛ أي: كثير الصدق، فهي صيغة مبالغة.

قال ابن بطال: المراد أنه يتكرر منه الصدق حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق[٢].

(وإياكم والكذبَ)؛ أي: اجتنبوه، وتباعدوا عنه، ولا تقربوه؛ **(فإن الكذب يهدي)**؛ أي: يوصل **(إلى الفجور)**.

قال الراغب: أصل الفجر: الشق، فالفجور شقُّ ستر الديانة[٣]، ويطلق على الميل إلى الفساد، وعلى الانبعاث في المعاصي، وهو اسم جامع للشر.

---

(١) رواه البخاري (٦٠٩٤)، ومسلم (٢٦٠٧/ ١٠٣).

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٢٨١).

(٣) انظر: «المفردات» للراغب (ص: ٣٧٣).

(**وإن الفجور يهدي**)؛ أي: يوصل (**إلى النار**) التي وَقودها الناس والحجارة، (**وما يزال**)؛ أي: لا ينفكُّ ولا يبرح (**الرجلُ**)؛ أي: الشخص (**يكذب**) في أخباره، (**ويتحرى**)؛ أي: يقصد ويتعمد (**الكذب حتى يُكتب**) المراد بالكتابة: الحكم عليه (**عند الله**) ﷻ (**كذابًا**) ـ بفتح الكاف وتشديد الذال المعجمة، فموحدة بعد الألف الساكنة ـ صيغة مبالغة لوقوع الكذب منه.

ومنه في «موطأ مالك» بلاغًا عن ابن مسعود رضي الله عنه: لا يزال العبد يكذب ويتحرَّى الكذب، فيُنكت في قلبه [نكتةٌ] سوداء حتى يسودَّ قلبُه، فيكتب عند الله من الكاذبين[1].

قال النووي: في الحديث الحثُّ على تحري الصدق، وهو قصدُه والاعتناء به، وعلى التحذير من الكذب والتساهل فيه؛ فإنه إذا تساهل فيه، كثر منه، فعرف به. انتهى[2].

وفي قوله: (ويتحرى) إشارة إلى أن من توقَّى الكذب بالقصد الصحيح إلى الصدق؛ صار الصدق له سجية حتى يستحق الوصف به، وكذلك عكسه، وليس المراد أن الحمد والذم فيهما يختص بمن قصد إليهما فقط؛ فإن الصادق في الأصل ممدوح، والكاذب مذموم.

قال الغزالي: الكذب من قبائح الذنوب، وليس حرامًا لعينه، بل لما فيه من الضرر، ولذلك يُؤْذَنُ فيه حيث يتعين طريقًا إلى المصلحة[3].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٩٠).

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١٦٠).

(٣) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٣/ ١٣٣، ١٣٧).

وتعقب بأنه يلزم أن يكون الكذب إذا لم ينشأ عنه ضرر مباحًا، وليس كذلك.

قال في «الفتح»: ويمكن الجواب بأن يمنع مع ذلك حسمًا للمادة، فلا يباح منه إلا ما يترتب عليه مصلحة.

فقد أخرج البيهقي في «الشعب» بسند صحيح عن أبي بكر الصدِّيق ﷺ قال: الكذب يجانب الإيمان[1]، وأخرجه عنه مرفوعًا[2]، قال: والصحيح موقوف.

وأخرج البزار من حديث سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ﷺ رفعه قال: «يُطبع المؤمن على كل شيء إلا الخيانة والكذب»[3]، وسنده قوي.

* **تنبيه:**

نقل أبو مسعود الدمشقي[4] عن «صحيح مسلم» في هذا الحديث زيادة، وهي: «إن شرَّ الروايا روايا الكذب؛ وإن[5] الكذب لا يصلح منه جدٌّ

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠٦، ٤٨٠٧).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠٤، ٤٨٠٥).

(٣) رواه البزار في «مسنده» (١١٣٩).

(٤) الحافظ المجود البارع أبو مسعود إبراهيم بن محمد بن عبيد الدمشقي، مصنف «أطراف الصحيحين»، وأحد من برز في هذا الشأن، كان صدوقًا، دينًا، ورعًا، فهمًا، سافر الكثير، وكتب ببغداد والبصرة والأهواز، وواسط وخراسان وأصبهان. توفي سنة (٤٠١هـ)، وذكر أنه مات في التي قبلها. انظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (١٧/ ٢٢٧).

(٥) في الأصل: «لأن»، والمثبت من «الصمت وآداب اللسان» لابن أبي الدنيا.

ولا هزل، ولا يَعِد الرجلُ صبيَّه ثم يُخلفه»[1]، فذكر أبو مسعود: أن مسلمًا روى هذه الزيادة في كتابه، وذكرها أيضًا أبو بكر البرقاني في هذا الحديث.

قال الحميدي: وليست عندنا في كتاب مسلم[2].

وقال النووي: واعلم أن الموجود في نسخ البخاري ومسلم في بلادنا وغيرها أنه ليس في متن الحديث إلا ما ذكرناه[3].

و(الروايا): جمع (رَوِيَّة) ـ بالتشديد ـ: وهو ما يتروَّى فيه الإنسان قبل قوله أو فعله.

وقيل: جمع (رواية)؛ أي: الناقل للكذب، والهاء للمبالغة، وقاله القاضي عياض، وكذا الحميدي[4].

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: لم أر شيئًا من هذا ـ يعني: الزيادة المذكورة ـ في «الأطراف» لأبي مسعود، ولا في «الجمع بين الصحيحين» للحميدي، فلعلهما ذكراه في غير هذين الكتابين. انتهى[5].

(أخرجه)؛ أي: حديثَ ابن مسعود المشروحَ **(البخاريُّ، ومسلم)**

---

(١) وروى هذه الزيادة الدارمي في «سننه» (٢٧١٥)، وابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٥١٨).

(٢) انظر: «الجمع بين الصحيحين» للحميدي (١/ ٢٥٠).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ١٦١).

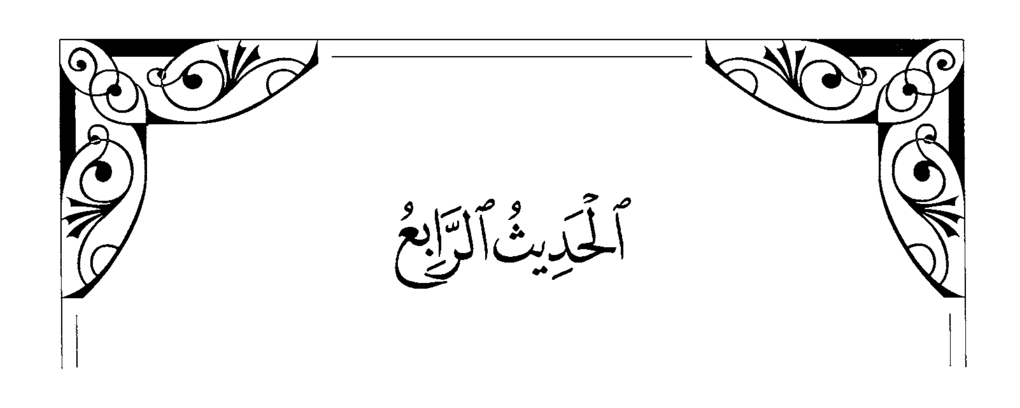
(٤) انظر: «مشارق الأنوار» للقاضي عياض (١/ ٣٠٣)، و«تفسير غريب ما في الصحيحين» للحميدي (ص: ٢٦٥).

(٥) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٥٠٩).

في صحيحيهما، ورواه الإمام أحمد، والترمذي، وغيرهم[1].

* * *

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٤)، والترمذي (١٩٧١).



الحديث الرابع

٦٨٧ ـ **عَن عَبدِاللَّهِ بنِ عَمْرٍو ﵄ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ»، قَالُوا: صَدُوقُ اللِّسَانِ نَعْرِفُهُ مَا مَخْمُومُ الْقَلْبِ؟ قَالَ: «التَّقِيُّ لَا إِثْمَ فِيهِ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه**[1].

(عن) أبي محمدٍ (عبدِالله بنِ عمرٍو) بنِ العاص (﵄ قال) ابنُ عمرو: (قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الناس) من المسلمين (أفضل) من غيره؟ أي: أيهم أكثر فضلًا؟ (قال) رسولُ الله ﷺ مجيبًا للسائل: أفضلُ الناس (كلُّ) شخص من المسلمين (مخموم[2] القلب)، ويأتي بيانه في الحديث، (صدوق اللسان، قالوا)؛ أي: قال مَنْ كان ثَمَّ حاضرًا، أو بعضُهم: يا رسول الله! (صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال) ﷺ: مخموم القلب هو: (التقي)؛ أي: متقي الله ﷻ (النقي) يحتمل أنها للإتباع، أو أن المراد الأتقياء الأخيار،

(١) رواه ابن ماجه (٤٢١٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٤٠): إسناده صحيح.

(٢) في الأصل هنا وفيما يأتي: «محموم»، والتصويب من مصدر التخريج.

الذي (**لا إثم**) ـ بالكسر ـ : هو الذنب وعمل ما لا يحلُّ (**فيه، ولا غِلَّ**) ـ بكسر الغين المعجمة وتشديد اللام ـ ؛ أي: ولا حقد ولا شحناء، (**ولا حسد**) لأحد من الناس على ما منحهم الله من نعمه، ومنعهم من نقمه، فإن الحسد داء عضال، وسمٌّ قتّال، نسأل الله أن يعافينا من غائلته.

(**رواه ابن ماجه**)، ورواه البيهقي، ولفظه: قلنا: يا رسول الله! مَن خير الناس؟ قال: «ذو القلب المخموم[1]، واللسان الصادق»، قال: قلنا: قد عرفنا اللسان الصادق، فما القلبُ المخمومُ؟ قال: «التقي النقي الذي لا إثم فيه، ولا بغي، ولا حسد»، قال: قلنا: يا رسول الله! فمن على أثره؟ قال: «الذي يشنأ الدنيا، ويحب الآخرة»، قلنا: ما يعرف هذا فينا إلا رافع مولى رسول الله ﷺ، فمن على أثره؟ قال: «مؤمن في خُلق حسن»، قلنا: أما هذه، ففينا[2].

قال الحافظ المنذري: إسناده صحيح[3].

وأخرج الإمام أحمد عن عُبادةَ بنِ الصامتِ ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «اضمنوا لي ستًّا من أنفسكم؛ أضمَنْ لكم الجنة: اصدُقوا إذا حدَّثتم، وأوفوا إذا وعدتم، وأدُّوا إذا ائتمنتم، واحفظوا فروجكم، وغضُّوا أبصاركم، وكفُّوا أيديكم»[4].

---

(١) في الأصل هنا وفيما يأتي: «المحموم»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٦٠٤).

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٦٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٣٢٣).

ورواه ابن أبي الدنيا، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، والبيهقي[1].

وروى الإمام أحمد عن عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاصي رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «أربعٌ إذا كُنَّ فيك؛ فلا عليكَ ما فاتك من الدنيا: حفظ أمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفَّة في طُعمة»[2].

ورواه ابن أبي الدنيا، والطبراني، والبيهقي بأسانيد حسنة[3].

وروى ابن حبان في «صحيحه» عن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالصدق؛ فإنه مع البر، وهما في الجنة، وإياكم والكذب؛ فإنه مع الفجور، وهما في النار»[4].

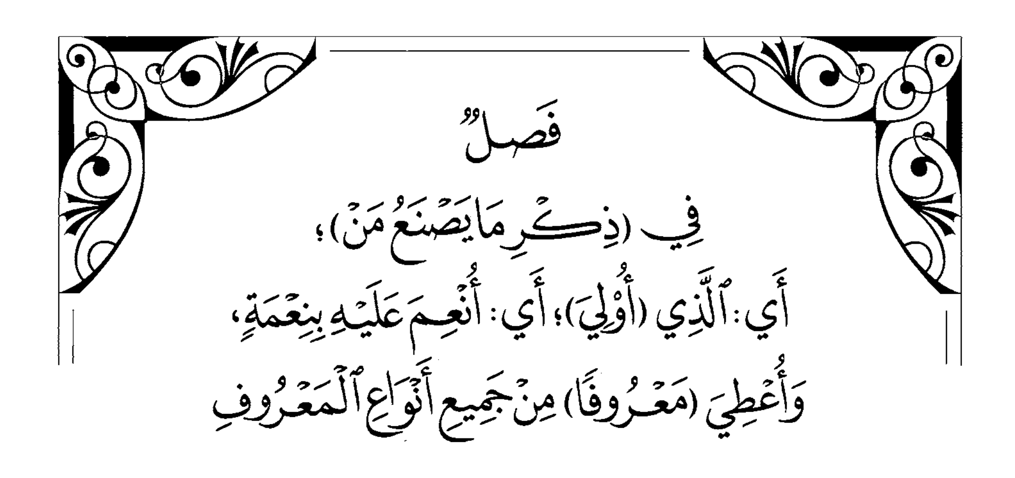


(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٤٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٧١)، والحاكم في «المستدرك» (٨٠٦٦) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٧٧).

(٣) رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٤٤٥)، وفيه: «ثلاث إذا كنَّ فيك...»، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٧٢٥ ـ الجريسي)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٨٠١)، وفيه ابن لهيعة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٤٥): حديثه حسن، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٧٣٤).



فَصلٌ

فِي (ذِكْرِ مَا يَصْنَعُ مَنْ)، أَي: ٱلَّذِي (أُوْلِيَ)، أَي: أُنْعِمَ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ، وَأُعْطِيَ (مَعْرُوفًا) مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ ٱلْمَعْرُوفِ

وذكر الحافظ ـ قدس الله روحه ـ في هذا الفصل ثلاثة أحاديث:

ٱلْحَدِيثُ ٱلْأَوَّلُ

٦٨٨ ـ عَن جَابِرِ بنِ عَبدِاللهِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ عَطَاءً فَوَجَدَ؛ فَلْيَجْزِ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْ؛ فَلْيُثْنِ؛ فَإِنَّ مَنْ أَثْنَى فَقَدْ شَكَرَ، وَمَنْ كَتَمَ فَقَدْ كَفَرَ، وَمَنْ تَحَلَّى بِمَا لَمْ يُعْطَهُ؛ كَانَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُوْرٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِي[1].

وَقَولُهُ: (كَفَر)؛ يَعنِي: تلكَ النِّعمَةَ.

(عن) أبي عبدِالله (جابرِ بنِ عبدِالله ﷺ عن النبي ﷺ: مَنْ)؛ أي: أيُّ شخص (أُعطِيَ) ـ بضم الهمزة وسكون العين المهملة وكسر الطاء المهملة مبنيًّا لما لم يسم فاعله ـ، ونائب الفاعل ضمير يعود على (مَنْ)؛ أي: مَنْ

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٤).

أعطاه غيرُه (**عطاءً**) من سائر أنواع العطاء، واحدتُه (**عَطِيّة**)، وفي لفظ: «من أُعطيَ شيئًا»[1]، (**فوجد**) سَعَةً من المال، (**فلْيَجْزِ**) مجزوم بلام الأمر؛ أي: يجز المُعْطَى ـ بضم الميم وسكون العين وفتح الطاء المهملتين ـ (**به**)؛ أي: بما أعطيه.

وروى الشيرازي في «الألقاب» عن ابن عباس مرفوعًا: «مَن أسدى إلى قوم نعمةً فلم يشكروها له، فدعا عليهم؛ استُجيب له»[2].

(**ومن لم يجد**) ما يكافئ المعطي على عطيته لفقره؛ (**فليثْنِ**)؛ بأن يذكر المعطيَ بالأوصاف الحسنة والأدعية الصالحة، ويظهر ذلك؛ ليكون ذلك شكرًا له، ولا يسوغ له كتمانُ نعمته؛ (**فإن من أثنى**) على المعطي بجميل أوصافه، وتنويهه بما وصله منه من الحِبَاء والنعم؛ (**فقد شكر**) المنعم على ما أنعم وأعطى، (**ومن كتم**) النعمة فلم يثن، ولا دعا للمعطي، وأخفى العطية؛ (**فقد كفر**) نعمةَ المنعِم، ومن لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله ﷻ.

فقد روى الإمام أحمد ـ ورواته ثقات، إلا صالح بن أبي الأخضر، فقال الإمام أحمد فيه: يُستدل به، ويعتبر به[3].

---

(١) رواه ابن حميد في «مسنده» (١١٤٧).

(٢) لم نقف عليه عند الشيرازي، ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٤٨)، وأورده السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» (٢/ ٢٩٨) وقال: نصر بن قديد كذاب، ونصر ابن يسار كان أميرًا على خراسان، وأبو عمرو وعبد الحميد مجهولان، والحديث غير محفوظ.

(٣) روى قوله بسنده ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٣/ ٣٠٦).

وليّنه البخاري، وضعّفه ابنُ معين، والنسائي، وغيرهما[١].

وقال العجلي: يكتب حديثه، وليس بالقوي.

وقال ابن عدي: هو من الضعفاء الذين يُكتب حديثهم[٢] ـ عن أم المؤمنين عائشةَ الصدِّيقة بنت الصدِّيق رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «مَن أُوتِيَ[٣] إليه معروفٌ؛ فليكافِئ به، ومَن لم يستطع؛ فليذكره؛ فإنَّ مَن ذكره فقد شكره...» الحديث[٤].

وأخرج أبو داود، والترمذي وصححه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لا يشكر الله مَنْ لا يشكر الناس»[٥].

قال الحافظ المنذري: روي هذا الحديث برفع (الله)، وبرفع (الناس)، وروي أيضًا بنصبهما، وبرفع (الله) ونصب (الناس)، وعكسه، أربع روايات. انتهى[٦].

وروى أبو عبدِ الرحمن عبدُالله بنُ الإمام أحمد ـ رحمهما الله تعالى ـ في زوائده بإسناد لا بأس به، عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) انظر: «تاريخ ابن معين ـ رواية الدوري» (٣/ ٦٢)، و«سؤالات ابن الجنيد لابن معين» (ص: ٣٨٥)، و«السنن الكبرى» (٢/ ١٦٧).

(٢) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٤/ ٦٥).

(٣) كذا في الأصل، وفي «المسند»: «أتى».

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٩٠).

(٥) رواه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤).

(٦) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٦).

«من لم يشكر القليل؛ لم يشكر الكثير، ومن لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله، والتحدث بنعمة الله شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[١].

ورواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» باختصار[٢].

وروى الإمام بسند رواته ثقات عن الأشعث[٣] بنِ قيسٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أشكرَ الناس لله ـ تبارك وتعالى ـ أشكرُهم للناس»[٤].

وفي رواية: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»[٥].

(ومن)؛ أي: كل شخص من ذكرٍ وأنثى **(تحلَّى بما)** وصف نفسه وأضاف إليها، وتزين وتبجح بشيء من المكارم والأوصاف والعطايا والهبات؛ بأن يقول: فلانٌ الأمير أكرمني بكذا، والخليفة مثلًا وهبني كذا، والحال أن ذلك كذب **(لم يُعط)** ـ بضم أوله وسكون العين وفتح الطاء المهملتين مبنيًّا للمفعول ـ ؛ أي: لم يعطه نحو الأمير والخليفة مما قال شيئًا، بل تَكَثَّر وتبجَّح بالزور ليفاخر به أقرانه، ويكايد أكفاءه وإخوانه = **(كان)** الفاعلُ ذلك فيما دلَّسه ولبَّسه وكايد به **(كـ)**ـشخص **(لابس ثوبَيْ زور)**؛ أي: ثوبي كذب.

ونحوه حديث: «المتشبِّع بما لم يُعْطَ كلابس ثوبي زور». رواه الإمام

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «اصطناع المعروف» (١٣٦).

(٣) في الأصل: «الأحنف»، والتصويب من مصدر التخريج.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢١٢) عن الأشعث بن قيس ﷺ.

(٥) تقدم تخريجه.

أحمد، والشيخان، وأبو داود من حديث أسماءَ بنتِ الصديق رضي الله عنهما[1].

ورواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها[2].

وسببه كما في البخاري: عن أسماء أن امرأة قالت: يا رسولَ الله! إن لي ضرَّة، فهل عليَّ جُناح إن تشبَّعْتُ من زوجي غيرَ الذي يعطيني؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «المتشبع...» الحديث.

قال في «الفتح»: إشارة إلى ما ذكره أبو عُبيد في تفسير الخبر، قال: قوله: (المتشبع)؛ أي: المتزين بما ليس عنده يتكَثَّر بذلك، ويتزين بالباطل؛ كالمرأة تكون عند الرجل ولها ضَرَّة، فتدَّعي من الحظوة عند زوجها أكثر مما لها عنده، تريد بذلك غيظَ ضرتها، وكذلك في الرجال.

(وقوله: (كلابس ثوبيَ زور)؛ بأن يلبس الرجل الثياب المشبهة لثياب الزهَّاد يوهم أنه منهم، ويُظهر من التخشع والتقشف أكثر مما في قلبه.

قال: وفيه وجه آخر؛ بأن يكون المراد بالثياب الأنفس، من قولهم: فلان نقي الثياب: إذا كان بريئًا من الدنس، وفلان دنس الثوب: إذا كان مغموصًا[3] عليه في دينه.

وقال الخطابي: الثوب مَثَل، ومعناه: أن صاحبه ذو زور وكذب؛ كما يقال لمن وصف بالبراءة من الأدناس: طاهر الثوب، والمراد به نفسُ الرجل.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٣٤٥)، والبخاري (٥٢١٩)، ومسلم (٢١٣٠/ ١٢٧)، وأبو داود (٤٩٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢١٢٩/ ١٢٦).

(٣) في الأصل: «مغموضًا»، والتصويب من «فتح الباري» لابن حجر.

وقال أبو سعيد الضرير: المراد به أن شاهد الزور قد يستعير ثوبين يتجمل بهما ليريهم أنه مقبول الشهادة. انتهى.

وهذا نقله الخطابي عن نعيم بن حماد، قال: كان يكون في الحي الرجل له هيئة وشارة، فإذا احتيج إلى شهادة زور؛ لبس ثوبيه وأقبل فشهد، فيقبل لنُبْل هيئته، وحُسن ثوبَيه، فيقال: أمضاها بثوبيه؛ يعني: الشهادة، فأضيف الزور إليهما؛ فقيل: لابس ثوبَي زور.

وأما حكمة التثنية في قوله: (ثوبي زور)؛ فللإشارة إلى أن كذب المتحلِّي مثنى؛ لأنه كذب على نفسه بما لم يأخذ، وعلى غيره بما لم يعط، وكذلك شاهد الزور يظلم نفسه، ويظلم المشهود عليه.

وقال الداودي: في التثنية إشارة إلى أنه كالذي قال الزور مرتين؛ مبالغةً في التحذير من ذلك.

وقيل: إن بعضهم كان يجعل في الكم كمًّا آخر، يوهم أن الثوب ثوبان، قاله ابن المنير.

وقال ابن التين: هو أن يلبس ثوبَي وديعة أو عارية يظن الناس أنهما له، ولباسهما لا يدوم، ويُفتضح بكذبه.

وأراد ﷺ في حديث أسماء بذلك تنفير المرأة عما ذكرت؛ خوفًا من الفساد بين زوجها وضرَّتها، ويورث بينهما البغضاء، فيصير كالسحر الذي يفرق بين المرء وزوجه.

وقال الزمخشري في «الفائق»: (المتشبع)؛ أي: المتشبِّه بالشبعان، وليس به، واستعير للمتحلي بفضيلة لم يرزقها، وشبه بلابس ثوبي زور؛

أي: ذي زور، وهو الذي يتزيَّا بزيِّ أهل الصلاح، وأضاف الثوبين إليه؛ لأنهما كاللبوسين، وأراد بالتثنية أن المتحلي بما ليس فيه كمن لبس ثوبَي الزور، ارتدى بأحدهما واتزر بالآخر؛ كما قيل:

إذا هو بالمجدِ ارتدى وتَأَزَّرا[1]

فالإشارة بالإزار والرداء إلى أنه متصف بالزور من رأسه إلى قدمه.

ويحتمل أن تكون التثنية إشارة إلى أنه حصل له بالتشبع حالتان مذمومتان: فقدان ما يتشبع به، وإظهار الباطل.

وقال المُطَرِّزِيُ: هو الذي يرى أنه شبعان، وليس كذلك[2].

(رواه)؛ أي: حديثَ جابر المشروحَ **(الترمذي)**، وقال: حديث حسن غريب.

ورواه أبو داود، وابن حبان في «صحيحه»، ولفظه: «من أُولي معروفًا فلم يجد له جزاء إلا الثناء؛ فقد شكره، ومن كتمه؛ فقد كفره، ومن تحلَّى بباطل؛ فهو كلابس ثوبَي زور»[3].

وفي رواية جيدة لأبي داود: «من أبلي فذكره؛ فقد شكره، وإن

---

(١) من الطويل، وصدره: (فلا أب وابنًا مثل مروان وابنه)، والبيت للكميت بن معروف، وينسب للكميت الأسدي. انظر: «إيضاح شواهد الإيضاح» للقيسي (١/ ٢٧٤).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٣١٧).

(٣) رواه أبو داود (٤٨١٣)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٤١٥).

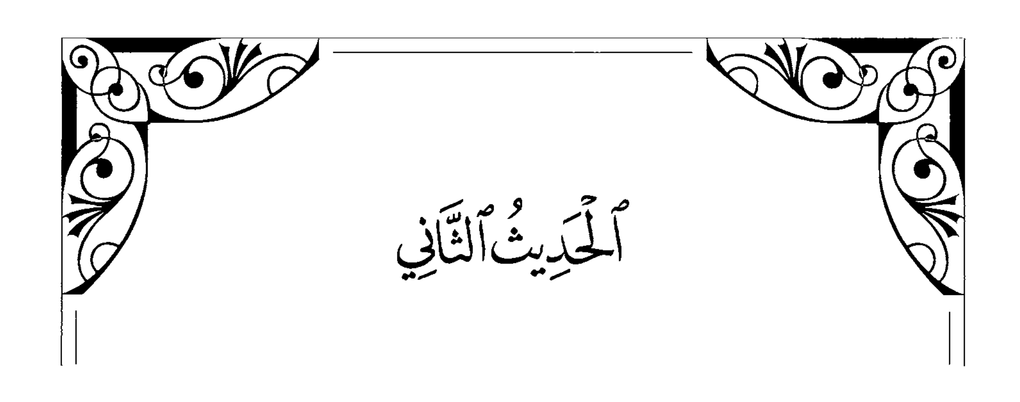
كتمه؛ فقد كفره»[1].

قوله: (من أبلي)؛ أي: من أُنعم عليه، والإبلاء: الإنعام.

قال الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ: (**قوله**) في الحديث: ومن كتم، فقد (**كفر؛ يعني**) بقوله: فقد كفرَ (**تلك النعمة**) التي أُعطيها، فلم يجز المعطي، ولم يُثْن عليه ثناءً حسنًا ويتحدث بما أولاه.

* * *

(١) رواه أبو داود (٤٨١٤).



الحديث الثاني

٦٨٩ ـ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا؛ فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(عن) أبي محمدٍ (أسامةَ بنِ زيد ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل صوم الخميس والاثنين)، (قال: قال رسولُ الله ﷺ: من)؛ أي: أيُّ شخص (صُنع) بضم الصاد المهملة وكسر الصاد المهملة وكسر النون مبنيًّا للمجهول (إليه)؛ أي: إلى ذلك الشخص (معروف) ـ بالرفع ـ نائب الفاعل؛ أي: صنع إليه أحدٌ من إخوانه معروفًا، وأسدى إليه جميلًا، (فقال) المصنوعُ معه المعروف (لفاعله)؛ أي: لفاعل المعروف ومسديه: (جزاك الله خيرًا)، فبدعائه لهذا المحسن، وتنويهه بإحسانه والثناء عليه يكون قد كافأ المحسن، ولهذا قال ﷺ: (فقد أبلغ) المحسن إليه على المحسن الصانع للمعروف (في الثناء)؛ لاعترافه بالتقصير، وبعجزه عن جزائه ومكافأته بماله، ففوض جزاءه لله ﷻ ليجزيه الجزاء الأوفى.

---

(١) رواه الترمذي (٢٠٣٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٨٠).

قال بعضهم: إذا قصرت يدك عن المكافأة؛ فليطل لسانُك بالشكر والدعاء.

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ أبو عيسى **(الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح غريب، ورواه النسائي في)** كتاب **(«عمل يوم وليلة»)**.

قال الحافظ المنذري: وقد أسقط من بعض نُسَخ الترمذي، ورواه الطبراني في «الصغير» مختصرًا، ولفظه: «إذا قال الرجل [لأخيه]: جزاك الله خيرًا، فقد أبلغ في الثناء»[1]، ورواه ابن حبان[2].

ورواه ابن منيع، والخطيب البغدادي من حديث أبي هريرة[3].

ورواه الخطيب ـ أيضًا ـ عن ابن عمر[4] رضي الله عنهما.

وقال مقاتل وعمرو بن مرة في قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين: ١]: تركُ المكافأة من التطفيف[5]، رواه الإمام أحمد عن عمرو

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٥)، والحديث رواه الطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٢٩١) من حديث أسامة وأبي هريرة رضي الله عنهما، واللفظ الذي أورده المنذري والشارح هنا لفظ حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه موسى بن عبيدة. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ١٥٠): ضعيف.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٤١٣).

(٣) لم نقف عليه عند ابن منيع، ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١١/ ٢٠٢)، وفيه موسى بن عبيدة.

(٤) رواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (١٠/ ٢٨٢).

(٥) أوردهما ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٤٠٥).

ابن مرة[1]، ولم ينص الإمام أحمد ﷺ على ما يخالفه.

وقد قال ﷺ: «من أسدى إليكم معروفًا؛ فكافئوه، فإن لم تجدوا؛ فادعوا له»[2].

وفي «آداب العلامة ابن مفلح»: مكتوب في التوراة: اشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك؛ فإنه لا تزول النعم إذا شكرت، ولا مقام لها إذا ما كفرت، والشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير[3].

قال بعض الشعراء في ذكر المعروف:

شكرتُك إن الشكر حبلٌ من التقى
وما كلُّ من أَوليته نعمةً يقضي

وأُحييتَ وأحييتَ من ذكري وما كنت خاملًا
ولكنَّ بعضَ الذكر أنبلُ من بعضِ[4]

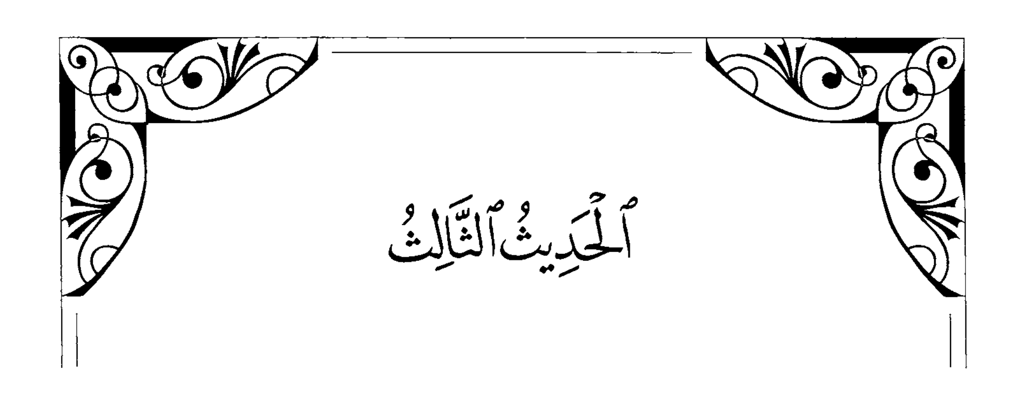
* * *

(١) لم نقف عليه عند الإمام أحمد، وعزاه له ابن مفلح في «الآداب الشرعية» (١/ ٤٠٥). ورواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩١٥٨) عن وهب بن منبه.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٦٨)، وأبو داود (١٦٧٢)، والنسائي (٢٥٦٧)، من حديث ابن عمر ﷺ بنحوه.

(٣) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٢٢٢).

(٤) من الطويل، والبيتان لأبي نخيلة السعدي. انظر: «الحيوان» للجاحظ (٢/ ١٠٠)، و«الأمالي في لغة العرب» للبغدادي (١/ ٣١)، و«الأغاني» لأبي الفرج الأصبهاني (٢٠/ ٤٠٥).



ٱلحَدِيثُ ٱلثَّالِثُ

٦٩٠ ـ عَنْ أَنَسِ بنِ مالكٍ ﷺ قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ المَدِينَةَ؛ أَتَاهُ المُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا المُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي المَهْنَأ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ»: رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مُخْتَصَرًا[1].

(عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: لمَّا قدم النبيُّ ﷺ المدينة) النبويةَ مهاجرًا من مكة المشرفة إليها على رأس ثلاثة عشر من البعثة؛ **(أتاه)** ـ بقصر الهمزة ـ؛ أي: جاءه **(المهاجرون)** من قومه ﷺ الذين خرجوا من مكة قبله إلى المدينة ـ أو أعم من كونهم من قومه ـ وغيرهم من مكة وغيرها، هاجروا قبله أو معه أو بعده إذا كان قولهم متراخيًا عن زمن قدومه، **(فقالوا)**؛ أي: قال بعضهم له ﷺ، ونسب القول لهم لاتفاقهم على مضمونه من حسن الثناء على الأنصار، واتصافهم جميعًا منهم بالإكرام وحسن الاعتبار **(يا رسول الله!**

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٧)، وأبو داود (٤٨١٢).

ما رأينا قومًا) من الناس **(أبذلَ)** للمال **(من كثير)** منه، **(ولا أحسنَ مواساة)**؛ بأن يواسي ما بينه مع عياله وبين من نزل عليه من المهاجرين **(من قليلٍ)** غيرِ فاضلٍ عما يحتاجونه **(من قوم)**؛ يعني: الأنصار الذين **(نزلنا)** معشرَ المهاجرين **(بين أظهرُهم)** في دورهم ومساكنهم، والله! **(لقد كفونا المؤنة)**؛ أي: النفقة.

قال في «القاموس»: التمون: كثرة النفقة على العيال، وما به القيام بكفايتهم[1].

وأشركونا)؛ يعني: الأنصار **(في)** الرزق والعيش **(المهنأ)**؛ أي: الذي لا تعب فيه، ولا تبعة عليه، يقال: هنأَني الطعامُ يَهنِئُني ويَهْنَؤُني[2]، وهَنِئتُ الطعامَ؛ أي: تهنَّأتُ به، وكلُّ أمر يأتيك من غير تعب فهو هنيءٌ، ولكَ المَهْنأُ، والمَهْنا، والجمع (مهانئ)، والأصل في ذلك بالهمز، وقد يخفف.

وفي حديث ابن مسعود في إجابة صاحب الربا إذا دعا إنساناً وأكل طعامه، قال: لك المهنأُ، وعليه الوزرُ[3]؛ أي: يكون أكلُك هنيئًا لا تؤاخَذ به، ووزرُه على مَنْ كسبه.

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: مون)، وفيه: «مانه: قام بكفايته» بدل: «وما به القيام بكفايتهم».

(٢) في الأصل: «يهنأني»، والمثبت من «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: هنأ)، وفيه أيضًا: «يَهْنُؤُني».

(٣) أورده ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٦٣٤)، وابن عبد البر في «التمهيد» (٤/ ١١٨)، والزمخشري في «الفائق» (٤/ ١١٤).

وما زال الأنصار يفعلون معنا ذلك (حتى) والله! (لقد خفنا أن يذهبوا)؛ أي: يفوزوا (بالأجر)؛ أي: الثواب الذي يعود على العامل من عمله الصالح، وجزاء كدحه الناجح (كله) بأجمعه دوننا؛ لأن أعمالنا الصالحة، وأفعالنا وأقوالنا الناجحة لهم فيها أقوى سبب، وأتم معونة، وهي القيام بالكلف وعبء المؤنة.

(فقال النبي ﷺ: لا)؛ أي: لا يذهبون بكل الأجر والثواب (ما دعوتم)؛ أي: مدة دعائكم (الله) ﷻ (لهم)؛ بأن يجزيهم الله خيرًا على حسن صنيعهم، (وأثنيتم عليهم) بجميل فعلهم.

(رواه الترمذي وقال: حديث صحيح غريب، ورواه أبو داود مختصرًا).

ورواه النسائي، ولفظه: عن أنس رضي الله عنه قال: قالت المهاجرون: يا رسول الله! ذهب الأنصار بالأجر كلِّه، ما رأينا قومًا أحسن بذلًا لكثير، ولا أحسن مواساة في قليل منهم، ولقد كفونا المؤنة، قال: «أليس تثنون عليهم، وتدعون لهم؟» قالوا: بلى، قال: «فذاك بذاك»[1].

ولا يخفى أن الأنصار أهل لكل مكرمة، وجديرون بكل فضيلة، ومن ثَمَّ كان حبهم من علامات الإيمان، وبغضهم من علامات النفاق، فكل مَنْ عرف رتبة الأنصار، وما كان منهم من نصرة دين الإسلام، والسعي في إظهاره، وإيواء المسلمين، وقيامهم بمهمات دين الإسلام حقَّ القيام، وحبهم النبي، وحبه إياهم، ومعاداتهم سائر الناس إيثارًا للإسلام، وأحبَّ الأنصار

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٠٠٩).

لهذه الخصال = كان ذلك من دلائل صحة إيمانه، وصدقه في إسلامه؛ لسروره بظهور الإسلام، ومن أبغضهم كان بضد ذلك، ويستدل على نفاقه وفساد سريرته.

وفي الصحيحين، والترمذي، وغيرها من حديث البراء بن عازب ﵄ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في الأنصار: «لا يُحبهم إلا مؤمن، ولا يُبغضهم إلا منافق، فمَن أحبهم أحبه الله، ومَن أبغضهم أبغضه الله»[1].

وفيهما، والنسائي من حديث أنس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «آيةُ الإيمان حبُّ الأنصار، وآيةُ النفاق بغضُ الأنصار»[2].

وفي لفظ: «آيةُ المنافق بغضُ الأنصار، وآية المؤمن حبُّ الأنصار»[3].

وفي الترمذي ـ وقال: حسن صحيح ـ عن ابن عباس ﵄: أن رسول الله ﷺ قال: «لا يُبغض الأنصار أحدٌ يؤمن بالله واليوم الآخر»[4].

وفي مسلم من حديث أبي سعيد ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يُبغض الأنصار رجلٌ يؤمن بالله واليوم الآخر»[5].

ومثله من حديث أبي هريرة ﵁ مرفوعًا، رواه مسلم[6].

---

(١) رواه البخاري (٣٧٨٣)، ومسلم (٧٥/ ١٢٩)، والترمذي (٣٩٠٠).

(٢) رواه البخاري (١٧)، ومسلم (٧٤/ ١٢٨)، والنسائي (٥٠١٩).

(٣) رواه مسلم (٧٤/ ١٢٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٣٣١).

(٤) رواه الترمذي (٣٩٠٦).

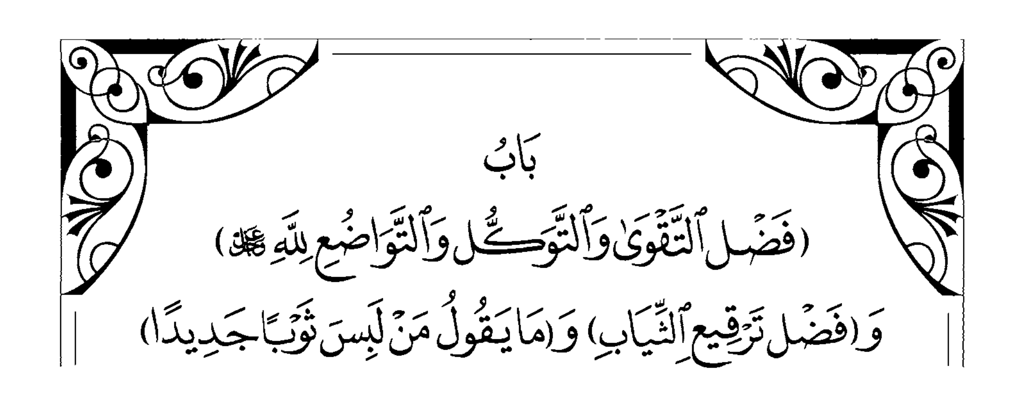
(٥) رواه مسلم (٧٧).

(٦) رواه مسلم (٧٦/ ١٣٠).

وروى مسلم في «صحيحه»، والنسائي في «سننه»، وغيرهما، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: لقد رأيتنا وما الرجلُ المسلمُ بأحقَّ بدیناره ودرهمه من أخيه المسلم[1].

❒ ❒ ❒

(١) لم نقف عليه عندهما، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٨٤).



اعلم أن التقوى اسمٌ من وقى الشيءَ يقيه: إذا صانه وستره عن الأذى، فأصل اتَّقَى: اوْتقى، فقلبت الواو ياء للكسرة قبلها، ثم أبدلت تاء، وأدغمت.

وفي الحديث: «من عصى الله ﷻ لم تقه من الله واقية»[1].

وأصل التقوى: اتخاذُ وقاية تقيك مما تخافه وتحذره، فتقوى العبد لله: أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من غضبه وقاية تقيه منه هي امتثالُ أوامره، واجتناب نواهيه، فقوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[البقرة: ٢٧٨]؛ أي: غضبه، وهو أعظمُ ما يتقى؛ إذ ينشأ عنه عقابُه الدنيوي والأخروي، ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾[آل عمران: ٢٨]، ﴿هُوَ أَهۡلُ ٱلتَّقۡوَىٰ وَأَهۡلُ ٱلۡمَغۡفِرَةِ﴾[المدثر: ٥٦].

وفسر ذلك النبي ﷺ، فقال: «قال الله تعالى: أنا أهلٌ لمن اتقى، فمن اتقاني فلم يجعل معي إلهًا آخر؛ فأنا أهل أن أغفر له»[2].

وقد تضاف التقوى إلى عقابه، أو مكانه، أو زمانه؛ نحو: ﴿وَٱتَّقُواْ

---

(١) أورده الهروي في «الغريبين» (٦/ ٢٠٢٩).

(٢) رواه الترمذي (٣٣٢٨) من حديث أنس ﷺ وقال: حديث غريب.

﴿ٱلنَّارَ﴾[آل عمران: ١٣١]، ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾[البقرة: ٢٨١]، والتقوى وصيةُ الله للأولين والآخرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾[النساء: ١٣١]، ويدخل في التقوى الكاملة فعلُ الواجبات، وتركُ الشبهات، وربما دخل فيها فعل المندوبات، وترك المكروهات، وهي أعلى درجات التقوى، وهي وصية رسول الله ﷺ لأمته، كما هي وصية الله ﷻ لعباده، فكان رسول الله ﷺ إذا بعث أميرًا على سرية، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله، وبمن معه من المسلمين خيرًا[(١)].

ولما خطب ﷺ في حجة الوداع يومَ النحر، وصى الناس بتقوى الله، والسمع والطاعة لأئمتهم، ولما قالوا له: كأنها موعظة مودِّع، فأوصنا، قال: «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة»[(٢)].

وفي حديث أبي ذر ﵁ الذي أخرجه ابنُ حبان وغيره: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس الأمر كله»[(٣)].

وخرج الإمام أحمد من حديث أبي سعيد الخدري ﵁ قال: قلت: يا رسول الله! أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله؛ فإنه رأس كل شيء، وعليك بالجهاد؛ فإنه رهبانية الإسلام»[(٤)].

---

(١) رواه مسلم (١٧٣١/ ٣) من حديث بريدة بن الحصيب ﵁.

(٢) رواه أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢)، من حديث العرباض بن سارية ﵁.

(٣) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٣٦١).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢١٥): رجاله ثقات.

ورواه غيره بلفظ: «عليك بتقوى الله؛ فإنها جماع كل خير»[1].

وفي «سنن الترمذي» عن يزيد بن مسلمة ﷺ قال: يا رسول الله! إني سمعت منك حديثًا كثيرًا، فأخاف أن ينسيني أوَّله آخره، فحدِّثني بكلمة تكون جماعًا، قال: «اتق الله فيما تعلم»[2].

ولم يزل السلف الصالح يتواصون بها.

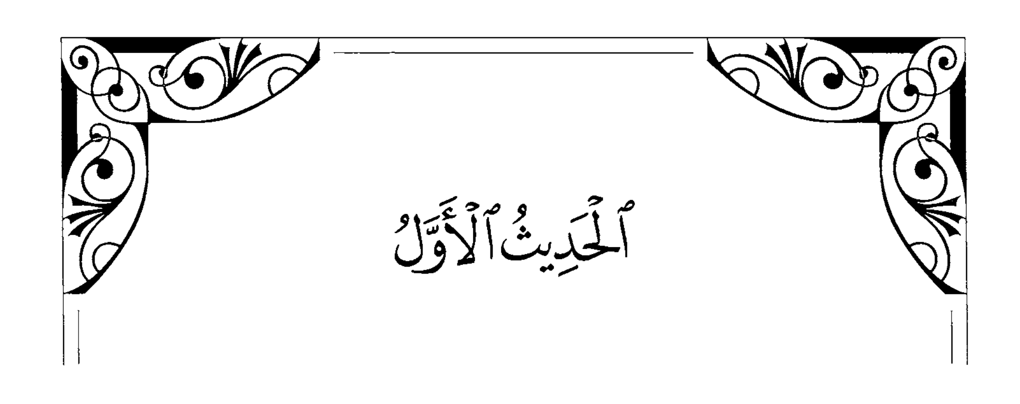
وذكر الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في هذا الباب ثمانية أحاديث.

* * *

---

(١) رواه أبو يعلى في «مسنده» (١٠٠٠)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٥٦).

(٢) رواه الترمذي (٦٣٢) وقال: سألت محمدًا فقال: سعيد بن أشوع لم يسمع عندي من يزيد بن سلمة، وهو عندي حديث مرسل.



الحديث الأول

٦٩١ ـ عَن أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي لأَعْرِفُ آيَةً لَوْ أَخَذَ النَّاسُ بِهَا؛ لَكَفَتْهُمْ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيَّةُ آيَةٍ؟ قَال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ . أَخْرَجَهُ ابْنُ مَاجَه[1] .

(**عن أبي ذرٍّ**) جُندبِ بنِ جُنادةَ الغِفاريِّ (ﷺ **قال: قال رسول الله ﷺ: إني لأعرفُ**) اللام لمزيد التأكيد، أو في جواب قسم مقدر (**آية**) من كتاب الله ﷻ (**لو أخذ الناس**) من أمتي (**بها**)؛ أي: بما تضمنته من الأحكام من منطوقها ومفهومها ومحترزها؛ (**لكفتهم**) عن الأخذ بغيرها، (**قالوا**)؛ أي: الصحابة الكرام؛ أي: قال بعضُ مَنْ حضر منهم: (**يا رسول الله! أَيَّة آيةٍ**) من كتاب الله تعالى هي؟ (**قال**) ﷺ: هي قوله تعالى: (﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾[الطلاق: ٢]).

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٢٠). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٤١): هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع، أبو السليل لم يدرك أبا ذر، قاله في «التهذيب»، ورواه النسائي في (التفسير) عن محمد بن عبد الأعلى، عن المعتمر بن سليمان، به، ورواه أحمد بن منيع في «مسنده» بزيادة طويلة كما أفردته في «زوائد المسانيد العشرة»، فقال: ثنا يزيد بن هارون، ثنا كهمس بن الحسن، فذكره.

قال عكرمة، والشعبي، والضحاك: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ فيطلِّق للسُّنة؛ ﴿يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ إلى الرجعة[1].

وأكثر المفسرين قالوا: نزلت في عوفِ بنِ مالكٍ الأشجعيِّ، أسر المشركون ابنًا له يسمى: مالكًا، فأتى النبيَّ ﷺ، فقال: يا رسول الله! أسر العدو ابني، وشكا إليه ـ أيضًا ـ الفاقة، فقال له النبي ﷺ: «اتق الله واصبر، وأكثر من قولِ: لا حول ولا قوة إلا بالله»، ففعل الرجل ذلك، فبينا هو في بيته، إذ أتاه ابنه وقد غفل عنه العدو، فأصاب إبلًا وجاء بها إلى أبيه[2].

وروى الكلبي عن أبي صالح، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمهم، فجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة، فنزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] في ابنه، ﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] ما ساق من الغنم[3].

وقال مقاتل: أصاب غنمًا ومتاعًا، ثم رجع إلى أبيه، فانطلق أبوه إلى النبي ﷺ وأخبره الخبر، وسأله أيحلُّ له أن يأكل ما أتى به ابنه؟ فقال له النبي ﷺ: «نعم»، فأنزل الله ﷻ هذه الآية[4].

---

(١) انظر: «تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٨٢٠) من حديث جابر رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، و(١٩٩٣) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، إلا أنه قال في حديث جابر: بل منكر، عباد رافضي، وعبيد متروك، قاله الأزدي. انظر: «التلخيص» للذهبي (٢/ ٤٩٢).

(٣) رواه بنحوه الكلبي في «تفسيره» (٤/ ١٢٧).

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وتقدمت هذه القصة في: (فضل لا حول ولا قوة إلا بالله) من الأذكار بعدَ الصلاة المكتوبة في أوائل الكتاب.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]: هو أنه يعلم أنه من قِبل الله، وأن الله رازقه(١).

قال الربيع بن خيثم: ﴿يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ من كل شيء ضاقَ على الناس(٢).

وقال أبو العالية: ﴿مَخۡرَجٗا﴾ من كل شدة(٣).

وقال الحسن: ﴿مَخۡرَجٗا﴾ عما نهاه عنه(٤).

وقد ثبت عن النبي ﷺ: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسألك الهدى والتقى، والعفاف والغنى»(٥).

وفي رواية: قال أبو ذر رضي الله عنه: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾، قال: «يا أبا ذر! لو أن الناس أخذوا بها؛ لكفتهم»(٦).

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٣٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧).

(٢) رواه البخاري في «صحيحه» في الرقاق، باب: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]، تعليقًا، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٢٩).

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٣٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧).

(٤) انظر: «تفسير الثعلبي» (٩/ ٣٣٧)، و«تفسير البغوي» (٤/ ٣٥٧).

(٥) رواه مسلم (٢٧٢١/ ٧٢) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) رواه الإمام أحمد «مسنده» (٥/ ١٧٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٦٠٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨١٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وفي إسناده أبو السليل، وقد تقدم الكلام عليه قريبًا.

وقد قال النبي ﷺ: «اتق الله حيثُ ما كنت، وأَتبع السيئةَ الحسنةَ تمحُها، وخالقِ الناسَ بخلُق حسن». رواه الترمذي وحسنه من حديث أُبيٍّ ومعاذٍ رضي الله عنهما[1]، ويأتي.

فقوله ﷺ: (اتق الله حيث ما كنت)؛ أي: في السر والعلانية.

وكتب ابن السماك الواعظ إلى بعض إخوانه: أما بعد: فأوصيك بتقوى الله الذي هو نجيك في سريرتك، ورقيبك في علانيتك، فاجعل الله من بالك على كل حالك في ليلك ونهارك، وخف الله بقدر قربه منك، وقدرته عليك، واعلم أنك بعينه، ليس تخرج من سلطانه إلى سلطان غيره، ولا من ملكه إلى ملك غيره، فليعظم منه حَذَرُك، وليكثر منه وَجَلُك، والسلام[2].

وقال أبو الجلد: أوحى الله إلى نبي من الأنبياء: قل لقومك: ما بالُكم تسترون الذنوبَ من خلقي وتُظهرونها لي؟ إن كنتم ترون أني لا أراكم، فأنتم مشركون بي، وإن كنتم ترون أني أراكم، فلمَ جعلتموني أهونَ الناظرين إليكم[3]؟

(أخرجه)؛ أي: حديثَ أبي ذَرٍّ المشروحَ **(ابنُ ماجه)** في «سننه».

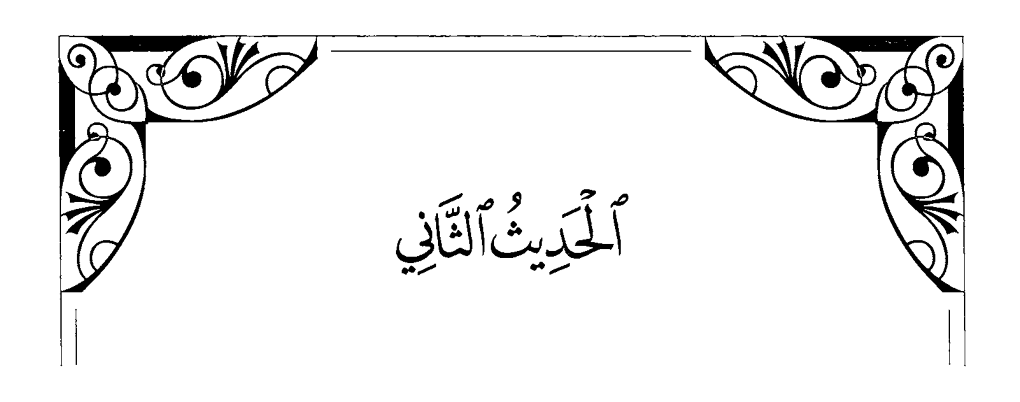
* * *

---

(١) رواه الترمذي (١٩٨٧).

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨/ ٢٠٦).

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ١٦٢).



الحديث الثاني

٦٩٢ ـ عَن عَمْرِو بنِ العَاصِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِن قَلبِ ابنِ آدَمَ بكُلِّ وادٍ شُعْبَةٌ، فَمَنِ اتَّبَعَ قَلبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا؛ لم يُبَالِ اللهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَن تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ؛ كَفَاهُ الشُّعَبَ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[1].

(عن) أبي عبدِالله (عمرِو بنِ العاص ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل السجود للواحد المعبود)، (قال: قال رسول الله ﷺ: إنَّ) بكسر الهمزة وتشديد النون (من قلب ابن آدم) أبي البشر ـ عليه السلام ـ، ولم يرد بالقلب هنا الشكل الصنوبري الذي هو قطعة اللحم المعروفة، بل أراد العقل والفهم؛ فإن القلب يطلق على الفؤاد أو أخص منه، وعلى العقل، ومحض كل شيء؛ كما في «القاموس» وغيره[2].

(في كل واد) من أودية الأماني والحدس والغرور وحديثِ النفس (شعبة) ـ بالضم ـ؛ أي: قطعة، والمراد: ما يخاله في حدسِه، ويتوهمه

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٦٦).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قلب).

في نفسه، **(فمن)**؛ أي: أي شخص **(اتبع قلبه)**؛ أي: عقله وفهمه؛ يعني: انقاد وانسحب رأيه ولبُّه متبعًا **(الشعب كلها)** على تباين أجناسها، وتفاوت أنواعها؛ تشتت باله، وتفرقت آماله، وذهب به ذلك كلَّ مذهب، فهلك في ذلك، ولم يجتمع له بال، ولم يحصل على نوال، **(لم يُبالِ)**؛ أي: يكترث **(الله)** ﷻ **(بأي واد)** من تلك الأودية **(أهلكه)**.

يقال: ما أباليه بالًا، ومبالاة؛ أي: ما أكترث؛ كما في «القاموس»[1].

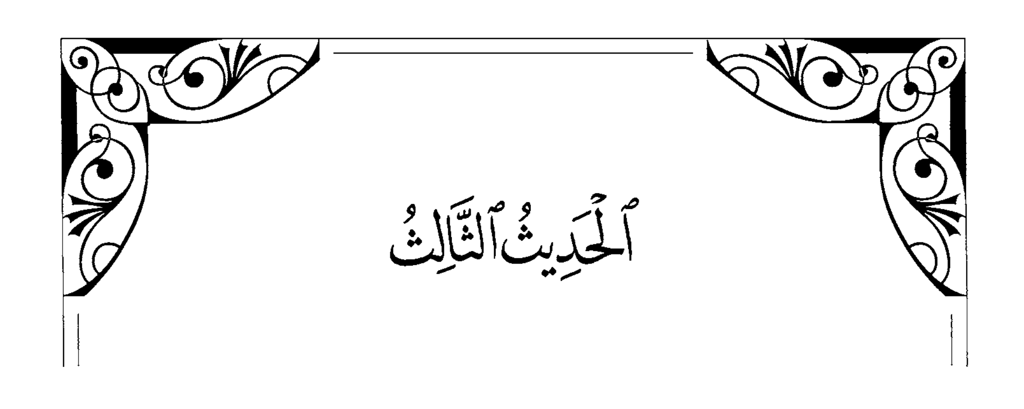
وقوله: (أهلكه)؛ أي: أباده وأماته، يقال: هلك؛ كضرب ومنع وعلم هُلكًا ـ بالضم ـ، وهلاكًا، وتُهلوكًا وهُلوكًا ـ بضمهما ـ: مات، وأهلكه واستهلكه، وهلكه يهلكه: أباده.

(ومن توكل على الله) تعالى، ولم يتبع قلبه الشعب المتشعبة منه؛ **(كفاه)** سبحانه بتوكله عليه، واعتماده وتوجهه إليه **(الشعبَ)** المتشعبةَ من قبله، وجمع قلبه بحسن توكله على مولاه؛ لأن كل عبد والاه أعانه وكفاه.

(رواه ابن ماجه) في «سننه».

* * *

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: بلي).



الحديث الثالث

٦٩٣ ـ عَن عُمَرَ بنِ الخطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَو أَنَّكُمْ توَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ توَكُّلِهِ؛ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ[1].

(عن) أمير المؤمنين **(عمرَ بنِ الخطاب** ﷺ **قال: سمعت رسولَ الله** ﷺ **يقول: لو أنكم)** معشرَ الخلق من بني آدم ـ عليه السلام ـ **(تتوكلون)**، وفي لفظ: «لو أنكم كنتم تتوكلون»[2]، **(على الله)** ﷻ **(حَقَّ توكله)**.

قال البيهقي في «شعب الإيمان»: ليس في هذا الحديث دلالة على القعود عن الكسب، بل فيه ما يدل على طلب الرزق[3]؛ لقوله ﷺ: **(لرزقكم كما يرزق الطير؛ تغدو)** بكرةَ النهار **(خِمَاصًا)**؛ أي: جياعًا، والخِماص

(١) رواه ابن ماجه (٤١٦٤)، والترمذي (٢٣٤٤).

(٢) أورد هذا اللفظ ابن الأثير في «جامع الأصول» (١٠/ ١٤٠) وعزاه للترمذي، إلا أن لفظ الترمذي: «توكلون».

(٣) انظر: «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٦٦).

ـ بكسر الخاء المعجمة، وآخره صاد مهملة ـ جمع (خميص): وهو الضامرُ البطن، **(وتروح)**؛ أي: ترجع عشاءً **(بِطاناً)**؛ أي: ممتلئة البطون.

والبطان ـ بكسر الموحدة ـ: جمع (بطين): وهو العظيم البطن.

فإن الطير إذا غدت، فإنما تغدو لطلب الرزق، وإنما أراد ﷺ ـ والله أعلم ـ: لو توكلوا على الله في ذهابهم ومجيئهم وتصرفهم، ورأوا أن الخير من عنده وبيده؛ لم ينصرفوا[1] إلا سالمين غانمين؛ كالطير تغدو خماصًا وتروح بطاناً، لكنهم يعتمدون على قوتهم وجلدهم، ويغشون ويكذبون ولا ينصحون، وهذا خلاف التوكل. انتهى.

(رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح)، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، والنسائي، وابن حبان والحاكم في صحيحيهما[2].

قال الحافظ ابن رجب: قال أبو حاتم الرازي: هذا الحديث أصلٌ في التوكل[3]، وإنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق، قال الله ﷻ:

---

(١) في الأصل: «يتصرفوا»، والتصويب من «شعب الإيمان» للبيهقي (٢/ ٦٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٠٥ ـ ط الرسالة)، وابن حبان في «صحيحه» (٧٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٧٨٩٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) كذا في الأصل، وفي «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (٣/ ١٢٦٦ ـ ط دار السلام): وقد روي هذا الحديث من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ، ولكن في إسناده من لا يعرف حاله، قاله أبو حاتم الرازي، وهذا الحديث أصل... وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٢/ ١١٢)، وفيه: هذا حديث باطل بهذا الإسناد، وسعيد ابن إسحاق بن الحمار مجهولٌ لا أعرفه.

﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾[الطلاق: ٢ ـ ٣]، وقد قرأ النبي ﷺ هذه الآية على أبي ذر، وقال: «لو أن الناس كلَّهم أخذوا بها؛ لكفتهم»؛ كما تقدم آنفًا.

وحقيقةُ التوكل هو صدقُ اعتماد القلب على الله ﷻ في استجلاب المصالح ودفعِ المضار من أمور الدنيا والآخرة كلِّها، وكلةُ الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه[1].

قال الإمام أحمد ﷺ: التوكلُ عملُ القلب[2].

قال المحقق ابن القيم في كتابه شرح «منازل السائرين»: معنى ذلك: أنه عمل قلبي، ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

قال: ومن الناس من يجعله من باب المعارف والعلوم، فيقول: هو علم القلب بكفاية الربِّ للعبد، ومنهم من يفسره بالسكون، وخمود حركة القلب، فيقول: التوكل هو انطراحُ القلب بين يدي الله كانطراح الميت بين يدي الغاسل يقلِّبه كيف يشاء، أو ترك الاختيار، والاسترسال مع مجاري الأقدار.

قال سهل: التوكلُ الاسترسالُ مع الله على ما يريد[3].

ومنهم من يفسره بالرضا فيقول: الرضا بالمقدور.

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٣٦).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١١٤).

(٣) انظر: «التعرف لمذهب أهل التصوف» للكلاباذي (ص: ١٠١).

وقال ذو النون: التوكل خلعُ الأرباب، وقطعُ الأسباب؛ يريد: قطعَها من تعلق القلب بها، لا من ملابسة الجوارح لها[1].

قال المحقق ابن القيم: وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيامَ بالأسباب، بل لا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد.

قال سهلُ بنُ عبدالله التستريُّ: من طعن في الحركة، فقد طعن في السُّنة، ومن طعن في التوكل، فقد طعن في الإيمان، فالتوكل حالُ النبي ﷺ، والكسبُ سُنته، فمن عمل على حاله، فلا يتركن سنته[2].

وقال سعيدُ بنُ جُبير: التوكل جماع الإيمان[3].

وقال وهب بن منبه: الغاية القصوى التوكلُ[4].

وقال الحسن البصري: إن من توكُّلِ العبد على ربه أن يعلم أن الله ثقته[5].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «مَن سرَّه أن يكون أقوى الناس؛ فليتوكل على الله»[6].

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١١٤).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١١٦).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ١٢٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٣٢٣).

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٣٧).

(٥) رواه الخلال في «الحث على التجارة والصناعة» (١٢٣).

(٦) رواه عبد بن حميد في «مسنده» (٦٧٥)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (٥)، والحاكم في «المستدرك» (٧٧٠٧) وقال: حديث صحيح.

وروي عنه ﷺ: أنه كان يقول في دعائه: «اللهم إني أسالك صدقَ التوكُّل عليك»[1].

وأنه كان يقول: «اللهم اجعلني ممن توكل عليك فكفيته»[2].

قال الحافظ ابن رجب: تحقيق التوكل لا ينافي السعيَ في الأسباب التي قدر الله سبحانه المقدورات بها، وجرت سنته في خلقه بذلك، فإن الله أمر بتعاطي الأسباب مع أمره بالتوكل، فالسعيُ في الأسباب بالجوارح طاعةٌ له، والتوكل بالقلب عليه إيمانٌ به، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ خُذُواْ حِذۡرَكُمۡ﴾[النساء: ٧١]، وقال: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ ﴾[الأنفال: ٦٠]، وقال: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ ﴾[الجمعة: ١٠].

ثم قال: ثم إن الأعمال التي يعملها العبد ثلاثة أقسام:

أحدها: الطاعات التي أمر الله عباده بها، وجعلها سببًا للنجاة من النار ودخولِ الجنة، فهذا لا بد من فعله مع التوكل على الله فيه، والاستعانة به عليه؛ فإنه لا حول ولا قوة إلا بالله، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فمن قصر في شيء مما وجب عليه من ذلك، استحق العقوبة في الدنيا والآخرة شرعًا وقدرًا.

---

(١) أورده ابن رجب في «جامع العلوم والحكم» (ص: ٤٣٧). ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٣٤٣)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ٢٧٤) من قول سعيد ابن جبير.

(٢) رواه الديلمي في «الفردوس» (١٩٢٤) من حديث أنس ﷺ.

قال يوسف بن أسباط: كان يقال: اعمل عمل رجل لا ينجيه إلا عملُه، وتوكل توكُّلَ رجل لا يُصيبه إلا ما كُتب له[1].

والثاني: ما أجرى الله العادة به في الدنيا، وأمر عباده بتعاطيه؛ كالأكل عند الجوع، والشرب عند العطش، والاستظلال من الحر، والتدفؤ من البرد، ونحو ذلك، فهذا ـ أيضًا ـ واجب على المرء تعاطي أسبابه، ومن قصر فيه حتى تضرر بتركه مع القدرة على استعماله؛ فهو مفرط يستحق العقوبة، لكن الله ﷻ قد يقوي بعض عباده من ذلك على ما لا يقوي عليه غيره، فإذا عمل بمقتضى قوته التي اختص بها عن غيره؛ فلا حرج عليه، ولهذا كان النبي ﷺ يواصل في صيامه، وينهى عن ذلك أصحابه، ويقول لهم: «إني لست كهيئتكم، إني أُطْعَم وأُسقى»[2].

وفي رواية: «إني أظل عند ربي يطعمني ويسقيني»[3].

وفي رواية: «إن لي مطعمًا يطعمني، وساقيًا يسقيني»[4].

قال الحافظ ابن رجب: والأظهر أنه أراد بذلك أن الله يقويه ويغذيه بما يورده على قلبه من الفتوح القدسية، والمنح الإلهية، والمعارف الربانية

---

(١) انظر: «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٤/ ٢٦٢). ورواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٢٥٠)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٢/ ٢٩٢)، من قول مسلم بن يسار.

(٢) رواه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢/ ٥٥)، من حديث ابن عمر ﭭ.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٧)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢٠٧٢)، من حديث أبي هريرة ﭬ.

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٣٧)، والحديث رواه أبو داود (٢٣٦١) من حديث أبي سعيد ﭬ.

التي تغنيه عن الطعام والشراب برهةً من الدهر؛ كما قيل:

لهـــا أحاديـــثُ مـــن ذكـــراك تـــشغلُها

عـــن الطعـــام وتُلهيهـــا عـــن الـــزادِ

لهـــا بوجهـــك نـــورٌ تستـــضيء بـــه

وقـــتَ المـــسير وفـــي أعقابهـــا حـــادي

إذا اشـــتكتْ مـــن كـــلالِ الـــسير أوعـــدَها

روحُ القـــدوم فتحيـــا عنـــد ميعـــاد[1]

وقد كان ابن الزبير ﷺ يواصل ثمانية أيام[2].

وكان أبو الجوزاء يواصل في صيامه بين سبعة أيام، ثـم يقـبض علـى ذراع الشابِّ فيكاد يحطمها[3].

وكان إبراهيم التيمي يمكث شهرين لا يأكل شيئًا، غير أنه يـشرب شـربة حلوى[4].

---

(١) من البسيط، وقد روي نحو هذه الأبيات من شعر إدريس بن أبي حفصة. انظـر: «الأنوار ومحاسن الأشعار» للشمشاطي (ص: ١٩٢)، و«زهر الآداب» للقيروانـي (١/ ٤٥٠).

(٢) رواه ابن معين في «تاريخه» (٣/ ٥٠ ـ رواية الدوري)، والفـاكهي فـي «أخبـار مكـة» (٢/ ٣٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٦٣٣٤) بلفظ: «سبعة أيام».

(٣) رواه البيهقـي في «شعـب الإيمـان» (٣٩٤٤)، وابـن الجـوزي فـي «المنـتظم» (٦/ ٢٣٥).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١١٧).

وكـان حجـاج بن فُرافصـة[1] يبقـى أكثـر من عشـرة أيـام لا يـأكـل ولا يشرب ولا ينام[2].

ذكر ذلك الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ ثم قال: فمن لـه قـوة علـى مثل هذه الأمور، فعمل بمقتضى قوته، ولم يضعفه عن طاعة الله؛ فلا حرج عليه، ومن كلَّف نفسَه ذلك حتى أضعفَها عن بعض الواجبات؛ فإنـه يُنكَـر عليه ذلك.

وكان السلف ينكرون على عبدِ الرحمن بنِ أبي نُعْم[3] حيثُ كان يترك الأكل مدة، حتى يُعاد من ضعفه.

القسم الثالث: ما أجرى الله العادةَ به في الدنيا فـي الأعـمِّ الأغلـب، وقد يخرق العادة في ذلك لمن يشاء من عباده، وهو أنواع:

منها: ما يخرقه كثيرًا ويغني عنه كثيرًا من خلقه؛ كالأدوية بالنسبة إلى كثير من البلدان وسكان البوادي ونحوها.

وقد اختلف العلماء هل الأفضلُ لمـن أصـابه المـرض التـداوي، أو تركُه لمن حقق التوكل على الله؟ وفيه قولان مشهوران، وظاهر كلام الإمـام أحمد ﷺ: أن التوكل لمن قويَ عليه أفضلُ؛ لما صح عن النبي ﷺ: أنه قـال: «يدخُل من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب»، ثم قال: «هم الـذين لا يتطيَّـرون،

---

(١) في الأصل: «قرافصة»، والصواب المثبت. انظر: «تبصير المنتبـه» لابـن حجـر (٣/ ١٠٧٠).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الجوع» (١١٩، ١٢٠). وانظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٣٧).

(٣) في الأصل: «نعيم»، والتصويب من «الجوع» بن أبي الدنيا (١٢١).

ولا يَسْتَرْقُونَ، ولا يكتوون، وعلى ربهم يتوكلون»[1].

ومن رجح التداوي قال: إنه حالُ النبي ﷺ الذي كان يداوم عليه، وهو لا يفعل إلا الأفضل، وحمل الحديث على الرقى المكروهة التي يخشى منها الشرك؛ بدليل أنه قرنها بالكيِّ والطِّيرة، وكلاهما مكروه.

ومنها: ما يخرقه لقليل من عباده؛ كحصول الرزق لمن ترك السعي في طلبه، فمن رزقَه اللهُ صدقَ يقينٍ وتوكل، وعلم من الله أنه يخرق له العوائد، ولا يحوجه إلى الأسباب المعتادة في طلب الرزق ونحوه؛ جاز له تركُ الأسباب، ولم ينكَر عليه ذلك.

وحديثُ أمير المؤمنين عمر بن الخطاب المشروح يدلُّ على ذلك، ويدل على أن الناس إنما يؤتون من قلة تحقيق التوكل، ووقوفهم مع الأسباب الظاهرة بقلوبهم ومساكنتهم لها، فلذلك يتعبون أنفسهم في الأسباب، ويجتهدون فيها غاية الاجتهاد، ولا يأتيهم إلا ما قُدِّر لهم، فلو حققوا التوكل على الله بقلوبهم؛ لساق الله إليهم أرزاقَهم مع أدنى سبب، كما يسوق إلى الطير أرزاقها بمجرد الغدو والرواح.

وهو نوع من الطلب والسعي، لكنه سعيٌ يسير، وربما حرم الإنسان رزقه أو بعضَه بذنب يصيبه؛ كما في حديث ثوبانَ عن النبي ﷺ قال: «إن العبد لَيُحْرَمُ الرزقَ بالذنب يصيبه»[2].

---

(١) رواه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨/ ٣٧١)، من حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٧)، وابن ماجه (٤٠٢٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٧٢). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٨٧): إسناده حسن.

وفي حديث جابر ﷺ عن النبي ﷺ: «إن نفسًا لن تموت حتى تستكملَ رزقها، فاتقوا الله وأَجملوا في الطلب، خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حرم»[1].

وقال أمير المؤمنين عمر ﷺ: بين العبد وبين الرزق حجاب، فإن قنع ورضيَتْ نفسه؛ أتاه رزقه، وإن اقتحم وهتك الحجاب؛ لم يزد فوق رزقه[2].

وقال بعض السلف: توكَّلْ تُساق إليك الأرزاق بلا تعب، ولا تكلُّف.

قال سالم بن أبي الجعد: حُدِّثت أن عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ كان يقول: اعملوا لله ولا تعملوا لبطونكم، وإياكم وفضولَ الدنيا؛ فإن فضول الدنيا عند الله رجز، هذه طير السماء تغدو وتروح وليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها، فإن قلتم: إن بطوننا أعظمُ من بطون الطير، فهذه الوحوش من الباقر والحمير تغدو وتروح ليس معها من أرزاقها شيء، لا تحرث ولا تحصد، الله يرزقها[3].

---

(١) رواه ابن ماجه (٢١٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢١٣٥)، و(٧٩٢٤) وقال: صحيح الإسناد، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٥/ ٢٦٥).

(٢) رواه ابن قتيبة في «عيون الأخبار» (ص: ٣٤١)، والدينوري في «المجالسة وجواهر العلم» (ص: ١٩٤)، وابن أبي عمر في «مسنده» كما في «المطالب العالية» لابن حجر (١٣/ ٩٨).

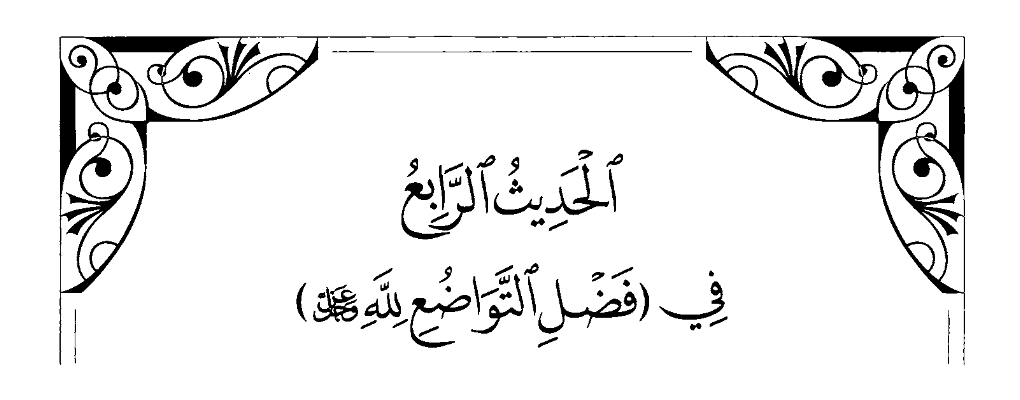
(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٤٣٨)، وحديث سالم رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٤٨)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٢٣٢)، وهناد في «الزهد» (٥٨١).

وذكر الحافظ ابن رجب ـ رحمه الله ـ : قال المروذي : قيل لأبي عبدالله ـ يعني : الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ـ : أيُّ شيء صدق التوكل على الله؟ قال : أن يتوكل على الله ولا يكون في قلبه أحد من الآدميين يطمع أن يجيبه بشيء ، فإذا كان كذلك ؛ كان الله يرزقه ، وكان متوكلًا[1] . والله تعالى الموفق .

* * *

---

(١) انظر : «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص : ٤٣٩) .



الحديث الرابع
في (فضل التواضع لله ﷻ)

٦٩٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ؓ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أنه قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(عن أبي هريرةَ) عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ (ؓ، **عن رسول الله ﷺ: أنه قال: ما نقصت)** بفتح النون وتشديد الصاد المهملة مفتوحة وتخفيفها[2] **(صدقة)** مرفوع على الفاعلية **(من مال)** أخرجت منه، و(من) زائدة؛ أي: ما نقصت صدقة مالًا، أو صلة لـ (نقصت)؛ أي: ما نقصت شيئًا من مال في الدنيا بالبركة فيه ورفع المفسدات عنه، وفي آخرة بإجزال الأجر والثواب والتضعيف، **(وما زاد الله)** ﷻ **(عبدًا)** من عباده **(بـ)** سبب **(عفوٍ)** يصدر منه لبعض إخوانه عن هفوة هفاها، وزلة أتاها **(إلا عزًّا)** في الدنيا بحسن الثناء عليه والالتفات إليه؛ فإن من عُرف بالعفو، عظم قدره في القلوب، أو في

---

(١) رواه مسلم (٢٥٨٨/ ٦٩).

(٢) كذا ضبطت في الأصل، علمًا أن الناسخ قد رسم بخط يده شدة على القاف وفتحة على الصاد، ولم نقف على ضبط لأحد الوجهين المذكورين.

الآخرة بأن يعظم ثوابه، ويجزل أجره، أو فيهما، **(وما تواضع أحد)** مـن عبـاد الله **(لله)** ﷻ.

التواضع: الانكسار والتذلل، ونقيضه الكِبر والترفع، والتواضع يقتضي متواضَعًا له، والمتواضَع له هو الله ـ جل شأنه ـ ، أو مـن أمـر الله ورسـوله بالتواضع له؛ كالرسل والأئمة والحكام والعلماء والوالدين، فهو التواضـع الواجب المحمود الذي يرفع الله ﷻ به صاحبه في الدنيا والآخرة.

ومن ثم قال: **(إلا رفعه الله)** تعالى في الدنيا والآخرة.

وأما التواضع لسائر الخلق؛ فالأصل فيه أنه محمـود ومنـدوب إليـه، ومرغَّب فيه إذا قصد به وجه الله، ومن كان كذلك، رفع الله قدره في القلوب، وطيب ذكره في الأفواه، ورفع درجته في الآخرة.

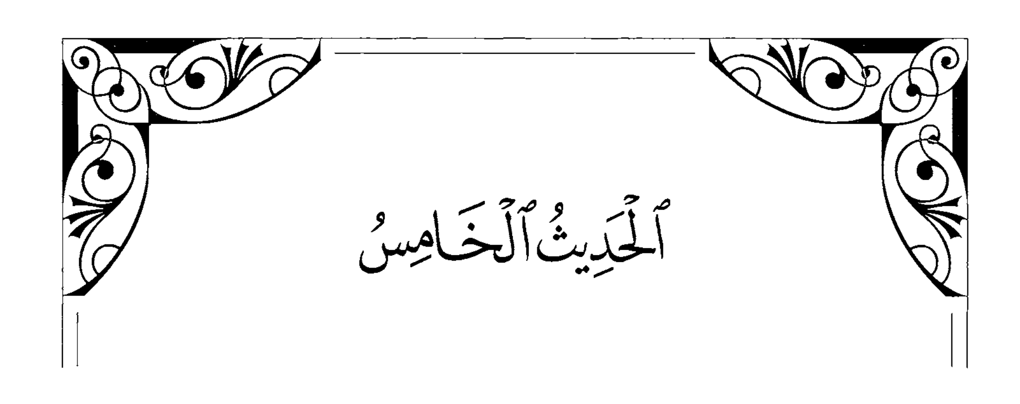
وأما التواضع لأهل الدنيا ولأهل الظلم؛ فذلك هو الذل الذي لا عـز معه، والخسة التي لا رفعة معها، بل يترتب عليه ذل الآخرة، وكـل صـفقة خاسرة، نعوذ بالله من الخذلان.

(رواه)؛ أي: حديثَ أبي هريرة المشروحَ الإمامُ **(مسلمُ)** بنُ الحجاج في «صحيحه»، ورواه الإمام أحمد في «المسند»، والترمذي في «سننه»[1].

* * *

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٨٦)، والترمذي (٢٠٢٩).



الحديث الخامس

٦٩٥ ـ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يَتَوَاضَعُ لِلَّهِ دَرَجَةً يَرْفَعُهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً، وَمَنْ يَتَكَبَّرُ عَلَى اللَّهِ دَرَجَةً يَضَعُهُ اللهُ بِهِ دَرَجَةً حَتَّى يَجْعَلَهُ فِي أَسْفَلِ السَّافِلِينَ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[1].

(عن أبي سعيدٍ) سعدِ بنِ مالكٍ (الخُدْرِيِّ ﷺ، عن رسول الله ﷺ): أنه (قال: من)؛ أي: أي شخص مؤمن (تواضع)؛ أي: تطامَنَ وتذلل (لله) ﷻ (درجةً)؛ أي: انخفض ونزل عن رتبته التي هو فيها منزلةً؛ (رفعه الله) تعالى (به)؛ أي: بالتواضع الذي تواضعه لوجه الله تعالى (درجة) من درجات الآخرة في الجنة.

وفي رواية: «يرفعه الله درجة حتى يجعله في أعلى عليين»[2].

(ومن تكبر)؛ أي: ترفَّع وتعاظَمَ (على الله) جل وعلا (درجة؛ وضعه

---

(١) رواه ابن ماجه (٤١٧٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٢٢٩): إسناده ضعيف، دراج بن سمعان أبو السمح المصري وإن وثقه ابن معين وأخرج له ابن حبان في «صحيحه» فقد قال أبو داود وغيره: حديثه مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم، وقال ابن عدي: عامة أحاديث دراج مما لا يتابع عليها.

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٨).

الله) تعالى **(به)**؛ أي: بذلك التكبر الذي تكبر وتعاظم به **(درجة حتى يجعله في أسفل السافلين)** في نار جهنم التي وقودها الناس والحجارة.

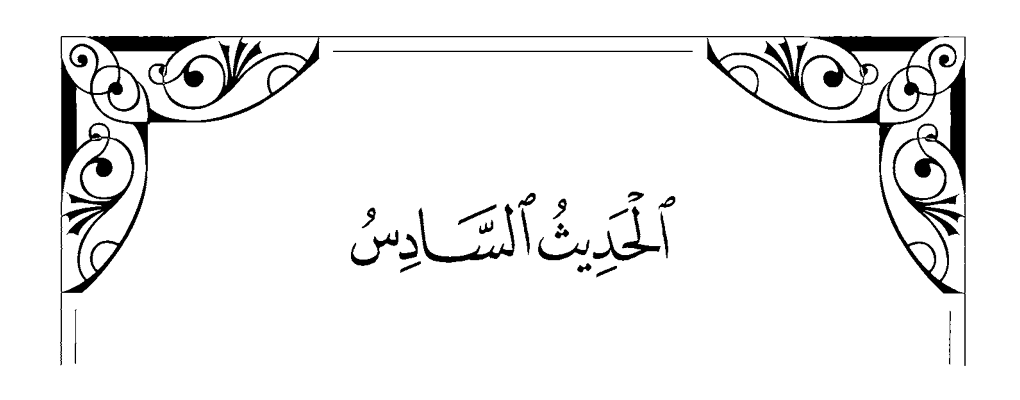
(رواه ابن ماجه)، ورواه ابن حبان في «صحيحه».

وفي آخره عند ابن حبان: «ولو أن أحدكم يعمل في صخرة صماء، ليس عليها باب ولا كوة، لخرج ما غيَّبه للناس كائنًا ما كان»[1].

* * *

---

(١) انظر التعليق السابق.



الحديث السادس

٦٩٦ ـ عَن عِيَاضِ بن حِمَارٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ خَطَبَهُمْ فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابنُ مَاجَه(1).

(**عن عِيَاض**) بكسر العين المهملة وتخفيف التحتية، فضاد معجمة بعد الألف الساكنة (**ابنِ حِمار**) ـ بكسر الحاء المهملة، فميم مخففة، فألف ساكنة، فراء ـ ابن أبي حمار بن ناجية بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع ابن دارم التميمي المجاشعي، يُعد في البصريين، وكان صديقًا لرسول الله ﷺ قديمًا.

روى عنه: مُطَرف بن عبدالله، وأخوه يزيد، والحسن البصري، وغيرهم.

(ﷺ، **عن النبيِّ ﷺ: أنه**)؛ أي: النبي ﷺ (**خَطَبهم**)؛ أي: خطب أصحابه ﷺ وعياض بن حمار معهم، وفيهم، (**فقال**) النبي ﷺ: (**إن الله ﷻ أوحى إليَّ**) وحيَ إرسال فيما أوحى (**أن**)؛ أي: بأن (**تواضعوا**) بخفض الجناح، ولينِ الجانب (**حتى لا**)؛ أي: لكيلا (**يفخر أحد**) منكم بالأحساب

(1) رواه أبو داود (٤٨٩٥)، وابن ماجه (٤١٧٩).

والأنساب والآباء والأجداد (**على أحد**) تكبرًا وتيهًا؛ لأن الله ﷻ يقول في محكم كتابه العزيز: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾[الحجرات: ١٣]، فلا فضلَ لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي إلا بالتقوى، فإذا كان الأمر كذلك، فلا فخر ولا تكبر، ولا تيه ولا عُجْب.

وأهل التقوى لا يفتخرون؛ لأنهم أعرفُ وأشرفُ من أن يفتخروا على أحد من خلق الله؛ لأن معرفتهم لربهم، وغيبوبة العاقبة عنهم، وعدم علمهم بما يَختم لهم به ربهم، يمنعهم من الفخر والكبر.

(**رواه**)؛ أي: حديثَ عياضٍ المشروحَ (**أبو داود، وابن ماجه**)، بل هو في «صحيح مسلم» أيضًا[(١)].

وروى الطبراني عن نصيحٍ العنسي، عن ركبٍ المصريِّ، قال: قال رسول الله ﷺ: «طوبى لمَن تواضع في غير منقصة، وذلَّ في نفسه من غير مسألة، وأنفق مالًا جمعه في غير معصية، ورحم أهلَ الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن طاب كسبه، وصلحت سريرته، وكرمت علانيته، وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه، وأنفق الفضلَ من ماله، وأمسك الفضلَ من قوله»[(٢)].

قال الحافظ المنذري: رواته إلى نصيح ثقات، وقد حَسَّن هذا الحديث أبو عمر النمري؛ يعني: الإمام الكبير الحافظ أبو عمر يوسفُ بنُ عبد البر، وحسَّنه ـ أيضًا ـ غيرُه.

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٥/ ٦٤).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٦١٦).

و(ركب) قال البغوي: لا أدري سمعَ من النبي ﷺ أم لا.

وقال ابن منده: لا يعرف له صحبة.

وذكر غيرهما: أن له صحبة.

قال المنذري: ولا أعرف له غيرَ هذا الحديث. انتهى[1].

وأخرج الترمذي ـ واللفظ له ـ والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، والحاكم ـ وقال: صحيح على شرطهما ـ عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن مات وهو بريء من الكِبْر والغُلول والدَّين؛ دخل الجنةَ»[2].

قال الحافظ المنذري: وقد ضبطه بعض الحفاظ: (الكنز) بالنون والزاي، وليس بمشهور. انتهى[3].

وروى الإمام أحمد، والبزار ـ ورواتهما محتج بهم في الصحيح ـ عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ لا أعلمه إلا رفعه قال: «يقول الله ـ تبارك وتعالى ـ: مَن تواضع لي هكذا ـ وجعل يزيدُ باطنَ كفه إلى الأرض وأدناها ـ رفعته هكذا»، وجعل باطن كفه إلى السماء، ورفعها نحو السماء[4].

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٥٠).

(٢) رواه الترمذي (١٥٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧٦٤)، وابن ماجه (٢٤١٢)، وابن حبان في «صحيحه» (١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢٢١٨) وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٣٥٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٤٤)، والبزار في «مسنده» (١٧٥).

ورواه الطبراني، ولفظه: قال عمر ﷺ على المنبر: أيها الناس! تواضعوا؛ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضع لله رفعه الله وقال: انتعش نعشك الله، فهو في أعين الناس عظيم، وفي نفسه صغير، ومن تكبر قصمه الله وقال: اخسأ، فهو في أعين الناس صغير، وفي نفسه كبير»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» بسند رجاله ثقات عن عبدالله بن عمر ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والكِبر؛ فإن الكِبر يكون في الرجل وإن عليه العباءة»[2].

وفي «صحيح مسلم» من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة ﷺ قالا: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ﷻ: العز إزاره، والكبرياء رداؤه، فمن ينازعني عذبته»[3].

وأخرجه البرقاني في «مستخرجه» من الطريق الذي أخرجه مسلم، ولفظه: «يقول الله ﷻ: العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن نازعني في شيء منهما، عذبته»[4].

ورواه أبو داود، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» من حديث

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣٠٧)، وفيه سعيد بن سلام العطار، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٨٢): كذاب.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٣).

(٣) رواه مسلم (٢٦٢٠/ ١٣٦).

(٤) لم نقف عليه عنده، ورواه من طريق مسلم البخاري في «الأدب المفرد» (٥٥٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٨١٥٧).

أبي هريرة ﵁ وحدَه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، قذفته في النار»[1].

ورواه ابن ماجه ـ واللفظ له ـ وابن حبان في «صحيحه» من حديث ابن عباس ﵄ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله ـ جل وعلا ـ : الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحدًا منهما، ألقيته في النار»[2].

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث حارثةَ بنِ وهب ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل النار؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ متكبِّرٍ»[3].

(العتلُّ) بضم العين المهملة والتاء الفوقية وتشديد اللام: هو الغليظ الجافي.

و(الجواظ) بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة، وهو الجموع المنوع، وقيل: الضخم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين.

وعنه ـ يعني: الحارثة بن وهب ﵁ ـ قال: قال رسول الله: «لا يدخل الجنة الجوَّاظ، ولا الجَعظري»، قال: والجوَّاظ: الغليظ الفظُّ. رواه أبو داود[4].

وفي حديث سُراقةَ بنِ مالكِ بنِ جعشمٍ ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «يا سراقة! ألا أخبرك بأهل الجنة وأهل النار؟» قلت: بلى يا رسول الله، قال:

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٣٢٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٤١٧٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٦٧٢).

(٣) رواه البخاري (٤٩١٨)، ومسلم (٢٨٥٣/ ٤٦).

(٤) رواه أبو داود (٤٨٠١).

«أما أهل النار؛ فكل جَعظريٍّ جوَّاظٍ مستكبرٍ، وأما أهل الجنة؛ فالضعفاء المغلوبون». رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط» بإسناد حسن، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم[1].

قال في «القاموس»: الجَعْظري: الفَظُّ الغليظ، والأكول الغليظ، والقصير المتنفخ بما ليس عنده؛ كالجِعْظارة، والجِعِنْظار: الشَّرِه النَّهِم، والأكول الضخم؛ كالجَعَنْظَر[2]. والله أعلم.

وروى الإمام أحمد ـ ورواته رواة الصحيح ـ عن أبي سلمةَ بنِ عبدِ الرحمنِ ابنِ عوفٍ قال: التقى عبدُالله بن عمر وعبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم على المروة، فتحدثا، ثم مضى عبدالله بن عمرو، وبقي عبدالله بن عمر يبكي، فقال له رجل: ما يبكيك يا أبا عبد الرحمن؟ قال: هذا ـ يعني: عبدالله بن عمرو ـ زعم أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «من كان في قلبه مثقالُ حبة من خردل من كِبر؛ كبَّه الله لوجهه في النار»[3].

وفي رواية أخرى للإمام أحمد برواة الصحيح: سمعت رسولَ الله ﷺ يقول: «لا يدخل الجنة إنسانٌ في قلبه مثقالُ حبةٍ من خردل من كبر»[4].

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٥٨٩)، و«المعجم الأوسط» (٣١٥٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٢).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: جعظر).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٤). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٨): رجاله رجال الصحيح.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٤).

وروى الإمام أحمد أيضًا عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «ما من رجل يموت حين يموت وفي قلبه مثقالُ حبة من خردل من كبر، تحل له الجنة أن يريح ريحها ولا يراها»(١).

وروى النسائي، والترمذي ـ وحسَّنه ـ من حديث عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه: أن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثالَ الذرِّ في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، يساقون إلى سجن في جهنم يقال له: بولس، تعلوهم نار الأنيار، يسقَون من عصارة أهل النار طينة الخبال»(٢).

قوله: (بُولَس) هو بضم الباء الموحدة وسكون الواو وفتح اللام بعدها سين مهملة.

و(الخبال) بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة.

وفي «صحيح مسلم»، و«سنن الترمذي» ـ وحسَّنه ـ من حديث عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، قال: «إن الله جميل يحبُّ الجمال، الكبر بَطَرُ الحقِّ، وغَمْطُ الناس»(٣).

(بطر الحق) بفتح الباء الموحدة والطاء المهملة جميعًا: هو دفعُه وردُّه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٥١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٩٨): في إسناده شهر بن حوشب عن رجل لم يسمَّ.

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٨٢٧ ـ ط الرسالة)، والترمذي (٢٤٩٢).

(٣) رواه مسلم (٩١/ ١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩).

و(غمط الناس) بفتح الغين المعجمة وسكون الميم وبالطاء المهملة: هو احتقارهم وازدراؤهم، وكذلك غمصُهم بالصاد المعجمة.

وقد رواه الحاكم، فقال: «ولكن الكبر من بَطِرَ الحقَّ، وازدرى الناس»، وقال: احتجا برواته[1].

وروى أبو داود، والترمذي ـ واللفظ له، وقال: حديث حسن ـ عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «لينتهينَّ أقوامٌ يفتخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله من الجُعَل الذي يُدَهده الخراءَ بأنفه، إن الله أذهبَ عنكم عُبِّيَّة الجاهلية، وفخرَها بالآباء، إنما هو مؤمن تقيٌّ، وفاجر شقيٌّ، الناس بنو آدم، وآدم خلق من تراب»[2].

قوله: (أهون على الله من الجُعل): (الجعل) بضم الجيم وفتح العين المهملة: دويبة أرضية.

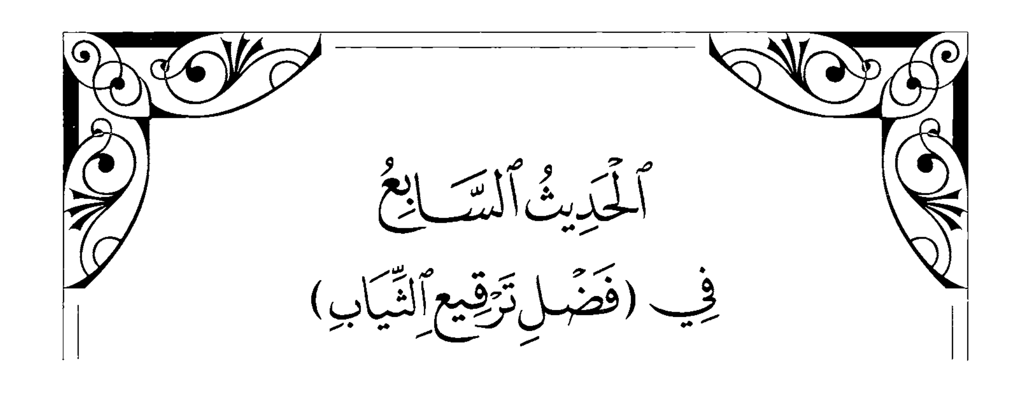
وقوله: (يدهده)؛ أي: يدحرج وزنه ومعناه.

و(العُبِّية) بضم العين المهملة وكسرها، وتشديد الباء الموحدة وكسرها، وبعدها ياء مثناة تحتية مشددة ـ أيضًا ـ: هي الكبر والفخر والنخوة. والله أعلم.

* * *

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٩).

(٢) رواه أبو داود (٥١١٦)، والترمذي (٣٩٥٥).



الحديث السابع في (فضل ترقيع الثياب)

فإنه من آثار التواضع وثمرته.

٦٩٧ ـ عَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ أَرَدْتِ اللُّحُوقَ بِي؛ فَلْيَكْفِكِ مِنَ الدُّنْيَا كَزَادِ الرَّاكِبِ، وَإِيَّاكِ وَمُجَالَسَةَ الأَغْنِيَاءِ، وَلَا تَسْتَخْلِقِي ثَوْبًا حَتَّى تُرَقِّعِيهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[1].

(عن) أم المؤمنين (**عائشة**) الصدِّيقة (﵂ **قالت: قال رسول الله ﷺ**) لي: (**إن أردتِ**) ـ بكسر التاء خطابًا لعائشة ﵂ ـ أي: طلبتِ وأحببت (**اللحوقَ بي**) في المقامات العالية، والنعيم المقيم، (**فليكفك من الدنيا**) من متاعها وزادها ولباسها ونحوِ ذلك (**كزاد الراكب**) المسافرِ؛ فإنه إنما يتزود منها بقدر سدِّ جوعته، وما يقيه البرد والحر، فلا يدخر من متاع الدنيا زادًا ولا لباسًا، ولا غطاء ولا وِطاءً زائدًا عن حاجته في سفره؛ لأنه بصدد الرجوع من سفره إلى مقرِّ وطنه وسكنه وعطنه، فلا يحمل شيئًا زائدًا عن قدر حاجته؛ فإنه يثقله من غير فائدة تعود عليه، ولا حاجة تلجئ إليه.

(**وإياكِ**) بكسر الكاف خطابًا لعائشة ﵂ (**ومجالسةَ الأغنياء**) ـ بمد

(١) رواه الترمذي (١٧٨٠).

الهمزة ـ جمع (غني)، وهم هنا أربابُ الأموال والتجارات؛ فإن غالب كلامهم في الترغيب في تحصيل الأموال وتنميتها، وربح التجارات وتثميرها.

أي: احذري مجالستهم؛ فإن ذلك من مبادئ الطمع، ولئلا تزدري نعمة الله.

(ولا تستخلقي) بخاء معجمة وقاف **(ثوبًا)**؛ أي: لا تعدِّيه خَلَقًا وتطلبي خلعَه والإعراضَ عنه، سواء كان قميصًا أو غيره **(حتى ترقعيه)**؛ أي: تخيطي على ما تخرق منه رقعة.

وروي بالفاء من (استخلفه): إذا صار له خلفًا، واتخذ عنه عوضًا بعد نزعه والإعراض عنه.

ومقصود الحديث: أن من أراد الارتقاء في درجات البقاء؛ خفف ظهره من الدنيا، واقتصر على أقل ممكن.

وأخذ منه السهرورديُّ وغيره تفضيلَ لبسِ المرقَّعات، قالوا: ولأنها أقل مؤنة، وأتقى وأنقى، وأقرب إلى التواضع، وأصبر على الكد، وتدفع الحر والقر، ولا مطمع فيها لأهل الشر، وتمنع من الكبر والفخر.

(رواه الترمذي وقال: غريب)، والحاكم وقال: صحيح[1]، واعترض عليه.

فدل هذا الحديث على ندب لبس الثوب المرقوع، ورقع الثياب.

وفي «موطأ مالك» عن أنس ﷺ قال: رأيت أمير المؤمنين عمر ﷺ

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٧).

ـ وهو يومئذ أمير المؤمنين ـ وقد رقع بين كتفيه برقاع ثلاث، لبَّد بعضَها على بعض[1].

وقد أخرج الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسَّنه ـ والحاكم ـ وصحَّحه ـ عن معاذِ بنِ أنسٍ ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «من ترك اللباسَ تواضعًا لله وهو يقدر عليه؛ دعاه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق حتى يخيِّره من أيِّ حُلل الإيمان شاء يلبسها»[2].

وأخرج أبو داود عن رجل من أبناء أصحاب رسول الله ﷺ، عن أبيه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «من ترك لبسَ ثوبِ جمال وهو يقدر عليه ـ قال بشرٌ أحدُ رواة الحديث: أحسبه قال: تواضعًا ـ كساه الله حلة الكرامة»[3].

ورواه البيهقي من طريق زبانَ بنِ فائد، عن سهلِ بنِ معاذٍ، عن أبيه[4].

وأخرج أبو داودَ، وابن ماجه من حديث أبي أُمامة بنِ ثعلبةَ الأنصاريِّ ـ واسمه إياس ـ ﷺ قال: ذكر أصحاب رسول الله ﷺ عنده الدنيا، فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمعون؟ ألا تسمعون؟ إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان، إن البذاذة من الإيمان»؛ يعني: التقحُّل[5].

---

(١) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩١٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٩)، والترمذي (٢٤٨١)، والحاكم في «المستدرك» (٧٣٧٢).

(٣) رواه أبو داود (٤٧٧٨).

(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٤٩).

(٥) رواه أبو داود (٤١٦١)، وابن ماجه (٤١١٨).

قال الحافظ المنذري: البذاذة ـ بفتح الباء الموحدة وذالين معجمتين بينهما ألف ساكنة فيها تأنيث ـ: التواضع في اللباس برثاثة الهيئة وترك الزينة، والرضا بالدون من الثياب[1].

ورواه الإمام أحمد، ولفظه: «إن البذاذة من الإيمان»؛ يعني: التقحل[2].

وفي لفظ عند ابن ماجه: يعني: التقشف[3].

قال الإمام أحمد رضي الله عنه: البذاذة: التواضع في اللباس[4].

وفي «الصحاح»: بذُّ[5] الهيئة؛ أي: رثُّها، بيِّنُ البَذاذة والبُذوذة[6].

وفي «جمهرة ابنِ دريد»: بذَّت هيئتُه بذاذة وبذوذة: إذا رثَّت[7].

وروى البيهقي عن أبي هريرة مرفوعًا: «إن الله عز وجل يحب المتبذِّل الذي لا يبالي ما لبس»[8].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي بردةَ قال: دخلت على عائشةَ رضي الله عنها

---

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٧٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (ص: ٧).

(٣) رواه ابن ماجه (٤١١٨).

(٤) انظر: «الزهد» للإمام أحمد (ص: ٧).

(٥) في الأصل: «بذل»، والتصويب من «الصحاح».

(٦) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: بذذ).

(٧) انظر: «جمهرة اللغة» لابن دريد (١/ ٦٦).

(٨) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦١٧٥)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (٢٠٣).

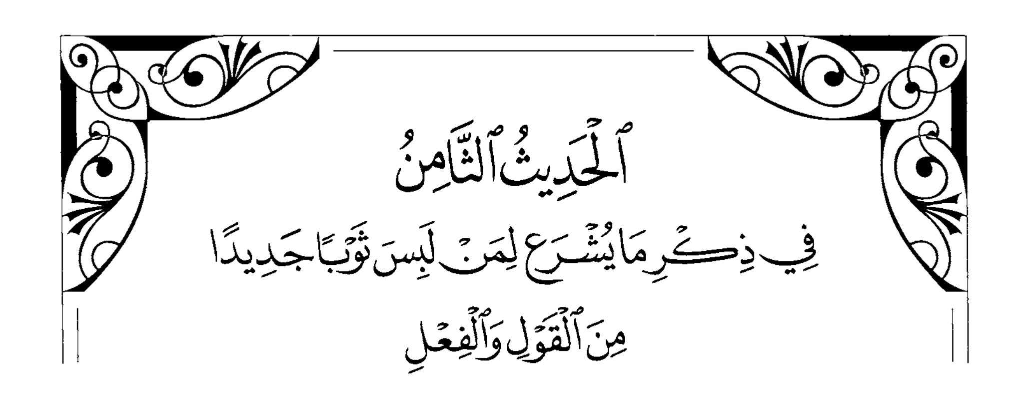
فأخرجت إلينا كساء ملبدًا من التي يسمونها الملبدة، وإزارًا غليظًا مما يصنع باليمن، وأقسمت بالله لقد قبض رسولُ الله ﷺ في هذين الثوبين[1].

قال الحافظ المنذري: الملبد: المرقَّع[2]. والله أعلم.

* * *

(١) رواه البخاري (٣١٠٨)، ومسلم (٢٠٨٠/ ٣٥).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٧٨).



٦٩٨ ـ عَن عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَسَانِي مَا أُوَارِي بِهِ عَوْرَتِي وَأَتَجَمَّلُ بِهِ فِي حَيَاتِي، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى الثَّوْبِ الَّذِي أَخْلَقَ فَتَصَدَّقَ بِهِ؛ كَانَ فِي كَنَفِ اللَّهِ، وَفِي حِفْظِ اللَّهِ، وَفِي سِتْرِ اللَّهِ حَيًّا وَمَيِّتًا». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أمير المؤمنين (**عمرَ بنِ الخطاب** ﷺ **قال: سمعتُ رسولَ الله** ﷺ **يقول: من لَبِسَ**) من عباد الله المسلمين من ذكرٍ وأنثى (**ثوبًا جديدًا**)، سواء كان قميصًا، أو غيره من إزار ورداء وقباء وسراويل، ونحوها، (**فقال**) مُستَجِدُّ الثوب عند لبسه له: (**الحمد**)؛ أي الثناء الجميل (**لله**) ﷻ (**الذي كساني**)؛ أي: رزقني ما أكتسي به، و(**ما أُواري**)؛ أي: أستر (**به عورتي**)، وأستر به جسدي، فيقيني ويحميني من الحر والقر، (**وأتجمل به في حياتي**)، وأتزين به بين أقراني، (**ثم عمد إلى الثوب الذي أَخْلَقَ**)؛ أي: صيَّره خلقًا باستعماله له ولبسه إياه قبل؛ أي: قصد الصدقة به، (**فتصدق به**)؛ بأن دفعه لفقير

(١) رواه ابن ماجه (٣٥٥٧)، والترمذي (٣٥٦٠).

محتاج لوجه الله تعالى، (كان) ذلك الشخصُ اللابس للجديد، الحامدُ لله الحميدِ المجيدِ، المتصدقُ بالثوب الخلَق لأحد الفقراء من العبيد (في كَنَف)؛ أي: ستر (الله) ﷻ وحياطته، (وفي حفظ الله، وفي ستر الله).

الكنف والحفظ والستر ألفاظ متقاربة المعنى، والمعنى: في صيانة الله وكلاءته (حيًّا)؛ أي: في حال حياته محفوظًا من الآفات، مستورًا من الوصمات، (وميتًا)؛ أي: بعد موته من العذاب والعقاب، وروعة السؤال ومناقشة الحساب.

(رواه ابن ماجه، والترمذي وقال: غريب)، ورواه الحاكم[1].

ورواه البيهقي وغيره من طريق عبيدالله بن زُحر، عن عليِّ بنِ يزيدَ، عن القاسمِ، عن أَبي أُمامةَ، وقال فيه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لبس ثوبًا ـ أحسبه قال: جديدًا ـ فقال حين يبلغ تَرْقُوته مثلَ ذلك، ثم عمد إلى ثوبه الخلق فكساه مسكينًا؛ لم يزل في جوار الله، وفي ذمة الله، وفي كَنَف الله حيًّا وميتًا، حيًّا وميتًا، حيًّا وميتًا ما بقي من الثوب سلك»[2].

زاد في بعض رواياته: قال ياسين: فقلت لعبيدالله: من أي الثوبين؟ قال: لا أدري[3].

وأخرج الحاكم من حديث أم المؤمنين عائشةَ الصدِّيقة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ما أنعم الله على عبد نعمة، فعلم أنها من عند الله، إلا كتب له

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٤١٠).

(٢) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٨٦).

(٣) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٦٢٨٧) وقال: إسناده غير قوي.

شكرها قبل أن يحمده عليها، وما أذنب عبد ذنبًا، فندم عليه، إلا كتب الله له مغفرته قبل أن يستغفره، وما اشترى عبد ثوبًا بدينار أو نصف دينار، فلبسه، فحمد الله، إلا لم يبلغ ركبته حتى يغفر الله له»، ورواه ابن أبي الدنيا، والبيهقي، وقال الحاكم: رواته لا أعلم فيهم مجروحًا[1]، كذا قال.

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي ـ وحسَّنه ـ من حديث معاذِ بنِ أنسٍ رفعه: «من لبس ثوبًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حَوْل مني ولا قوة؛ غفر الله له ما تقدم من ذنبه»[2].

وعن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من أكل طعامًا فقال: الحمد لله الذي أطعمني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر الله له ما تقدم من ذنبه، ومن لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني هذا ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة؛ غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر». رواه أبو داود، والحاكم، ولم يقل: «ما تأخر»، وقال: صحيح الإسناد[3].

وأخرج أبو داود، والنسائي، والترمذي ـ وصحَّحه ـ من حديث أبي سعيد ﷺ: كان رسول الله ﷺ إذا استجد ثوبًا، سماه باسمه: عمامةً، أو قميصًا، أو رداءً، ثم يقول: «اللهم لك الحمد، أنت كسوتنيه، أسألك خيره

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٩٤)، وابن أبي الدنيا في «الشكر» (٤٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٣٧٩).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٩)، والترمذي (٣٤٥٨)، وأبو داود (٤٠٢٣)، وانظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ٣٠٨).

(٣) رواه أبو داود (٤٠٢٣)، والحاكم في «المستدرك» (٧٤٠٩)، من حديث معاذ بن أنس ﷺ.

وخيرَ ما صُنع له، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له»[1].

وروى الإمام أحمد، وأبو يعلى عن أمير المؤمنين علي ﷺ: سمع رسولَ الله ﷺ عند الكسوة ـ وفي لفظ: إذا لبس ثوبًا جديدًا[2] ـ: «الحمد لله الذي رزقني من الرياش ما أتجمل به في الناس، وأواري به عورتي»[3].

وروى الإمام أحمد ـ أيضًا ـ، والنسائي، وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه»، وأبو بكر بن أبي شيبة، وعبدُ بن حُميد، وغيرهم عن ابن عمر ﷺ: أن رسول الله ﷺ رأى على عمر ﷺ قميصًا أبيضَ غَسيلًا، فقال: «ثوبك هذا غسيل أم جديد؟» قال: لا، بل غسيل يا رسول الله، فقال له رسول الله ﷺ: «البس جديدًا، وعش حميدًا، ومت ـ وفي لفظ: وتوف[4] ـ شهيدًا، يرزقك الله قرة عين في الدنيا والآخرة»[5].

وذكر البيهقي عن أبي نضرة قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا رأى

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٤١)، والترمذي (١٧٦٧).

(٢) هذا لفظ أبي يعلى.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٥٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٩٥)، وفي إسناده مختار بن نافع. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ١١٩): ضعيف.

(٤) هذا لفظ ابن أبي شيبة.

(٥) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٨٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٤٣)، وابن ماجه (٣٥٥٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٨٩٧)، وعبد بن حميد في «مسنده» (٧٢٣)، ورواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٥٠٩٠) عن رجل من مزينة: أن رسول الله ﷺ رأى على عمر...

أحدُهم على صاحبه ثوبًا قال: تبلي ويخلف الله[1].

وفي «منظومة الآداب» للعلامة ابن عبد القوي:

وقُــلْ لأخٍ أَبْلِــي وأَخْلِــق ويُخْلــفُ الــ

إلــهُ كــذا قُــلْ عِــشْ حميــدًا تُــسدَّدِ[2]

وفي حديث أم خالد رضي الله عنها: «أبلي وأخلقي»[3] بالقاف، أمر بالإخلاق، والعرب تطلق ذلك وتريد به الدعاء بطول البقاء للمخاطب بذلك؛ أي: أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق.

قال الخليل: (أبلِ وأخلقْ) معناه: عش وخرِّق ثيابك وارقعها.

وأخلقت الثوب: أخرجت باليه ولفقته.

ووقع في رواية أبي زيد المروزي عن الفربـري: «واخلفـي» بالفـاء، وهي أوجه من التي بالقاف؛ لأن الأولى تستلزم التأكيد؛ إذ الإبلاء والإخـلاق بمعنى، لكن جاز العطف لتغاير اللفظين، والثانية تفيد معنـى زائـدًا، وهـو أنها إذا أبلته أخلفت غيره؛ كما في «الفتح» للحافظ ابن حجر[4].

قال: وعلى ما فسره الخليل لا يكون بالقاف للتأكيـد، ولكـن بالفـاء أولى، يؤيده ما أخرجه أبو داود بسند صحيح عـن أبـي نَـضْرة قـال: وكـان

---

(١) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (٤٣٢).

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٩٢).

(٣) رواه البخاري (٥٨٢٣).

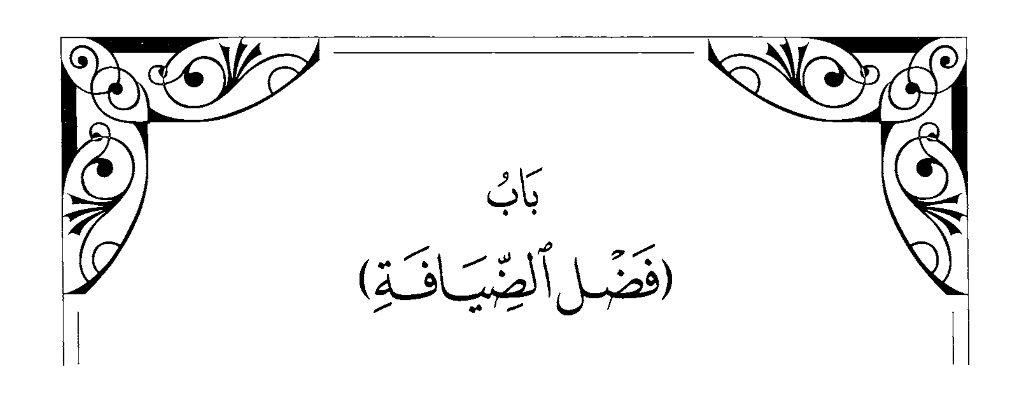
(٤) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٢٨٠).

أصحاب رسول الله ﷺ إذا لبس أحدُهم ثوبًا جديدًا، قيل له: تُبلي ويُخلف الله[1]. والله أعلم.

❒ ❒ ❒

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٠).



بَابُ (فَضْلِ ٱلضِّيَافَةِ)

اعلم أن أولَ من ضيف الضيفان خليلُ الرحمن عليه السلام، وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ما تعاقب الملوان، وهو الأب الثالث، وعمود العالم، وأبو الأنبياء، وإمام الحنفاء، وأُرْكون العالم[1] الذي اتخذه الله ﷻ خليلًا، وجعل في ذريته النبوة والكتاب، وهو شيخ الأنبياء كما سماه النبي ﷺ بذلك؛ فإنه ﷺ لما دخل الكعبة عام الفتح؛ وجد المشركين قد صوَّروا فيها صورته وصورةَ إسماعيل ابنه ـ عليهما الصلاة والسلام ـ وهما يستقسمان بالأزلام، فقال ﷺ: «قاتلهم الله! لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام»[2]؛ فهو ـ أي: إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ـ أولُ من ضيف الضيف، وأول من سُمي أبا الضيفان.

قال الإمام الغزالي في «الإحياء»: كان إبراهيم الخليل ـ عليه السلام ـ

---

(١) أي: رئيسه ودهقانه الأعظم، من الركون، وهو السكون إلى الشيء والميل إليه. انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٢٦١).

(٢) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٥/ ٧٥)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٦٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا بلفظ: «قاتلهم الله، والله! ما استقسما بالأزلام قطُّ».

إذا أراد الأكل؛ خرج ميلًا أو ميلين يلتمس من يأكل معه، فبصدق نيته دامت ضيافته في مشهده إلى يومنا هذا[1].

وهو أولُ من بنى دار الضيافة، وجعل لها بابين؛ كما أخرجه العسكري عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: إن الله وَسَّع على خليله في المال والخدم، فاتخذ بيتًا للضيافة له بابان: يدخل الغريب من أحدهما ويخرج من الآخر، وجعل في ذلك البيت كسوة الشتاء والصيف، ومائدة منصوبة عليها طعام، فيأكل الضيف، ويلبس إن كان عرياناً، ويجدد إبراهيم عليه السلام[2].

وقد أثنى الله عليه في كتابه العزيز في إكرام ضيفه من الملائكة؛ حيث يقول سبحانه: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧]، ففي هذا من الثناء على سيدنا إبراهيم الخليل وجوه متعددة:

أحدها: وصف ضيفه بأنهم مكرمون، وهذا على أحد التفسيرين أنه إكرام إبراهيم لهم، والثاني أنهم مكرمون عند الله، ولا تنافي بين القولين.

الثاني: قوله: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ﴾، فلم يذكر استئذانهم؛ لأنه قد عُرف بإكرام الضيفان، واعتياد[3] قِراهم، فبقي منزل ضيفه مطروقًا لمن ورده لا يحتاج إلى استئذان، بل إذن الداخل دخولُه، وهذا غاية ما يكون من الكرم.

---

(١) انظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (٢/ ١٢).

(٢) أورده العليمي في «الأنس الجليل» (١/ ٤٩ ـ ٥٠)، لم نقف عليه مسندًا.

(٣) في الأصل: «واعتاد»، والمثبت من «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ٢٧١).

الثالث: قوله لهم: ﴿سَلَٰمٌ﴾ بالرفع، وهم سلموا عليه بالنصب، والسلام بالرفع أكملُ؛ لأنه يدل على الجملة الاسمية الدالة على الثبوت والدوام، والمنصوب يدل على الفعلية الدالة على التجديد والحدوث؛ فقد جاءهم بتحية أحسنَ من تحيتهم؛ فإن قولهم: ﴿سَلَٰمًا﴾ يدل على: سلَّمنا سلامًا، وقوله: ﴿سَلَٰمٌ﴾ يدل على: سلام عليكم.

الرابع: أنه حذف المبتدأ من قوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾[الذاريات: ٢٥]؛ فإنه لما أنكرهم ولم يعرفهم؛ احتشم من مواجهتهم بلفظ ينفر الضيف لو قال: أنتم قوم منكرون.

الخامس: بناء اسم المفعول للمجهول، ولم يقل: إني أنكركم، وهو أحسن في هذا المقام، وأبعدُ من التنفير والمواجهة بالخشونة.

السادس: أنه ـ عليه السلام ـ راغ إلى أهله ليجيئهم بنزلهم، والروغان: هو الذهاب باختفاء بحيث لا يكاد يشعر به الضيف، فيشق عليه ويستحيي؛ بخلاف من لم يشعر به إلا وقد جاءه بالطعام.

السابع: أنه ذهب إلى أهله في الضيافة، فدل أن ذلك كان معدًّا عندهم، مهيَّأً للضيفان، ولم يحتج إلى أن يذهب إلى غيرهم من جيرانه أو غيرهم فيشتريه أو يستقرضه.

الثامن: قوله: ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ دلَّ على خدمته للضيف بنفسه، ولم يقل: فأمر لهم، بل هو الذي ذهب وجاء به بنفسه ولم يبعثه مع خادمه، وهذا أبلغُ في إكرام الضيف.

التاسع: أنه جاء بعجل كامل ولم يأت ببعض منه، وهذا من تمام كرمه ﷺ.

العاشر: وصف العجل بكونه سميناً لا هزيلًا، ومعلوم أن ذلك من أفخر أموالهم، ومثله يتخذ للاقتناء والتربية، فآثر به ضيفانه.

الحادي عشر: أنه قربه إليهم ولم يقربهم إليه، وهذا أبلغُ في الكرامة أن يجلس الضيف ثم يقرب الطعام إليه، وتحمله إلى حضرته ولا تضع الطعام ناحية ثم تأمر ضيفك بأن يتقرب إليه.

الثاني عشر: قوله: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾، وهذا عرض وتلطُّف في القول، وهو أحسن من قوله: كلوا، ومدوا أيديكم، ونحوهما، وهذا مما يعلم الناس بعقولهم حُسنه ولُطفه، ولهذا يقولون: باسم الله.

وما ألطفَ ما اعتاده أهلُ بلادنا ـ صانها الله وحماها، وعمرها بالإيمان والتقوى ـ من قولهم للضيفان إذا قدموا إليهم الطعام: تفضلوا؛ أي: علينا بأكل طعامنا، وهذا غاية اللطف والحسن.

فقد جمعت هذه الآية آدابَ الضيافة التي هي من أشرف الآداب؛ كما أشار إليه المحقق ابن القيم في «جلاء الإفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام»[1].

وقال المدائني: أولُ من سنَّ القِرى إبراهيمُ الخليل عليه الصلاة والسلام.

وأولُ من هَشَمَ الثريدَ هاشمٌ.

وأولُ من فطَّر جيرانه على طعامه في الإسلام حَبرُ الأمة عبدُالله بنُ عباس رضي الله عنهما، وهو أول من وضع موائده على الطريق، وكان إذا خرج من

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

بيته طعام؛ لا يعاود منه شيء، فإن لم يوجد من يأكله؛ تركه على الطريق.

وقال بعض الناس: من آداب المضيف: أن يخدم أضيافه، ويُظهر لهم الغنى والبسط بوجهه؛ فقد قيل: البشاشة خيرٌ من القِرى، ورحم الله من ضَمَّن ذلك في قوله:

بشاشةُ وجهِ المرءِ خيرٌ من القِرى
فكيف إذا جاء القِرى وهو ضاحكُ[1]

وقد ضمن بعضُهم[2] هذا البيت في قوله:

إذا المرء وافى منزلًا منك طالبًا
قِراك وأرمَتْهُ إليك المسالِكُ

فكنْ باسمًا في وجهه متهللًا
وقلْ مرحبًا أهلًا ويومٌ مباركُ

وقدِّم له ما تستطيع من القِرى
عَجولًا ولا تبخل بما هو هالِكُ

فقد قيل بيت سالفٌ متقدم
تداولَهُ زيدٌ وعمرٌو ومالكُ

---

(١) من الطويل.

(٢) وهو الشيخ شمس الدين البديوي رحمه الله تعالى كما في «المستطرف» للأبشهي (١/ ٣٩٥)، والأبيات من بحر الطويل.

بـشاشةُ وجـه المـرءِ خيـرٌ مـن القِـرى

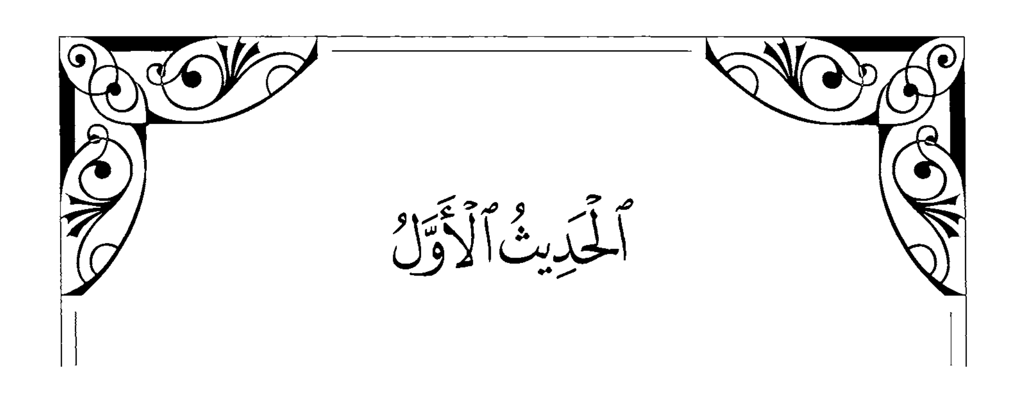
فكيـف بمـن يـأتي بـه وهـو ضـاحكُ

وقال علي بن الحسين المشهورُ بزين العابدين: من تمام المروءة خدمةُ الرجل ضيفه كما خدمهم أبونا إبراهيمُ بنفسه وأهلِه[1]. والله الموفق.

وذكر الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ في هذا الباب عشرة أحاديث.

* * *

(١) انظر: «ربيع الأبرار» للزمخشري (١/ ٢٥٤).



الحديث الأول

٦٩٩ ـ قَدْ تَقَدَّمَ حَدِيثُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ: أَيُّ الإِسْلاَمِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلاَمَ عَلَى مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». أَخْرَجَهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[١].

(قد تقدم) ذكره، وهو (حديث) أبي محمد (عبدِالله بنِ عمرٍو) بنِ العاص (رضي الله عنهما: أن رجلًا سألَ رسولَ الله ﷺ) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: لم أعرف اسمه[٢]، وقيل: إنه أبو ذر الغفاري رضي الله عنه كما جزم به القسطلاني أولَ (كتاب الحج) من شرح البخاري[٣]؛ كما تقدم في أول (كتاب الأدب).

(فقال) الرجل السائل: (يا رسول الله! أيُّ الإسلام خير؟) يعني: أيُّ خصال الإسلام خيرٌ وأفضلُ؟ (قال) ﷺ للسائل: (تُطعم الطعام) هو في تقدير المصدر؛ أي: أن تطعم، ومثله: (تسمعَ بالمعيديِّ)، وتقدم كلام الكرماني

---

(١) رواه البخاري (١٢)، ومسلم (٣٩/ ٦٣).

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١/ ٥٦).

(٣) انظر: «إرشاد الساري» للقسطلاني (١/ ٩٥، ١١٣) كتاب الإيمان، و(٩/ ١٣٨) كتاب الاستئذان.

وما قيل في الفرق بين خير وأفضل، والكلام على هذا المقام قد مرَّ مستوفًى.

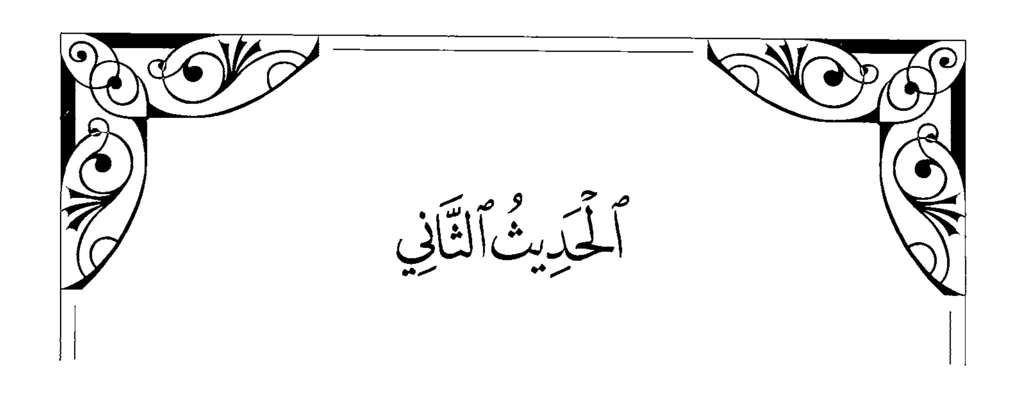
وتقرأ السلام على من عرفتَ ومَنْ لم تعرفْ) فيه الحثُّ على التواضع، وخفض الجانب، وعلى ما يكون سببًا لتأليف القلوب والتوادِّ، واتحاد الكلمة، واستجلاب ما يحصل به ذلك، فلا تخص بسلامك أحدًا تكبرًا أو تصنعًا، بل يكون الباعث عليه تعظيم شعار الإسلام، ومراعاة أخوة المسلم.

(أخرجه البخاري، ومسلم)، وأبو داود، والترمذي[1]، وغيرهم، وتقدم شرحه هناك بما لعله يشفي ويكفي.

* * *

---

(١) رواه أبو داود (٥١٩٤)، ولم نقف عليه عند الترمذي بهذا اللفظ، ورواه (١٨٥٥) بلفظ: «اعبدوا الرحمن، وأطعموا الطعام، وأفشوا السلام؛ تدخلوا الجنة بسلام».



الحَدِيثُ الثَّانِي

٧٠٠ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُغْشَى مِنَ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيْرِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ) خادمِ رسول الله ﷺ (قال: قال رسول الله ﷺ: الخيرُ) هو اسمٌ لكل ما ينتفع به، ويطلق على المال، والخيل، (أسرعُ) في مجيئه (إلى البيت الذي) معتاد أن (يُغشى)؛ أي: يغشاه الأضياف والناس (من الشَّفْرَةِ)؛ أي: السكين (إلى سنام البعير).

والسَّنام؛ كـ (سحاب)، والجمع (أَسنِمة) معروف: وهو ذروةُ البعير وأعلاه.

شبَّه سرعة وصول الخير إلى البيت الذي يضاف فيه ويقرى فيه الضيفان بسرعة وصول الشفرة إلى السنام؛ لأنه أولُ ما يُقطع ويؤكل.

وقال عبد اللطيف البغدادي: في هذا الحديث حثٌّ على المعروف وبذل

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٣٥٦). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٣٣): إسناده ضعيف لضعف كثير وجبارة.

الطعام، وبشارة بسرعة الخلف.

قال: شبه مجيء الخير إلى منزلٍ يغشاه الناس وسرعة الخلف والأضياف بسرعة الشفرة إلى سنام البعير، وهو أسمن ما فيه وأفضله عند العرب، وفيه سرٌّ لطيف، وهو أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ وازنَ بين الخلف والبذل، وبين فعل المضيف بنحر البعير لضيافته وبين الخلف؛ كأنه يقول: بمقدار ما ينحر ويسلخ وتهوي الشفرة إلى سنام البعير يأتيه الخير، بل أسرع من ذلك، وهذا من وجه ما شبَّه بقوله: «الأمانة تجلب الرزق»[1]؛ لأن من يُعرف بها يكثر زبونه ومعاملوه، فيكون ذلك سببًا لنفاق سلعته، وله ـ أيضًا ـ سبب سماوي لا يطلع عليه إلا بالخبر النبوي.

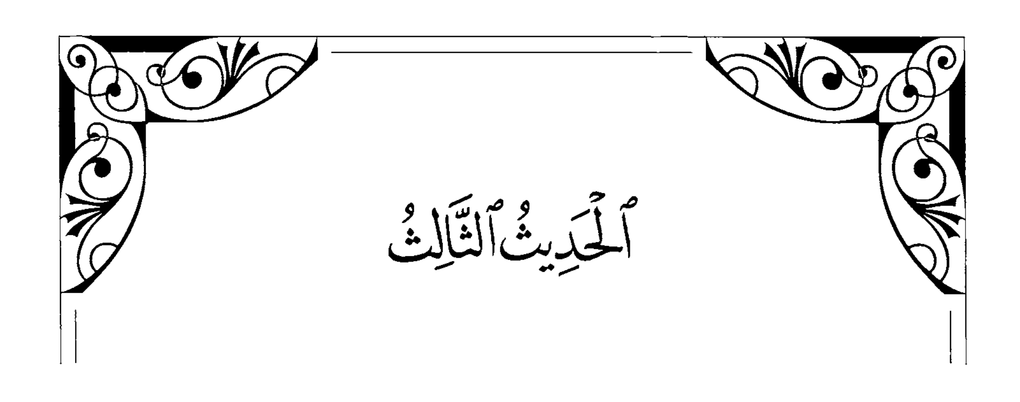
وكذلك البيت الذي يُغشى يُقصد بالهدايا والتحف مجازاةً ومحاباة، والأمر السماوي ـ أيضًا ـ انتهى.

(رواه)؛ أي: حديثَ أنس المشروحَ **(ابنُ ماجه)**، ورواه ابنُ أبي الدنيا من حديث أنس[2]، وغيره.

* * *

(١) رواه الديلمي في «الفردوس» (٤١٥) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «قرى الضيف» (٤٦).



الحديث الثالث

٧٠١ ـ عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الْخَيْرُ أَسْرَعُ إِلَى الْبَيْتِ الَّذِي يُؤْكَلُ فِيْهِ مِنَ الشَّفْرَةِ إِلَى سَنَامِ الْبَعِيرِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[١].

(عن) حبر الأمة أبي العباسِ عبدِالله (بنِ عباسٍ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: الخيرُ أسرعُ إلى البيت الذي يؤكَل) ـ بضم التحتية مبنيًّا للمفعول ـ ؛ أي: يأكل الأضياف (فيه من الشفرة) ـ بفتح الشين المعجمة وسكون الفاء، فراء ـ : السكين العظيم، وما عرض من الحديد وحدِّد، والجمع (شِفار)، (إلى سنام البعير)، فهو مثل الذي قبله سواء.

ومن ثم قال الحافظ المنذري ـ بعد ذكر حديث ابن عباس ـ : ورواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس وغيره[٢]، فجعلهما حديثاً واحدًا، وإنما ذكرهما الحافظ المصنف حديثين؛ ليعتضد كل واحد منهما بالآخر؛ فإن كل واحد منهما بمفرده ضعيف، فلما تعاضدا، قويا وارتقيا إلى رتبة الحسن؛ كما رمز

(١) رواه ابن ماجه (٣٣٥٧). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٣٣): إسناده ضعيف من أجل جبارة.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ٢٥٢).

لهما الحافظ جلال الدين السيوطي[١].

قلت: وفيما رمز إليه نظر. والله أعلم.

(رواه ابن ماجه أيضًا)؛ أي: كما روى الذي قبله.

وفي الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة وغيره: أنه ﷺ قال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛ فليكرم ضيفَه»[٢].

وروى أبو داود من حديث المقدام بنِ مَعْدي كرب الكنديِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليلةُ الضيف حَقٌّ على كل مسلم، فمن أصبحَ بفِنائه؛ فهو عليه دين، إن شاء قضى، وإن شاء ترك»[٣]، ورواه ابن ماجه[٤].

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «أيما رجل أضاف قومًا، فأصبح الضيف محرومًا، فإن نصره حقٌّ على كل مسلم حتى يأخذ بقرى ليلته من زرعه وماله». رواه أبو داود، والحاكم وقال: صحيح الإسناد[٥].

وروى الطبراني في «الكبير» عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعًا: «من أقام الصلاة، وآتى الزكاة، وصام رمضان، وقرى الضيف؛ دخلَ الجنة»[٦].

---

(١) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٣/ ٥١٠).

(٢) رواه البخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧/ ٧٤).

(٣) رواه أبو داود (٣٧٥٠).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٦٧٧).

(٥) رواه أبو داود (٣٧٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٧٩).

(٦) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦٩٢)، وفي إسناده حبيب بن حبيب أخو حمزة بن حبيب الزيات. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ٤٥): ضعيف.

وروى الأصبهاني عن أم المؤمنين عائشةَ الصدِّيقة ﵂ مرفوعًا: «الملائكة تصلِّي على أحدِكم ما دامتْ مائدتُه موضوعة»[1].

وروى الطبراني في «الأوسط» بإسناد جيد عن أنسِ بنِ مالكٍ ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مكارم الأخلاق من أعمال الجنة»[2].

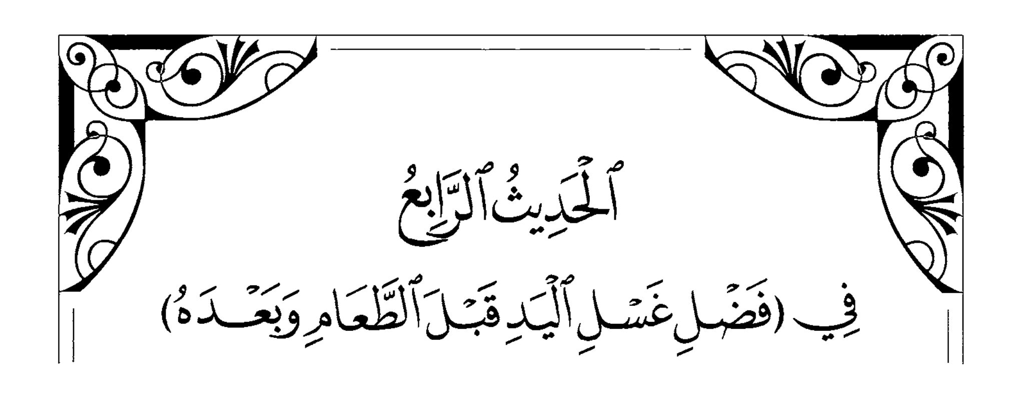
وأخرج الإمام أحمد برجال الصحيح خلا ابن لهيعة، من حديث عُقبةَ ابنِ عامرٍ ﵁ عن النبي ﷺ قال: «لا خير فيمن لا يضيف»[3]. والله أعلم.

* * *

(١) رواه الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٢٠٣٦).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٥٠١).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٥٥).



الحديث الرابع في (فضل غسل اليد قبل الطعام وبعده)

٧٠٢ ـ عَن أَنَسِ بنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَكْثُرَ خَيْرُ بَيْتِهِ؛ فَلْيَتَوَضَّأْ إِذَا حَضَرَ غَدَاؤُهُ وَإِذَا رُفِعَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[١].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: من)**؛ أي: أيُّ إنسان **(أحبَّ أن يكثر)** ويزيد وينمو **(خير بيته)** من أنواع الأطعمة وغيرها؛ **(فليتوضأ)**؛ أي: يغسل يديه **(إذا حضر غداؤه)**، وهو ما يؤكل في أول النهار، ويطلق على السحور، والمراد هنا: إذا حضر طعامه، سواء كان غداء أو عشاء، وهو ما يؤكل بعد الزوال، **(و)** ليتوضأ؛ أي: يغسل يديه ـ أيضًا ـ **(إذا)** تغدى أو تعشى وفرغ من طعامه و**(رفع)** طعامه؛ أي: فرغ من الأكل منه، سواء رفع الطعام أو أوعيته من مكانه أم لم يرفع.

---

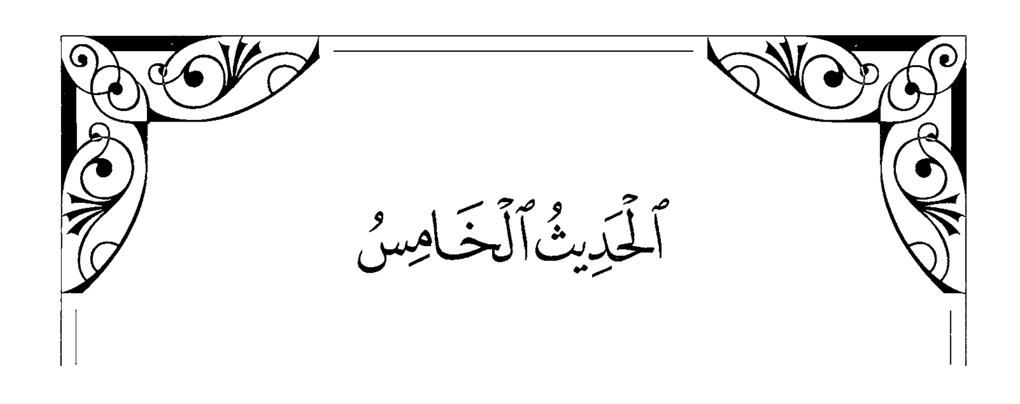
(١) رواه ابن ماجه (٣٢٦٠). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٧): إسناده ضعيف لضعف كثير وجبارة، وله شاهد من حديث سلمان رواه أبو داود والترمذي وضعفاه.

(رواه ابن ماجه)، ورواه البيهقي[1].

* * *

---

(١) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٠٧).



ٱلْحَدِيثُ ٱلْخَامِسُ

٧٠٣ ـ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ ﷺ قَالَ: قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ بَرَكَةَ الطَّعَامِ الوُضُوءُ بَعْدَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَرَأْتُ فِي التَّوْرَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَرَكَةُ الطَّعَامِ الوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالوُضُوءُ بَعْدَهُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ[١].

وَقَولُهُ: (الوُضُوءُ) أَرَادَ بِهِ غَسْلَ اليَدِ، وَاللهُ أَعْلَمُ.

(**عن سلمان الفارسي** ﷺ) تقدمت ترجمته في (فضل الجمعة)، (**قال**) سلمانُ الفارسي ﷺ: (**قرأت في التوراة**)، وهي الكتاب المنزل من الله ﷻ على موسى كليمِ الله ـ عليه الصلاة والسلام ـ (**أن بركة**)؛ أي: يُمْنَ (**الطعام**) ونموَّه وزيادتَه (**الوضوءُ بعده**)؛ أي: بعدما يفرغ من أكل طعامه يغسل يديه من أثر الطعام، (**فذكرت ذلك**)؛ أي: ما رأيته وقرأته في التوراة؛ من كون بركة الطعام ويمنه الوضوء بعده (**للنبي**) المصطفى محمد (ﷺ، **وأخبرته بما**)؛ أي: بالذي (**قرأته في التوراة، فقال رسول الله** ﷺ: **بركةُ الطعام الوضوءُ**)؛ أي: غسل اليدين بالماء (**قبلَه**)؛ أي: قبل أن يبدأ في أكل الطعام، (**والوضوء**

---

(١) رواه أبو داود (٣٧٦١)، والترمذي (١٨٤٦).

بعده)؛ أي: بعد فراغه من أكله.

(رواه أبو داود، والترمذي)، وقال الترمذي: لا يعرف هذا الحديث إلا من حديث قيس بن الربيع، وقيسٌ يضعَّف في الحديث. انتهى.

قال الحافظ المنذري: قيس بن ربيع صدوق، وفيه كلام لسوء حفظه، لا يخرج الإسناد عن حدِّ الحسن، وقد كان سفيان يكره الوضوء قبلَ الطعام.

قال البيهقي: وكذلك الإمام مالكُ بنُ أنس كرهه.

قال: وكذلك صاحبنا الشافعي استحب تركه، واحتج بالحديث ـ يعني: حديث ابن عباس رضي الله عنهما ـ قال: كنا عند النبي ﷺ، فأتى الخلاء، ثم إنه رجع فأتي بالطعام، فقيل له: ألا نتوضأ؟ قال: «لم أصلِّ فأتوضأ»[1]، رواه مسلم، وأبو داود، والترمذي بنحوه، إلا أنهما قالا: فقال: «إنما أُمرت بالوضوء إذا قُمت إلى الصلاة»[2].

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ: **(وقوله)**؛ أي: في حديث سلمان: بركة الطعام **(الوضوء بعده)**، وكذا قوله ﷺ: «بركة الطعام الوضوء قبله، والوضوء بعده»، وكذا في حديث أنس: «من أحب أن يكثر خير بيته، فليتوضأ إذا حضر غداؤه»[3]، **(أراد)** ﷺ **(به)**؛ أي بالوضوء في الحديثين **(غسلَ اليد)** كما أشرنا إليه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٢١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٤٤٦١)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨٠٦).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٣/ ١٠٩).

(٣) تقدم تخريجه.

قال شيخ الإسلام ابنُ تيمية ـ روَّح الله روحه ـ : لم نعلم أحدًا استحبَّ الوضوءَ ـ يعني: الشرعي ـ للأكل إلا إذا كان جُنبًا[1].

وقال في «الفتاوى المصرية»: الوضوء في كلام رسولنا ﷺ لم يرد قطُّ إلا وضوء الصلاة، وإنما ورد بذلك المعنى ـ يعني: غسل اليدين والفم ـ في لغة اليهود، وذكر حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه.

قال: وهذا الحديث قد تنوزع في صحته، وإذا كان صحيحًا؛ فقد أجاب سلمان باللغة التي خاطبه بها[2].

*** تنبيهات:**

الأول: غسل اليدين قبل الطعام وبعده مطلوب ومندوب.

قال العلامة ابنُ عبد القوي في «منظومة الآداب» ـ رحمه الله ـ :

وغسل يدٍ[3] قبلَ الطعامِ وبعدَه
ويكرهُ بالمطعوم غير مقيدِ[4]

قال العلامة ابن مفلح في «الآداب الكبرى»: ذُكر هذا الحديث ـ يعني: حديثَ سلمان الفارسي رضي الله عنه المشروحَ ـ للإمام أحمد رضي الله عنه فقال: ما حدَّث به إلا قيس بن الربيع، وهو منكر الحديث[5].

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (٢٢/ ٣١٩).

(٢) وانظر: «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام (١/ ٦٩).

(٣) في الأصل: «يدًا»، والمثبت من المنظومة.

(٤) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٥٧).

(٥) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٢١٣).

وقد ذكرنا أن قيسَ بنَ الربيع ضعفه جماعة، ووثقه آخرون، وتقدم أن الحافظ المنذري قال: لا يخرج إسناد حديث سلمان عن حدِّ الحسن.

قال ابن مفلح: يستحب غسلُ اليدين قبل الطعام وبعدَه، وعنه: يكره.

قال في «المحرر»: وعنه ـ أي: الإمام أحمد ـ يكره قبله.

قال الإمام مالك: لا يستحب غسل اليد للطعام إلا أن يكون على اليد أوَّلًا قذر، أو يبقى عليها بعد الفراغ رائحة.

وقيل لسيدنا الإمام أحمد: لم كره سفيانُ غسلَ اليدين قبلَ الطعام؟ قال: لأنه من زِيِّ الأعاجم.

قال مهنا أحدُ أصحاب الإمام أحمد: ذكرته ليحيى بن معين، فقال: ما أحسنَ الوضوءَ قبلَه وبعدَه[1]!

الثاني: غسل اليدين بعد الطعام مسنون رواية واحدة، ومعتمد المذهب، وكذا يستحب غسلهما قبله.

قال في «الإقناع»: غسل اليدين قبل الطعام وبعده مستحب، ولو كان على وضوء[2].

وفي «الغاية»: يستحب ـ ولو لمتوضئ ـ غسلُ يديه قبل أكل متقدمًا به ربَّه، وبعده متأخرًا به [ربَّه]، وغسلُ فمه بعده؛ أي: الطعام، وأن يتوضأ الجنبُ قبله[3].

---

(١) المرجع السابق (٣/ ٢١٢).

(٢) انظر: «الإقناع» للحجاوي (٣/ ٢٣١).

(٣) انظر: «غاية المنتهى» للكرمي (٢/ ٢٣٥).

وقد أخرج أبو داود، والترمذي ـ وحسَّنه ـ وابن ماجه، وابن حبان في «صحيحه» من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن نام وفي يده غمرٌ ولم يغسله، فأصابه شيء؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه»[1].

(الغمر) ـ بفتح الغين المعجمة والميم بعدهما راء ـ: هو ريح اللحم وزهومته.

وروى الترمذي، والحاكم ـ وصححه ـ والبيهقي، والبغوي ـ وقال البغوي: حديث حسن ـ عن أبي هريرة أيضًا ﷺ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان حساس لحاس، فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه»[2].

وروى الطبراني بإسناد حسن عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: «من بات وفي يده ريح غمر، فأصابه وَضَح؛ فلا يلومنَّ إلا نفسه»[3].

(الوضح) ـ بفتح الواو والضاد المعجمة جميعًا بعدهما حاء مهملة ـ: المراد به هنا البرص.

فهذه الأحاديث وغيرها مما لم نذكره تدلُّ وترشد إلى ندب غسل

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٢)، والترمذي (١٨٥٩)، وابن ماجه (٣٢٩٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٥٢١).

(٢) رواه الترمذي (١٨٥٩) وقال: غريب، والحاكم في «المستدرك» (٧١٢٧)، والبيهقي في «شعب البيهقي» (٥٨١٤)، والبغوي في «شرح السنة» (١١/ ٣١٧).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٤٤١) من حديث عائشة ﷺ، وفي «المعجم الكبير» (٥٤٣٥) من حديث أبي سعيد ﷺ.

اليدين بعد الطعام.

الثالث: لا يكره غسلُ اليدين في الإناء.

قال شيخ الإسلام في «الصراط المستقيم»: قال أصحاب الإمام أحمد وغيرهم، منهم أبو الحسن الآمدي، وأبو عبدالله بن حامد: لا يكره غسل اليدين في الإناء الذي أكل فيه؛ لأن النبي ﷺ فعله، وقد نص الإمام أحمد على ذلك.

قال: ولم يزل العلماء يفعلون ذلك، ونحن نفعله، وإنما تنكره العامة[1].

ويستحب أن يجعل ماء الأيدي في طَسْت واحد؛ للخبر: «لا تبدِّدوا يبدِّدِ الله شملَكم»[2]، ذكره ابن مفلح في «الآداب».

قال: وروي أن النبي ﷺ نهى أن يرفع الطَّسْت حتى يطفَّ[3]؛ يعني: يمتلئ.

قال: وهذه المسألة دليلها ضعيف[4].

---

(١) انظر: «الصراط المستقيم» لشيخ الإسلام (ص: ١٣٧).

(٢) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وقد روى القضاعي في «مسند الشهاب» (٧٠٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٨١٩)، والديلمي في «الفردوس» (٧٣٦١) من حديث أبي هريرة ﷺ: «اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم». قال البيهقي: هذا إسناد فيه بعض من يجهل، وروي معناه بإسناد آخر ضعيف. وقال العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (١/ ٣٥٣): رواه القضاعي في «مسند الشهاب» من حديث أبي هريرة بإسناد لا بأس به.

(٣) انظر التعليق السابق.

(٤) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٢٠١).

الرابع: يكره غسيل اليدين بالمطعوم؛ كالدقيق من البُرِّ والحِمِّص والعدس.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: يستدل على كراهة الغسل بالأقوات بأن ذلك يُفضي إلى خلطها بالأدناس والأنجاس، فنهي عنه كما نهي عن إزالة النجاسة بها.

قال شيخ الإسلام: والملح ليس قوتاً، وإنما يصلح به القوت.

نعم، إن دعت الحاجة إلى استعمال الأقوات؛ كاللبن والدقيق للجرب ونحوه، والدبغ بدقيق الشعير، رخص فيه؛ كما رخص في قتل دود القز بالشمس للحاجة؛ إذ لا تكون حرمة القوت أعظمَ من حرمة الحيوان[1].

قال العلامة ابن مفلح: وبهذا قد يجاب عن الملح بأنه استُعمل للحاجة.

قال: وعلى هذا، فقد يستدل بهذا الأصل الشرعي على المنع من إهانتها ـ أي: الأقوات ـ بوضع الإدام فوقها؛ كما ذكره سيدنا الشيخ عبد القادر.

وبدليل آخر، وهو: أن النبي ﷺ أمر بلعق الأصابع والصحفة، وأخذ اللقمة الساقطة وإماطة الأذى عنها، كل ذلك لئلا يضيع شيء من القوت[2].

قال ابن مفلح: وسئلت عن غسل الأيدي بالمسك، فأجبت بأنه إسراف؛ بخلاف تتبع الدم بالفرصة الممسكة؛ فإنه يسير للحاجة، وغسلُ

---

(١) انظر: «المستدرك على مجموع فتاوى شيخ الإسلام» جمع: محمد بن عبد الرحمن ابن قاسم (٤/ ٢١٣).

(٢) انظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (٣/ ٢٠١)، والخبر المذكور رواه مسلم (٢٠٣٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، و(٢٠٣٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

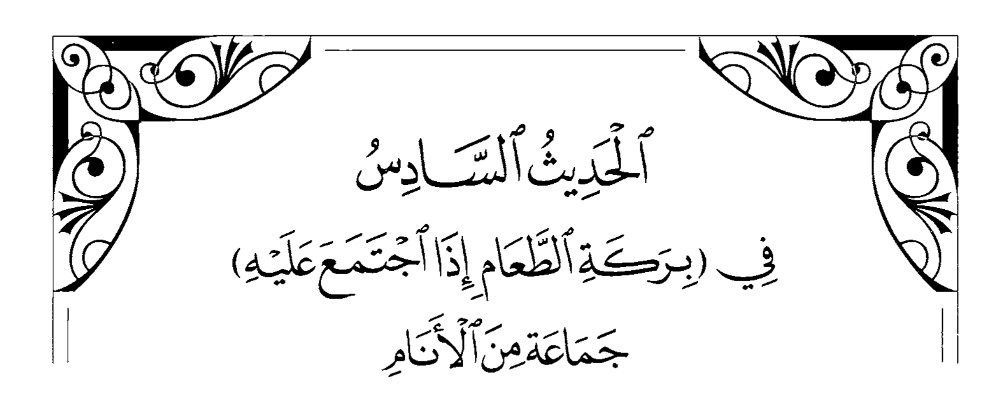
الأيدي به كثير لغير حاجة[1].

وظاهر كلام علمائنا: عدمُ كراهة غسل الأيدي بالطيب ولو كثر، ولو لغير حاجة.

قلت: وعدم الكراهة المذهب، وكذا الغسل بالنخالة الخالصة ليس بمكروه، نص عليه الإمام أحمد رضي الله عنه.

* * *

(١) المرجع السابق (٣/ ٢٠٢).



الحديث السادس
في (بركة الطعام إذا اجتمع عليه) جماعة من الأنام

٧٠٤ ـ عَن عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُوا جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا؛ فَإِنَّ البَرَكَةَ مَعَ الجَمَاعَةِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه[١].

(عن) أمير المؤمنين (**عمرَ بنِ الخطاب** ﷺ **قال: قال رسول الله** ﷺ: **كلوا**) معشرَ المؤمنين ممن يريدون الأكل (**جميعًا**)؛ لتحصل لكم بركة الاجتماع؛ فإن الجمع كلما كثر ازدادت البركة، (**ولا تتفرقوا**) على الطعام، فكل واحد يأكل وحده على انفراده، فتفوتكم بركة الاجتماع؛ (**فإن البركة**)؛ من الزيادة واليمن والنمو (**مع الجماعة**).

فيؤخذ من الحديث ومن غيره من الأحاديث استحبابُ الاجتماع على الطعام، وأن لا يأكل المرء وحده.

وفي الحديث إشارة إلى أن المواساة إذا حصلت؛ حصل معها البركة، فتعم الحاضرين.

(**رواه ابن ماجه**).

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٨٧)، وفيه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٧): واهي الحديث.

ورواه العسكري في «المواعظ» عن عمر ﷺ، ولفظه: «كلوا جميعًا ولا تفرقوا؛ فإن طعام الواحد يكفي الاثنين، وطعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، كلوا جميعًا ولا تفرقوا؛ فإن البركة في الجماعة»[1].

فيؤخذ من حديث عمر ﷺ: أن شرط المسألة الاجتماع على الأكل، ويكون معنى الحديث: أن طعام الاثنين إذا أكلا متفرقين كافي الثلاثة إذا أكلوا مجتمعين.

والمراد: الحث على مكارم الأخلاق، والتآلف والاجتماع، والتقنع والكفاف، وعدم التبقر في المأكل والإسراف، وليس المراد الحصر في مقدار الكفاية.

ووقع في لفظ من حديث أمير المؤمنين عمر ﷺ عند ابن ماجه: «طعام الواحد يكفي الاثنين، وإن طعام الاثنين يكفي الثلاثة والأربعة، وإن طعام الأربعة يكفي الخمسة والستة»[2].

والحاصل: أن الكفاية تنشأ عن بركة الاجتماع.

وفي حديث سَمُرة عند البزار نحو حديث عُمر، وفي آخره: «يد الله مع الجماعة»[3].

---

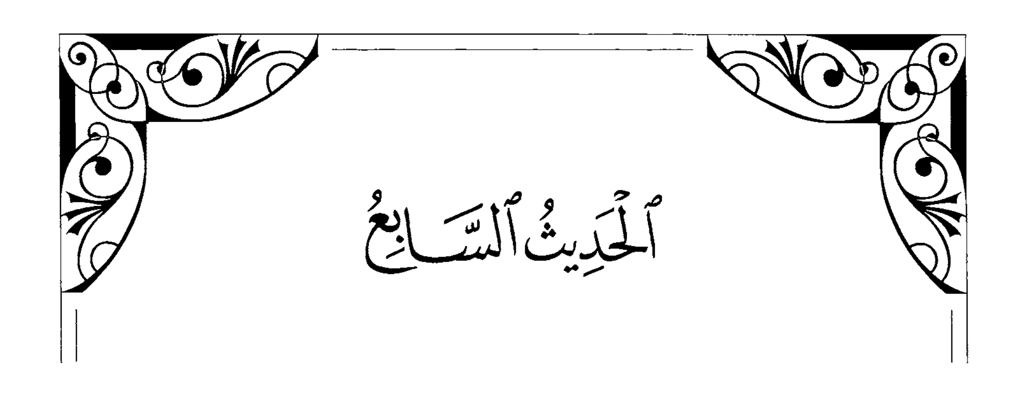
(١) لم نقف عليه عند العسكري، ورواه البزار في «مسنده» (١٢٧) وقال: هذا الحديث لا يروى عن عمر بن الخطاب إلا من هذا الوجه، تفرد به عمرو بن دينار، وهو ليِّن الحديث وإن كان قد روى عنه جماعة، وأكثر أحاديثه لا يشاركه فيها غيره.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٢٥٥)، وفيه عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير، وقد تقدم الكلام عليه.

(٣) رواه البزار في «مسنده» (٤٥٩٠)، وفيه: «يد الله تبارك وتعالى على الجماعة».

ويرشد إلى هذا المعنى :

* * *



الحديث السابع

٧٠٥ ـ عَن وَحْشِيِّ بنِ حَرْبٍ ﷺ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّا نأْكُلُ وَلَا نَشْبَعُ، قال: «فَلَعَلَّكُمْ تأْكُلُونَ مُتَفَرِّقِينَ»، قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَى طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ؛ يُبَارَكْ لَكُمْ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَابْنُ مَاجَه، وَاللَّفْظُ لَهُ[1].

(عن وحشي) بفتح الواو وسكون الحاء المهملة وكسر الشين المعجمة، فتحتية مشددة كياء النسب (بن حرب) ـ بفتح الحاء المهملة وسكون الراء، فموحدة ـ الحبشيِّ، من سودان مكة، مولى جُبير بن مطعم، وهو الذي قتل سيدَ الشهداء حمزةَ بنَ عبد المطلب ﷺ عمَّ رسولِ الله ﷺ يوم أحد، وكان كافرًا مع قريش، ثم أسلم يوم الطائف، وشهد اليمامة، وزعم أنه قتل مسيلمةَ الكذاب، فقال: قتلتُ خيرَ الناس وشرَّ الناس بحربتي هذه.

قال وحشي: قال لي مولاي جُبير بن مُطعم ـ وأسلم بعد ذلك ـ : إن أنت قتلت حمزةَ عمَّ محمدٍ بعمي؛ فأنت حُرٌّ، قال: وكنت رجلًا حبشيًّا أقذف بالحربة قذفَ الحبشة، قلَّ أن أخطئ بها شيئًا، فلما التقى الناس يوم أحد؛

(١) رواه أبو داود (٣٧٦٤)، وابن ماجه (٣٢٨٦).

خرجت أنظر حمزة وأتبصره حتى رأيته في عرض الناس مثلَ الجمل الأورق، يهدُّ الناسَ بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيء، ثم عثر حمزةُ، فانكشف الدرع عن بطنه، فأبصره العبد الحبشي وحشيٌّ، فرماه بالحربة.

وقال وحشي: هزززت حربتي حتى إذا رضيت منها؛ دفعتها عليه، فوقعت في ثُنَّتِه ـ وفي لفظ: ثندوته[1] ـ حتى خرجت من بين رجليه، وذهب ينحو نحوي، فغلب، فوقع، فتركته وإياها حتى [إذا] برد ـ أي: مات ـ أتيته فأخذت حربتي، ورجعت إلى العسكر.

قوله: (فوقعت في ثُنَّته) ـ بثاء مثلثة، فنون مشددة ـ: السرة والعانة، وأما (الثندوة) ـ بثاء مثلثة، فنون ساكنة، فدال مهملة مفتوحة، فواو مفتوحة أيضًا، فهاء تأنيث ـ بوزن (عَرْقُوَة) غير مهموز: هي مغرزُ الشدي، فإذا ضممتَ همزتَ، فقلت: (ثندؤة)، وزنها (فُعلُلَة)، وأما على الفتح وترك الهمز؛ فوزنها (فَنعُلَة)[2]؛ كما في «المطلع»[3].

وبه تعلم أن الصواب في الرواية: (في ثُنَّته)؛ كما اقتصر عليه غيرُ واحد من أهل النقل.

قال وحشي: فلما قدمت مكة؛ عتقت، فلما فتح رسول الله ﷺ مكة، هربت إلى الطائف، فكنت بها، فلما خرج وفد الطائف إلى رسول الله ﷺ؛ تغييت عليَّ المذاهب، فقلت: ألحقُ بالشام أو اليمن أو ببعض البلاد، فوالله!

---

(١) أورده الصالحي في «سبل الهدى والرشاد» (٤/ ٢١٧).

(٢) في الأصل: «فيعلة»، والمثبت من «المطلع».

(٣) انظر: «المطلع» للبعلي (ص: ٤٤٥ ـ ط السوادي).

إني لفي ذلك من همي، إذ قال لي رجل: ويحك! والله إنه ما يقتل أحدًا من الناس دخل في دينه، فلما قال ذلك؛ خرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة، فلم يرعه إلا بي قائمًا على رأسه أتشهَّد شهادةَ الحق، فلما رآني قال: «أوحشي؟» قلت: نعم يا رسول الله، قال: «اقعد فحدِّثْني كيف قتلتَ حمزة»، فحدثته، فلما فرغتُ من حديثي؛ قال: «ويحك، غَيِّبْ وجهَك عني فلا أراك»[1].

وروى الطبراني بإسناد حسن عن وحشي قال: أتيت رسولَ الله ﷺ، فقال: «يا وحشي! قتلت حمزة؟» فقلت: نعم يا رسول الله، والحمد لله الذي أكرمه بيدي ولم يُهني بيده، فقالت له قريش: أتحبه وهو قاتل حمزة؟ فقلت: يا رسول الله! استغفِرْ لي، فتفل في الأرض ثلاثة، ودفع في صدري ثلاثة، وقال: «يا وحشي! اخرُجْ فقاتل في سبيل الله كما قاتلت لتصدَّ عن سبيل الله»[2].

وقد روي: أنه إنما تفل في وجه وحشي ثلاث مرات[3]، لكن كونه تفل في الأرض أصح؛ لما علم من حيائه ومكارم أخلاقه.

---

(١) رواه البخاري (٤٠٧٢)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٠١)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٩٤٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٩/ ٩٧).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٣٩).

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٢/ ١٣٩)، وتمام الرازي في «فوائده» (٤٩٧)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٥/ ٢٧٣٤)، وفي إسناده المسيب بن واضح. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٦/ ١٢١): وثقه أبو حاتم وقال: يخطئ، والنسائي.

نزل وحشي الشام، ومات بحمص.

روى عنه ابناه: إسحاق، وحرب، وغيرهما.

روى وحشي (ﷺ: **أنهم**)؛ أي: نفر من الصحابة ﷺ (**قالوا: يا رسول الله! إنا نأكل ولا نشبع**) بأكلنا الشبعَ المعتاد، (**قال**) ﷺ: (**فلعلكم**): (لعل) هنا للاستفهام؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾[عبس: ٣]، وهذا الاستفهام ليس على حقيقته، بل المراد الإيماء والتنبيه أن علة عدم شبعهم في أكلهم ما أشار إليه بقوله: (**تأكلون**) حالَ كونكم (**متفرقين**) غيرَ مجتمعين؟ (**قالوا: نعم**)، فإنا نأكل متفرقين غير مجتمعين؛ يعني: الذين وقع السؤال والشكاية منهم، (**قال**) ﷺ: (**اجتمعوا على طعامكم**) أمر ندب وإرشاد.

ففي الحديث: الحثُّ على تكثير الأيدي على أكل الطعام ولو من أهله وولده وخادمه.

والظاهر أن المقصود الأعظم ليس هو كثرة وضع الأيدي فقط، بل كثرة الأيدي سبب لكثرة ذكر الله تعالى، فإذا سمى كل واحد من الجماعة على الطعام؛ حصلت بركة ذكر اسم الله، ولهذا قال ﷺ: (**واذكروا**) في ابتداء أكلكم للطعام وكذا الشراب (**اسمَ الله عليه**)؛ أي: على طعامكم (**يبارك لكم**) بسبب ذكر الله ﷻ في طعامكم، فيحصل لكم الشبع.

(**رواه أبو داود، وابن ماجه، واللفظ له**)، ورواه الإمام أحمد، وابن حبان، والحاكم[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٥٠١)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢٢٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢٥٠٠).

وقوله: (يبارك لكم) مجزوم في جواب الأمر.

وفي حديث الطبراني وأبي يعلى: «إن أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي»[1].

وفي الحديث: ذكرُ التسمية على الطعام، وأن البركة تحصل بذكر اسم الله تبارك وتعالى.

قال العلامة ابنُ عبد القوي في «منظومته» مشيرًا إلى صفة الجلوس للأكل، وإلى البسملة في أول الطعام، والحمدلة في آخره بقوله ـ رحمه الله تعالى ـ:

وكُلْ جالسًا فوقَ اليسارِ وناصبَ الْـ

ـيمينِ وبَسْمِلْ ثم في الإنتها احمدِ[2]

وترجم في البخاري بقوله: (باب التسمية على الطعام، والأكل باليمين)[3].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: المراد بالتسمية على الطعام قول:

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٣١٧)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٠٤٥)، من حديث جابر ﷺ، وفي إسناده عبد المجيد بن أبي رواد. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٣/ ٩٨): قد وثق، ولكن في هذا الحديث نكارة. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢١): ثقة، وفيه ضعف.

(٢) انظر: «الألفية في الآداب الشرعية» لابن عبد القوي (ص: ٥٢).

(٣) انظر: «صحيح البخاري» (٧/ ٦٨).

باسم الله في ابتداء الأكل.

قال: وأصرحُ ما ورد في صفة التسمية ما أخرجه أبو داود، والترمذي من طريق أم كلثوم عن عائشة ﵂ عن النبي ﷺ: «إذا أكل أحدكم طعامًا؛ فليقل: باسم الله، فإن نسي في أوله؛ فليقل: باسم الله في أوله وآخره»[1]، وفي لفظ: «باسم الله على أوله وآخره»[2]، ورواه الحاكم[3].

وروى أبو داود، والنسائي، والحاكم ـ وقال: صحيح الإسناد ـ من حديث أُمية بن مَخشي ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ: أن رجلًا كان يأكل والنبيُّ ﷺ ينظر إليه، فلم يُسَمِّ الله حتى كان في آخر طعامه، فقال: باسم الله أوله وآخره، فقال النبي ﷺ: «ما زال الشيطان يأكل معه حتى سَمَّى، فما بقي في بطنه شيء إلا قاءه»[4].

و(مخشي) والدُ أمية بفتح الميم وسكون الخاء المعجمة بعدهما شين معجمة مكسورة وياء.

قال الدارقطني: لم يسند أميةُ عن النبي ﷺ غيرَ هذا الحديث، وكذا

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٢١)، والحديث رواه أبو داود (٣٧٦٧)، والترمذي (١٨٥٨).

(٢) أورده أبو الفتوح الطائي في «الأربعين في إرشاد السائرين إلى منازل المتقين» (ص: ٢٢٣).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٠٨٧) وقال: صحيح الإسناد.

(٤) رواه أبو داود (٣٧٦٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٧٠٨٩).

قال ابن عبد البر[1].

فمن آداب الأكل أن يقول الإنسان عند إرادته الأكل، وقبل أن يضع الإناء على فيه عند الشرب: (باسم الله)، وهي بركة الطعام، فيكفي القليلُ بها، وبدونها لا يكفي؛ كما دل عليه حديث أبي أيوب ﷺ قال: كنا عند النبي ﷺ يومًا، فقرب طعامًا، فلم أرَ طعامًا كان أعظمَ بركةً منه أولَ ما أكلنا، ولا أقلَّ بركة في آخره، فقلنا: كيف هذا يا رسول الله؟ قال: «لأنَّا ذكرنا اسمَ الله حين أكلنا، ثم قعد بعدنا مَنْ أكلَ ولم يُسمِّ، فأكل معه الشيطان»، رواه الإمام أحمد[2].

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وأما قول النووي في أدب الأكل من «الأذكار»: صفةُ التسمية من أهم ما ينبغي معرفته، والأفضل أن يقول: (بسم الله الرحمن الرحيم)، فإن قال: (بسم الله)؛ كفاه وحصلت السنة، فلم أرَ لما ادعاه من الأفضلية دليلًا خاصًا.

قال: وأما ما ذكره الغزالي في (آداب[3] الأكل) من «الإحياء»: أنه لو قال في كل لقمة: (باسم الله)؛ كان حسنًا، وأنه يستحب أن يقول مع الأولى: (باسم الله)، وفي الثانية: (باسم الله الرحمن)، ومع الثالثة: (بسم الله الرحمن

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (١/ ١٠٧).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٤١٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٥/ ٢٣): رواه أحمد، وفيه راشد بن جندل وحبيب بن أوس، وكلاهما ليس له إلا راو واحد، وبقية إسناده رجال الصحيح خلا ابن لهيعة، وحديثه حسن.

(٣) في الأصل: «أدب»، والمثبت من «الفتح».

الرحيم)؛ فلم أرَ لاستحباب ذلك دليلًا، والتكرار قد بيَّن هو وجهه بقوله: حتى لا يشغله الأكل عن ذكر الله. انتهى[1].

قال شيخ الإسلام: يقول الإنسان عند إرادة الأكل والشرب: (باسم الله)، فلو زاد: (الرحمن الرحيم) عند الأكل، وكذا الشرب؛ كان حسنًا؛ فإنه أكمل، بخلاف الذبح؛ فإنه قد قيل: لا يناسب ذلك[2].

ونقل ابن هانئ: أن الإمام أحمد رضي الله عنه جعل عند كل لقمة يسمي بها ويحمد، وقال: أكلٌ وحمدٌ خيرٌ من أكلٍ وصمتٍ.

وروى مسلم، وأبو داود، وغيرهما[3] من حديث جابر بن عبدالله: أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله عند دخوله، وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله؛ قال الشيطان: أدركتم المبيت، فإذا لم يذكر الله عند طعامه؛ قال الشيطان: أدركتم المبيت والعشاء»[4].

* **تنبيه:**

قد بين ابن عبد القوي ـ رحمه الله ـ في نظمه صفةَ الجلوس للأكل؛ بأن يجلس على رجله اليسرى، وينصب رجله اليمنى، ويُسند بطنه إلى فخذ

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٢١).

(٢) انظر: «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام (٤/ ٥٦١).

(٣) في هامش الأصل: «أي: رواه مسلم، وأصحاب السنن الأربع، وغيرهم. مؤلف».

(٤) رواه مسلم (٢٠١٨/ ١٠٣)، وأبو داود (٣٧٦٥).

رجله اليمنى التي نصبها[1].

قال المحقق ابن القيم في حكمة ذلك: لئلا يحصل الامتلاء المنهيُّ عنه؛ فإن الإنسان بإسناد فخذه إلى بطنه لا يحصل له تمام الامتلاء؛ لعدم افتراش البطن[2].

وفي «الرعاية»: أو يتربع.

وذكر ابن البنا من علمائنا عن بعض الأصحاب: أن من آداب الأكل أن يجلس مفترشًا، وإن تربع فلا بأس.

وقال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: المستحب في صفة الجلوس للأكل أن يكون جاثيًا على ركبتيه وظهور قدميه، أو يجلس وينصب اليمنى، ويجلس على اليسرى[3].

وقال المحقق ابن القيم في «الهدي»: ويذكر عنه ﷺ أنه كان يجلس متوركًا على ركبتيه، ويضع بطن قدمه اليسرى على ظهر اليمنى؛ تواضعًا لله تعالى، وأدبًا بين يديه.

قال: وفي هذه الهيئة أنفع هيئات الأكل وأفضلها؛ لأن الأعضاء كلها تكون على وضعها الطبيعي الذي خلقها الله عليه. انتهى[4].

* * *

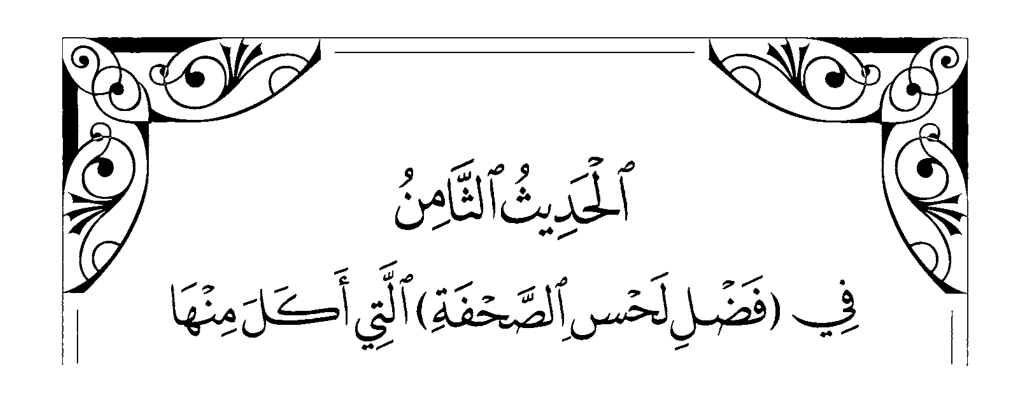
---

(١) وقد سبق ذكر المؤلف رحمه الله تعالى البيت المشتمل على هذه الآداب قريبًا.

(٢) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٢٢١).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٤٢).

(٤) انظر: «زاد المعاد» لابن قيم الجوزية (٤/ ٢٢١).



الحديث الثامن
في (فضل لحس الصحفة) التي أكل منها

٧٠٦ ـ عَن نُبَيْشَةَ الهُذَلِي ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ فِي قَصْعَةٍ فَلَحَسَهَا؛ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ القَصْعَةُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه[1].

(عن نُبَيْشة) ـ بضم النون وفتح الباء الموحدة، فتحتية ساكنة، فشين معجمة، فهاء تأنيث مصغرًا ـ يقال له: نبيشة الخير، من عَمرِو بنِ عوفٍ (**الهذليِّ** ﷺ)، روى عنه: أبو المليح، وأبو قلابة، يعدُّ في البصريين، وحديثه فيهم، (**قال: قال رسول الله ﷺ: من أكل**) طعامًا كان (**في قصعة**).

قال في «القاموس»: القَصْعة: الصَّحْفة[2].

وقال في «النهاية»: الصَّحْفة: إناء كالقَصْعة المبسوطة ونحوها، وجمعها (صِحاف)[3].

وفي «القاموس»: جمع القَصْعة قَصَعات ـ محركة ـ وكـ: عنب،

---

(١) رواه الترمذي (١٨٠٤) وقال: حديث غريب، وابن ماجه (٣٢٧١).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قصع).

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ١٣).

وجبال، وقُصَيْعَة كـ (جهينة) تصغيرها[1].

وقال: الصَّحْفة معروفة، وأعظم القصاع الجفنةُ، ثم الصَّحْفة[2].

(فلحسها) ـ وفي لفظ: «ثم لحسها»[3] ـ تواضعًا واستكانة وتعظيمًا لما أنعم الله به عليه؛ يقال: لحس؛ كـ (سمع) لحسًا وملحسًا، المراد: نقَّاها من أثر الطعام بنحو أصابعه، وأَصلُ اللَّحس باللسان، يقال: لحست الشيء ألحسه: إذا أخذته بلسانك.

وفي الحديث: «إن الشيطان حساس لحَّاس»[4]؛ أي: كثير اللحس لما يصل إليه، ولحاس من أبنية المبالغة، والحساس: الشديد الحس والإدراك.

(استغفرت له القصعة)؛ لأنه إذا لم يلحسها إذا فرغ من طعامه؛ لحسها الشيطان، فإذا لحسها الإنسان؛ فقد خلصها من لحس الشيطان، فتستغفر له شكرًا له على فعله.

قال الدميري: قوله: «استغفرت له القصعة»: في «مسند البزار»: فتقول: «اللهم أجره من النار؛ كما أجارني من لعق الشيطان»[5].

---

(١) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قصع).

(٢) المرجع السابق (مادة: صحف).

(٣) هذا لفظ الترمذي، ورواه ابن ماجه (٣٢٧٢).

(٤) تقدم تخريجه.

(٥) انظر: «النجم الوهاج» للدميري (٩/ ٥٨٠)، والحديث لم نقف عليه عند البزار، وأورده العجلوني في «كشف الخفاء» (١/ ٣٦٢)، وعزاه للزرقاني في «شرح المواهب».

قال الحافظ العراقي: يحتمل أن الله تعالى يخلق فيها تمييزًا ونطقًا تطلب به المغفرة.

وقد روي في بعض الآثار أنها تقول: أجرك الله كما أجرتني من الشيطان[١].

ولا مانع من أن يخلق الله ﷻ في الجمادات تمييزًا ونطقًا.

وقوله: (**بعد الأكل**) متعلق بـ (استغفرت له القصعة)، ويحتمل أن يكون متعلقًا بـ (لحسها)، وهو أظهر من جهة المعنى، وهذا على ما في بعض نسخ «الفضائل»، ولم يذكر في أكثرها هذه الزيادة، وهي: (بعد الأكل)، وليست في الحديث الذي ذكره الحافظ السيوطي وغيره[٢].

وروى الحديثَ الإمامُ أحمد في «المسند»[٣].

ولم يذكر الحافظ المنذري ولا غيرُه هذا الحديث، وإنما ذكر حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الشيطان حساس لحاس، فاحذروه على أنفسكم، من بات وفي يده ريح غمر، فأصابه شيء؛ فلا يلومن إلا نفسه»، رواه الترمذي، والحاكم، وقال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه، وقد روي من حديث سهيلِ[٤] بنِ أبي صالح، عن أبيه، عن

---

(١) لم نقف عليه، وأورده السيوطي في «قوت المغتذي» (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: «فيض القدير» للمناوي (٦/ ٨٥).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٧٦).

(٤) في الأصل: «سهل»، والتصويب من الترمذي.

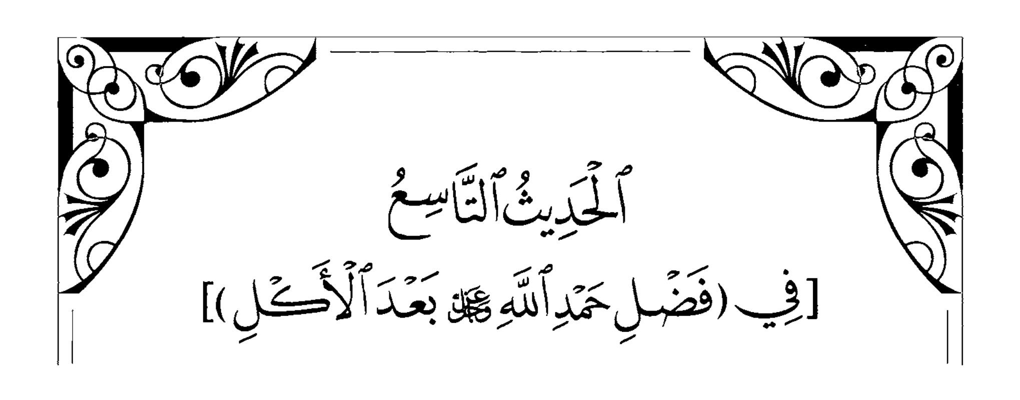
أبي هريرةَ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد[1]، وحسَّنه البغوي[2].

و(الغمر) ـ بفتح الغين المعجمة والميم بعدها راء ـ: هو ريحُ اللحم وزهومته، وتقدَّم في شرح الحديث الخامس ما لعلَّه يشفي ويكفي.

* * *

(١) رواه الترمذي (١٨٥٩)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٢٧).

(٢) انظر: «شرح السنة» للبغوي (١١/ ٣١٧).



الحَدِيثُ التَّاسِعُ

[فِي (فَضْلِ حَمْدِ اللَّهِ ﷻ بَعْدَ الأَكْلِ)]

٧٠٧ ـ عَن مُعَاذِ بنِ أَنَسٍ ﷺ، عَن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِن غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(**عن معاذِ بنِ أنسٍ**) تقدم ذكره في (فضل اثنتي عشرة ركعة بعد فضل صلاة الضحى)، (ﷺ، **عن رسول الله ﷺ قال: من أكل طعامًا**) من أي أنواع الأطعمة (**فقال**) عقبَ أكله: (**الحمد**)؛ أي: الثناء بجميل الأوصاف وتعدادِ المحامد (**لله**) تعالى (**الذي أطعمني هذا**) الطعامَ، (**ورزقنيه**)؛ أي: ساقه وأوصله إليَّ، سواء كان بسبب أو غير سبب (**من غير حولٍ مِنِّي**)؛

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٨٥)، وفي إسناده أبي مرحوم عبد الرحيم بن ميمون وسهل بن معاذ. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٧١، ٥٧٤ ـ مصطفى البابي الحلبي): سهل بن معاذ بن أنس ضعيف، وحسَّن له الترمذي، وصحَّح له أيضًا، واحتج به ابن خزيمة والحاكم وغيرهما، وذكره ابن حبان في «الثقات».

وعبد الرحيم بن ميمون أبو مرحوم ضعَّفه يحيى بن معين، وقال أبو حاتم: يكتب حديثه ولا يحتجُّ به، وقوَّاه بعضهم، وحسَّن الترمذي روايته عن سهل بن معاذ، وصحَّحها أيضًا هو وابن خزيمة والحاكم وغيرهم.

أي: احتيال، (**ولا قوة**) عطف مرادف؛ لأن الحول كيفما تصرف يشعر بالقوة، (**غفر**) ـ بضم الغين المعجمة وكسر الفاء مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله ـ؛ أي: غفر الله (**له**)؛ أي: للحامد لله بعدَ ما أطعمه وأَولاه (**ما**)؛ أي: الذي (**تقدم من**) صغائرِ (**ذنبه**) على ذلك الحمد.

(**رواه ابن ماجه**)، ورواه أبو داود، والترمذي وقال: حسن غريب، ولفظهما: «الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام»[1]، وبقية اللفظ واحد.

وفي «مسند أبي يعلى الموصلي»، وابن السني من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعًا: «من أكل فشبع، وشرب فروي، فقال: الحمد لله الذي أطعمني وأشبعني، وسقاني وأرواني؛ خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[2].

قال ابن بطال: اتفقوا على استحباب الحمد بعد الطعام، ووردت في ذلك أنواع[3].

وأخرج مسلم، والنسائي، والترمذي ـ وحسَّنه ـ عن أنسِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه: أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن الله ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها، ويشرب الشربة فيحمده عليها»[4].

---

(١) رواه أبو داود (٤٠٢٣)، ولفظ الترمذي كـ «الفضائل».

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٧٢٤٦)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٧٣). قال الهلالي في «عجالة الراغب المتمني» (٢/ ٥٣٧): موضوع.

(٣) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٥٠٧).

(٤) رواه مسلم (٢٧٣٤/ ٨٩)، والترمذي (١٨١٦)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٩).

(الأكلة) بفتح الهمزة: المرة الواحدة من الأكل، وقيل: إن الرواية بضم الهمزة، وهي اللقمة.

وأخرج أبو داود، والترمذي عن أبي سعيد الخدري ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا فرغ من طعامه، قال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا، وجعلنا مسلمين»[1].

وذكر النسائي عن رجل خدمَ النبيَّ ﷺ: أنه كان يسمع النبي ﷺ إذا قُرب إليه طعامه يقول: «باسم الله»، وإذا فرغ من طعامه قال: «اللهم أطعمتَ وسقيتَ، وأغنيتَ وأقنيت، وهديتَ واجتبيت، فلك الحمد على ما أَعطيت»[2].

وفي «صحيح البخاري» وغيرِه من حديث أبي أُمامة: أن النبي ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: «الحمد لله كثيرًا»[3].

وفي رواية: «حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا غير مَكْفِيٍّ ولا مُودَّعٍ ولا مُستغنًى عنه ربُّنا»[4].

قال في «الفتح»: بفتح الميم وسكون الكاف وكسر الفاء وتشديد التحتية.

قال ابن بطال: يحتمل أن يكون من كفأتُ الإناء، فالمعنى: غير مردودٍ عليه إنعامُه، ويحتمل أن يكون من الكفاية؛ أي: إن الله غير مكفي رزق عباده؛ لأنه لا يكفيهم أحد غيره.

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٥٠)، والترمذي (٣٤٥٧).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٨).

(٣) رواه البخاري (٥٤٥٨).

(٤) رواه ابن ماجه (٣٢٨٤)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٢٨٦).

وقال ابن التين: أي غير محتاج إلى أحد، لكنه هو الذي يطعم عباده ويكفيهم، [و]هذا قول الخطابي.

وقال القزاز: معناه أنا غير مكتف بنفسي عن كفايته.

وقال الداودي: [معناه] لم أكتف من فضل الله ونعمته.

قال ابن التين: وقولُ الخطابي أولى؛ لأن (مفعولًا) بمعنى (مفتعل) فيه بُعدٌ وخروجٌ عن الظاهر.

وهذا كله على أن الضمير لله، ويحتمل أن يكون الضمير للحمد.

وقال إبراهيم الحربي: الضمير للطعام، و(مكفي) بمعنى مقلوب، من الإكفاء، وهو القلب، غير أنه لا يكفي الإناء للاستغناء عنه.

وذكر الحافظ ابن الجوزي عن أبي منصور[1] الجواليقي: أن الصواب (غير مكافأ) بالهمز؛ أي: أن نعمة الله لا تكافأ[2].

قال الحافظ ابن حجر في «الفتح»: وثبتت هذه اللفظة هكذا في حديث أبي هريرة.

وقوله: (ولا مودع) بفتح الدال الثقيلة؛ أي: غير متروك، ويحتمل كسره على أنه حال من القائل؛ أي: غير تارك.

وفي رواية: «ولا مكفور، ولا مستغنى عنه»[3].

---

(١) في الأصل: «ابن أبي منصور»، والتصويب من «الفتح».

(٢) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٨٠).

(٣) رواه الدارمي في «سننه» (٢٠٢٣)، والطبراني في «مسند الشاميين» (١٣٩٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٠٣٨) بلفظ: «غير مكفور ولا مودع ولا مستغنى»، =

وقوله: (ربنا) بالرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو ربنا، أو على أنه مبتدأ خبره متقدم، ويجوز النصب على المدح، أو الاختصاص، أو إضمار أعني.

وقال ابن التين: ويجوز الجر على أنه بدل من الضمير في (عنه).

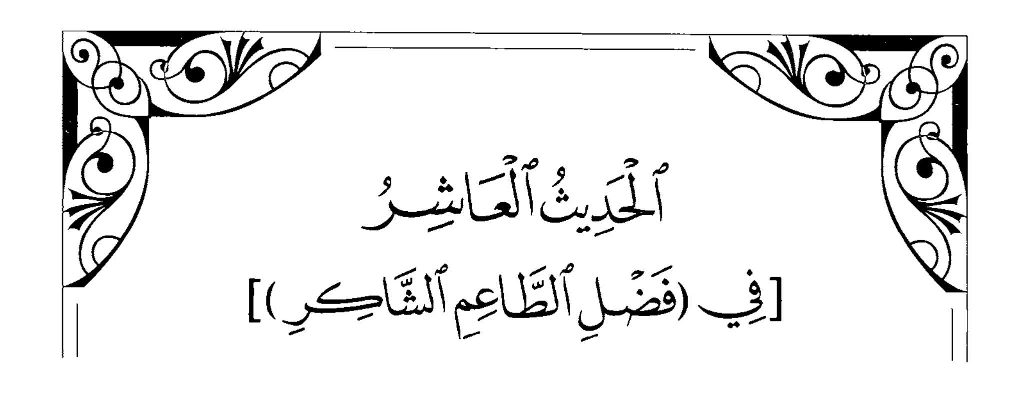
وقال غيره: على البدل من الاسم في قوله: (الحمد لله).

وقال الحافظ الجوزي: (ربنا) بالنصب على النداء مع حذف أداة النداء[1]. والله أعلم.

* * *

= ورواه باللفظ الذي أورده الشارح النسائي في «السنن الكبرى» (١٠١٣٣)، والطبراني في «الدعاء» (٨٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢٠٠٣) وقال: صحيح على شرط مسلم، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٨١).



الحَدِيثُ العَاشِرُ
[فِي (فَضْلِ الطَّاعِمِ الشَّاكِرِ)]

٧٠٨ ـ عَن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الطَّاعِمُ الشَّاكِرُ بِمَنْزِلَةِ الصَّائِمِ الصَّابِرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

(**عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ**): أنه (**قال: الطاعم**)، وفي رواية: «إن للطاعم»، (**الشاكر بمنزلة الصائم الصابر**)، وفي الرواية الأخرى: «إن للطاعم الشاكر من الأجر ما للصائم الصابر»(٢).

قال ابن التين: الطاعم في حسن الحال في المطعم(٣).

وقال ابن بطال: هذا من تفضل الله على عباده أن يجعل للطاعم إذا شكر ربه على ما أنعم به عليه ثوابَ الصائم الصابر(٤).

وقال الكرماني: التشبيه هنا في أصل الثواب، لا في الكمية، ولا الكيفية،

---

(١) رواه الترمذي (٢٤٨٦).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧١٩٥)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٤/ ٣٠٦).

(٣) كذا في الأصل، وعبارة «فتح الباري» لابن حجر (٩/ ٥٨٣): الطاعم: هو الحسن الحال في المطعم.

(٤) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٩/ ٥٠٨).

والتشبيه لا يستلزم المماثلة من جميع الأوجه[1].

وقال الطيبي: ربما توهم متوهمٌ أن ثواب الشكر يقصر عن ثواب الصبر، فأزيل توهمه، أو وجه الشبه اشتراكُهما في حبس النفس، فالصابر يحبس نفسه على طاعة المنعِم، والشاكر يحبس نفسه على محبته. انتهى[2].

(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ أبو عيسى **(الترمذيُّ وقال: حسن غريب)**.

قلت: ورواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والحاكم[3].

ورواه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ وابن ماجه من حديث سنان بن سنَّة الأسلمي[4].

وذكره البخاري في «التاريخ»، وعلَّقه في الصحيح فقال: (باب: الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر)[5].

وأخرجه ابن خزيمة، وابن حبان في «صحيحه»، وعبد الرزاق في

---

(١) انظر: «الكواكب الدراري» للكرماني (٢٠/ ٦٦).

(٢) انظر: «شرح المشكاة» للطيبي (٩/ ٢٨٥٣).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٨٣)، وابن ماجه (١٧٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧١٩٤) وقال: صحيح الإسناد.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٤٣)، وابن ماجه (١٧٦٥).

(٥) انظر: «التاريخ الكبير» (١/ ١٤٢)، و«صحيح البخاري» (٧/ ٨٢)، كلاهما البخاري.

«جامعه»، وغيرهم[1].

وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما الطويل الذي رواه الطبراني، وابن حبان في «صحيحه»، وفيه: قال النبي ﷺ: «خبز ولحم، ورطب وبُسر ـ ودمعت عيناه ـ والذي نفسي بيده! إن هذا هو النعيم الذي تسألون عنه يوم القيامة»؛ أي: من النعيم، فكبر ذلك على أصحابه، فقال: «بل إذا أصبتم مثل هذا فضربتم بأيديكم؛ فقولوا: باسم الله، فإذا شبعتم؛ فقولوا: الحمد لله الذي أشبعنا، وأنعم علينا فأفضل؛ فإن هذا كفاف بهذا»[2].

وأخرج أبو داود، والنسائي بإسناد صحيح عن أبي أيوبَ خالدِ بنِ زيدٍ الأنصاريِّ رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أكل وشرب، قال: «الحمد لله الذي أطعم وسقى، وسَوَّغه وجعل له مَخْرجًا»[3].

وفي كتاب ابن السني عن عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: أنه كان يقول في الطعام إذا فرغ: «الحمد لله الذي منَّ علينا وهدانا، والذي أشبعنا وأروانا، وكلَّ الإحسان آتانا»[4].

---

(١) رواه ابن خزيمة في «صحيحه» (١٨٩٨)، وابن حبان في «صحيحه» (٣١٥)، وعبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٥٧٣).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٢٢٤٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٥٢١٦)، وفيه عبدالله بن كيسان. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣١٨): وثقه ابن حبان وضعفه غيره، وبقية رجاله رجال الصحيح.

(٣) رواه أبو داود (٣٨٥١)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٨٩٤).

(٤) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (٤٦٦)، إسناده ضعيف جدًا. انظر: «عجالة الراغب المتمني» للهلالي (٢/ ٥٣٢).

وفي كتاب «الشكر» للإمام أبي بكر بن أبي الدنيا عن منصور بن تميم ابن سلمة قال: حُدثت أن الرجل إذا ذكر الله على طعامه، وحمده على آخره؛ لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام[1].

وفيه: عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «خصلتان من كانتا فيه، كتبه الله صابرًا شاكرًا، ومن لم يكونا فيه، لم يكتبه الله صابرًا شاكرًا: من نظر في دينه إلى مَنْ هو فوقه فاقتدى به، ومن نظر في دنياه إلى مَنْ هو دونه فحمد الله على ما فضله عليه؛ كتبه صابرًا شاكرًا، ومن نظر في دينه إلى مَنْ هو دونه، ونظر في دنياه إلى مَنْ هو فوقه، فأسف على ما فاته منه؛ لم يكتبه صابرًا شاكرًا»[2].

وأخرج الإمام أحمد، وأبو داود، والترمذي بإسناد صحيح عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يشكر الله مَن لم يشكر الناس»[3].

قال في «النهاية»: معناه أن الله تعالى لا يقبل شكر العبد على إحسانه إليه إذا كان العبد لا يشكر إحسان الناس إليه ويكفر أمرهم؛ لاتصال أحد الأمرين بالآخر.

وقيل: معناه مَن كان عادته وطبعه كفران نعمة الناس، وترك شكره لهم؛ كان من عادته كفر نعمة الله ﷻ وترك الشكر له[4].

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٩).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (٢٠٤).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٥٨)، وأبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٤٩٣).

وعند الإمام أحمد في لفظ آخر: «إن أشكرَ الناس لله تعالى أشكرهم للناس»[1].

وأخرج الإمام أحمد ـ أيضًا ـ وضعَّفه ابن الجوزي، وحسَّنه ابن مفلح في «آدابه» من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما مرفوعًا: «مَن لم يشكر القليل؛ لم يشكر الكثير، ومَن لم يشكر الناس؛ لم يشكر الله عز وجل والتحدث بنعمة الله عز وجل شكر، وتركها كفر، والجماعة رحمة، والفرقة عذاب»[2].

وقيل للإمام سعيد بن جبير ـ رحمه الله ـ: المجوسي يوليني خيرًا، فأشكره؟ قال: نعم[3].

وأنشد بعضهم مضمِّنًا للحديث:

قد جا عن المصطفى الهادي ومَن كشفَتْ
بعثتُه عن جميع الأمة الباسا
ففي الصحيح حديثٌ فاحفظَن له
لا يرحمُ اللهُ مَن لا يرحَمُ الناسا[4]

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢١٢) من حديث الأشعث بن قيس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٨٠): رواته ثقات.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٨)، وانظر: «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٣٢).

(٣) أورده ابن عبد البر في «بهجة المجالس» (١/ ٧٥٢).

(٤) من البسيط.

وقال آخر:

إنني أُثني بما أَوليتني ... لم يُضع حسنَ بلاء مَنْ شكَرْ

إنني واللهِ لا أكفركم ... أبدًا ما صاح عصفورُ الشجرْ[1]

وقال آخر:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجدٌ ... لعزَّة ملكٍ أو علوِّ مكانِ

لما ندبَ اللهُ العبادَ لشكره ... فقال اشكروني أيُّها الثقلانِ[2]

والله تعالى الموفق.

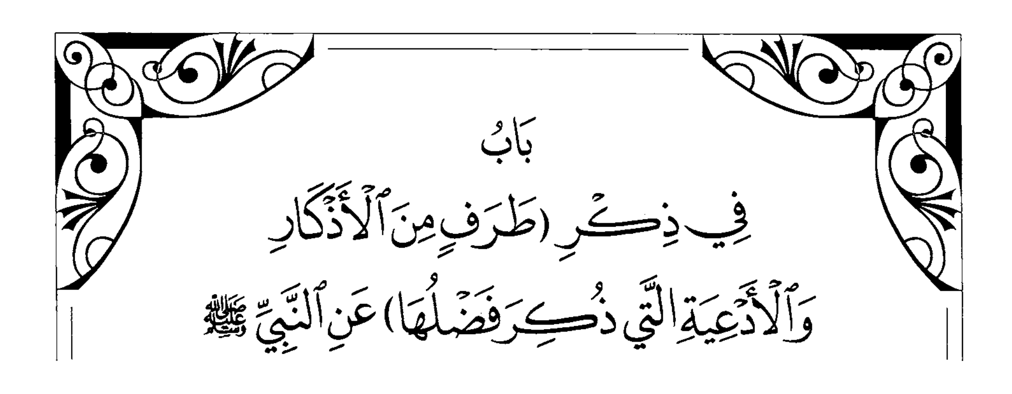
ويأتي لذلك تتمة عندما ترجم به المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ من ذكر الأمر الذي إذا فعله الإنسان، كتب شاكرًا صابرًا بعد إتباعِ السيئة الحسنة.

❐❐❐

---

(١) من الرمل، وفي الأصل: «السحر»، والمثبت من «الآداب الشرعية» لابن مفلح (١/ ٣٣٤).

(٢) من الطويل، والبيتان لأبي نواس كما في «المنتحل» للثعالبي (ص: ٨٠)، ونسبه في «الإعجاز والإيجاز» (ص: ١٧٩) لمحمود بن الحسن الوراق.



بَابُ
فِي ذِكْرِ (طَرَفٍ مِنَ الأَذْكَارِ وَالأَدْعِيَةِ الَّتِي ذُكِرَ فَضْلُهَا) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

قدَّمنا كلام الإمام المحقق ابن القيم ـ رحمه الله تعالى ـ : أن الذكر أفضلُ من الدعاء؛ لأن الذكر ثناء على الله بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه، والدعاء سؤالُ العبد حاجته، فأين هذا من هذا؟ ولهذا جاء في الحديث: «مَن شغله ذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين»[1].

ولهذا كان المستحب في الدعاء: أن يبدأ الداعي بحمد الله، والثناء عليه بين يَدَي حاجته، ثم يسأل حاجته؛ كما في حديث فَضالةَ بنِ عُبيد رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه فقال له ـ أو لغيره ـ : «إذا صلى أحدُكم؛ فليبدأ بتحميد[2] ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ بما شاء»، رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[3]، ورواه الحاكم في «صحيحه»[4]، وهكذا دعاءُ ذي

---

(١) رواه الترمذي (٢٩٢٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه، وقال: حديث حسن غريب.

(٢) في الأصل: «بتمجيد»، والتصويب من مصادر التخريج، وسيذكره المؤلف في شرح الحديث (٧٣٤) على الصواب.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ١٨)، والترمذي (٣٤٧٧).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٤٠).

النونْ الذي قال فيه النبيُّ ﷺ: «دعوةُ أخي ذي النون، ما دعا بها مكروبٌ إلا فرج الله كربه: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين»[1].

وفي الترمذي: «دعوةُ أخي ذي النون إذ دعاه وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فإنه لم يدعُ بها مسلم في شيء قَطُّ إلا استجاب الله له»[2].

ويأتي هذا في الخامس والعشرين من أحاديث الباب.

وهكذا عامةُ أدعيةِ النبي ﷺ كما تقدم.

وتقدم ـ أيضًا ـ: أن قراءة القرآن أفضلُ من الذكر، والذكر أفضل من الدعاء، وهذا من حيث النظر إلى كل منها مجردة، وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل؛ كالتسبيح في الركوع والسجود، ونحو ذلك من الأذكار الموظفة[3]. والله أعلم.

* **تنبيه**:

اعلم أن الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ قد ذكر الأذكار وفضائلها في ثلاث محال من كتابه:

---

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم الليلة» (٣٤٣) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بنحوه.

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٠)، والحديث رواه الترمذي (٣٥٠٥) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

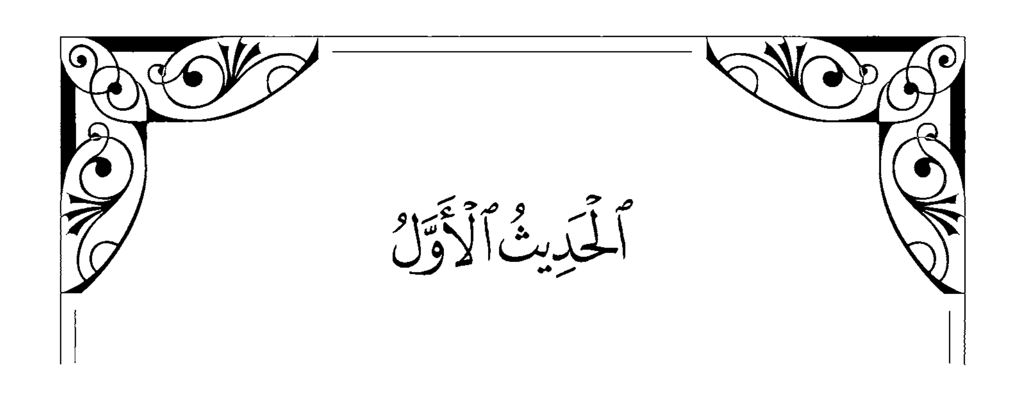
(٣) المرجع السابق (ص: ١٢٢).

الأول: بعد فضائل الصلوات.

الثاني: في كتاب العلم، فقال: (باب: فضل الذكر).

وتقدم الكلام في كل من المحلين بحسب مما يليـق ويجمـل، **وهـذا المحل الثالث**، وقد ذكر فيه ـ رحمه الله تعالى ـ ثلاثة وثلاثين حديثاً.

* * *



الحَدِيثُ الأَوَّلُ

٧٠٩ ـ عَن عُثْمَانَ بنِ عَفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِن عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِاسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَيَضُرَّهُ شَيْءٌ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَه بِنَحْوِهِ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أمير المؤمنين (**عثمانَ بنِ عفانَ** ﷺ) تقدمت ترجمته أول الكتاب، (**قال: قال رسول الله ﷺ: ما من عبد**) مؤمن من ذكر وأنثى (**يقول في صباح كل يوم**) من أيام حياته، وتقدم أن المراد بالصباح: ما بين الفجر الصادق وطلوع الشمس، (و) يقول في (**مساء كل ليلة**) من حياته، والمراد بالمساء: ما بين العصر والغروب.

قال المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب» في أذكار طرفي النهار: هما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر والمغرب، قال الله تعالى:

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٨)، والترمذي (٣٣٨٨)، وابن ماجه (٣٨٦٩)، والنسائي في «عمل يوم وليلة» (٣٤٦).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ۝٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴾[الأحزاب: ٤١ - ٤٢]، والأصيل قال الجوهري: هو الوقت بعد العصر إلى المغرب[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِبۡكَٰرِ﴾[غافر: ٥٥]، فالإبكار أولُ النهار، والعشيُّ آخره.

وقال: ﴿وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ قَبۡلَ طُلُوعِ ٱلشَّمۡسِ وَقَبۡلَ ٱلۡغُرُوبِ﴾[ق: ٣٩]، وهذا يفسر ما جاء في الأحاديث: مَن قال كذا وكذا حين يصبح ويمسي: أن المراد به قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأنَّ محل هذه الأذكار بعدَ الصبح وبعدَ العصر[(٢)].

(**باسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء**)؛ أي: أنا مستصحب ومستفتح ومتحصن باسمه تعالى، ومن كان ذلك، فلا يضره شيء من شياطين الجن والإنس؛ لأنه مع كونه مستصحبًا لاسمه تعالى في حصن حصين من شر الشياطين والآفات والعاهات، سواء كان ذلك الشيء الذي يخشى ضرره ويخاف منه (**في الأرض**)؛ فإن اسمَ الله تعالى يدفعه ويرده، (**ولا**) يخشى ضرر ذلك ولو (**في السماء**)، سواء كانت من الأفلاك، أو ما تنزل به الأملاك، أو كان ذلك الضرر من جهة العلو، فإن المستصحب لاسم الله تعالى في حصن حصين، وحافظ متين.

وهذا إنما يحصل لمن قاله مع حضور قلبه وتعقل معناه؛ فإن التدبر في الذكر مطلوب؛ كما هو مطلوب في قراءة القرآن العظيم؛ لاشتراكهما

---

(١) انظر: «الصحاح» للجوهري (مادة: أصل).

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٧).

في المعنى المقصود.

(وهو) سبحانه وتعالى **(السميعُ)** لـذكر الـذاكرين، ودعـاءِ الـداعين، **(العليمُ)** بما في قلوبهم من الخشية والهيبة والإجلال والتعظيم للعزيز الحكيم.

يقول العبدُ المؤمنُ الذكرَ المذكورَ بالخشية والحضور **(ثلاثَ مرات، فيضره شيء)**؛ أي: لا يقدر أن يوصل لذاكر الذكر المذكور بضرر، لا فـي بدنه، ولا ماله؛ لتحصنه به، وتعوذه باسم الله ﷻ وكل هذا مع صدق الالتجاء والإخلاص، وحضور القلب مع الله ﷻ.

رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه بنحوه، و) رواه **(النسائي في)** كتاب **(«عمل يوم وليلة»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريـب)**، وقال: «إلا لم يضره شيء»، وفي لفظ أبي داود: «لم تصبه فجأة بلاء».

ورواه سيدنا الإمام أحمد، ولفظه: «لم تصبه في يومه فجأة بـلاء، ومـن قالها حين يمسي؛ لم تصبه فجأة بلاء في ليلة»[1].

وفي رواية أبي داود زيادة في آخر الحديث: ثم ابتلي أبانُ بالفالج، فرأى رجلًا قد حدثه بهذا الحديث، فنظر إليه، فقال: ما لكَ تنظر إلـيَّ؟ فـوالله! مـا كذبتُ على عثمان، ولا كذب عثمانُ على رسول الله ﷺ، لكـن نـسيت اليـوم الذي أصابني هذا فلم أقله، ليُمضي الله ﷻ قدره[2].

وبهذه الزيادة يعلم أنه إذا كان ثَمَّ أمر، فإنه يُنسيه الذكر المـذكور، أو

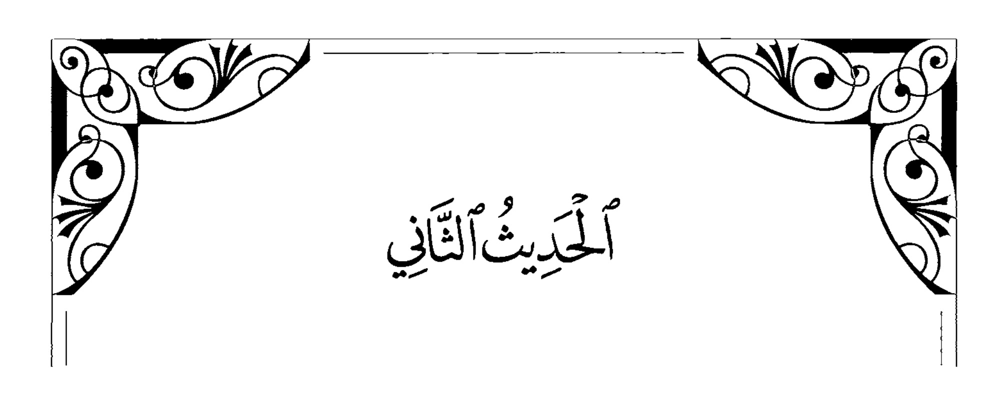
---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٧٢) بنحوه.

(٢) كذا في الأصل، ولفظ أبي داود: «ولكن اليوم الذي أصابني فيه مـا أصـابني غـضبت فنسيت أن أقولها».

يقوله من غير شعور ولا حضور. والله ولي الأمور.

* * *



الحديث الثاني

٧١٠ ـ عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا؛ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُرْضِيَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(عن) أبي عبدِالله **(ثوبانَ ﷺ)** مولى رسولِ الله ﷺ، تقدمت ترجمته في (فضل السجود)، **(قال: قال رسول الله ﷺ: من)**؛ أي: أيُّ عبد مؤمن من ذكرٍ وأنثى **(قال حين يمسي)**؛ أي: حين يدخل في المساء؛ أي: بعد العصر إلى غروب الشمس: **(رضيت بالله)** تعالى **(ربًّا)** والذي في «الكلم الطيب» عن ثوبان [و] غيره: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يمسي وإذا أصبح: رضيت بالله ربًّا»[2].

يقال: رضيت بالشيء: قنعتُ به، واكتفيت به، ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث: لم أطلب ولم أبتغ غيرَ الله ربًّا.

(و) رضيتُ **(بـ)** دين **(الإسلام)** الذي جاء به النبيُّ المصطفى محمد ـ عليه السلام ـ **(دينًا)**؛ أي: لم أبتغ طريقاً غيرَ طريق الإسلام، ولم أسلك

---

(١) رواه الترمذي (٣٣٨٩).

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ٦٧).

إلا ما يوافق شريعةَ محمد ﷺ، (و) رضيت (**بمحمد**) ﷺ (نبيًّا)، ووقع في رواية أبي داود وغيره: «وبمحمد رسولًا»[1] بدل: «نبيًّا».

قال الإمام النووي: فيستحب أن يجمع الإنسان بينهما، فيقول: نبيًّا ورسولًا، ولو اقتصر على إحداهما؛ كان عاملًا بالحديث. انتهى[2].

ولم يرتض المحقق ابنُ القيم في كتابه «جلاء الإفهام» نحو هذا؛ بأن يجمع الداعي ما شك فيه الراوي؛ نحو حديث: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا»، وفي رواية: «ظلمًا كثيرًا»[3]، فلا يرى أن يقول الداعي: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كبيرًا كثيرًا، ومشى على ذلك جماعة من أئمة الحديث، واستدل له بوجوه:

منها: أن المقصود إنما هو المعنى، والتعبيرُ عنه بعبارة مؤدية له، فإذا عبر عنه بإحدى العبارتين؛ حصل المقصود، فلا يجمع بين العبارات المتعددة.

قال: ولأن أحد اللفظين يدل على الآخر، فلا يستحب الجمع بين البدل والمبدَل معًا؛ كما لا يستحب ذلك في المبدلات التي لها أبدال.

قال: ولأن النبي ﷺ لم يجمع بين تلك الألفاظ المختلفة في آنٍ واحد، بل إما أن يكون قال هذا مرة وهذا مرة، وإما أن يكون الراوي قد شك في أي اللفظين أو الألفاظ قال، فالداعي ينبغي أن يقول هذا مرة وهذا مرة،

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٢).

(٢) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٦٥).

(٣) روى اللفظان مسلم (٢٧٠٥/ ٤٨) من حديث أبي بكر رضي الله عنه.

وإن ترجح عنده بعضها؛ صار إليه، وأطال[1].

قلت: وهذا وإن كان في غاية التحقيق، إلا أن الألفاظ التي يكون شكَّ الراوي في أيها قاله النبي ﷺ، فلا بدع أن جمع بينهما؛ نحو ما في هذا، فإن فيه فائدتين:

الأولى: التلذذ بذكر الرسول، والتبرك بتكرار نبوته ورسالته.

الثانية: إصابة عين اللفظ الذي قاله الرسول ﷺ.

وقوله: **(كان حقًّا على الله)** ﷻ **(أن يرضيه)**؛ أي: يرضي ذاكر الذكر المذكور يوم القيامة بحسب وعده؛ فإنه تعالى لا يخلف الميعاد؛ فإن من كانت هذه صفته، فقد خلص إيمانه، وكان على الله بحسب وعدِه وكرمه ومَنِّه أنْ يُرضيه، ويُعلي منزلته، ويَرفع درجته.

(رواه)؛ أي: حديث ثوبانَ المشروحَ أبو عيسى **(الترمذيُّ وقال)**: حديث **(حسن غريب)**.

قال الإمام النووي: في إسناده سعيدُ بنُ المرزبان، أبو سعيد البقال الكوفي، مولى حذيفةَ بنِ اليمان، وهو ضعيف باتفاق الحفاظ.

قال: وقد قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، فلعله صح عندَه من طريق آخر، وقد رواه أبو داود، والنسائي بإسناد جيد عن رجل خدمَ النبيَّ ﷺ، عن النبي ﷺ بلفظه[2]، فثبت أصل الحديث، ولله الحمد.

---

(١) انظر: «جلاء الأفهام» لابن قيم الجوزية (ص: ٣٢١).

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٠٠).

وقد رواه الحاكم أبو عبدالله في «المستدرك على الصحيحين» وقال: حديث صحيح الإسناد. انتهى[1].

قلت: وفي قول الإمام النووي في سعيد بن المرزبان: إنه ضعيف باتفاق الحفاظ نظرٌ، فقد قال أبو زرعة فيه: إنه صدوق، مدلِّس[2]. والله أعلم.

*** تنبيهات:**

الأول: اختلف أرباب السلوك في الرضا على ثلاث طرق، فالخراسانيون قالوا: إن الرضا من جملة المقامات، وهو نهاية التوكل، فعلى هذا يمكن أن يتوصل إليه العبد باكتسابه.

وقال العراقيون: بل هو من جملة الأحوال، وليس كسبًا للعبد، بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال.

والفرقُ بين المقامات والأحوال عند أرباب السلوك: أن المقامات عندهم من المكاسب، والأحوال من مجرد المواهب.

وحكمت فرقة ثالثة بين الطائفتين، منهم صاحب «الرسالة» الأستاذ أبو القاسم القشيري وغيره، فقالوا: يمكن الجمع بينهما بأن يقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد، وهي من جملة المقامات، ونهايته من جملة الأحوال، وليست مكتسبة، فأوله مقام، ونهايته حال[3].

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٦٥)، والحديث رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٠٥).

(٢) انظر: «المدلسين» لأبي زرعة (ص: ١٠٧)، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤/ ٦٢).

(٣) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ٢٢٨).

واحتج من جعله من جملة المقامات بأن الله مدح أهله، وأثنى عليهم، وندبهم إليه، فدل على أنه مقدور لهم، وبقول النبي ﷺ: «ذاق طعمَ الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا»، رواه الإمام أحمد، ومسلم، والترمذي من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه[1]، وبقول النبي ﷺ: «من قال حين يسمع النداء: رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولًا؛ غفرت له ذنوبه»، رواه مسلم وغيره من حديث سعدِ بنِ أبي وقاص[2]، وتقدم ذلك.

قال المحقق ابنُ القيم في كتابه «شرح منازل السائرين»: هذان الحديثان ـ يعني: مع حديث الباب الذي نحن بصدد شرحه ـ عليهما مدارُ مقامات الدين، وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته ـ سبحانه وتعالى ـ وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه، والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة، فهو الصديق حقًّا.

وهي سهلة بالدعوى واللسان، ومن أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، فعند ذلك يتبين أن الرضا كان على لسانه لا على حاله.

فالرضا بإلهيته تعالى يتضمن الرضا بمحبته وحدَه، وخوفه ورجائه، والإنابة إليه، والتبتل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحب كلها إليه فِعْلَ الراضي

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٨)، ومسلم (٣٤/ ٥٦)، والترمذي (٢٦٢٣).

(٢) رواه مسلم (٣٨٦/ ١٣).

بمحبوبه كلَّ الرضا، وذلك يتضمن عبادته، والإخلاصَ له.

والرضا بربوبيته يتضمن الرضا بتدبيره لعبده، ويتضمن إفرادَه بالتوكل عليه، والاستعانة والثقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكل ما يفعل به، فالأول يتضمن رضاه بما أمره به، والثاني يتضمن رضاه بما يقدر عليه.

وأما الرضا بنبيه رسولًا؛ فيتضمن كمالَ الانقياد له، والتسليم المطلق إليه؛ بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقى الهدى إلا من مواقع كلماته، ولا يحاكم إلا إليه، ولا يحكم عليه غيره البتة، لا في شيء من أسماء الرب وصفاته وأفعاله، ولا في شيء من أذواق حقائق الإيمان ومقاماته، ولا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، لا يرضى في ذلك بحكم غيره، فلا يرضى إلا بحكمه، فإن عجز عنه، كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطر إذا لم يجد ما يقيته إلا من الميتة والدم، وأحسنُ أحواله أن يكون من باب التراب الذي إنما يُتيمم به عند العجز عن استعمال الماء الطهور.

وأما الرضا بدينه؛ فإذا قال أو حكم، أو أمر أو نهى؛ رضي كلَّ الرضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه، وسلَّم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسِه وهواها، وقولِ مقلدِه وشيخه وطائفته.

وهاهنا يوحشك الناس كلهم إلا الغرباء في العالم، فإياك وأن تستوحش من الاغتراب والتفرد؛ فإنه ـ واللهِ! ـ عينُ العز والصحبة مع الله تعالى ورسوله، وروح الأنس به، والرضا به ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، بل الصادق كلما وجدَ مسَّ[1] الاغتراب، وذاق حلاوته، وتنسم روحه؛ قال: اللهم زدني

---

(١) في الأصل: «بشَّ»، والمثبت من «مدارج السالكين».

اغترابًا، وكلما ذاق حلاوة هذا الاغتراب، وهذا التفرد؛ رأى الوحشةَ عينَ الأنس بالناس، والذل عينَ العز بهم، والجهل عينَ الوقوف مع رأيهم وزبالة أذهانهم، والانقطاع عينَ التقييد برسومهم وأوضاعهم، فلم يؤثر بنصيبه من الله أحدًا من الخلق، ولم يبع حظه من الله بمرافقتهم[1] فيما لا يجدي عليه إلا الحرمان، وغايته مودةُ بينهم في الحياة الدنيا.

فإذا انقطعت الأسباب، وحقت الحقائق، وبُعثر ما في القبور، وحُصِّل ما في الصدور، وبُليت السرائر، ولم يجد من دون الله مولاه الحق من قوة ولا ناصر؛ تبين له حينئذ مواقع الربح من الخسران، وما الذي يخف أو يرجح به الميزان، والله المستعان، وعليه التكلان.

ثم قال: والتحقيق في المسألة: أن الرضا كسبي باعتبار سببه، موهبي باعتبار حقيقته، فيمكن أن يقال بالكسب لأسبابه، فإذا تمكن في أسبابه، وغرس شجرته؛ اجتنى منها ثمرة الرضا؛ فإن الرضا آخر التوكل، فمن رسخ قدمه في التوكل، والتسليم والتفويض؛ حصل له الرضا ولا بد، ولكن لعزته وعدم إجابة أكثر النفوس له، وصعوبته عليها؛ لم يوجبه الله على خلقه رحمةً بهم، وتخفيفًا عنهم، لكن ندبهم إليه، وأثنى على أهله، وأخبر أن ثوابه رضاه عنهم، الذي هو أعظمُ وأكبرُ وأجلُّ من الجنان وما فيها.

فمن رضي عن ربه، رضي الله عنه، بل رضا العبد عن الله من نتائج رضا الله عنه[2].

---

(١) كذا في الأصل، وفي «مدارج السالكين»: «بموافقتهم».

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٧١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: قد أجمع العلماء على أن الرضا مستحب، مؤكد استحبابه، واختلفوا في وجوبه على قولين لأصحاب الإمام أحمد[1].

وذهب هو إلى القول باستحبابه، وتبعه تلميذه المحققُ ابنُ القيم.

قال: ولم يجئ الأمر به كما جاء الأمر بالصبر، وإنما جاء الثناء على أصحابه ومدحُهم.

قال: وأما ما يُروى من الأثر: من لم يصبر على بلائي، ولم يرض بقضائي؛ فليتخذ ربًّا سواي؛ فهذا أثر إسرائيلي، ليس يصح عن النبي ﷺ[2].

قلت: مرادُه عدم وجوب الرضا بمرِّ القضاء من الآلام، وفقد المحبوب، وحلول المكروه، وأما الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا؛ فهذا فرضٌ لازم، وحقٌّ واجب، فالرضا بما منه مندوب محبوب، والرضا به ربًّا واجب محتوم. والله الموفق.

التنبيه الثاني: اختلفت عبارات أهل السلوك في بيان تعريف الرضا، فقال أبو القاسم الجنيد ـ رحمه الله ـ: الرضا: هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم؛ أداهُ إلى الرضا، وليس الرضا والمحبة كالرجاء والخوف؛ فإن الرضا والمحبة حالان من أحوال أهل الجنة لا يفارقان في الدنيا، ولا في البرزخ، ولا في الآخرة؛ بخلاف الخوف والرجاء؛ فإنهما يفارقان أهل الجنة بحصول ما كانوا يرجونه وأمنهم مما كانوا يخافونه، وإن

---

(١) انظر ما قال شيخ الإسلام في هذه المسألة مستوفى «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٧٨).

(٢) انظر: «مدارج السالكين» (١/ ١١٠)، و«شفاء العليل» (ص: ٢٧٨)، كلاهما لابن قيم الجوزية.

كان رجاؤهم لما ينالون من كرامته دائمًا، لكنه ليس رجاء مشوبًا بشك، بل رجاء واثق بوعد صادق من حبيب قادر، فهذا لون، ورجاؤهم في الدنيا لون[1].

وقال ابن عطاء ـ رحمه الله ـ: الرضا: سكون القلب إلى قِدَم اختيار الرب للعبد أنه اختار له الأفضل، فيرضى به[2].

وليس من شرط الرضا أن لا يحسَّ بالألم والمكاره، بل لا يعترض على الحكم، ولا يتسخطه.

ولهذا أشكلَ على الناس الرضا بالمكروه وطعنوا فيه، وقالوا: هذا ممتنع على الطبيعة، وإنما هو الصبر، وإلا فكيف يجتمع الرضا والكراهة وهما ضدان؟

والصواب: أنه لا تناقض بينهما، وأن وجود التألم وكراهة النفس له لا تُنافي الرضا؛ كرضا المريض بشرب الدواء الكريه، ورضا الصائم في اليوم الشديد الحر بما يناله من ألم الجوع والظمأ، ورضا المجاهد بما يحصل له في سبيل الله من ألم الجراح وغيرها.

قال المحقق في «شرح منازل السائرين»: وطريق الرضا طريق مختصرة جدًّا، موصلة إلى أجلِّ غاية، ولكن فيها مشقة، ومع هذا فليست مشقتها بأصعبَ من مشقة طريق المجاهدة، ولأنها من العقبات والمفاوز لا ماء

---

(١) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٧٤).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٧٥)، وانظر: «التعرف لمذهب التصوف» للكلاباذي (ص: ١٠٢)، و«الرسالة القشيرية» (ص: ٢٣١).

فيها، وإنما تهونها همة عالية[1]، ونفس زكية، وتوطين للنفس على أن كل ما يرد عليها من الله، ويُسهِّل ذلك على العبد علمُه بضعفه وعجزه، ورحمة ربه وشفقته عليه، وبره به.

فإذا شهد هذا وهذا، ولم يطرح نفسه بين يديه، ويرضى به وعنه، وتنجذب دواعي حبه ورضاه كلها إليه، فنفسُه نفس مطرودة عن الله، مبعَدَة عنه، ليست مؤهلة لقربه وموالاته، أو نفس ممتحنة مبتلاة بأصناف البلايا والمحن.

فطريق الرضا والمحبة تُسيِّر العبدَ وهو مستلقٍ على فراشه، فيصبح أمام الركب، وثمرةُ الرضا الفرحُ والسرورُ بالرب تبارك وتعالى[2].

قال في «شرح منازل السائرين»: لكن قد قال الواسطي ـ رحمه الله ـ: استعملِ الرضا جهدك، ولا تدع الرضا يستعملك، فتكون محجوبًا بلذته ورؤيته عن حقيقة ما يطلع.

قال ابن القيم: وهذا الذي أشار إليه الواسطي هو عقبة عظيمة عند القوم، ومقطع لهم؛ فإن مساكنة الأحوال والسكون إليها، والوقوف عندها استلذاذًا ومحبة، حجابٌ بينهم وبين ربهم بحظوظهم عن مطالعة حقوق محبوبهم ومعبودهم، وهي عقبة لا يجوزها إلا أولو العزائم.

وكان الواسطي كثيرَ التحذير من هذه العقبة، شديدَ التنبيه عليها،

---

(١) كذا في الأصل، وفي «مدارج السالكين»: ولا فيها من العقبات والمفاوز ما فيها، وإنما عقبتها همة عالية...

(٢) انظر: «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٧٥).

ومن كلامه: إياكم واستحلاء الطاعات؛ فإنها ثمرة[1] قاتلة.

قلت: وهذا الواسطي هو عماد الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الواسطي، المعروف بابن شيخ الحرمين، توفي سنة سبعمئة وإحدى عشر[ة] سنة، من جماعة شيخ الإسلام ابن تيمية، وله عدة مؤلفات في التصوف وتهذيب النفس، ورسالة في مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية والثناءِ عليه، وكان شيخُ الإسلام يقول عنه: إنه جنيد زمانه رحمهما الله، ورضي عنهما.

قال المحقق ابن القيم: معنى قوله: (استعملِ الرضا [جهدك]، ولا تدع الرضا يستعملك)؛ أي: لا يكون عملك لأجل حصول حلاوة الرضا بحيث تكون هي الباعثة لك عليه، بل اجعله آلة لك، وسببًا موصلًا إلى مقصودك ومطلوبك، فتكون مستعملًا له، لا أنه مستعمل لك[2].

قال المحقق: هذا لا يختص بالرضا، بل هو عام في جميع الأحوال والمقامات القلبية التي يسكن إليها القلب.

وقيل: الرضا: رفع الحرج في أي حكم كان.

وقيل: رفع الاختيار.

وقيل: استقبال الأحكام بالفرح.

وقيل: سكون القلب تحت مجاري الأحكام.

---

(١) كذا في الأصل، وفي «مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (٢/ ١٧٦): سموم.

(٢) المرجع السابق، الموضع نفسه.

وقيل غير ذلك.

وكتب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ إلى أبي موسى الأشعري ﵁: أما بعد؛ فإن الخير كلَّه في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر[1].

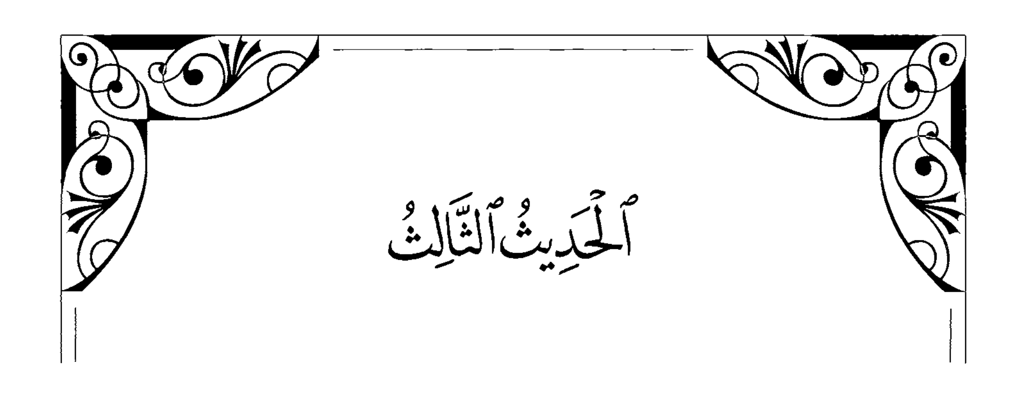
وقال ابن القيم: والرضا ثلاثة أقسام: رضا العوام بما قسمه الله وأعطاه، ورضا الخواص بما قدره وقضاه، ورضى خواص الخواص الرضا به بدلًا من كل ما سواه[2].

وقد أطلنا، ولكن لمَا في ما ذكر من الفوائد، وإن كنا عنها بمعزل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

* * *

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٧٧).



الحديث الثالث

٧١١ ـ عَن أَبِي سَعِيْدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيْنًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا؛ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(**عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: من**)؛ أي: أي عبد مؤمن من هذه الأمة (**قال**) بلسانه مترجمًا عما في جنانه: (**رضيت بالله**) تعالى (**ربًّا**)؛ أي: قنعت به واكتفيت به، فلم أطلب معه غيره لجلب نفع، ولا دفع ضر، وإن استعنت بأحد من خلقه؛ فقلبي مصمم ومعتقد أن الضار والنافع الله، وأن المعين آلةٌ وسبب للوصول إلى ما قدره وقضاه، فلم أطلب غير الله ربًّا فعَّالًا لما يريد، (**و**) رضيت (**بـ**) دين (**الإسلام**) الذي شرعه الله ﷻ، وأنزله على نبيه محمد ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ (**دينًا**) أَنقادُ له، وأخضع وأدين به، ممتثلًا لأوامره، منتهيًا عن زواجره، أعلم أنه الدين المتين، والحق اليقين، (**و**) رضيت (**بـ**) رسوله وحبيبه ونبيه ومصطفاه (**محمدٍ**) ﷺ (**رسولًا**)، فيتضمن ذلك كمالَ الانقياد والتسليم له في كل ما جاء به من أمر ونهي،

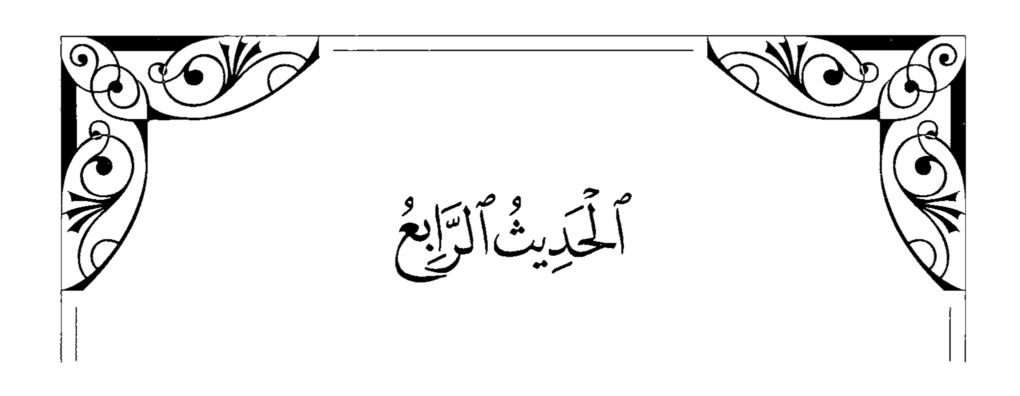
(١) رواه أبو داود (١٥٢٩)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٥).

ووعد ووعيد، وامتثال وانقياد، ومحبة وتعظيم؛ بحيث يكون أولى بـه مـن نفسه، فلا يبتغي الخير والهدى إلا من مواقـع كلماتـه، ولا يطلـب الحكـم والتحكيم إلا مما شرعه وأتى به.

ولا شك ولا ارتياب أن من كانت هذه صفته، وعقد عليها قلبه، خلـص من شوائب الكفر والنفاق، فإذا كان بهذه المثابة؛ **(وجبت لـه الجنـة)** بحـسب وعد الله الذي لا يخلف الميعاد، فإن خلص من كبائر الذنوب؛ كان دخولـه للجنة من غير سابقة عذاب، وإلا فهو في مشيئة الملـك الـرحيم الوهـاب، إلا أن مآله واستقراره الجنة دار المؤمنين، وهو منهم بلا مين.

(رواه أبو داود، والنسائي في «عمل يوم وليلة»)، وتقدَّم الكلام عليه في الحديث الذي قبله. والله أعلم.

* * *



الحديث الرابع

٧١٢ ـ عَن أَبِي سَلَّام[١] ـ خَادِمِ النَّبِيِّ ﷺ ـ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ أَوْ إِنْسَانٍ أَوْ عَبْدٍ يَقُولُ حِينَ يُمْسِي وَحِينَ يُصْبِحُ: رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا، إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ عز وجل أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رَوَاهُ ابنُ مَاجَه هَكَذَا[٢]، وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَن أَبِي سَلَّام، عَن رَجُلٍ خَدَمَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ قَالَ: إِذَا أَصْبَحَ وَإِذَا أَمْسَى» فَذَكَرَهُ، وَلَمْ يَقُلْ: «يَوْمَ القِيَامَةِ»[٣].

(عن أبي سلام) رضي الله عنه (خادمِ النبيِّ ﷺ قال: ما من مسلم، أو) قال:

---

(١) وقع في متن «الفضائل» وشرحه: «أبي سلامة»، والتصويب من مصدري التخريج، وانظر: «أسد الغابة» لابن الأثير (٦/ ١٦٠)، و«تهذيب الكمال» للمزي (٣٣/ ٣٩٧)، وانظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٥٦)، و«مصباح الزجاجة» للبوصيري (٤/ ١٤٩).

(٢) رواه ابن ماجه (٣٨٧٠). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٤٩): رجال إسناده ثقات.

(٣) رواه أبو داود (٥٠٧٢).

ما من (**إنسان، أو**) قال: ما من (**عبد يقول حين يمسي**)؛ أي: يـدخل فـي المساء، وتقدم أن أوله من العصر، وآخره غروب الشمس، (**وحين يـصبح**)؛ أي: يدخل في وقت الصباح، وهو من الفجر إلى أن تطلع الشمس، ومقـولُ القول قوله: (**رضيت بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، إلا كان**) الشأن والأمر (**حقًّا على الله ﷻ**) بحسب وعده الذي لا يخلفه أبدًا (**أن يُرضـيه**)؛ أي: يرضي قائل الذكر المـذكور (**يـوم القيامـة**) العظمـى والنـشور لفـصل القضاء؛ بأن ينجيه من النار، ومن دخول دار البوار، ويسكنه دار القرار، مـع الأتقياء الأبرار، ويمنحه من المنح والتحف بما لا عين رأت، ولا أذن سـمعت، ولا خطر على قلب بشر.

(**رواه ابن ماجه هكذا**)؛ يعني: عن أبي سلَّام[1] باللفظ المذكور.

(**ورواه أبو داود عن أبي سَـلَّام**) بفتح السين المهملة وتـشديد الـلام، فميم من غير هاء تأنيث (**عن رجلٍ**) من الصحابة ﷺ (**خـدم**) ذلـك الرجـلُ (**النبيَّ ﷺ**).

قال في «جامع الأصول»: واسمه مطمور الحبشي، تابعي[2].

(**قال**)؛ يعني: الرجل الذي سمع منه أبـو سـلَّام وخـدم النبـي ﷺ: (**سمعت رسول الله يقول: إذا أصبح وإذا أمسى، فـذكره، ولـم يقـل**) فـي حديثه: (**يوم القيامة**).

وقد كرر الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعـالى ـ تخـريج هـذا الحـديث،

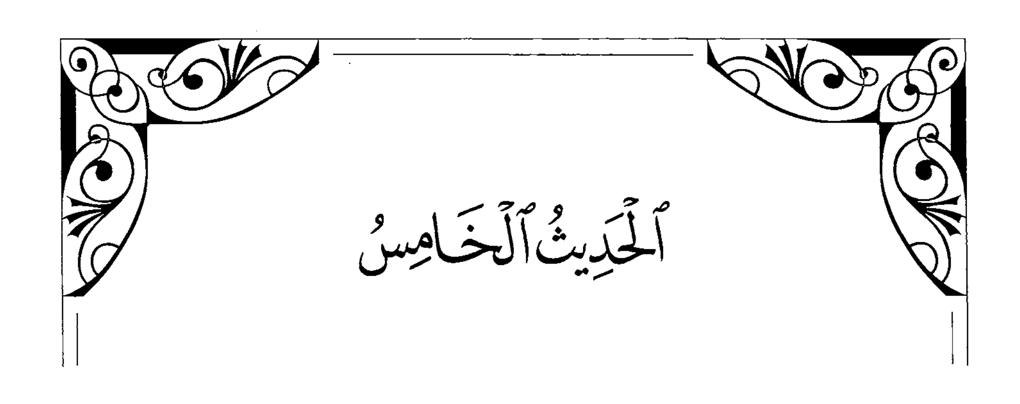
---

(١) في الأصل: «سلامة»، والصواب المثبت، وقد سبقت الإشارة إليه.

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٤٨٨).

وبيَّن رواته ومخرجيه؛ ليعلم أنه ثابت صحيح؛ فإن الحديث متى تعددت طرقه، وكثرت رواته، وتباينت مخارجه؛ علم أن له أصلًا. والله أعلم.

* * *



الحديث الخامس

٧١٣ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي الْبَارِحَةَ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ قُلْتَ حِينَ أَمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ لَمْ تَضُرَّكَ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي) في «كامل ابن عدي» أن الرجل المذكور بلال ﷺ، ذكره في ترجمة وهب بن راشد الرقي[2]، (فقال: يا رسول الله! ما لقيت من عقرب لدغتني) ـ بفتح اللام والدال المهملة وفتح الغين المعجمة وسكون المثناة الفوقية ـ (عقرب): واحدةُ (العقارب)، وهي تؤنث، والأنثى (عقربة)، و(عقرباء) ممدودة غير مصروفة[3]، والذكر (عُقْرُبان)، وهي دابة، وللذكر منها أربع أرجل طوال، وكنيتها أم عريطة،

(١) رواه مسلم (٢٧٠٩/ ٥٥).

(٢) انظر: «الكامل في الضعفاء» لابن عدي (٧/ ٦٧)، ولم نقف فيه على تسمية الرجل المذكور.

(٣) في الأصل: «معروفة»، والتصويب من «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: عقرب).

وأم ساهرة، واسمها بالفارسية الدشك.

قال الجاحظ: العقرب تلد من فيها، وتحمل أولادها على ظهرها[1]، وهي على قدر القمل كثيرة العدد، والعقرب شر ما تكون إذا كانت حاملًا، وللأنثى ثمانية أرجل، وعيناها في ظهرها، ومن عجيب أمرها أنها لا تضرب الميت ولا النائم حتى يتحرك شيء من بدنه، فعند ذلك تضربه، وهي تأوي إلى الخنافس وتسالمها، وربما لسعَتِ الأفعى فتموت.

وقد أشار إلى ذلك عمارةُ اليمني في قوله من أبيات:

إذا لم يُسالِمك الزمانُ فحاربِ
وباعِدْ إذا لم تنتفِعْ بالأقاربِ

ولا تحتقِرْ كيدًا ضعيفًا فربما
تموتُ الأفاعي من سموم العقارب[2]

ومن شأنها أنها إذا لسعت الإنسان، فرت فرار مسيء يخشى العقاب.

وفي قوله: (لدغتني عقرب) تجوُّز؛ فإن استعمال اللدغ في ضرب العقرب مجاز، وأصل اللدغ للذي يضرب بفيه، والذي يضرب بمؤخره يقال: لسع، وبأسنانه: نهش ـ بالمعجمة والمهملة ـ وبأنفه: نكز ـ بنون وكاف وزاي ـ وبنابه: نشط، هذا هو الأصل، وقد يستعمل بعضها مكان بعض تجوزًا، وتقدم في الرقية بالفاتحة في فضائلها.

---

(١) انظر: «الحيوان» للجاحظ (٥/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «وفيات الأعيان» لابن خلكان (٣/ ٤٣٤).

(فقال) النبي ﷺ للرجل الذي لدغ رضي الله عنه: **(أما)** ـ بتخفيف الميم وفتح الهمزة ـ أداة استفتاح، وتأتي بمعنى حقًّا **(إنك)** أيها الرجل الذي لدغته العقرب **(لو قلتَ حين أمسيتَ)**؛ أي: وقتَ دخولك في مساء يومك: **(أعوذ)**؛ أي: ألتجئ وأتحصن وألوذ **(بكلمات الله التامات)** التي لا نقص ولا عيب فيها، وفي رواية: «كلمة» بالإفراد[1].

والمراد بـ (كلمات الله) القرآن، ومعنى تمامها: أنه لا يدخلها نقص ولا عيب كما يدخل كلام الناس.

وقيل: هي النافعات الكافيات الشافيات من كل ما يتعوذ به.

قال البيهقي: وإنما سماها تامة؛ لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه تعالى عيب ولا نقص كما يكون ذلك في كلام الآدميين.

قال: وبلغني عن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه: أنه كان يستدل بذلك على أن القرآن غير مخلوق. انتهى[2].

(من شر ما خلق) متعلق بـ (أعوذ)؛ أي: من شر خلقه إن جعلت (ما) موصولًا حرفيًّا، وإن جعلتها موصولًا اسميًّا؛ أي: من شر الذي خلقه، **(لم تضرك)** تلك العقربُ؛ بأن يحال بينك وبين كمال تأثيرها بحسب كمال التعوذ وقوته وضعفه.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٢٧٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعيذكما بكلمة الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة».

(٢) انظر: «الأسماء والصفات» للبيهقي (١/ ٤٣٤).

(**رواه مسلم**) في «صحيحه»، ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[1].

وفي رواية الترمذي: «من قال حين يمسي: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق ثلاث مرات؛ لم تضره حُمَة[2] تلك الليلة»، قال سهيل[3]: فكان أهلنا يقولونها كل ليلة، فلُدغت جارية منهم، فلم تجد لها وجعًا، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

وفي «سنن ابن ماجه» من حديث أبي هريرة ﵁: «أما إنه لو قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ لم يضره لدغ عقرب حتى يصبح»[4].

* * *

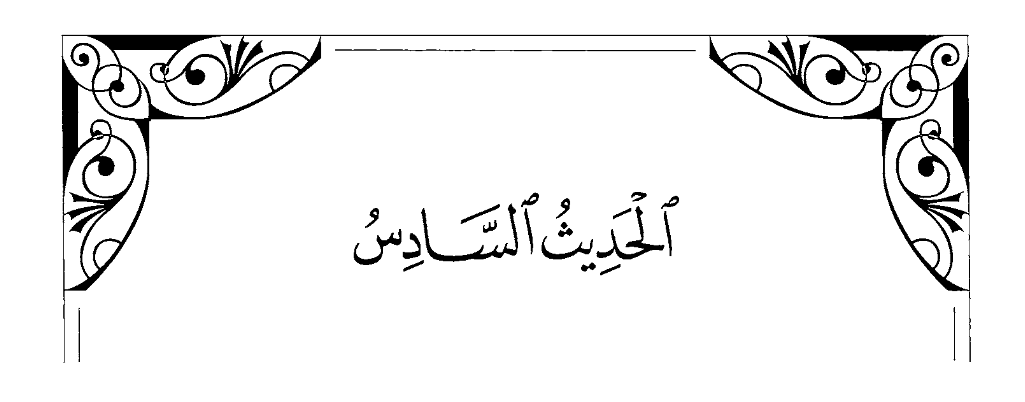
---

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٩)، والترمذي (٣٦٠٤/ ١ ـ ط دار الغرب)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٢٣)، وابن ماجه (٣٥١٨).

(٢) في الأصل: «حمية»، والتصويب من «سنن الترمذي»، والحُمَةُ: سمٌّ كل شيء يلدغ أو يلسع. انظر: «المصباح المنير» للفيومي (مادة: حمي).

(٣) في الأصل: «شميل»، والتصويب من «سنن الترمذي».

(٤) رواه ابن ماجه (٣٥١٨). قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ٧٢): إسناده صحيح، رجاله ثقات.



الحديث السادس

٧١٤ ـ عَنْ خَوْلَةَ بِنْتِ حَكِيمِ السُّلَمِيَّةِ ﵂: أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا نزَلَ أَحَدُكُمْ مَنْزِلًا؛ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ؛ فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّهُ شَيْءٌ حَتَّى يَرْتَحِلَ مِنْهُ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1].

(عن) أم شريك **(خولةَ بنتِ حكيم)** بن أميةَ بنِ حارثةَ بنِ الأوقصِ بنِ مرةَ بنِ هلالٍ **(السلميةِ)** امرأةِ عثمانَ بنِ مظعون (﵄) وعنه، وهي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ في قول بعضهم، وكانت امرأة صالحة فاضلة.

روى عنها: سعد بن أبي وقاص، وابن المسيب، وعمر بن عبد العزيز، وغيرهم.

(أنها)؛ أي: خولة بنت حكيم ﵂ **(سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا نزل أحدُكم)** معشرَ المؤمنين **(منزلًا)** مظنة الهوام، **(فليقل)** في نزوله: **(أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق؛ فإنه)**؛ أي: المستعيذ بكلمات الله التامات **(لا يضره شيء)**؛ أي: لا عقرب، ولا غيره **(حتى)**؛ أي: إلى أن **(يرتحل)**؛ أي: من ذلك المنزل الذي ذكر المذكور عند نزوله فيه.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٠٨/ ٥٥).

قال أبو العباس القرطبي: هذا خبر صحيح، وقول صادق، علمناه دليلًا وتجربة[١].

(رواه مسلم) في «صحيحه».

قال القرطبي: منذ سمعت هذا الخبر، عملت به، فلم يضرني شيء إلى أن تركته، فلدغتني عقرب بالمدينة[٢] ليلًا، فتفكرت في نفسي، فإذا أنا قد نسيت أن أتعوذ بتلك الكلمات[٣].

ورقية العقرب كما روى مسلم عن جابر ﷺ قال: لدغت رجلًا عقرب ونحن جلوس مع رسول الله ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله! أرقيه؟ قال: «من استطاع منكم أن ينفع أخاه، فليفعل»[٤].

وفي رواية: فجاء آل عمرو بن حزم إلى رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيتَ عن الرقى، فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم[٥]، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيها شرك»[٦].

---

(١) انظر: «المفهم» للقرطبي (٧/ ٣٦).

(٢) كذا في الأصل، وفي «المفهم»: «بالمهدية».

(٣) انظر: «المفهم» للقرطبي (٧/ ٣٦).

(٤) رواه مسلم (٢١٩٩/ ٦١).

(٥) في الأصل: «رقياكم»، والمثبت من «صحيح مسلم».

(٦) روى الجزء الأول منه مسلم (٢١٩٩/ ٦٣)، والإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٣١٥)، من حديث جابر ﷺ، وفيه: فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع منكم أن ينفع =

فالرقي جائز بكتاب الله، أو بأسمائه تعالى وصفاته.

قال الحافظ ابن حجر: قد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط: أن يكون بكلام الله، أو بأسمائه وصفاته، وباللسان العربي، أو ما يعرف معناه من غيره، وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطًا، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة.

وفي «صحيح مسلم» من حديث عوفِ بنِ مالكٍ قال: كنَّا نرقي في الجاهلية، فقلنا: يا رسول الله! كيف ترى في ذلك؟ فقال: «اعرضوا عليَّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك»[1].

وفيه من حديث جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاء آل عَمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله! إنه كانت عندنا رقية نرقي بها من العقرب، وإنك نهيت عن الرقى، فقال: «اعرضوا عليَّ رقياكم»، قال: فعرضوا عليه، فقال: «ما أرى بأسًا، من استطاع أن ينفع أخاه، فلينفعه»[2].

وقد تمسك بعموم هذا قوم، فأجازوا كل رقية جُربت منفعتها ولو لم يُعقل معناها، لكن دلَّ حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك،

= أخاه فلينفعه»، وروى الجزء الثاني مسلم (٢٢٠٠/ ٦٤) من حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه.

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

يمنع منه، وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك، فيمنع احتياطًا.

وقال قوم: لا تجوز الرقية إلا من اللدغة والعين؛ لما في حديث عمران ابن حصين رضي الله عنه: «لا رقية إلا من عين أو حُمَة». رواه أحمد، وأبو داود، والترمذي[1].

ورواه مسلم، وابن ماجه من حديث بريدة[2].

وأجيب عن الحصر فيه: أنهما أصل كلِّ ما يحتاج إلى الرقية، فيلتحق بالعين جواز رقية مَن به خبل، أو مسٌّ ونحو ذلك لاشتراكها[3] في كونها تنشأ عن أحوال شيطانية من إنس أو جن.

ويلتحق بالسم كلُّ ما عرض للبدن من قرح ونحوه من المواد السمِّية.

وقد وقع عند أبي داود من حديث أنس رضي الله عنه مثل حديث عمران، وزاد: «أو دم»[4].

وفي مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: رخَّص رسولُ الله ﷺ في الرقى من العين والحُمَة والنملة[5].

وفي حديث آخر: «والأذن»[6].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٣٦)، وأبو داود (٣٨٨٤)، والترمذي (٢٠٥٧).

(٢) رواه مسلم (٢٢٠/ ٣٧٤)، وابن ماجه (٣٥١٣).

(٣) في الأصل: «في اشتراكها»، والمثبت من «فتح الباري».

(٤) رواه أبو داود (٣٨٨٩).

(٥) رواه مسلم (٢١٩٦/ ٥٨).

(٦) رواه البخاري (٥٧١٩).

ولأبي داود من حديث الشفاء بنتِ عبدِالله ﵂: أن النبي ﷺ قال لها: «ألا تعلِّمين هذه ـ يعني: أم المؤمنين حفصةَ ﵂ ـ رقيةَ النملة؟»[1].

والنملة: قروح تخرج في الجنب وغيره من الجسد.

وقيل: المراد بالحصر معنى الأفضل؛ أي: لا رقية أنفع؛ كما قيل:

لا سـيف إلا ذو الفقـار [ولا سـيف إلا علـي][2]

وقال قوم: المنهي عنه من الرقى ما يكون قبل وقوع البلاء، والمأذون فيه ما كان بعد وقوعه، ذكره ابن عبد البر، والبيهقي، وغيرهما[3].

ونظر فيه في «الفتح».

وقد قدَّمنا من ذلك في فضائل سورة الفاتحة طرفًا صالحًا.

وقد قال بعض متقدمي العلماء: مَن قال في أول الليل وأول النهار: عقدتُ زبانَ العقرب، ولسانَ الحية، ويدَ السارق بقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، أَمِنَ من الحية والعقرب والسارق.

وذكر أبو القاسم القشيري في «تفسيره» أن في بعض التفاسير: أن الحية والعقرب أتيا نوحًا فقالتا: احملنا، فقال نوح: لا أحملكما؛ فإنكما سبب

---

(١) رواه أبو داود (٣٨٨٧).

(٢) من مجزوء الكامل. رواه نصر بن مزاحم في «وقعة صفين» (ص: ٣١٣)، وابن أبي الدنيا في «الهواتف» (٥)، وانظر: «ذخيرة الحفاظ» للمقدسي (٥/ ٢٦٥٦)، و«الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٢٨٥).

(٣) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ١٩٥).

الضرر والبلاء، فقالتا: احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضرَّ أحدًا ذكرك، فمن قرأ حين خاف مضرتهما: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات: ٧٩ - ٨١]، ما ضَرَّتاه.

وذكر ابن عبد البر في «التمهيد» عن سعيد بن المسيب قال: بلغني أن من قال حين يمسي: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، لم تلدغه عقرب[١].

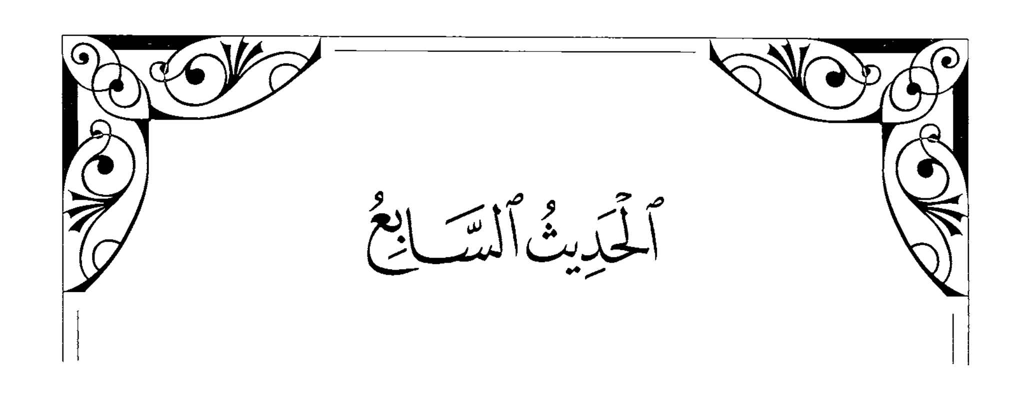
وقال عمرو بن دينار: إن مما أخذ على العقرب: أن لا تضر أحدًا قال في ليل أو نهار: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[٢]، والله أعلم.

* * *

---

(١) انظر: «التمهيد» لابن عبد البر (٢١/ ٢٤١).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٦/ ١٦٠).



الحديث السابع

٧١٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ: بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَهُدِيتَ وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَهَذَا لَفْظُهُ، وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: فَيَقُولُ شَيْطَانٌ آخَرُ: «كَيْفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ»[1].

(عن) أبي حمزةَ (**أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من قال إذا خرج من بيته**) المراد: من مسكنه الذي كان جاثمًا فيه، من أي أنواع البيوت كان، ومقول القول: (**باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، يقال**) ـ بضم أوله مبنيًا لما لم يسمَّ فاعله؛ أي: يأمر الله ﷻ بعض ملائكته، أو يقول هو تعالى (**له**)؛ أي: لذاكر الذكر المذكور: (**كُفيت**) ـ بضم

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٥)، والترمذي (٣٤٢٦)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٩).

الكاف وكسر الفاء مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله ـ أي: كفاك الله تعالى شر كلِّ ذي شر، وحفظك من كل محذور، ويسَّر لك ما تهتم له من الأمور، **(ووقيت)** ـ بضم الواو وكسر القاف مبنيًّا للمفعول ـ أي: وقاك الله من سائر الأعداء وسائر البلايا؛ أي: جعل بينك وبين ما يؤذيك وقاية تمنع وصوله إليك، **(وتنحَّى)**؛ أي: تباعد وانقمع **(عنه)**؛ أي: عن ذاكرِ الذكرِ المذكور **(الشيطانُ)** الرجيم، فلا يخلص إليه بوسوسة ولا افتتان، ولا أذى ولا بهتان، ويكون حينئذ محفوظًا في حصن الله الحصين، وحرزه المانع المتين.

(رواه أبو داود، و) رواه **(الترمذي، وهذا)**؛ يعني: اللفظُ المذكور **(لفظُه، وقال: حديث حسن غريب، ورواه النسائي في «عمل يوم وليلة»)**.

وفي رواية أبي داود)؛ أي: لفظ رواية أبي داود للحديث المذكور: «إذا خرج الرجل من بيته فقال: باسم الله، توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله؛ يقال له حينئذ: هديت وكفيت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان»، **(فيقول شيطان آخر)**، وفي لفظ: «فيقول له شيطان آخر»[1]، **(كيف لك)** برجل **(قد هُدي وكُفي وَوُقي؟)**.

وفي رواية: «إذا خرج من بيته فقال: باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله؛ يقال له: حَسبك، هُديت وكُفيت ووُقيت»[2].

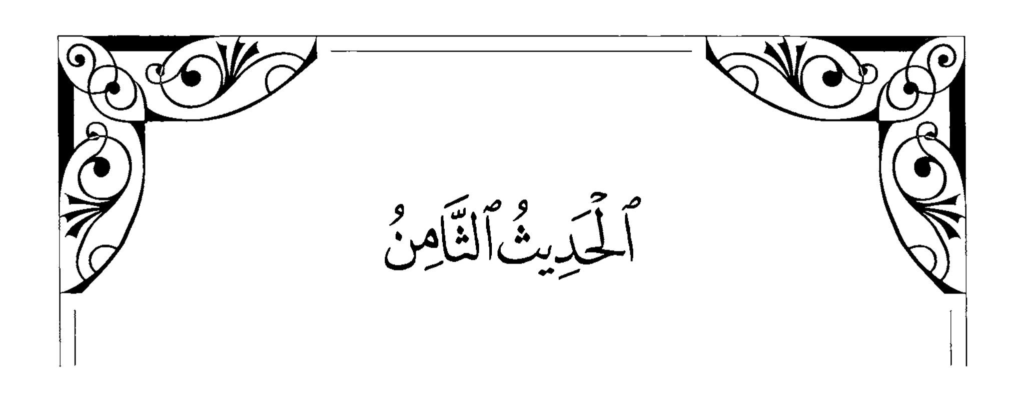
وتقدَّم الكلام على الهداية والتوكل والوقاية والكفاية.

* * *

---

(١) هذا لفظ أبي داود.

(٢) هذه رواية النسائي في «عمل اليوم والليلة».



ٱلْحَدِيثُ ٱلثَّامِنُ

٧١٦ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا خَرَجَ الرَّجُلُ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ، أَوْ مِنْ بَابِ دَارِهِ؛ كَانَ مَعَهُ مَلَكَانِ مُوَكَّلاَنِ بِهِ، فَإِذَا قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ؛ قَالاَ: هُدِيتَ، وَإِذَا قَالَ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ؛ قَالاَ: وُقِيتَ، وَإِذَا قَالَ: تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ؛ قَالاَ: كُفِيتَ، قَالَ: فَيَلْقَاهُ قَرِينَاهُ فَيَقُولَانِ: مَاذَا تُرِيدَانِ مِنْ رَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وَكُفِيَ وَوُقِيَ؟». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: إذا خرج الرجل)؛ أي: الشخص من الآدميين من ذكرٍ وأنثى (من باب بيته، أو) خرج (من باب داره؛ كان معه)؛ أي: العبد الذي خرج من باب بيته وباب داره (مَلَكان) من ملائكة الرحمن، هما (موكَّلان به)، يحفظان عليه سائر أقواله وأفعاله، (فإذا قال) عندَ خروجه: (باسم الله؛ قالا)؛ أي: الملكان له: (هُديت) لقول الصواب، وأصبت الهداية بذكرك اسمَ الله العزيز الوهاب، (وإذا قالَ) بعدَ البسملة: (لا حول ولا قوة إلا بالله)؛ أي: لا حول عن معصيته، ولا قوة على طاعته

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٨٦).

إلا بحفظ الله وإعانته وتوفيقه؛ **(قالا)**؛ أي: الملكان: **(وُقيت)** شرَّ كل ذي شر، وحُفظت من كيد شياطين الجن والإنس بتمام تسليمك، وحسن تفويضك لله ﷻ، وتبرئك من الحول والقوة، **(وإذا قال: توكلت على الله)**؛ أي: فوضت أموري إليه، واعتمدت في سائر مهماتي عليه؛ **(قالا)**؛ أي: الملكان: **(كُفيت)** ـ بضم الكاف مبنيًّا للمفعول ـ؛ أي: كفاك الله الذي توكلتَ عليه وفوضتَ أمرك إليه جميعَ مهماتك وشؤونك، وأغناك به عمن سواه، وكفى بالله وكيلًا.

(قال) ﷺ: **(فيلقاه)**؛ أي: الخارجَ من باب بيته وداره بعد ذكره للذكر المذكور **(قريناه)** من الجن.

وفي الحديث: «ما من أحد إلا وُكِّل به قرينُه»[1]؛ أي: مصاحبه من الملائكة والشياطين، وكل إنسان فإن معه قريناً منهما، فقرينه من الملائكة يأمره بالخير ويحثه عليه، وقرينه من الشياطين يأمره بالشر ويحثه عليه.

والقرين يصدق على الواحد، وعلى الاثنين فصاعدًا.

(فيقول) قرينه من الملائكة لقرينه من الشياطين، أو يقول أحدُ قرينيه لهما: **(ما)**؛ أي: أي شيء من الإغواء والوسوسة **(تريدان)**؟ أي: تطلبان وتبغيان **(من رجلٍ)** تحصن منَّا بذكر الله تعالى، **(قد هُدي)** إلى الصراط المستقيم، والنهج القويم، **(وكُفي)** مهماته بتوكله على مولاه الحفيظ العليم، **(ووُقي)** من كل كيد شيطان رجيم، وإنسان لئيم.

---

(١) رواه مسلم (٢٨١٤/ ٦٩)، والإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٥)، من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(رواه ابن ماجه).

وعن أمير المؤمنين عثمانَ بنِ عفانَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يخرج من بيته يريد سفرًا أو غيره، وقال حين يخرج: آمنتُ بالله، اعتصمت بالله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، إلا رُزق خيرَ ذلك المخرج». رواه الإمام أحمد عن رجل لم يسمه عن عثمان، وبقية رجاله ثقات[1].

وقال المحقق ابن القيم في كتابه «الكلم الطيب»: حديث حسن[2].

وفي السنن الأربعة عن أم سلمة ﷺ قالت: ما خرج رسول الله ﷺ من بيتي إلا رفع طَرفه إلى السماء فقال: «اللهم إني أعوذ بك أن أَضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظلِمَ أو أُظلَمَ، أو أَجهَلَ أو يُجهَلَ عليَّ». قال الترمذي: حديث حسن صحيح[3].

وفي رواية عنها ﷺ: أن رسول الله ﷺ كان إذا خرج من بيته قال: «باسم الله، توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضلَّ...» الحديث[4].

ولفظ رواية الترمذي: «أعوذ بك من أن نزلَّ»، وكذلك (نضلَّ)، و(نظلم)، أو (نجهل) بلفظ الجمع.

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ٦٥).

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٣٨).

(٣) رواه أبو داود (٥٠٩٤)، والترمذي (٣٤٢٧)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤).

(٤) رواه ابن المنذر في «الأوسط» (٣/ ٦٨).

وفي «سنن ابن ماجه»، وكتاب ابن السني عن أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: «باسم الله، التكلانُ على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله»[١].

*** تتمة:**

الأذكار المذكورة للخروج من المنزل، ولم يذكر هنا من أذكار دخول المنزل شيئاً، مع أن المناسب كان أن يذكر ذلك، وقد جاء في ذلك عدة أحاديث:

منها: ما في «صحيح مسلم» عن جابر بن عبدالله ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله، وعند طعامه؛ قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عَشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند دخوله؛ قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله تعالى عند طعامه؛ قال: أدركتم المبيت والعشاء»[٢].

ورواه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه[٣].

وفي «سنن أبي داود» عن أبي مالكٍ الأشعريِّ قال: قال رسولُ الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٨٥)، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٧٧)، وفي إسناده عبدالله بن حسين. قال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٥١): ضعفه أبو زرعة، والبخاري، وابن حبان.

(٢) رواه مسلم (٢٠١٨/ ١٠٣).

(٣) رواه أبو داود (٣٧٦٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦٧٥٧)، وابن ماجه (٣٨٨٧)، ولم نقف عليه عند الترمذي.

«إذا ولج الرجل بيته؛ فليقل: اللهم إني أسألك خيرَ المولج، وخير المخرج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى ربنا توكلنا، ثم لْيُسلِّمْ على أهله»[1].

وفي حديث أبي أُمامة ﵁: «ورجل دخل بيته بسلام، فهو ضامن على الله سبحانه وتعالى»، حديث حسن، رواه أبو داود وغيره[2].

ومعنى (ضامن على الله سبحانه وتعالى)؛ أي: صاحب ضمان، والضمان: الرعاية للشيء؛ كما يقال: تامِر، ولابِن؛ أي: صاحب تمر ولبن، ومعناه: أنه في رعاية الله تعالى وحفظه، وما أجزل هذه من عطية!

وروى الترمذي ـ وقال: حديث حسن صحيح غريب ـ عن أنس بن مالك ﵁ قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا بني! إذا دخلت على أهلك، فسلِّم، يكنْ بركة عليك وعلى أهل بيتك»[3].

وفي الطبراني عن سلمان الفارسي ﵁ مرفوعًا: «مَن سرَّه أن لا يجد الشيطان عنده طعامًا ولا مقيلًا ولا مبيتًا؛ فليُسلِّم إذا دخل بيته، وليُسَمِّ على طعامه»[4].

وفي كتاب ابن السني عن عبدالله بنِ عَمرِو بنِ العاص ﵄ قال: كان

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٩٦).

(٢) رواه أبو داود (٢٤٩٤).

(٣) رواه الترمذي (٢٦٩٨).

(٤) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٦١٠٢)، وفيه أبو الصباح عبد الغفور بن سعيد الأنصاري. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٣٨): متروك.

رسول الله ﷺ إذا رجع من النهار إلى بيته؛ يقول: «الحمد لله الذي كفاني وآواني، والحمد لله الذي أطعمني وسقاني، والحمد لله الذي منَّ عليَّ، أسألك أن تجيرني من النار»[1]، إسناده ضعيف.

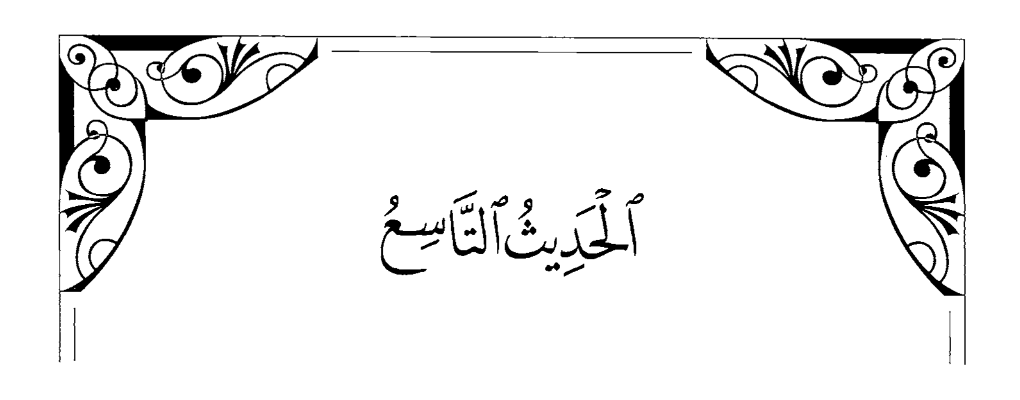
وفي «موطأ مالك» أنه بلغه أنه يُستحب إذا دخل بيتًا غير مسكون أن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين[2]. انتهى.

فيستحب للإنسان إذا دخل بيته أن يقول: باسم الله، وأن يكثر من ذكر الله تعالى، وأن يسلم، سواء كان في البيت آدمي أم لا؛ لعموم قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً﴾[النور: ٦١] والله أعلم.

* * *

(١) رواه ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١٥٨).

(٢) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٦٢).



الحديث التاسع

٧١٧ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ غَنَّامٍ الْبَيَاضِيِّ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ مَا أَصْبَحَ بِي مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْكَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ يَوْمِهِ، وَمَنْ قَالَ مِثْلَ ذَلِكَ حِينَ يُمْسِي؛ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَ لَيْلَتِهِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ـ وَهَذَا لَفْظُهُ ـ وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[١].

(عن عبدِالله بنِ غنام) بفتح الغين المعجمة وتشديد النون، فميم بعد الألف الساكنة (البياضي) ـ بفتح الموحدة وتخفيف التحتية، فألف ساكنة، فضاد معجمة ـ منسوب إلى بياضة بنِ عامرِ بنِ زريقِ[٢] بنِ عبدِ حارثةَ بنِ مالكِ بنِ غضب ـ بفتح العين والضاد المعجمتين، فموحدة ـ ابنِ جُشم بن الخزرج (ﷺ)، حديثه في أهل الحجاز، وحديثه عند ربيعة بن [أبي][٣] عبد الرحمن، عن عبدالله بن عنبسة، عنه في الدعاء.

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٣)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧).

(٢) في الأصل: «رزيق»، والتصويب من «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٣/ ٥٩٨)، و«طبقات ابن خياط» (ص: ١٠٠)، و«أنساب الأشراف» للبلاذري (١/ ١٠٥).

(٣) ما بين معكوفين من «سنن أبي داود».

قال: (**إن رسول الله ﷺ قال: مَنْ**)؛ أي: أيُّ عبد مسلم من ذكرٍ وأنثى (**قال حين يصبح**)؛ أي: يدخل في وقت الصباح، وتقدم أنه من طلوع الفجر الصادق إلى طلوع الشمس: (**اللهم**) قد تقدم غير مرة أن هذه الكلمة كَثُر استعمالها في الدعاء، وهي بمعنى: (يا ألله)، فالميم عوض حرف النداء، فلا يقال: اللهم غفور رحيم، بل اللهم اغفر لي وارحمني، ولا يجمع بين أداة النداء والميم إلا في ضرورة الشعر.

(**ما**)؛ أي: كل نوع وفرد وجنس (**أصبح بي من نعمة**) من أنواع النعم التي أصبحتُ متصفًا بها، ومضافةً إليَّ، (**أو**) أصبح (**بأحد من**) سائر (**خلقك**) من آدميٍّ وجني وحيوان على اختلاف أجناس ذلك وأنواعه.

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾[النحل: ١٨]، فأنواع نعم الله على خلقه لا تحصى، وعَدُّها لا يُستقصى، فنسأل الله أن يوزعنا شكرها.

(**فـ**) هي (**منك وحدك لا شريك لك**) في خلقها، ولا في إيصالها إليَّ، ولا لأحد من خلقك، بل أنت المنعم بذلك، (**فلك**) على ذلك (**الحمد**)؛ أي: الثناء الجميل بجميل أوصافك ونعوت كمالك، (**ولك**) عليَّ بذلك (**الشكر**): الثناء بجميل أوصافك، وأن أصرف جميع ما أنعمتَ به عليَّ في وجوه طاعتك، وأنواع عبادتك، ولا أعصيك بشيء من نعمك التي أنعمت عليَّ بها، فلا أصرف نحو البصر والسمع فيما لا يحلُّ.

هكذا لفظ هذا الحديث في سائر نسخ «الفضائل»، (و) الرواية المشهورة، والألفاظُ المحفوظة المسطورة: «اللهم ما أصبح بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر»؛ كما في «الكلم الطيب» للمحقق ابن القيم، و«ترغيب الحافظ المنذري»،

و«أذكار الإمام النووي»[1].

نعم، في نسخ من «الأذكار»[2] مثلُ ما في «الفضائل» من الاختصار، وهي لفظ رواية أبي داود.

وجواب (مَنْ قال) قوله: (**فقد أدى شكر يومه**) الذي ذكر الذكر المذكور في صباحه.

الفاء في قوله: (فقد) في جواب (مَنْ) الشرطية.

وتقدم أن الإنسان عليه أن يسبح الله ويحمده ويذكره ويشكره بعدد ما في جسده من السُّلامى، بل عليه أن يؤدي شكر جميع نعمه عليه؛ من صحة بدنه، من مفاصل جسمه وعروقه، ووصلاته وعضلاته حسبما مرَّ.

(**ومن قال مثل ذلك**)؛ أي: بأن يقول: «اللهم ما أمسى بي من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد، ولك الشكر»، (**حين يمسي؛ فقد أدى**)؛ أي: بذل وفعل أداء (**شكر ليلته**) التي ذكر الذكر المذكور في مساء ليلته.

(**رواه**)؛ أي: الحديثَ المشروحَ (**أبو داود، وهذا لفظه**)؛ أي: الذي في «الفضائل»؛ من إسقاط (أو بأحد من خلقك)، (**و**) رواه (**النسائي في**) كتابه (**«عمل يوم وليلة»**)، واللفظ المشهور من إثبات: (أو بأحد من خلقك) له.

---

(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٩)، و«الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٥٧).

(٢) انظر: «الأذكار» للإمام النووي (ص: ٦٥).

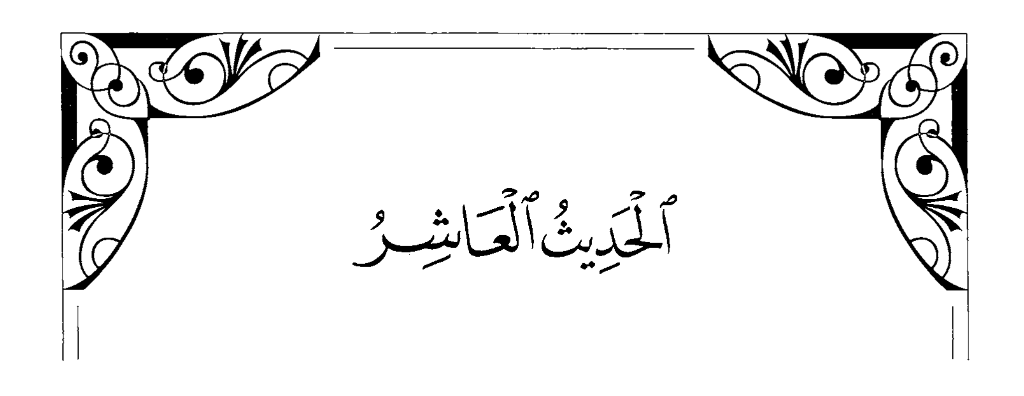
قال الحافظ المنذري في «الترغيب»: ورواه ابن حبان في «صـحيحه» عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظه دون ذكر المساء[1].

قال: ولعله سقط من أصلي. انتهى[2].

* * *

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٦١).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٥٧).



الحديث العاشر

٧١٨ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ رُبُعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ؛ أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا؛ أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ مِنَ النَّارِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا؛ أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

(عن) أبي حمزةَ **(أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ)** خادمِ رسولِ الله ﷺ: **(أن رسول الله ﷺ قال: من)**؛ أي: أيُّ عبد مسلم من هذه الأمة **(قال حين يصبح)**؛ أي: يدخل في وقت الصباح، **(أو)**؛ أي: ومن قال حين **(يمسي)**؛ أي: يدخل في وقت المساء؛ يعني: يقول الذكر المذكور طرفيَ النهار، وهما ما بين الصبح وطلوع الشمس، وما بين العصر وغروبها؛ كما تقدم: **(اللهم إني أصبحت أُشهدك)** يا أللهُ على نفسي، وإنما استشهده تعالى؛ لأن المستشهَد عليه عظيم، وإنما يستشهد على الأمر العظيم العُظماء، ولهذا

(١) رواه أبو داود (٥٠٦٩).

قال: (وأُشهدُ حَمَلَةَ عرشِك) العظيم، قال تعالى: ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧]؛ أي: ثمانية أملاك على صورة أوعال؛ كما في حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه. رواه عَبد بن حُميد، وعثمانُ بنُ سعيدٍ الدارميُّ، وأبو يعلى الموصلي، وابن المنذر، وابن خزيمة، وابن مردويه، والحاكم وصححه[1].

وأخرج الدارمي عن ابن عباس رضي الله عنهما: لحملة العرش قرون لها كعوب ككعوب القنا، ما بين أخمصِ أحدِهم إلى كعبه مسيرةُ خمس مئة عام[2].

وأخرج أبو داود، وأبو الشيخ، والبيهقي في «الأسماء والصفات» عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أُذن لي أن أحدِّث عن مَلَك من حملة العرش رجلاه في الأرض السفلى، وعلى قرنه العرش، وبين شحمة أذنه وعاتقه خفقان الطير سبعمئة عام، يقول ذلك الملك: سبحانَكَ حيث كنت»[3].

---

(١) رواه أبو سعيد الدارمي في «النقض على المريسي» (١١٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٦٧١٢)، وابن خزيمة في «التوحيد» (ص: ٢٥١)، والحاكم في «المستدرك» (٣٤٢٩)، ولم نقف عليه عند ابن حميد وابن المنذر.

(٢) رواه أبو سعيد الدارمي في «النقض على المريسي» (١٠٩)، وفي إسناده علي بن زيد بن جدعان. قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ٥٧٥ ـ مصطفى البابي الحلبي): قال البخاري وأبو حاتم: لا يحتج به، وضعَّفه ابن عيينة وأحمد وغيرهما، وقال أحمد العجلي: كان يتشيع، وليس بالقوي، وقال الدارقطني: لا يزال عندي فيه لين، وقال الترمذي: صدوق، وصحَّح له حديثاً في السلام، وحسَّن له غير ما حديث.

(٣) رواه أبو داود (٤٧٢٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٧٦)، والبيهقي في =

وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: «يحمله ـ أي: العرش ـ اليومَ أربعةٌ، ويوم القيامة ثمانية»[١].

وأخرج عبد الرزاق الصنعاني، وعبد بن حُميد، وابن المنذر، وأبو الشيخ عن وهب بن منبه قال: حملة العرش الذين يحملونه أربعة أملاك، لكل مَلَك منهم أربعة وجوه، وأربعة أجنحة، جناحان على وجهه مِن أن ينظر إلى العرش فيُصعق، وجناحان يطير بهما، أقدامهم في الثرى، والعرش على أكتافهم، لكل واحد منهم وجه ثور، ووجه أسد، ووجه إنسان، ووجه نسر، ليس لهم كلام إلا أن يقولوا: قدوس[٢] الله القوي الذي ملأت عظمته السماوات والأرض[٣].

وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن زيد قال: لم يسمَّ من حملة العرش إلا إسرافيل.

قال: وميكائيل ليس من حملة العرش[٤].

وأخرج الديلمي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان؛ أمر الله حملةَ العرش أن يكفوا عن

= «الأسماء والصفات» (٢/ ٣٨٨).

(١) رواه ابن جرير في «تفسيره» (٢٩/ ٥٨).

(٢) كذا في الأصل، و«العظمة» لأبي الشيخ، وعند عبد الرزاق: «قدسوا».

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ ٣١٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤٠)، ولم نقف عليه عند ابن حميد وابن المنذر.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٢٧٠).

التسبيح ويستغفروا لأمة محمد والمؤمنين»[(١)].

وأخرج عبد بن حُميد، وابن المنذر عن ميسرة في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[الحاقة: ١٧]، قال: أرجلهم في التخوم، ورؤوسهم عند العرش، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور[(٢)].

وروى ابن أبي شيبة في «المصنف» عن أبي أمامة ﷺ قال: إن الملائكة [الذين] يحملون العرش يتكلمون بالفارسية[(٣)].

(و) أُشهد **(ملائكتك)** جميعًا، وهذا من عطف العامِّ على الخاصِّ.

وفي «صحيح مسلم» عن أم المؤمنين عائشةَ الصدِّيقةِ ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «خُلقت الملائكةُ من نور، وخُلق الجانُّ من مارج من نار، وخُلق آدمُ مما وُصف لكم»[(٤)].

قال عكرمة: خُلقت الملائكة من نور العزة[(٥)]، وهم خلق كثير، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[المدثر: ٣١].

---

(١) أورده المتقي الهندي في «كنز العمال» (٢٣٧١٦)، وعزاه للديلمي. ولم نقف عليه في «الفردوس بمأثور الخطاب».

(٢) لم نقف عليه عند ابن حميد وابن المنذر، ورواه ابن أبي شيبة في «العرش» (٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٩/ ٥٩).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٩٨١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٩٦/ ٦٠).

(٥) رواه ابن راهويه في «مسنده» (٧٨٨)، وعبدالله بن أحمد في «السنة» (١٠٨٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٦).

وفي البزار، وابن منده في «الرد على الجهمية»: ليس شيء أكثر من الملائكة، وإن من الملائكة لخلقًا أصغرَ من الذباب(١).

وأخرج الإمام أحمد، والترمذي، وابن ماجه، والحاكم عن أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أَطَّتِ السماءُ وحُقَّ لها أن تَئِطَّ، ما منها موضعُ أربعةِ أصابعَ إلا وعليه مَلَك واضعٌ جبهته [ساجدًا لله]»(٢).

وفي حديث عائشة ﷺ مرفوعًا عند أبي الشيخ: «ما في السماء موضعُ قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ۝١٦٤ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات: ١٦٤ ـ ١٦٥]»(٣).

وأخرج ابن أبي حاتم، والطبراني، والمصنف الحافظ الضياء في «المختارة»، وغيرهم عن حكيم بن حزام ﷺ قال: بينا رسول الله ﷺ مع أصحابه إذ قال لهم: «هل تسمعون ما أسمع؟» قالوا: ما نسمع من شيء، قال: «إني لأسمعُ أطيطَ السماء، وما تُلام أن تَئِطَّ، ما فيها موضعُ قدم إلا عليها ملك ساجد أو قائم»(٤).

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٢٤٧٧)، وابن منده في «الرد على الجهمية» (٧٧) عن عبدالله بن عمرو ﷺ.

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٧٣)، والترمذي (٢٣١٢) وقال: حديث حسن غريب، وابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٨٨٣) وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه أبو الشيخ في «العظمة» (٥٠٨).

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠٧٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣١٢٢)، ولم نقف عليه في المطبوع من «الأحاديث المختارة».

قال في «النهاية»: الأطيط: صوت الأقتاب، وأطيط الإبل: أصواتها وحنينها؛ أي: أن كثرة ما فيها من الملائكة أثقلَها حتى أَطَّت، وهذا مثل لكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمَّ أطيط[١].

(و) أُشهد **(جميعَ خلقك)** عطف عام يتناول ما قبله من الملائكة، ويتناول الإنس والجن، وسائر حيوانات البر والبحر، وكل من يتأتى منه ويصلح أن يشهد **(أنك أنت الله)** المعبودُ بحقٍّ لسائر الخلق، **(لا إله)**؛ أي: لا معبود لهم **(إلا أنت)**، زاد النسائي: «وحدَك لا شريكَ لك»[٢]، **(وأن محمدًا)** ﷺ، ابن عبدالله بنِ عبدِ المطلب بنِ هاشمٍ، المصطفى من سائر الخلق **(عبدُك)** فضَّلته على خلقك، وأكرمته بوحيك، **(ورسولُك)** إلى جميع خلقك من الإنس والجن بالإجماع، وكذا الملائكة وغيرهم على الراجح.

من قال هذا الذكر المذكور حين يصبح أو يمسي مرةً؛ **(أعتق الله)** ﷻ **(ربعه من)** عذاب **(النار)** وأليمِ دار البوار، **(فمن)**، وفي لفظ: «ومن»[٣] ـ بالواو بدل الفاء ـ **(قالها)**؛ أي: الكلمات المذكورة بالصيغة المسطورة **(مرتين)**؛ بأن كررها مرتين؛ **(أعتق الله)** ﷻ **(نصفه)** من النار، **(ومن قالها)**؛ أي: كررها **(ثلاثًا)** من المرات؛ **(أعتق الله)** ﷻ **(ثلاثة أرباعه)** من النار، **(فإن قالها)**؛ أي: كرر الكلمات بالصيغة المذكورة **(أربعًا)** من المرات؛ **(أعتقه الله)** جميعَه **(من النار)**.

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٥٤).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٣٨).

(٣) هذا لفظ النسائي. انظر التعليق السابق.

(رواه أبو داود)، واللفظ لـه، ورواه الترمـذي بنحـوه، وقـال: حـديث حسن[1]، والنسائي، وزاد بعدَ إلا أنت: «وحدَك لا شريك لـك»؛ كمـا مـرَّ آنفًا.

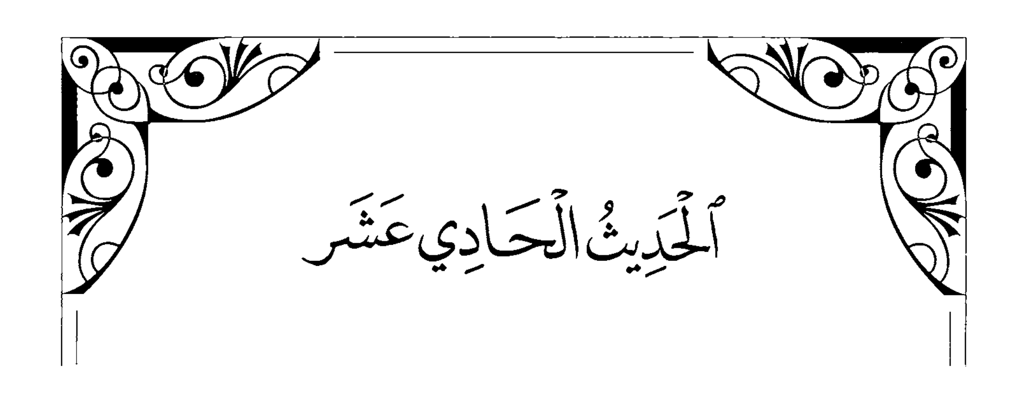
ورواه الطبراني في «الأوسط»، ولم يقل: «أعتـق الله... إلـخ»، وقـال: «إلا غفر له ما أصاب من ذنب في يومه ذلك، فإن قالها إذا أمسى؛ غفر له مـا أصاب في ليلته تلك»[2]، وهو كذلك عند الترمذي، وهو:

* * *

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٧٢٠٥).



الْحَدِيثُ الْحَادِي عَشَر

٧١٩ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: اللَّهُمَّ أَصْبَحْنَا نُشْهِدُكَ وَنُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ بِأَنَّكَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، إِلَّا غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا أَصَابَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ مِنْ ذَنْبٍ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: غَرِيبٌ[١]، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[٢].

(عن أنس) أيضًا (ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: من قال)؛ أي: من المسلمين من ذكرٍ وأنثى (حين يصبح)؛ أي: يدخل في وقت الصباح، ومقول القول: (أصبحنا) بصيغة الجمع (نُشهدك) يا ألله على أنفسنا، (ونشهد حملةَ عرشك) من رؤساء ملائكتك؛ بإعانتك لهم على حمله، (و) نشهد (ملائكتك)؛ أي: سائرهم على اختلاف أنواعهم، وتباينِ مراتبهم ومنازلهم ودرجاتهم، (و) نُشهد (جميعَ خلقك) من الإنس والجن، والحيوان من سائر دواب البحر والبر وغيرهم، أنا نقرُّ بألسنتنا ونعتقد بأفئدتنا (بأنك) أنت الله

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠١).

(٢) رواه النسائي في «عمل يوم وليلة» (١٠).

(**لا إله**) معبودَ بحقٍّ في جميع الوجود (**إلا أنت وحدَك لا شريك لـك**) فـي ملكك، ولا شبيه لك في ذاتك، ولا صفاتك ولا أفعالك، (**وأن محمدًا**) النبـيَّ الأميَّ المصطفى من سائر خلقك، والمجتبى من جميع بريتك (**عبـدُك**) الـذي أنعمتَ عليه وفضلته، على جميـع عبـادك المرسـلين، وخلقـك المقـربين (**ورسولُك**) بالحقِّ المبين، والهدى والدين القويم المستبين، إلى جميع خلقـك من الإنس والجن وسائر الخلق أجمعين، من قال هذا الذكر المذكور حين يصبح؛ (**غفر الله**) ﷻ (**له ما أصاب**)؛ أي: اقترف (**في تلك الليلة مـن ذنـب**) ظاهرُ عمومه يشمل كلَّ ذنب من الكبـائر والـصغائر، وإن كـان لا بـد علـى المعتمد لكبائر الذنوب من التوبة؛ كما تقدم.

(**رواه الترمذي**) هكذا في نسخ «فـضائل الأعمـال»، وتقـدم مـا رواه الطبراني في «الأوسط»، وقال: «**غفر الله له ما أصاب من ذنب في يومه ذلك، فإن قالها إذا أمسى؛ غفر له ما أصاب في ليلته تلك**»[١].

قال الحافظ المنذري: وهو كذلك عند الترمذي[٢].

(**وقال**) الترمذي: حديث (**غريـب، ورواه النـسائي فـي «عمـل يـوم وليلة»**).

وفي مختصر «تحفة العباد» الذي ألَّفه العلامة أبو الفرج عبدُ الـرحمن ابنُ أبي بكرِ بنِ داود من أدلة الأوراد التي رتَّبها والدُه[٣] ما لفظه: وفي رواية

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ٢٥٥).

(٣) «تحفة العباد وأدلة الأوراد» للشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر بن داود الصالحي، =

الترمذي: أن رسول الله ﷺ قال: «من قال حين يصبح: اللهم أصبحنا نُشهدك، ونُشهد حَمَلَة عرشك وملائكتك وجميعَ خلقك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت وحدَك لا شريك لك»، فزاد لفظة الجلالة بعد قوله: (بأنك)، وهي ساقطة في سائر نسخ «فضائل الأعمال».

وقال في آخره: «إلا غفر له ما أصاب في يومه ذلك، وإن قالها حين يمسي، غفر له ما أصاب في تلك الليلة من ذنب».

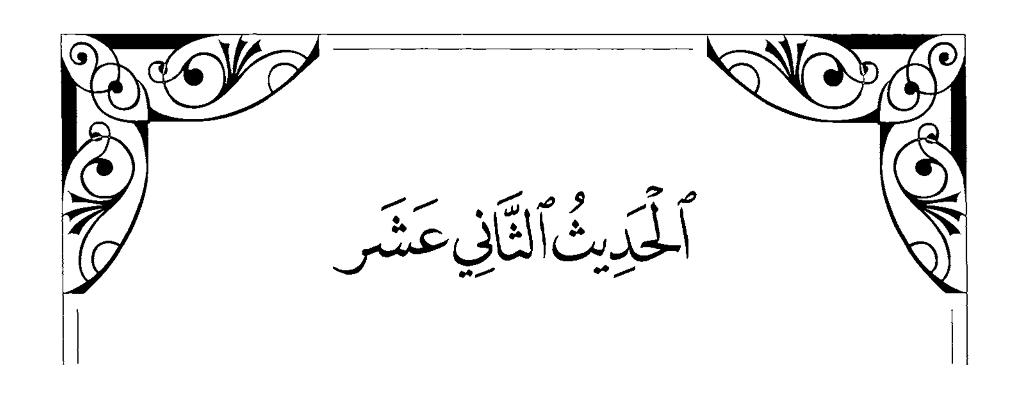
وقال: قال الترمذي: حديث حسن.

* **تنبيه:**

لا يخفى عليك أن الحافظ المصنف ـ رحمه الله ـ عدَّ حديثَ أنس رضي الله عنه حديثين؛ لاختلاف ألفاظ ما رواه أبو داود وما رواه الترمذي، وغير المصنف من الحفاظ عدوه حديثًا واحدًا، وذكروا اختلاف ألفاظه، وأن هذا الاختلاف لا يُخرجه عن أن يكون حديثًا واحدًا. والله أعلم.

* * *

= الحنبلي، المتوفى سنة (٨٥٦هـ)، شرح به أوراد والده المسماة: «الدر المنتقى في أوراد اليوم والليلة والأسبوع». انظر: «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١/ ٣٦٩، ٧٣٣).



الحديث الثاني عشر

٧٢٠ ـ عَنْ مُسْلِمِ بْنِ الْحَارِثِ التَّمِيمِيِّ ﵁، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَسَرَّ إِلَيْهِ فَقَالَ: «إِذَا انْصَرَفْتَ مِنْ صَلاَةِ الْمَغْرِبِ؛ فَقُلْ قَبْلَ أَنْ تَكَلَّمَ: اللَّهُمَّ أَجِرْنِي مِنَ النَّارِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ ذَلِكَ ثُمَّ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ؛ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا، وَإِذَا صَلَّيْتَ الصُّبْحَ؛ فَقُلْ كَذَلِكَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي يَوْمِكَ؛ كُتِبَ لَكَ جِوَارٌ مِنْهَا». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

(**عن مسلمِ بنِ الحارث التميمي ﵁**) هكذا في «فضائل الأعمال»، والذي في «ترغيب الحافظ المنذري»[2]، و«تحفة العباد في أدلة الأوراد»: الحارث بن مسلم التميمي.

وقال العلامة ابن مفلح في «فروعه»: وعن عبد الرحمن بن حسان، عن مسلم بن الحارث التميمي، عن أبيه، وقيل: الحارث بن مسلم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ، وذكر الحديث[3].

---

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٩).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٨٠).

(٣) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٧).

قال ابن الأثير في «جامع الأصول»: هو الحارث بن مسلم بن الحارث التميمي، قال البخاري: يختلف في اسمه، فقيل ما ذكرناه، وقيل: مسلم بن الحارث عن أبيه، قال أبو زرعة: والصحيح الأول.

حديثُه في الشاميين، روى عنه عبدُ الرحمن بنُ حسان. انتهى[١].

قال مسلمُ بنُ الحارث، أو الحارث بن مسلم: **(أنه)**؛ أي: رسول الله ﷺ **(أَسَرَّ إليه)**؛ أي: إلى مسلم بن الحارث، أو الحارث بن مسلم؛ أي: قال له سرًّا، **(فقال: إذا انصرفت من صلاة المغرب)**؛ أي: سلَّمت منها بعد فراغها؛ **(فقل قبل أن تكلم)** بفتح الفوقية على حذف إحدى التاءين تخفيفًا، وفي لفظ: «تتكلم» بإثباتهما[٢]؛ أي: وبعد قولك: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير عشر مرات»؛ كما تقدم[٣]، **(اللهمَّ أَجِرني)** بفتح الهمزة وقصرها، وكسر الجيم وسكون الراء **(من النار سبعَ مرات)**.

وفي رواية: «قبل أن تكلم أحدًا»[٤].

(فإنك إذا قلت ذلك)؛ أي: الذكر المذكور بالعدد المزبور **(ثم متَّ في ليلتك)** التي قلتَ الذكرَ بعد صلاة مغربها؛ **(كُتب لك)** ببنائه للمفعول **(جوار)**

---

(١) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (١٢/ ٣٠١).

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٣٩).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٢٠٢٢)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٣٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢/ ٧٩٤).

بالرفع نائب الفاعل، و(الجوار) بكسر الجيم وضمها، فراء؛ يعني: أمانًا وعهدًا **(منها)**.

وفي رواية: «كتب الله لك جوارًا من النار»[1].

(وإذا صليت الصبح؛ فقل كذلك)؛ أي: «اللهم أجرني من النار سبع مرات»؛ **(فإنك إن متَّ من يومك)** الذي قلتَ الذكرَ المذكور بالعدد المزبور بعدَ فراغ صلاة صبح ذلك اليوم؛ **(كُتِبَ)** بضمِّ الكاف مبنيًّا للمفعول **(لك جوارٌ)** ـ بالرفع ـ نائب الفاعل.

وفي رواية: «كتب الله لك جوارًا من النار»[2].

رواه أبو داود)، ورواه النسائي، ولفظه: قال: قال النبي ﷺ: «إذا صليت الصبح؛ فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرني من النار سبع مرات؛ **فإنك إن مت من يومك**؛ كتب الله لك جوارًا من النار، وإذا صليت المغرب؛ فقل قبل أن تتكلم: اللهم أجرني من النار سبع مرات؛ فإنك إن متَّ من ليلتك؛ كتب الله لك جوارًا من النار»[3].

قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود عن الحارث بن مسلم عن أبيه مسلم بن الحارث، قال: وهو الصواب؛ لأن الحارث بن مسلم تابعي، قاله أبو زرعة، وأبو حاتم الرازي. انتهى[4].

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (٩٩٣٩)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٩/ ٤٣٣).

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر التعليق السابق.

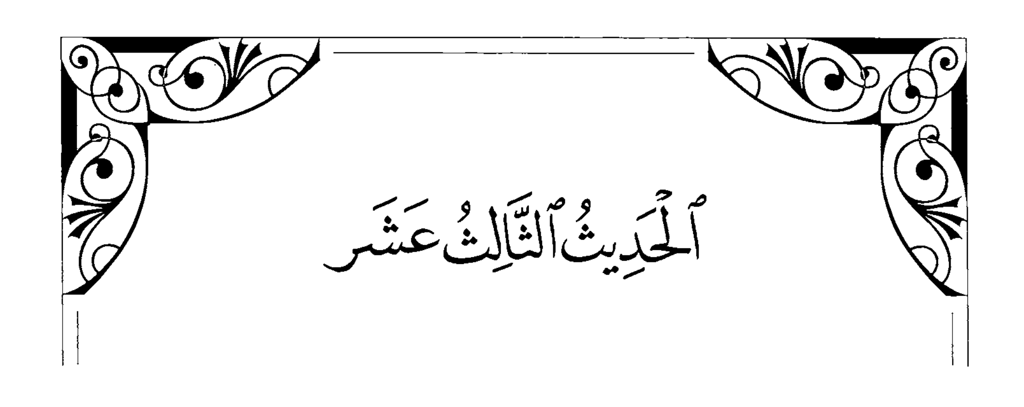
(٤) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (١/ ١٨٠).

قال في «الفروع»: قال الحارث: أَسَرَّها رسولُ الله ﷺ، ونحن نخصُّ بها إخواننا.

وروى الحديثَ المذكور سيدُنا الإمام أحمد، وفي لفظه: «قبل أن تكلم أحدًا من الناس»[1].

* * *

(١) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٣٩٨)، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٣٤).



الحديث الثالث عشر

٧٢١ ـ عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِيْنَ يُصْبِحُ أَوْ حِيْنَ يُمْسِي: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ أَوْ مِنْ لَيْلَتِهِ = دَخَلَ الْجَنَّةَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَهَذَا لَفْظُهُ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَل يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1]. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الجُزْءِ الأَوَّلِ حَدِيثُ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ نَحْوَ هَذَا.

(عن) أبي عبدِالله (بُريدةَ) بنِ الحصيبِ (الأسلميِّ ﷺ) تقدمت ترجمته في (المشي إلى الصلاة)، (عن النبيِّ ﷺ قال: من قال) من المسلمين (حين يصبح)؛ أي: وقت يدخل في الصباح، [وهو] ما بين طلوع الفجر الصادق وطلوع الشمس، (أو) قال الذكرَ الآتي ذكره (حين يمسي)؛ أي: يدخل في وقت المساء، وهو ما بين العصر وغروب الشمس؛ كما تقدم، ومقول القول سيدِ الاستغفار، وهو: (اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا

(١) رواه أبو داود (٥٠٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٢٠).

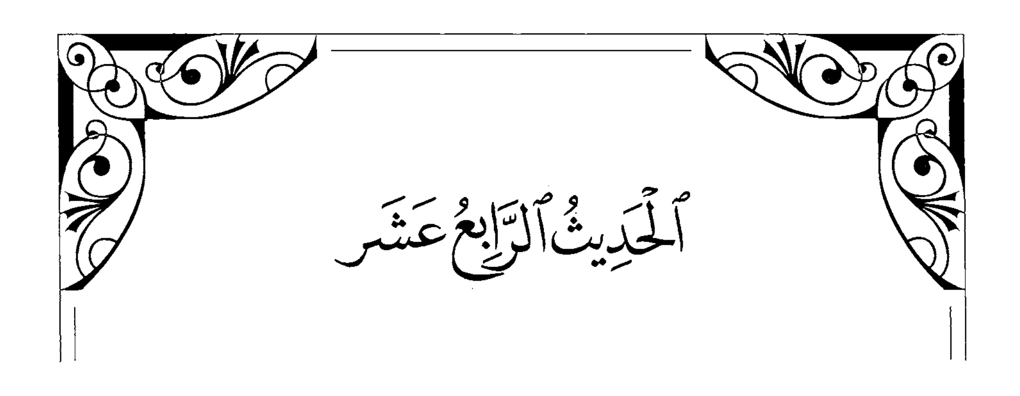
عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت)؛ أي: مدة استطاعتي، (**أعوذ بك**) يا ربِّ ومولاي (**من شرِّ ما صنعت**)؛ أي: من شر صنعي، (**أبوء**)؛ أي: أرجع وأعترف لك (**بنعمتك**) مفرد مضاف يعمُّ جميعَ النعم؛ كما مرَّ في حديث شداد بن أوس، (**وأبوء**)؛ أي: أعترف (**بذنبي**) كذلك مفرد مضاف يشمل جميعَ ذنوبه، (**فاغفر لي**) ذنوبي بمحوها من صحيفة عملي، أو استرني من شرها وغبها، (**إنه**)؛ أي: الشأن والأمر (**لا يغفر الذنوب**) كبائرَها وصغائرَها؛ من ذنوبي وذنوب غيري من سائر خلقك (**إلا أنت**)، ﴿وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾[آل عمران: ١٣٥].

من قال الذكرَ المذكور (**فمات من يومه**) الذي قال الذِّكر في صباحه؛ دخل الجنة، (**أو**) مات من قاله (**من ليلته**)؛ أي: مساء الليلة التي ذكر الذاكر فيه؛ (**دخل الجنة**) التي هي دار المتقين، ومأوى الصالحين.

(**رواه أبو داود، وهذا**) اللفظُ المذكور (**لفظُه، و**) ورواه (**النسائي في**) كتابه (**«عمل يوم وليلة»**).

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : (**وقد تقدَّم في آخر الجزء الأول**)؛ يعني: في أواخر (كتاب الصلاة) في (فضائل الأذكار) قبل (كتاب الجنائز)، وذلك أن الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ جزَّأ كتابه ثلاثة أجزاء (**حديثُ شدادِ بنِ أوسٍ**) رضي الله عنه (**نحو هذا**)، وقد شرحناه هناك، فأغنى عن إعادة شرحه. والله أعلم.

* * *



الحديث الرابع عشر

٧٢٢ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّـهِ ﷺ حَـدَّثَهُمْ أَنَّ عَبْدًا مِن عِبَادِ اللَّهِ قال: يا رَبِّ! لَكَ الْحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِـكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالْمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَا: يا رَبَّنَا! إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْـفَ نَكْتُبُهَـا، قَالَ اللهُ ﷻ ـ وَهُو أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ ـ: مَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَـا رَبِّ! إِنَّهُ قَدْ قَالَ: لَكَ يَـا رَبِّ الْحَمْـدُ كَمَـا يَنْبَغِـي لِجَـلَالِ وَجْهِـكَ وَعَظِـيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللهُ ﷻ لَهُمَا: اكْتُبَاهَـا كَمَـا قَـالَ عَبْـدِي حَتَّـى يَلْقَـانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمن **(عبدِالله بنِ عمرَ ﷺ: أن رسول الله ﷺ حدثهم)**؛ أي: هو ونفر من الصحابة ـ ﷺ أجمعين ـ قال: **(إن عبدًا من عبـاد الله)** ﷻ **(قال)** ذلك العبدُ: **(يا ربِّ! لك الحمدُ)**؛ أي: الثناء الجميل **(كمـا)**؛ أي: كالذي **(ينبغي)** ويليق بجميل أوصافك، وجزيل نعمائك مـن الحمـد **(لجـلال وجهك)** الكريم من الكبرياء والعظمة والقهر والهيبة، **(ولعظـيم سـلطانك)**

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠١).

السلطان: الحجة، وقدرة المَلِك، [وتضمُّ لامُه، والوالي، مؤنثٌ؛ لأنه جمع (سَلِيط)، للدُّهن، كأن به يضيء المُلك][1]، أو لأنه بمعنى الحجة.

والتسليط: التغليب، وإطلاق القهر والقدرة.

فالمعنى: لعظيم حجتك على خلقك، وقدرتك على بريتك، وقهرك لمتجبري عبادك.

(فعضَّلت) ـ بتشديد الضاد المعجمة ـ هذه المقالةُ **(بالملكين)** الكاتبين؛ أي: صَعُبَ عليهما، وعظمت واستغلق عليهما معناها، وضاق بها ذرعُهما، وقلَّت في إحصاء ثوابها حيلتُهما.

وأصل العضل: المنع، والشدة، يقال: أعضل بي الأمر: إذا ضاقت عليك فيه الحيل، ومنه: حديث أمير المؤمنين عمر ﷺ: قد أعضلَ بي أهلُ الكوفة، ما يرضونَ بأمير، ولا يرضى بهم أمير[2]؛ أي: ضاقت عليَّ الحيل في أمرهم، وصعبت عليَّ مداراتهم.

ومنه: قوله ﷺ: أعوذ بالله من كلِّ معضلة ليس لها أبو حسن[3]؛ يعني: أميرَ المؤمنين عليَّ بنَ أبي طالب ﷺ.

أراد: المسألة الصعبة، أو الخطةَ الضيقةَ المخارج، من الإعضال، أو التعضيل.

---

(١) ما بين معكوفين من «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: سلط).

(٢) رواه إبراهيم بن سعد في «جزئه» (١٤٦٠ ـ ضمن «الفوائد» لابن منده)، وأورده ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٥/ ٥٨).

(٣) أورده ابن قتيبة في «غريب الحديث» (٢/ ٦٤٩)، والزمخشري في «الفائق» (٢/ ٤٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٥/ ٣٦٩).

(**فلم يدريا**)؛ أي: الملكان الكاتبان (**كيف يكتبانها**)؛ أي: ثوابها وأجرها، (**فصعدا**)؛ أي: عرجا (**إلى السماء، فقالا: يا ربنا! إن عبدك قد قال مقالة**) من الثناء عليك بجلال وجهك وعظيم كبريائك، (**لا ندري كيف نكتبها، قال الله ﷻ ـ وهو**) سبحانه وتعالى (**أعلم ما قال**)؛ أي: هو ـ جل شأنه ـ أعلمُ بالذي قاله (**عبدُه**)، وإنما أراد تعالى التنويهَ بتفخيم ثوابِ هذه المقالة، وتعظيم ثوابها ـ (**ما قال عبدي؟ قالا: يا رب! قد قال: يا رب! لك الحمدُ كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، فقال الله ﷻ لهما**)؛ أي: للملكين الكاتبين: (**اكتباها**)؛ أي: مقالةَ عبدي (**كما قال عبدي**)، ودعاها مكتوبةً في صحيفة عمله كذلك (**حتى**)؛ أي: إلى أن (**يلقاني**) عبدي يومَ الحساب والنشور والجزاء، (**فأجزيه بها**)؛ أي: بأجرها وثوابها.

وإبهامُ ذلك وإخفاؤه للتفخيم والتعظيم، وأنه تعالى يُثيبه على ذلك الثوابَ الجزيل العميم.

(**رواه ابن ماجه**)، ورواه الإمام أحمد[1].

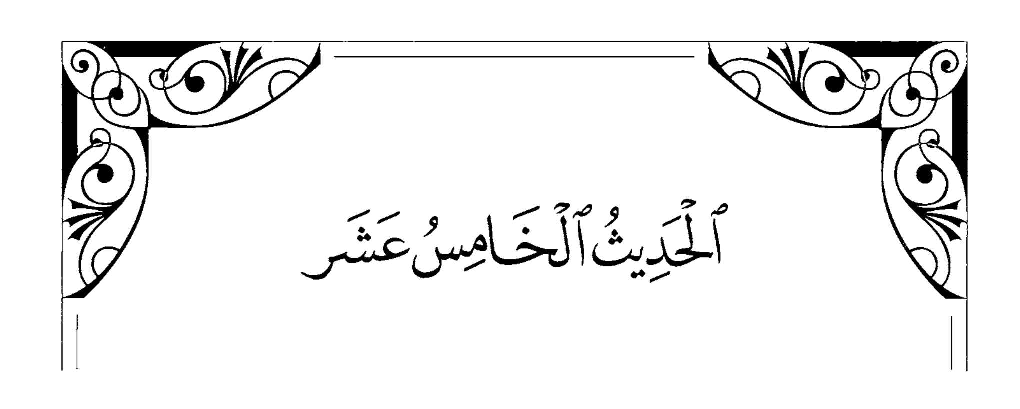
قال الحافظ المنذري: وإسناده متَّصل، ورواته ثقات[2].

* * *

---

(١) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٧)، وعزاه للإمام أحمد وابن ماجه. ولم نقف عليه عند الإمام أحمد، وتقدم تخريجه عند ابن ماجه.

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» المنذري (٢/ ٢٨٧)، زاد: إلا أنه لا يحضرني الآن في صدقة بن بشير مولى العمريين جرح ولا عدالة، وقال البوصيري في «مصباح الزجاجة» (٤/ ١٢٩): هذا إسناد فيه مقال، قدامة بن إبراهيم ذكره ابن حبان في «الثقات»، وصدقة بن بشير لم أر من جرحه ولا من وثقه، وباقي رجال الإسناد ثقات.



الحديث الخامس عشر

٧٢٣ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»، قَالُـ[ـوا]: فَمَاذَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «سَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ(١).

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: الدعاء لا يُرَدُّ بين الأذان والإقامة)، روى هذا القدر الإمامُ أحمد، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن حبان في «صحيحه»، وابن خزيمة في «صحيحه»، وزاد[ا]: «فادعوا»(٢).

وزاد الترمذي الزيادة التي ذكرها الحافظ المصنف، وهي: **(قالوا)**؛ أي: من كان حاضرًا من أصحابه، وسامعًا لمقالته: **(فماذا نقول)** في دعائنا

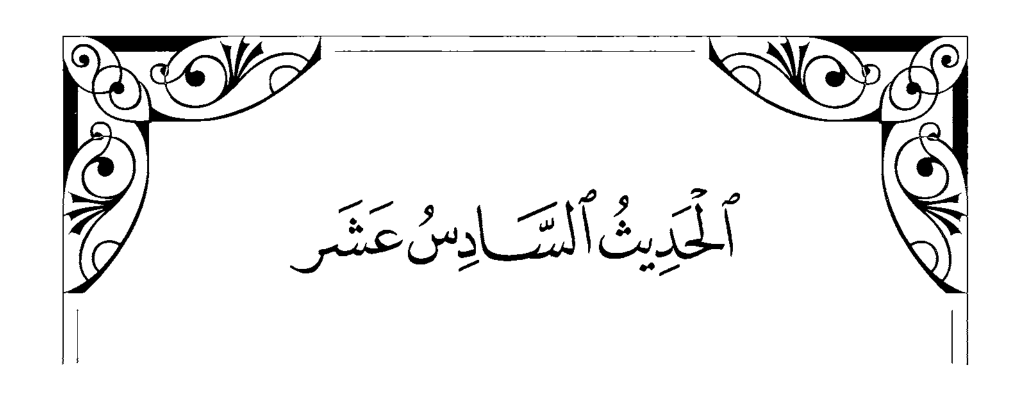
(١) رواه الترمذي (٣٥٩٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ١١٩)، وأبو داود (٥٢١)، والترمذي (٢١٢) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٩٥)، وابن حبان في «صحيحه» (١٦٩٦)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٤٢٥).

بين الأذان والإقامة **(يا رسول الله؟ قال)** ﷺ: **(سلوا الله)** ﷻ **(العافية)**؛ فإنها من الكلمات الجامعة لكل خير **(في الدنيا)** بصحة البدن، والتوفيق والعيش الهنيء، مع سعة الرزق وهداءة البال، **(و)** في **(الآخرة)** والمراد بها هنا: ما يشمل البرزخ؛ من النجاة من كل أهوال البرزخ، والإعانة على ردِّ السؤال، وتيسير الحساب، والنجاة من العذاب، والفوز بالدرجات العالية والنعيم المقيم، فهي من جوامع الدعاء، وجوامع كلماته ﷺ التي أوتيها.

(رواه الترمذي وقال): حديث **(حسن)**، وتقدم شرحه في (فضل الأذان).

* * *



الحديث السادس عشر

٧٢٤ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا الْعَبْدُ أَفْضَلَ مِنَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْمُعَافَاةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه[1].

(عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ما مِنْ دعوة يدعو بها العبد) ربه ﷻ (أفضل من) أن يقول في دعائه: (اللهم إني أسألك المعافاة)؛ أي: من الأسقام والآلام، والمحن والفتن (الدائمة) مدةَ حياة المرء (في الدنيا) متعلق بـ (المعافاة)، (والآخرة) من سؤال الملكين، ومن مناقشة الحساب، ومن جميع أهوال الآخرة.

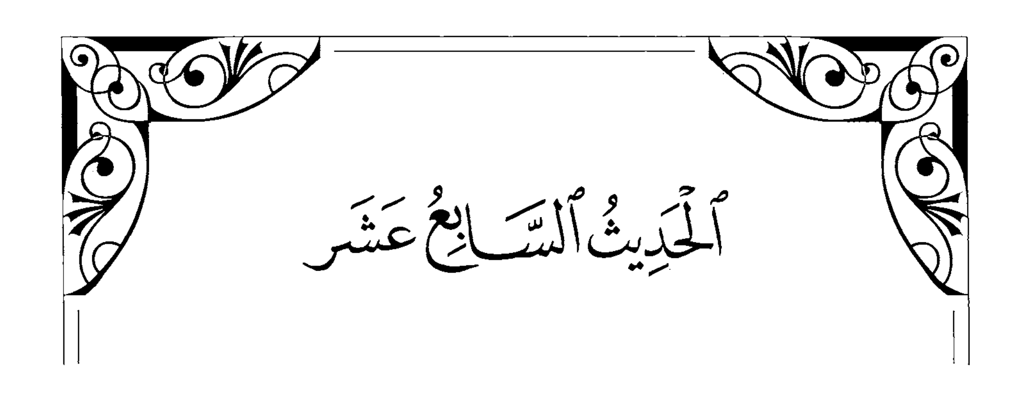
رواه ابن ماجه) قال الحافظ المنذري: بإسناد جيد[2].

قال الحافظ السيوطي وغيره: العافية أن تسلم من الأسقام والبلايا، وهي من الألفاظ العامة المتناولة لدفع جميع المكروهات في البدن والبطن، والدين والدنيا والآخرة.

* * *

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٥١).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ١٣٧).



الحديث السابع عشر

٧٢٥ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا سُئِلَ اللهُ شَيْئًا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العَافِيَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1].

عن) أبي عبدِ الرحمنِ عبدِالله (بنِ عمرَ رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قال: ما سئل) بضم السين المهملة وكسر الهمزة مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله (اللهُ) بالرفع نائب فاعل، والأصل: ما سأل العبادُ اللهَ عز وجل (شيئًا) مفعولٌ ثانٍ (أحبُّ) بالرفع خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هو أحبُّ (إليه)؛ أي: إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ (من العافية).

(رواه الترمذي) وقال: غريب، ورواه ابن أبي الدنيا، والحاكم في حديث، وقال: صحيح الإسناد[2].

قال الحافظ المنذري: رووه كلهم من طريق عبد الرحمن بن أبي بكر

---

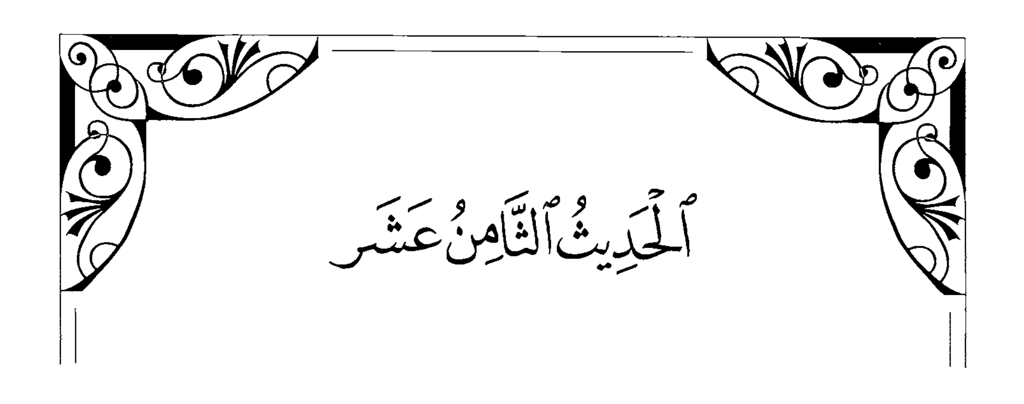
(١) رواه الترمذي (٣٥٤٨).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٣٣)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٣٨)، وعزاه لابن أبي الدنيا والحاكم، ولم نقف عيه في المطبوع من مصنفات ابن أبي الدنيا.

المليكي، وهو ذاهب الحديث، عن موسى بن عقبة، عن نافع، عنه[1].

* * *

(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ١٣٨).



الحديث الثامن عشر

٧٢٦ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ! أَيُّ الدُّعَاءِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «سَلْ رَبَّكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»، فَإِذَا أُعْطِيتَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ فَقَدْ أَفْلَحْتَ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه ـ وَاللَّفْظُ لَهُ ـ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1].

(عن) أبي حمزةَ (أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: أتى النبيَّ) منصوب على المفعولية (ﷺ رجلٌ) مرفوع على أنه فاعل (أتى)، وفي لفظ عنه: (أن رجلًا جاء إلى النبيِّ ﷺ)[2]، (فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟)؛ أي: أكثر ثوابًا، وأنجح فلاحًا، وأكمل صوابًا، (قال) رسولُ الله ﷺ للرجل: (سل

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٤٨)، والترمذي (٣٥١٢).

(٢) هذا لفظ الترمذي.

ربك) ﷻ ـ أمرُ إرشاد وتعليم ـ **(العفوَ)**؛ أي: الفضل والنماء؛ من عفو الشيء، وهو كثرته ونماؤه، أو المراد: سله ـ سبحانه وتعالى ـ تركَ المؤاخذة بالذنوب، ومحو غبها، والمسامحة عنها، **(والعافية)**؛ أي: السلامة من المكاره **(في الدنيا والآخرة)**.

قد قدَّمنا أن العافية من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة؛ فإن المراد: إذا حصلت له العافية في الدنيا من جميع المكاره؛ من الأسقام والآلام والأوصاب، ومن النصب والتعب، وما يغشاه من الظلم والقهر وسائر المؤذيات والمكروهات = فقد أفلح وفاز، وظفر بكل محبوب، وسلم من كل مرهوب.

(ثم أتاه) ـ بقصر الهمزة ـ بمعنى: جاءه **(في اليوم الثاني فقال)** للنبيِّ ﷺ ثانيًا: **(يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟ قال)** له النبي ﷺ ثانيًا: **(سل ربك)** ﷻ **(العفوَ)** عن الذنوب والآثام، **(والعافية)** من الأوصاب والآلام **(في)** دار **(الدنيا، و)** في دار **(الآخرة، ثم أتاه)**؛ أي: جاء الرجل إلى النبي ﷺ ثالثًا **(في اليوم الثالث فقال)** له ثالثًا: **(يا نبي الله! أيُّ الدعاء أفضل)** عند الله حتى أدعو به، وألهج به في جميع أوقاتي، وأسأل الله به لجميع مهماتي؟ **(قال)** له النبي ﷺ ثالثًا: **(سل ربك العفو والعافية)**، وفي لفظ: «سل ربك العافية والمعافاة»[1]، **(في الدنيا والآخرة)**؛ في الدنيا بالسلامة من المكروهات؛ من نحو الأسقام والآلام، وفي الآخرة من نحو مناقشة الحساب، وشدة العذاب، وألم العتاب، **(فإذا أُعطيت)** ـ بضم الهمزة وسكون العين المهملة

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

وكسر الطاء المهملة مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله، والتاء نائب الفاعل ـ ؛ أي: إذا أعطاك الله ﷻ **(العفو)**، وهو متضمن للعفو عن الماضي والآتي، **(والعافية)** في الحال، والمعافاة في الاستقبال بدوام ذلك **(في الدنيا والآخرة)**، وفي لفظ: «فإذا أعطيت العافية في الدنيا وأعطيتها في الآخرة»[1]؛ **(فقد أفلحت)**؛ أي: فزتَ وظفرتَ.

وتقدم أن الفلاح من الكلمات الجامعة لخيري الدنيا والآخرة.

قال في «النهاية»: الفلاح: البقاء والفوز والظفر، وهو من (أفلح)؛ كالنجاح من (أنجح)[2]. وتقدم الكلام عليه في الأذان.

(رواه ابن ماجه، واللفظ) المذكورُ **(له، و)** رواه **(الترمذي)**، ولفظه: عن أنس ﷺ: أن رجلًا جاء إلى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله! أي الدعاء أفضل؟ قال: «سل ربك العافية والمعافاة في الدنيا والآخرة»، ثم أتاه في اليوم الثاني فقال: يا رسول الله! أيُّ الدعاء أفضل؟ [فـ]ـقال له مثل ذلك، ثم أتاه في اليوم الثالث فقال له مثل ذلك، قال: «فإذا أُعطيت العافية في الدنيا، وأعطيتها في الآخرة؛ فقد أفلحت»، **(وقال)** الترمذي: **(حديث حسن)**.

ورواه ابنُ أبي الدنيا أيضًا[3]، كلهم رواه من حديث سلمةَ بنِ وردانَ،

---

(١) هذا لفظ الترمذي.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٤٦٩).

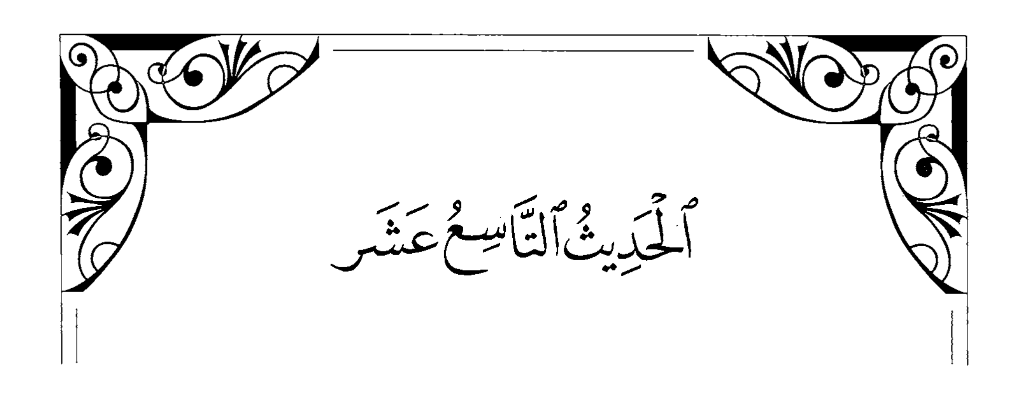
(٣) أورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٣٧)، وعزاه لابن أبي الدنيا. ولم نقف عليه في المطبوع من مصنفات ابن أبي الدنيا.

وهو ضعيف، وقال أبو حاتم: ليس بقويٍّ، عامةُ ما عنده عن أنس منكَر[1]، وقال يحيى: ليس حديثه بذاك[2]، وحسَّن له الترمذي.

* * *

(١) انظر: «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم (٤/ ١٧٤)، وفيه: ليس بقوي، تدبرت حديثه فوجدت عامتها منكرة، لا يوافق حديثه عن أنس حديث الثقات إلا في حديث واحد، يكتب حديثه.

(٢) انظر: «تاريخ ابن معين» (ص: ١٢٦ ـ رواية الدارمي).



الْحَدِيثُ التَّاسِعُ عَشَر

٧٢٧ ـ عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ ﷻ، قَالَ: «سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ»، فَمَكَثْتُ أَيَّامًا، ثُمَّ جِئْتُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلِّمْنِي شَيْئًا أَسْأَلُهُ اللَّهَ، فَقَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ! يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ! سَلِ اللَّهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ(١).

(عن) أبي الفضل (العباسِ بنِ عبدِ المطلب ﷺ) عمِّ رسولِ الله ﷺ، كان أسنَّ من النبي بسنتين، وقيل: بثلاثة، وأمه امرأة من النَّمِرِ بنِ قاسط، اسمها نتيلة ـ بضم النون وفتح المثناة فوق ـ وهي أول عربية ألبست الكعبة الحريرَ والديباج وأصناف الكسوة(٢)، وذلك أن العباس ضلَّ وهو صبيٌّ، فنذرت إن وجدته لتكسونَّ البيتَ الحرام، فوجدته، ففعلت ذلك.

وكان العباس ﷺ رئيسًا في الجاهلية، وإليه كانت عمارة المسجد الحرام والسقاية، وكان قد حضر بيعةَ العقبة يسدد العقدَ مع الأنصار للنبي ﷺ،

---

(١) رواه الترمذي (٣٥١٤).

(٢) في الأصل: «وأضاف النسوة»، والتصويب من «أسد الغابة» لابن الأثير (٣/ ١٦٣).

ولم يكن أسلمَ حينئذ، وكان أنصر الناس لرسول الله ﷺ بعد أبي طالب، وكان جوادًا، وصولًا للرحم، وكان النبي ﷺ يُكرمه ويُجِلُّه.

ولد العباس رضي الله عنه قبل سنة الفيل، ومات يوم الجمعة لاثنتي عشرة خلت من شهر رجب سنة اثنتين وثلاثين، وهو ابن ثمان وثمانين سنة، ودفن بالبقيع، وعليه قبة عالية مشهورة تُزار ويتبرك بها، وفيها عدة من أهل البيت، منهم سيدة نساء العالم فاطمةُ أم السِّبطين بنت سيد الكونين ﷺ، وفيها قبر الحسن والحسين على التحقيق عند المؤرخين، وصلى على العباس رضي الله عنه عثمانُ بنُ عفانَ رضي الله عنه.

وكان له من الولد عشر بنين: الفضل، وهو أكبرهم، وبه كان يُكنى، وعبدالله، وهو أشهرهم، وعبيدالله، وعبد الرحمن، وقُثم، ومعبد، والحارث، وكثير، وعوف، وتمام.

وله ثلاث بنات: آمنة، وأم حبيبة، وصفية.

وكان العباس رضي الله عنه أسلم قديمًا، وكتم إسلامه، وخرج مع المشركين يوم بدر مُكرهًا، فقال النبي ﷺ: «مَن لقي العباسَ، فلا يقتله؛ فإنه خرج مكرَهًا»[1]، فأسره أبو اليَسَر ـ بفتح المثناة تحت وفتح السين المهملة ـ كعبُ بنُ عمرٍو، ففادى نفسَه، ورجع إلى مكة، ثم أقبل إلى المدينة مهاجرًا بعد أن أسلم.

وقيل: إنه أسلم قبل الهجرة، وإنما كان يكتم إسلامه، ويكتب أخبار المشركين للنبي ﷺ.

---

(١) أورده ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٢/ ٨١٢).

وكان عَوناً للمستضعفين من المسلمين، وكان قد أراد القدوم، فقال له النبي ﷺ: «مقامُك بمكة خيرٌ»، حكاه النووي عن «مسند أبي يعلى الموصلي»، عن سهل بن سعد[1].

وقد قال ابن المسيب ـ رحمه الله تعالى ـ : العباس خير هذه الأمة، وإرثُ النبي ﷺ، وعمه رضي الله عنه[2].

ولا يظن بسعيد بن المسيب أنه يفضله على الخلفاء الأربعة، وإنما مراده: خير الأمة سوى الخلفاء الراشدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

روي للعباس رضي الله عنه عن النبي ﷺ خمسةٌ وثلاثون حديثاً، اتفق الشيخان على حديث، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بثلاثة.

روى عنه: ابنهُ كثير، وعبدالله بن الحارث، ونافع بن جُبير بن مطعم، وعامر بن سعد بن أبي وقاص. والله أعلم.

(قال) العباسُ بنُ عبدِ المطلبِ رضي الله عنه **(قلت: يا رسول الله! علمني شيئًا)** عظيمًا نفعُه، كبيرًا عَوده، **(أسأله الله عز وجل)**؛ أي: أطلبه من الله عز وجل ربِّ العالمين، الجوادِ الكريم، **(قال)** النبي ﷺ مجيبًا سؤالَ عمه العباس رضي الله عنه: **(سل الله)** الكريم الحليم الجوادَ العظيمَ **(العافية)**؛ فإنها كلمة جامعة لجميع خصال الخير النافعة.

---

(١) انظر: «تهذيب الأسماء واللغات» للنووي (١/ ٢٤٤)، والحديث رواه أبو يعلى في «مسنده» (٢٦٤٦)، وفيه أبو مصعب إسماعيل بن قيس. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٩/ ٢٦٩): متروك.

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٦/ ٣٧٤).

قال العباس رضي الله عنه: **(فمكثت)** بعدَ سؤالي النبي ﷺ وجوابه لي **(أيامًا)** قليلةً، **(ثم جئت فقلت: يا رسول الله! علمني شيئًا)**: خصَّني به **(أسأله الله)** عز وجل قال العباس رضي الله عنه: **(فقال لي)** رسولُ الله ﷺ ثانيًا: **(يا عباسُ)** ناداه بـ (يا) التي أصل وضعها لنداء البعيد مع قربه؛ إشارةً إلى عظم ما يلقيه إليه، وبعد مدى ما يدله عليه، وليتنبه بعظم مقامه إلى إدراك معنى كلامه، ولذا قال: **(يا عمَّ رسول الله ﷺ! سلِ الله العافيةَ في الدنيا)** بالسلامة من الأسقام، والأوصاب والآلام، وسائر أنواع الأذى والمكروهات للأنام، **(و) في (الآخرة)** من الفتن عند الموت وبعدَه، وسؤال الملكين، ومناقشة الحساب، ووصمة العتاب، وشدة العذاب.

(رواه الترمذي وقال): حديث **(حسن صحيح)**.

وروى ابن أبي الدنيا والحاكم ـ وقال: صحيح على شرط البخاري ـ عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يا عباس! [يا] عمَّ النبي! أكثِرْ من الدعاء بالعافية»(١).

قلت: وكأن الحافظ المصنف ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ أعقب حديثَ أنس بحديث العباس يشير إلى أن الرجل المبهم في حديث أنس رضي الله عنه هو العباس رضي الله عنه.

وروى مسلم في «صحيحه» من حديث أبي مالكٍ الأشجعيِّ، [عن أبيه] رضي الله عنه: أن رجلًا أتى النبيَّ ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف أقول حين أسألُ

---

(١) رواه ابن أبي الدنيا في «الشكر» (١٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٣٩).

ربي؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني وارزقني ـ وجمع أصابعه إلا الإبهامَ ـ ؛ فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك»[1].

ورواه الإمام أحمد[2]، ولفظه كما في «سنن ابن ماجه» قال: حدثنا أبو مالك سعدُ بنُ طارقٍ عن أبيه: أنه سمع النبي ﷺ و[قد] أتاه رجل[3].

وفي لفظ آخر عن طارقِ بنِ أشيمَ قال: كان النبي ﷺ يُعَلِّمُ مَنْ أسلمَ أن يقول: «اللهم اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني»[4].

وفي حديث سعدِ بنِ أبي وقاصٍ رضي الله عنه قال: جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال: علِّمني كلامًا أقوله، قال: «قل: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله رب العالمين، لا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم»، قال: هؤلاء لربي، فما لي؟ قال: «قل: اللهم اغفر لي وارحمني، واهدني وارزقني»[5]، وزاد من حديث أبي مالك الأشجعي: «وعافني». رواه مسلم[6].

وعن أبي بكر الصدِّيق رضي الله عنه: أنه قام على المنبر ثم بكى، فقال: قام

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٧/ ٣٦).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٢).

(٣) رواه ابن ماجه (٣٨٤٥).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١٩٤٠) وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (٢٥٩).

(٥) رواه مسلم (٢٦٩٦/ ٣٣).

(٦) رواه مسلم (٢٦٩٧/ ٣٥).

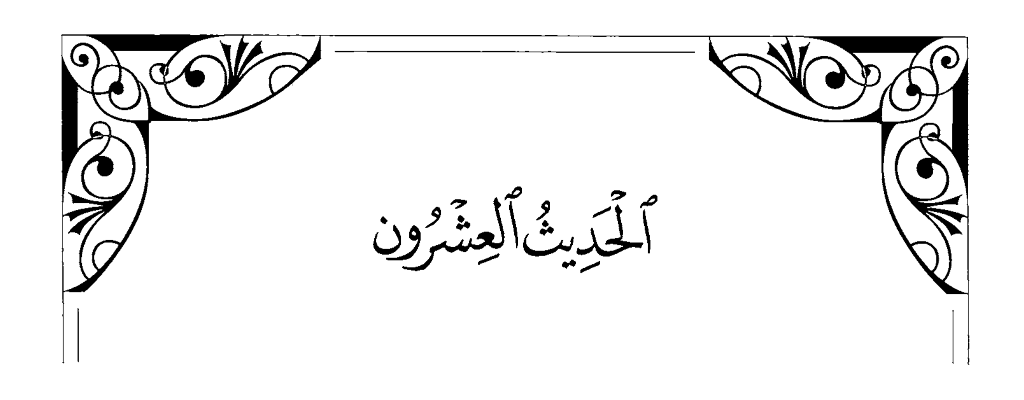
فينا رسول الله ﷺ عامَ أولَ على المنبر ثم بكى، فقال: «سلوا الله العفوَ والعافية؛ فإن أحدًا لم يُعْطَ بعد اليقين خيرًا من العافية». رواه الترمذي ـ وحسَّنه ـ والنسائي من طرق، وعن جماعة من الصحابة، وأحد أسانيده صحيح[1]، ورواه الإمام أحمد في «المسند»[2].

فمعنى العفو: محو الذنب، ومعنى العافية: السلامة من الأسقام والآلام والبلاء والأذى.

* * *

(١) رواه الترمذي (٣٥٥٨) وقال: حديث حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٧١٥، ١٠٧٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١/ ٨).



الحَدِيثُ العِشْرُون

٧٢٨ ـ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ يَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، إِلَّا كُفِّرَتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ[1]، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[2].

(**عن عبدِالله بنِ عمرِو**) بنِ العاص (رضي الله عنهما **قال: قال رسول الله ﷺ: ما على**) وجه (**الأرض أحدٌ**) من الخلق من الإنس والجن (**يقول: لا إله إلا الله**)؛ أي: لا معبود بحق في الوجود إلا الله، (**والله أكبر**) من كل كبير، (**ولا حول**) عن معصية، ولا عن شيء ما، (**ولا قوة**) على طاعة، ولا على شيء ما (**إلا بالله**) العلي العظيم، القوي الحكيم، وكان قولُه للذِّكر المذكور عن حضور قلب، وإخلاص لبٍّ، واعتقاد صحيح جازم، وحسن اتباع، وترك ابتداع، (**إلا كفرت**)؛ أي: محيت وسترت (**عنه**)؛ أي: عن قائلها بإخلاص ويقين غِبُّ (**خطاياه**) وذنوبه، فلا يعاقَب عليها (**ولو كانت**) خطاياه

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٠).

(٢) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢٢).

في الكثرة (**مثلَ زبد البحر**)، مبالغة في الكثرة، وإلا هذا محال أن يكون لأحدٍ من الذنوب والأوزار مثلُ هذا القدر.

(**رواه الترمذي وقال**): حديث (**حسن، ورواه النسائي في**) كتابه (**«عمل يوم وليلة»**).

وروى شعبة هذا الحديث عن أبي بلج[1] نحوه، ولم يرفعه[2].

ورواه ابن أبي الدنيا، والحاكم، وزاد: «وسبحان الله، والحمد لله»[3]، وقال الحاكم: حاتم ثقة، وزيادته مقبولة[4]؛ يعني: حاتم بن أبي صغيرة[5].

* * *

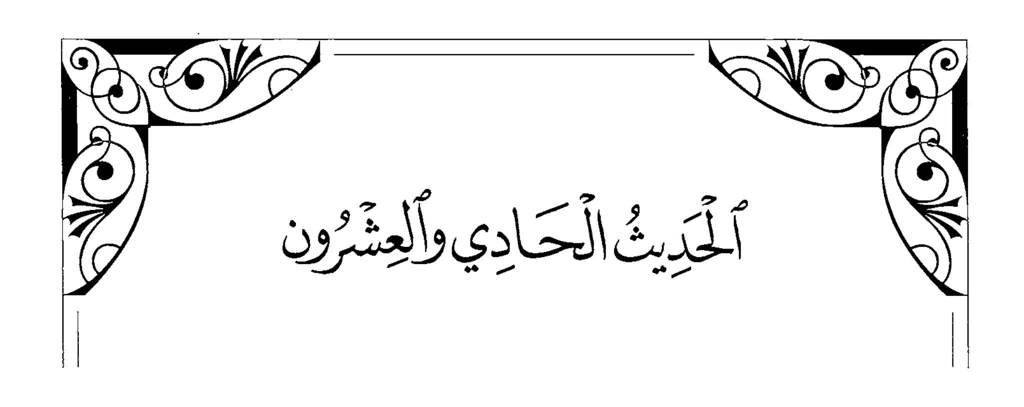
(١) في الأصل: «بلح»، والتصويب من مصدري التخريج.

(٢) رواه الترمذي (٣٤٦٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٥٤).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٥٣)، وأورده المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٢)، وعزاه لابن أبي الدنيا والحاكم. ولم نقف عليه في المطبوع من مصنفات ابن أبي الدنيا.

(٤) انظر: «المستدرك» للحاكم (١/ ٦٨٢).

(٥) في الأصل: «أبي ظفيرة»، والتصويب من «سنن الترمذي» و«مستدرك الحاكم».



الحديث الحادي والعشرون

٧٢٩ ـ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى مِنَ الْكَلاَمِ أَرْبَعًا: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً، وحُطَّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ؛ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ فَمِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ؛ كُتِبَ لَهُ ثَلاَثُونَ حَسَنَةً، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا ثَلاَثُونَ سَيِّئَةً». رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ(١).

(**عن أبي سعيد وأبي هريرة** رضي الله عنهما **عن النبي** ﷺ **قال: إن الله**) عز وجل (**اصطفى**)؛ أي: اختار، افتعال من الصفوة، وهي ضد الكدر ونقيضه، فمعنى اصطفى: اختار واستخلص (**من الكلام أربعًا**) من الكلمات، وهي: (**سبحان الله**)؛ أي: أنزِّه الله عن جميع النقائص والرذائل، ومن الصاحبة والولد، (**والحمد**)؛ أي: الثناءُ وتعدادُ المحاسن والمحامد (**لله**) عز وجل،

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٠٢). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٨): رجاله رجال الصحيح.

(ولا إله) معبودٌ بحقٍّ في الوجود **(إلا الله)** الغنيُّ عن كل ما سواه، المفتقرُ إليه كلُّ ما عداه، **(والله أكبر)** من كل كبير، وأجلُّ من كل جليل، وأعظم من كل عظيم.

ثم بيَّن ﷺ فضلَ كل كلمة من الأربع فقال: **(من قال)** من المسلمين: **(سبحان الله؛ كُتب)** بضم الكاف وكسر الفوقية مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله **(له)**؛ أي: لمن قال: سبحان الله **(عشرون)** نائب الفاعل، وقوله: **(حسنة)** تمييز؛ أي: كتب الله له بقوله مرةً: سبحان الله عشرين من الحسنات؛ أي: أمر الملك أن يكتب له ذلك، **(وحُط)** بضم الحاء المهملة وإدغام إحدى الطاءين في الأخرى مبنيًّا للمفعول **(عنه)**؛ أي: عن مَنْ قال: سبحان الله **(عشرون)** نائب الفاعل **(سيئة)** تمييز؛ أي: أسقط الله ومحا عنه عشرين خطيئة، فلا يعاقَب عليها، ولا يؤنب عليها، **(ومن قال)** من المسلمين: **(الله أكبر؛ فمثل ذلك)**؛ أي: كتب الله له بها عشرين حسنة، وحط عنه عشرين، **(ومن قال)** من أمة محمدٍ المسلمين: **(لا إله إلا الله؛ فمثل ذلك)**؛ أي: أمر اللهُ الحفظةَ من الملائكة أن يكتبوا له عشرين حسنة، ويحطوا عنه عشرين سيئة، **(ومن قال: الحمد لله ربِّ العالمين)** مخلصًا **(من قِبل)**؛ أي: من عند **(نفسِه)**؛ بأن قصد بها الإنشاء والإخبار، وكان مخلصًا في ثنائه للواحد القهار؛ **(كتب)** بضم الكاف وكسر التاء المثناة من فوق مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله **(له)**؛ أي: لقائل الذكر المذكور مخلصًا من قبل نفسه **(بها)**؛ أي: بهذه الكلمة ـ وهي قوله: (الحمد لله رب العالمين) ـ **(ثلاثون حسنة، وحط بها ثلاثون سيئة)**؛ أي: أمر الحق ـ جل جلاله ـ أن يكتب له ذلك في صحيفة عمله، وذلك أن الحمد أفضل من التسبيح.

قال الحافظ ابن رجب في «شرح الأربعين النووية»: وبكل حال فالتسبيح دون التحميد في الفضل؛ كما جاء صريحًا في حديث علي[1]، وأبي هريرة[2]، وعبدالله بن عمرو[3]، وغيرهم ﷺ: أن التسبيح نصفُ الميزان، والحمدُ لله تملؤه.

قال: وسبب ذلك أن التحميد إثباتُ المحامد كلها لله ﷻ فدخل في ذلك إثباتُ صفات الكمال، ونعوت الجلال كلها، والتسبيح هو تنزيه الله عن النقائص والعيوب والآفات، والإثبات أكمل من السلب، ولهذا لم يرد التسبيح مجردًا، لكن مقروناً بما يدل على إثبات الكمال، فتارة يقرن بالحمد؛ كقوله: «سبحان الله والحمد لله»، وتارة باسم من الأسماء الدالة على العظمة والجلال؛ كقوله: «سبحان الله العظيم».

وأما حديث أبي موسى الأشعري ﷺ ففي رواية مسلم: «سبحان الله والحمد لله تملأ ـ أو تملآن ـ ما بين السماء والأرض»[4]، فشك الراوي في

---

(١) سيأتي قريبًا عند الفريابي.

(٢) رواه ابن راهويه في «مسنده» (٣٤٠)، والشجري في «الأمالي الخميسية»، انظر: «ترتيب الأمالي» للعبشمي (١٠٧٧)، والجورقاني في «الأباطيل والمناكير» (٤٤)، وقال: حديث باطل، تفرد به عبد الرحمن بن زياد الإفريقي، قال الإمام أحمد: ليس بشيء، وقال يحيى بن معين: ضعيف.

(٣) رواه الترمذي (٣٥١٨)، الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (٧٤٩)، وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الإفريقي. قال الترمذي: حديث غريب من هذا الوجه، وليس إسناده بالقوي.

(٤) رواه مسلم (٢٢٣/ ١) من حديث أبي مالك الأشعري ﷺ.

الذي تملأ ما بين السماء والأرض، هل هو الكلمتان أو إحداهما؟

وفي رواية للنسائي، وابن ماجه: التسبيح والتكبير ملءُ السماء والأرض[1].

قال الحافظ ابن رجب: وهذه الرواية أشبه[2]، وهل المراد أنهما معًا يملآن ما بين السماء والأرض، أو أن كلًّا منهما تملأ ذلك.

وفي حديث أبي هريرة: أن التكبير وحده يملأ ما بين السماء والأرض.

وفي حديث أبي مالك عند مسلم وغيره: «والحمد تملأ الميزان»، فإن كان حديث أبي مالك يدل على أن الذي يملأ ما بين السماء والأرض مجموع التسبيح والتكبير؛ فالأمر ظاهر؛ يعني: أن الحمد أفضل من التسبيح، وإن كان المراد أن كلًّا منهما يملأ ذلك؛ فإن الميزان أوسعُ مما بين السماء والأرض، فما يملأ الميزان فهو أكثر مما يملأ ما بين السماء والأرض، ويدل عليه إن صح عن سلمان الفارسي رضي الله عنه: أنه قال: «يوضع الميزان يوم القيامة، فلو وزن فيه السماوات والأرض، لوسعت، فتقول الملائكة: يا رب! لمن يزن هذا؟ فيقول الله تعالى: لمن شئتُ من خلقي، فتقول الملائكة: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك»، وخرجه الحاكم مرفوعًا، وصححه[3]، ولكن الموقوف هو المشهور[4].

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢١٦)، والحديث رواه النسائي (٢٤٣٧)، وابن ماجه (٢٨٠)، من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه.

(٢) كذا في الأصل، وفي «جامع العلوم»: «أسند».

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٨٧٣٩).

(٤) رواه ابن المبارك في «الزهد» (١٣٥٧)، وابن الأعرابي في «معجمه» =

وأما التكبير؛ ففي حديث أبي هريرة، ورجل من بني سليم: أنه وحده يملأ ما بين السماء والأرض[1].

وفي حديث علي رضي الله عنه عند جعفر الفريابي في كتاب «الذكر» وغيره مرفوعًا: «الحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله نصف الميزان، ولا إله إلا الله والله أكبر ملءُ السماوات والأرض وما بينهن»[2].

وخرج الفريابي ـ أيضًا ـ من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه مرفوعًا: «كلمتان إحداهما من قالها لم يكن لها ناهية دون العرش، والأخرى تملأ ما بين السماء والأرض: لا إله إلا الله، والله أكبر»[3].

قال الحافظ ابن رجب: أما التهليل وحده، فإنه يصل إلى الله من غير

= (٤/ ٢٨٨)، والآجري في «الشريعة» (٨٩٥).

(١) تقدم حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وأما حديث الرجل؛ فرواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٦٠)، والترمذي (٣٥١٩) وقال: حديث حسن، والدارمي في «سننه» (٦٥٤).

(٢) أورده ابن رجب في «جامع العلوم الحكم» (ص: ٢١٥ ـ ٢١٦)، وعزاه للفريابي في «الذكر».

(٣) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢١٥)، ولم نقف عليه عند الفريابي، ورواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠/ ١٦٠)، والديلمي في «الفردوس» (٤٨٨٩). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٨٢): رواه الطبراني، ورواته إلى معاذ بن عبدالله ثقات سوى ابن لهيعة، ولحديثه هذا شواهد، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٦): معاذ بن عبدالله بن رافع لم أعرفه، وابن لهيعة حديثه حسن، وبقية رجاله ثقات.

حجاب بينه وبينه.

وفي حديث أبي هريرة ﷺ عند الترمذي عن النبي ﷺ قال: «ما قال عبدٌ: لا إله إلا الله مخلصًا، إلا فتحت له أبواب السماء حتى تُفضي إلى العرش ما اجْتُنبت الكبائر»[1].

وقال أبو أمامة: ما من عبد يُهلِّل تهليلةً فينهنها شيءٌ دون العرش[2].

وورد أنه لا يعدلها شيء في الميزان في حديث البطاقة المشهور، وتقدم، وقد خرجه الإمام أحمد، والترمذي، والنسائي، وفي آخره عند الإمام أحمد: «ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم»[3].

وتقدم ما في «المسند» عن عبدالله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ: أنه قال: «إن نوحًا لما حضرته الوفاة؛ قال لابنه: آمرك بلا إله إلا الله؛ فإن السماوات السبعَ، والأرضينَ السبعَ لو وُضعت في كِفَّة، ووضعت لا إله إلا الله في كفة؛ لرجحت بهنَّ لا إله إلا الله»[4].

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٩٠) وقال: حديث حسن غريب.

(٢) أورده الذهبي في «العلو للعلي الغفار» (ص: ٧٢)، وفي إسناده عبدالله بن بسر اليحصبي، قال الذهبي: ضعيف.

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٣)، والترمذي (٢٦٣٩) وقال: حديث حسن غريب، من حديث عبدالله بن عمرو ﷺ، ولم نقف عليه عند النسائي، ورواه ابن ماجه (٤٣٠٠).

(٤) انظر: «جامع العلوم والحكم» لابن رجب (ص: ٢١٦)، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٦٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢٠): رجاله ثقات.

وقد قدمنا هذا في (فضل لا إله إلا الله) قُبيل (كتاب الجنائز).

قال الحافظ ابن رجب: وقد اختلف في أي الكلمتين أفضل: كلمة الحمد، أم كلمة التهليل؟ وقد حكى هذا الاختلاف ابنُ عبد البر، وغيره.

وقال النخعي: كانوا يرون الحمد أكبر الكلام تضعيفًا.

وقال الثوري: ليس يضاعف من الكلام مثل الحمد لله، والحمد لله يتضمن إثباتَ جميع أنواع الكمال لله، فيدخل فيه التوحيد[1].

واستدلوا بمثل هذا الحديث الذي نحن بصدد شرحه من حديث أبي سعيد، وأبي هريرة رضي الله عنهما.

(**رواه الإمام أحمد في «المسند»**)، ورواه الحاكم وقال: على شرط مسلم[2]، وأقرُّوه.

ورواه الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ في «المختارة»، وزاد في آخره: «ومن أكثر ذكر الله؛ فقد بريء من النفاق»[3].

قال الحافظ ابنُ رجب: وقد روي هذا عن كعب من قوله[4]، وقيل:

---

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢١٧).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٨٦).

(٣) لم نقف عليه في «المختارة»، وروى هذه الزيادة الطبراني في «المعجم الأوسط» (٦٩٣١)، و«المعجم الصغير» (٢/ ١٧٢)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٦).
قال المناوي في «فيض القدير» (٦/ ٨٣): فيه مؤمل بن إسماعيل، قال الذهبي في «الذيل»: قال البخاري: منكر الحديث، وسهيل بن أبي صالح أورده الذهبي في «الضعفاء» وقال: ثقة، وقال ابن معين وغيره: ليس بقوي.

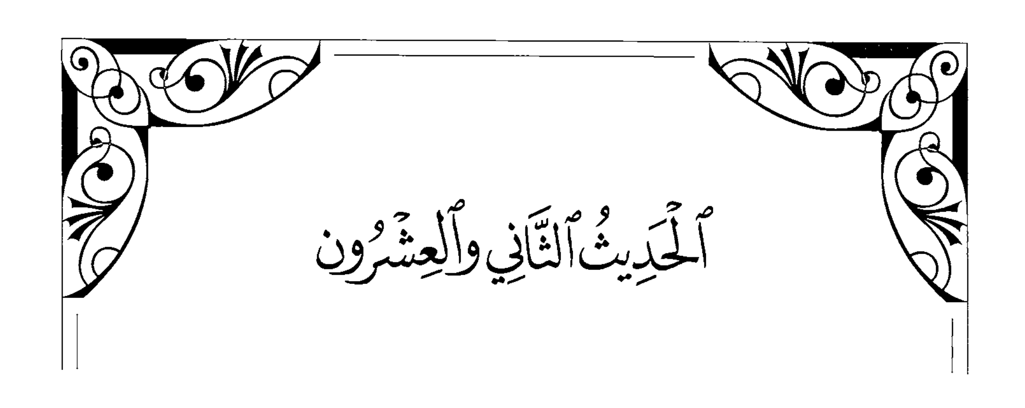
(٤) رواه البيهقي في «شعب الإيمان» (٥٧٧) وقال: وهو أصح من رواية مؤمل.

إنه أصح من المرفوع. انتهى[1].

قلت: المعتمد المشهور تفضيلُ التهليل على غيره مطلقًا. والله أعلم.

* * *

(١) انظر: «جامع العلوم والحكم» (ص: ٢١٧).



الحديث الثاني والعشرون

٧٣٠ ـ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ؛ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(**عن جابرِ بنِ عبدالله رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: من قال**) من المسلمين بإخلاص ويقين: (**سبحان الله**)؛ أي: أنزه الله عن جميع النقائص والرذائل، والصاحبة والولد، (**العظيم**)؛ أي: ذي العظمة والجلال.

قال في «الفتح»: معنى (سبحان الله): تنزيهه عما لا يليق به من كل نقص، فيلزم نفي الشريك، والصاحبة، والولد، وجميع الرذائل، ويراد به جميعُ أنواع الذكر، ويطلق التسبيح ويراد به صلاة النافلة، ولفظة (سبحان) اسمٌ منصوب على أنه واقع موقعَ المصدر لفعل محذوف تقديره: سبَّحت الله سبحاناً؛ كسبَّحت لله تسبيحًا، ولا يستعمل غالبًا إلا مضافًا، وهو هنا مضاف إلى المفعول؛ أي: سبَّحت الله، ويجوز أن يكون مضافًا للفاعل؛ أي: نـزَّه الله نفسَه، والمشهورُ الأولُ، وقد جاء غير مضاف في الشعر؛ كقوله:

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٦٤)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٢٧).

سـبـحانه ثـم سـبـحاناً[1]

و(العظيم) من أسماء الله الحسنى، وهو الذي جاوز قدره وجلَّ عن حدود العقول، حتى لا يُتصور الإحاطةُ بكنهه وحقيقته.

قال في «النهاية»: والعظيم في صفات الأجسام: كبر الطول والعرض والعمق، والله تعالى جلَّ قدره عن ذلك[2].

وقال في «تحفة العباد»: (العظيم): ذو العظمة والجلال، ومعنى العظم في هذا منصرف إلى عظم الشأن وجلالة القدرة، فلا تُتصور الإحاطةُ بكنه عظمته.

وقيل: (العظيم): الذي كلُّ شيء في جنب عظمته صغير.

وقوله: (**وبحمده**) فالواو حرف عطف.

قال المازني: المعنى: سبَّحتُك يا ألله بجميع آلائك، وبحمدك سبَّحتُك؛ أي: وبنعمتك التي هي نعمة توجب عليَّ حمدًا سبَّحتُك لا بحولي وقوتي.

وسئل أبو العباس ثعلب عن قوله: (وبحمدك) [فقال: أراد سبحتك

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٢٠٦)، هذا جزء بيت من البسيط، وقد اختلف في قائله، فنسبه الزبيري في «نسب قريش» (٦/ ٢٠٨)، وابن الجوزي في «المنتظم» (٢/ ٣٧٤)، والبغدادي في «خزانة الأدب» (٣/ ٣٦٠)، لورقة بن نوفل، والماوردي في «النكت والعيون» (٢/ ٤٧٤)، والقرطبي في «تفسيره» (٩/ ٤٢) لزيد بن عمرو بن نفيل، وابن سيده في «المخصص» (٤/ ٢٥٣)، وابن منظور في «لسان العرب» (مادة: سبح، جمد) لأمية بن أبي الصلت.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٣/ ٢٦٠).

بحمدك][1]، قال أبو عمر: كأنه يذهب إلى أن الواو صلة.

(غُرست) بضم الغين المعجمة وكسر الراء مبنيًّا للمفعول **(له)**؛ أي: لقائل الذكر المذكور **(نخلةٌ)** بالرفع نائب الفاعل؛ أي: أمر الله ﷻ بعضَ ملائكته أن يغرس له نخلة **(في الجنة)** التي لا يفنى نعيمها، ولا تبأس أشجارها، ولا تجف أنهارها؛ أي: غرست له بكل مرة نخلة فيها، وخص النخلة؛ لكثرة منافعها، وطيب ثمرتها.

قال المحقق ابن القيم في كتابه «مفتاح دار السعادة»: النخلة إحدى آيات الله، تجد فيها من العجائب والآيات ما يبهر العقول؛ فإنه لما قدر أن يكون في النخل إناث تحتاج إلى اللقاح؛ جعلـ[ـت] فيها ذكور تلحقها بمنزلة ذكور الحيوان وإناثه، ولذلك اشتد شبهها من بين سائر الأشجار بالإنسان، خصوصًا بالمؤمن؛ كما مثله النبي ﷺ[2]، وذلك من وجوه كثيرة:

أحدها: نبات[3] أصلها في الأرض واستقراره فيها، وليست بمنزلة الشجرة التي ﴿ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٦]؛ يعني: شجرة الحنظل.

الثاني: طيب ثمرتها وحلاوتها، وعموم المنفعة بها، كذلك المؤمن طيبُ الكلام، طيبُ العمل، فيه المنفعة لنفسه ولغيره.

الثالث: دوامُ لباسها وزينتها، فلا تسقط عنها صيفًا ولا شتاء، كذلك المؤمن لا يزول عنه لباس التقوى وزينتها حتى يوافي ربه تعالى.

---

(١) ما بين معكوفين من «المطلع» للبعلي (ص: ٧١).

(٢) رواه البخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١/ ٦٣) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) كذا في الأصل، وفي «مفتاح دار السعادة»: «ثبات».

الرابع: سهولة تناول ثمرتها وتيسيره، أما قصيرها فلا يحوج المتناولَ أنْ يرقاها، وأما باسقُها، فصعوده سهل بالنسبة إلى صعود الشجر الطوال وغيرها، فتراها كأنها قد هيأت منها المراقي والدرج إلى أعلاها، وكذلك المؤمن خيرُه سهل قريب لمن رامَ تناوله، لا بالغر[1] ولا باللئيم.

الخامس: أن ثمرتها من أنفع ثمار العالم؛ فإنه يُؤكل رطبه فاكهة وحلاوة، ويابسه يكون قوتًا وإدامًا وفاكهةً[2]، ويتخذ منه الخل والناطف والحلوى، ويدخل في الأدوية والأشربة، وعمومُ المنفعة به وبالعنب فوقَ سائر الثمار[3].

(رواه)؛ أي: حديثَ جابر المشروحَ **(الترمذي وقال: حديث حسن غريب)**، ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم وقال: صحيح[4]، ورواه النسائي، إلا أنه قال: «غرست له شجرة في الجنة»[5].

وروى البزار بإسناد جيد من حديث عبدِالله بنِ عمرِو بنِ العاص رضي الله عنهما مرفوعًا: «من قال: سبحان وبحمده؛ غرست له نخلة في الجنة»[6].

* * *

(١) في الأصل: «بالعسير»، والمثبت من «مفتاح دار السعادة».

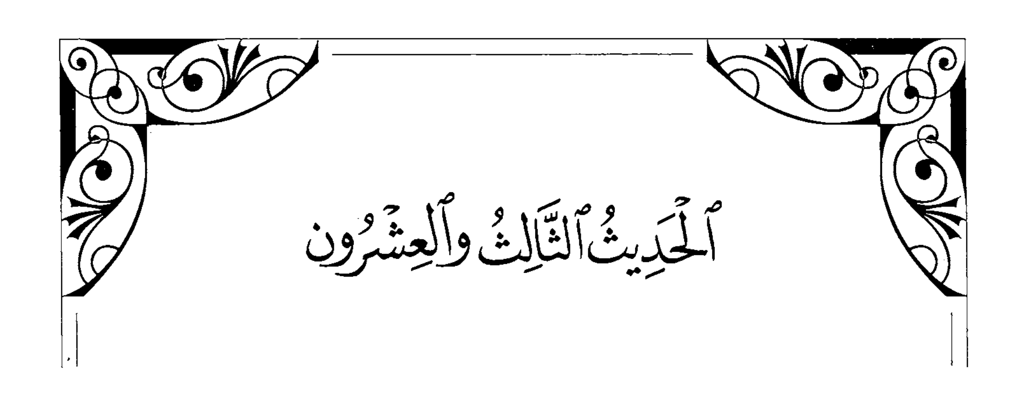
(٢) في الأصل: «فإنه يؤكل فاكهة رطبة، وحلاوة يابسه، فيكون قوتًا وأدمًا وفاكهة»، والمثبت من «مفتاح دار السعادة».

(٣) انظر: «مفتاح دار السعادة» لابن قيم الجوزية (١/ ٢٣٠).

(٤) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٤٧).

(٥) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦٣).

(٦) رواه البزار في «مسنده» (٢٤٦٨).



الحديث الثالث والعشرون

٧٣١ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قُولُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِئَةَ مَرَّةٍ، مَنْ قَالَهَا مَرَّةً؛ كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا، وَمَنْ قَالَهَا عَشْرًا؛ كُتِبَتْ لَهُ مِئَةً، وَمَنْ قَالَهَا مِئَةً؛ كُتِبَتْ لَهُ أَلْفًا، وَمَنْ زَادَ؛ زَادَهُ اللَّهُ، وَمَنِ اسْتَغْفَرَ اللَّهَ؛ غَفَرَ لَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»[1].

(عن) أبي عبدِ الرحمنِ عبدِالله **(بنِ عمرَ** رضي الله عنهما **قال: قال رسولُ الله ﷺ)** لأصحابه الكرام رضي الله عنهم فمَنْ بعدهم من سائر أمته المسلمين: **(قولوا)** أمرُ إرشاد وتعليم، واستحباب وتفهم **(سبحان الله وبحمده مئةَ مرة)** في كل يوم ولو متفرقة، ثم بيَّن ما أجمل فقال: **(من قالها)**؛ أي: قال: سبحان الله وبحمده مرة واحدة؛ **(كتبت)** ـ بضم الكاف وكسر الفوقية مبنيًا للمفعول ـ أي: أمر الله عز وجل أن تُكتب **(له)**؛ أي: لقائلها **(عشرًا)**؛ لأنها من الحسنات، والحسنة بعشر أمثالها، **(ومن قالها عشرًا)** من المرات؛ **(كتبت له)**؛ أي: في صحيفة عمله **(مئة، ومن قالها مئة)** مرة؛ **(كتبت له)**؛ أي: في صحيفة عمله **(ألفًا)**

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٥٩).

يثيبه عليها، (ومن زاد) عن مئة مرة؛ (زاده الله) ﷻ كل واحدة بعشرة (ومن)؛ أي: أيُّ عبد مؤمن (استغفر الله)؛ أي: طلبَ من الله المغفرة لذنوبه السابقة منه؛ (غفر الله له) ذنوبًا مَنًّا منه وكرمًا.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب، و) رواه **(النسائي في)** «عمل (**«اليوم والليلة»**).

وروى الطبراني من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعًا: «من قال: سبحان الله وبحمده؛ كتبت له مئة ألف حسنة، وأربع وعشرون ألف حسنة، ومن قال: لا إله إلا الله؛ كان له بها عهدٌ عند الله يومَ القيامة»[1].

وزاد في رواية عن أيوب بن عتبة، عن عطاء، عنه بنحوه، فقال رجل: كيف نهلك بعدَ هذا يا رسول الله؟ قال: «إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وضع على جبل؛ لأثقله، فتقوم النعمة من نعم الله فتكاد أن تستنفد ذلك كله، إلا أن يتطاول الله برحمته»[2].

ورواه الحاكم من حديث إسحاقَ بنِ عبدِالله بنِ أبي طلحةَ عن أبيه، عن جدِّه، ولفظه: قال رسول الله ﷺ: «من قال: لا إله إلا الله؛ دخل الجنة، أو وجبت له الجنة، ومن قال: سبحان الله وبحمده مئة مرة؛ كتب الله له مئة

---

(١) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٣٥٩٧). قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٧٣): في إسناده نظر، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٨٧): فيه النضر بن عبيد، لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (١٥٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٥٨): أيوب بن عتبة ضعيف، وفيه توثيق لين.

ألف حسنة وأربعًا وعشرين ألف حسنة»، قالوا: يا رسول الله! إذًا لا يهلك منا أحد، قال: «بلى، إن أحدكم يجيء بالحسنات لو وُضعت على جبل؛ أثقلته، ثم تجيء النعم فتذهب بتلك، ثم يتطول الربُّ بعد ذلك برحمته». قال الحاكم: صحيح الإسناد[1].

وروى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، وابن ماجه من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة، حُطَّت خطاياه وإن كانت مثلَ زبد البحر»[2].

وفي «صحيح مسلم»، والنسائي من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأحبِّ الكلام إلى الله؟» قلت: يا رسول الله! أخبرني بأحبِّ الكلام إلى الله، فقال: «إن أحبَّ الكلام إلى الله: سبحان الله وبحمده»[3]، ورواه الترمذي، إلا أنه قال: «سبحان ربي وبحمده، سبحان ربي وبحمده»، وقال: حديث حسن صحيح[4].

وفي رواية لمسلم: أن رسول الله ﷺ سئل: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: «ما اصطفى الله لملائكته أو لعباده: سبحان الله وبحمده»[5].

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٦٣٨).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٠٢)، والبخاري (٦٤٠٥)، ومسلم (٢٦٩١/ ٢٨)، والترمذي (٣٤٦٨)، وابن ماجه (٣٨١٢).

(٣) رواه مسلم (٢٧٣١/ ٨٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٦١).

(٤) رواه الترمذي (٣٥٩٣).

(٥) رواه لمسلم (٢٧٣١/ ٨٤).

قوله في الحديث: «من قالها مئة مرة»، وفي حديث أبي هريرة: «من قال: سبحان الله وبحمده في يوم مئة مرة؛ حطت خطاياه»، زاد في رواية سهيل: «من قال حين يمسي وحين يصبح»[1]، قال النووي: والأفضل أن يقول ذلك متواليًا في أول النهار وفي أول الليل[2].

قال القاضي عياض: قوله: «حُطت عنه»، مع قوله في التهليل: «مُحيت عنه مئة سيئة» قد يُشعر بأفضليته على التهليل[3]؛ يعني: لأن عدد زبد البحر أضعافُ أضعاف المئة، وتقدم أن أفضل الذكر التهليلُ، وفيه رفع الدرجات، وتقدم من ذلك ما يشفي ويكفي.

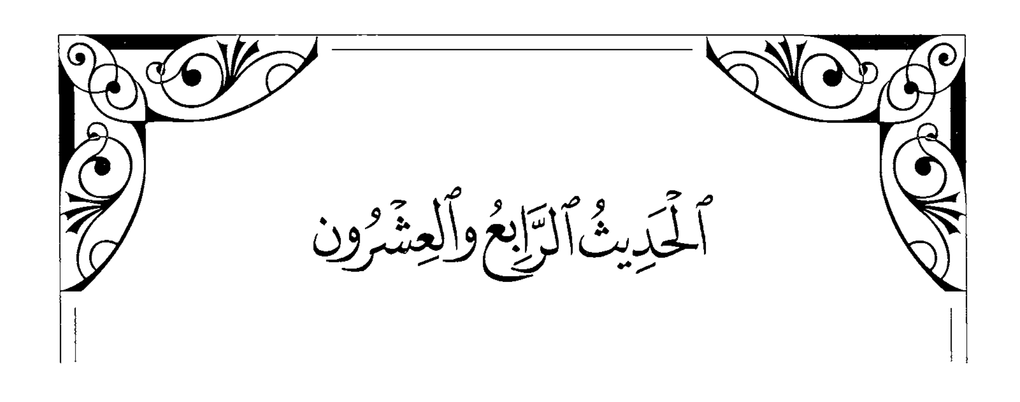
* * *

---

(١) رواه مسلم (٢٦٩٢/ ٢٩)، وفيه: «حين يصبح وحين يمسي».

(٢) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ١٧).

(٣) انظر: «إكمال المعلم» للقاضي عياض (٨/ ١٩١ ـ ١٩٢).



الحديث الرابع والعشرون

٧٣٢ ـ عَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى». أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَاللَّفْظُ لِلتِّرْمِذِيِّ، وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

(عن بريدة) بضم الباء الموحدة مصغرًا **(الأسلميِّ ﷺ قال: سمع النبي ﷺ رجلًا)** من المسلمين **(يدعو)** الله ﷻ **(وهو يقول)** في دعائه: **(اللهم)**؛ أي: يا ألله **(إني أسألك بأني أشهد)**؛ أي: أُعلن بلساني، وأعتقد بجناني **(أنك أنت الله لا أنت إلا أنت)**؛ أي: لا معبودَ بحق في الوجود إلا أنت وحدك لا شريك لك **(الأحدُ)**؛ أي: المنفرد.

والفرق بين الواحد والأحد: أن الواحد: هو الفرد الذي لم يزل وحده،

---

(١) رواه أبو داود (١٤٩٣)، والترمذي (٣٤٧٥)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٧٦٦٦)، وابن ماجه (٣٨٥٧).

وقيل: هو المعدوم الشريك، فهو المنفرد بالذات، والأحد: هو المنفرد بالمعنى، لا يشاركه فيها[1] أحد.

وقال في «تحفة العباد»: الواحد: الفرد[2] الذي لم يزل، وليس هو كسائر الآحاد من الأجسام المؤلفة؛ إذ كل شيء سواه يدعى واحدًا، فهو واحد من جهة، غير واحد من جهات.

وأما الله ﷻ فهو الواحد الذي ليس كمثله شيء.

والواحد الذي لا يثنى من لفظه، فلا يقال: واحدان.

والأحد هو المنفرد بالمعنى، فلا يشاركه فيها ـ أي: الأحدية ـ أحد.

والأحد يصلح في الكلام في موضع الجحود، والواحد في موضع الإثبات.

قال: وأما الوحيد؛ فإنما يوصف به غالبًا المنفردُ عن أصحابه، المنقطعُ عنهم، فلا ينبغي إطلاقه في أسماء الله تعالى.

(الصمد): هو الذي لا جوفَ له، قاله ابن عباس رضي الله عنهما وقاله مجاهد، والحسن البصري، وسعيد بن جبير[3].

وقيل: الصمد: الذي لا يأكل ولا يشرب، قاله الشعبي[4].

---

(١) أي: الأحدية؛ كما سيذكر.

(٢) في الأصل: «المفرد»، والصواب المثبت.

(٣) روى أقوالهم الطبري في «تفسيره» (٣٠/ ٣٤٤).

(٤) المرجع السابق (٣٠/ ٣٤٥).

وقيل: هو الذي لم يلد ولم يولد، قاله أُبيٌّ بن كعب[1].

وقيل: هو السيد الذي كمل في جميع أنواع السؤدد.

وقيل: الكامل في صفاته وأفعاله.

وتقدم شرح ذلك في فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(الذي لم يلد) ولدًا، **(ولم يولد)**؛ أي: لم يلده غيره تعالى الله وتقدس **(ولم يكن)**؛ أي: لم يوجد **(له)** ﷻ **(كفوًا أحد)** قرأ حمزةُ ساكنة الفاء مهموزًا، وقرأ حفص عن عاصم بضم الفاء من غير همز، وقرأ الباقون بضم الفاء مهموزًا[2]، وكلها لغات صحيحة فصيحة، ومعناه: المثل؛ أي: هو أحد.

وقيل: هو على التقديم والتأخير؛ أي: لم يكن له أحد كفوًا؛ أي: مثلًا؛ كما تقدم في فضل سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾.

(قال) بريدة رضي الله عنه: **(فقال لنا النبي ﷺ)** حين سمع هذا الكلام: **(لقد سأل)** هذا الداعي **(الله)** ﷻ **(باسمه الأعظم)**؛ أي: بأعظم أسمائه، فهو أعظم من غيره من سائر الأسماء وإن كانت جميع أسمائه تعالى عظمى حُسنى، إلا أن هذا هو الأعظم **(الذي إذا دُعِي)** - بضم الدال المهملة وكسر العين المهملة مبنيًا للمفعول، ونائب الفاعل ضمير يعود على الله تعالى - أي: إذا دعاه خلقُه **(به؛ أجاب)** دعاءه، **(وإذا سئل)** - بضم السين المهملة وكسر

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٣٣٤).

(٢) انظر: «التيسير في القراءات السبع» للداني (ص: ٢٢٦).

الهمزة مبنيًّا للمفعول، ونائب الفاعل الضمير العائد على الله تعالى ـ أي: إذا سأله تعالى عبادُه (**به؛ أعطاهم**) ما سألوا؛ تعظيمًا لهذا الاسم الذي هو اسمُ الله الأعظم.

(**أخرجه أبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، واللفظ**) المذكورُ (**للترمذي، وقال**): حديث (**حسن غريب**).

وفي لفظ من رواية الترمذي: فقال: «والذي نفسي بيده! لقد سأل اللهَ باسمه الأعظم...» الحديث[1].

وفي رواية أبي داود: «باسمه الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب»[2].

وذكر رزين رواية: قال ـ أي: بريدة رضي الله عنه ـ: دخلت مع رسول الله ﷺ المسجد عشاء، فإذا رجل يرفع صوته، فقلت: يا رسول الله! أنقول هذا مراءٍ؟ قال: «بل مؤمنٌ منيبٌ»، قال: وأبو موسى الأشعري يقرأ ويرفع صوته، فجعل رسول الله ﷺ يسمع لقراءته، ثم جلس أبو موسى يدعو، فقال: اللهمَّ إني أُشهدك أنك أنت الله لا إله إلا أنت أحدًا صمدًا، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، فقال رسول الله ﷺ: «لقد سأل الله باسمه الذي إذا سئل أعطى، وإذا دعي أجاب»، قلت: يا رسول الله! أُخبِرهُ بما سمعتُ منك؟ قال: «نعم»، فأخبرته بقول رسول الله ﷺ، فقال: أنت اليوم

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٧٥).

(٢) رواه أبو داود (١٤٩٣).

صديق ـ وفي لفظ: أخٌ ـ حدثتني[1] بحديث رسول الله ﷺ[2].

فأفادنا حديثُ رزين أن الرجل المبهَم في حديث بُريدة هو أبو موسى الأشعري رضي الله عنه.

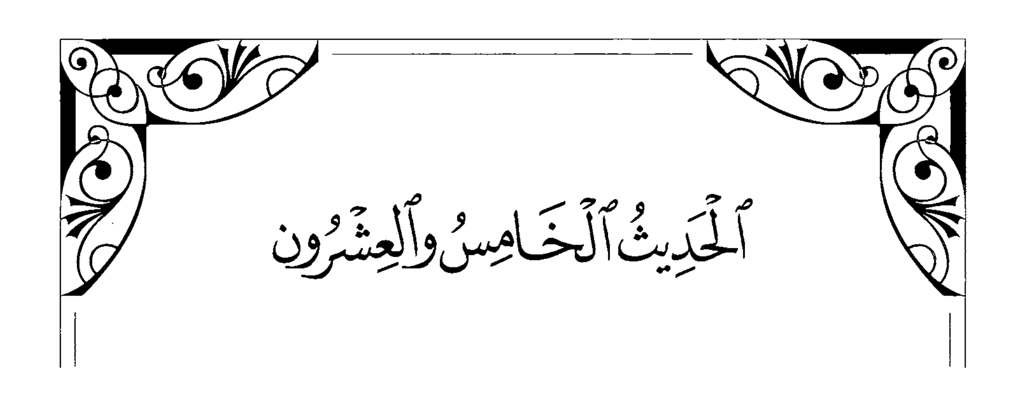
وروى أبو داود، والنسائي من حديث محجن بن الأدرع رضي الله عنه قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته، وهو يتشهد ويقول: اللهم إني أسألك يا ألله الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم، قال: فقال: «قد غفر له، قد غفر له»[3].

* * *

(١) في الأصل: «حدثني»، والتصويب من «جامع الأصول».

(٢) انظر: «جامع الأصول» لابن الأثير (٤/ ١٧٠)، وفيه: «أنت اليوم لي أخ صديق. . .».

(٣) رواه أبو داود (٩٨٥)، والنسائي (١٣٠١).



الحديث الخامس والعشرون

٧٣٣ ـ عَنْ أَنَسٍ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يُصَلِّي، ثُمَّ دَعَا: اللَّهُمَّ! إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ ـ وَهَذَا لَفْظُهُ ـ وَالنَّسَائِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَزَادَ فِيهِ: «لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ»، وَلَمْ يَذْكُرْ: «يَا حَيُّ! يَا قَيُّومُ!»[1].

(**عن**) أبي حمزةَ (**أنسٍ**) بنِ مالكٍ (ﷺ: **أنه**)؛ أي: أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ (**كان مع النبي ﷺ جالسًا**)؛ أي: في المسجد النبوي، (**ورجل**) من أصحابه ـ ﷺ أجمعين ـ (**يصلي**) الواو للحال، والجملة حالية، (**ثم**) بعد فراغه من صلاته (**دعا**) فقال: (**اللهم إني أسألك بأن لك الحمد**)؛ أي: الثناء الحسن الجميل، (**لا إله**) معبودَ بحق (**إلا أنت**) وحدَك لا شريكَ لك (**المنانُ**): وهو المنعم المعطي؛ من المنِّ، وهو العطاء، لا من المِنَّة،

(١) رواه أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠)، وابن ماجه (٣٨٥٨).

وكثيرًا ما يرد المنُّ في كلامهم بمعنى الإحسان إلى من لا يَستثيبه، ولا يطلب الجزاء منه.

و(المنَّان) من أبنية المبالغة؛ كـ (السفَّاك)، و(الوهَّاب).

ومنه الحديث: «ما أحدٌ أمنَّ علينا من ابن أبي قحافةَ»[1]؛ أي: ما أحدٌ أجودَ بماله وذاتِ يده من أبي بكر الصدِّيق ﷺ.

وقد يقع المنان على الذي لا يعطي شيئًا إلا مَنَّهُ واعتدَّ به على مَنْ أعطاه، وهو مذموم؛ لأن المِنَّةَ تُفسد الصنيعة، ومنه حديث: «ثلاثة لا يحجبون عن النار: المنان، وعاقٌّ والديه، ومدمنُ الخمر»[2].

وحديث: «ثلاثة لا يقبل الله تعالى منهم يوم القيامة صَرْفًا ولا عدلًا: عاقٌّ، ومنانٌ، ومكذِّبٌ بالقدر»[3].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«صحيح مسلم»، والسنن الأربع من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم، ولا يزكِّيهم، ولهم عذاب أليم: المُسبِل إزارَه، والمنَّان الذي لا يُعطي

---

(١) رواه مسلم (٢٣٨٢/ ٢)، والترمذي (٣٦٦٠)، من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ بنحوه، والإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (٢٩٥) من حديث أبي واقد الليثي ﷺ بنحوه.

(٢) رواه رسته في «الإيمان» من حديث أبي هريرة ﷺ؛ كما في «كنز العمال» للمتقي الهندي (٤٣٨٠٥).

(٣) رواه ابن أبي عاصم في «السنة» (٣٢٣)، والروياني في «مسنده» (١١٩١)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (٤٣٢)، من حديث أبي أمامة ﷺ.

شيئًا إلا منَّه، والمنفقُ سلعتَه بالحَلِفِ الكاذب»[1].

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن النسائي»، و«صحيح الحاكم» من حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «ثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، ومدمن الخمر، والمنان بما أَعطى»[2].

*** تنبيه:**

المنَّان وإن لم يكن من التسعة وتسعين اسمًا الحسنى المشهورة، فقد ثبت أنه من أسمائه تعالى في عدة أحاديث، منها: هذا الحديث، وكذا الحنان؛ كما هو في رواية في هذا الحديث، ولفظه: «الحنان المنان»[3].

وفي الحديث: أن رجلًا في النار ينادي: يا حنان! يا منان! فيغاث[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ١٤٨)، ومسلم (١٠٦/ ١٧١)، وأبو داود (٤٠٨٧)، والترمذي (١٢١١)، والنسائي (٢٥٦٣)، وابن ماجه (٢٢٠٨).

(٢) رواه النسائي (٢٥٦٢)، ورواه الإمام أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٧٢٣٥) بلفظ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة...».

(٣) رواه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» كما في «بغية الباحث» للهيثمي (١٠٦٠)، وابن حبان في «صحيحه» (٨٩٣)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٣/ ١١٧٦)، ووقع عند الحارث وأبي نعيم أن الرجل أبو عياش الزرقي رضي الله عنه، وسيذكر ذلك المؤلف لاحقًا.

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٣٠)، وابن أبي الدنيا في «حسن الظن بالله» (١١٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٤٢١٠)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٣٨٤): رواه أحمد وأبو يعلى ورجالهما رجال الصحيح غير أبي ظلال، وضعفه الجمهور، ووثقه ابن حبان. وسيذكره المؤلف قريبًا.

(يا بديع السماوات والأرض)؛ أي: خالقهن.

قال في «النهاية»: في أسمائه تعالى: البديع؛ أي: الخالق المخترعُ لا عن مثالٍ سبق، (فَعيل) بمعنى (مُفْعِل)، يقال: أَبدعَ فهو مُبدع[1].

وفي رواية عن خالد بن مخلد، عن عبد العزيز بن الحصين بن الترجمان، حدثني أيوب السختياني[2] وهشام بن حسان عن ابن سيرين، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن لله تسعة وتسعين اسمًا، من أحصاها، دخل الجنة»، فذكر فيها: «المنان، البديع»[3].

وفي أثر جعفرٍ الصادقِ بنِ محمدٍ الباقرِ عدَّ من أسماء الله تعالى الحسنى: البديع[4].

وفي القرآن العظيم: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ﴾[الأنعام: ١٠١]، وكذا في أثر سفيان بن عيينة عدَّ من أسمائه تعالى:

---

(١) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ١٠٦).

(٢) في الأصل: «السجستاني»، والتصويب من مصادر التخريج.

(٣) رواه ابن الأعرابي في «معجمه» (٤/ ١٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢)، والبيهقي في «الاعتقاد» (ص: ٥١)، وعبد العزيز بن الحصين وثقه الحاكم، وقال ابن الملقن في «البدر المنير» (٩/ ٤٨١): قال مسلم فيه: ذاهب الحديث، وقال البخاري: ليس بالقوي، وقال: متروك الحديث، وضعفه علي ويحيى، وقال يحيى مرة: لا يساوي حديثه شيئًا، وقال ابن حبان: يروي المقلوبات عن الأثبات والموضوعات عن الثقات، فلا يجوز الاحتجاج به. ولم أر أحدًا وثقه. انتهى.

(٤) رواه أبو نعيم في «طرق حديث إن لله تسعة وتسعين اسمًا» (٩١).

البديع، والمنان[1].

قال في «تحفة العباد»: وهو المبدع، وهو الذي فطر الخلق مبتدعًا مخترِعًا لا على مثالٍ سبق.

وقيل: المنشئ للأشياء بغير آلة ولا مادة. انتهى.

وأخرج الإمام أحمدُ عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «إن عبدًا في جهنم لَينادي ألفَ سنة: يا حنانُ! يا منانُ! فيقول الله ﷻ لجبريل ـ عليه السلام ـ: اذهب فائتني بعبدي هذا، فينطلق جبريل، فيجد أهلَ النار منكبين يبكون، فيرجع إلى الله ﷻ فيخبره، فيقول: ائتني به؛ فإنه في مكان كذا وكذا، فيجيء به، فيوقفه على ربه، فيقول: يا عبدي! كيف وجدت مكانك؟ فيقول: يا رب! شر مكان، وشر مقيل، فيقول: رُدُّوا عبدي، فيقول: يا رب! ما كنت أرجو إذ أخرجتني منها أن تعيدني، فيقول: ردُّوا عبدي؛ يعني: لا تعيدوه إلى النار»[2].

وفيه ـ أي: في سند هذا الحديث ـ أبو ظلال، واسمه هلال.

قال الحافظ ابن رجب في كتابه «صفة النار والتحذير من دار البوار»: ضعيف.

قلت: بل أورد هذا الحديث الحافظُ ابنُ الجوزي في «الموضوعات»[3]، وهو تساهُل منه، ومن ثم تعقبه الحافظ جلال الدين السيوطي، والحافظ

---

(١) رواه تمام الرازي في «الفوائد» (١/ ٢٥٠).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٣٠).

(٣) انظر: «الموضوعات» لابن الجوزي (٢/ ٤٣٧).

الكبير ابنُ حجر العسقلاني في كتابه «القول المسدد في الذب عن مسند الإمام أحمد»[1].

وقد أخرج هذا الحديث الإمامُ أحمد في «المسند»، وابن خزيمة في «صحيحه»، والبيهقي في «الأسماء والصفات»[2].

وقال الحافظ ابن حجر في «القول المسدد»: أبو ظلال علَّق له البخاري حديثاً، وقال فيه: مقارب الحديث، وحسَّن له الترمذي بعضَ حديثه، وللحديث شاهد من حديث الحسن أخرجه الآجري في أواخر طريق حديث الإفك له[3].

وبما ذكر عُلم أن ذكر ابنِ الجوزي لهذا الحديث في الموضوعات غيرُ صواب.

ثم قال الرجل في دعائه بعدَ قوله: لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض: (**يا ذا**)؛ أي: يا صاحب (**الجلال**)؛ يعني: يا المتصف بالجلال، (و) يا ذا (**الإكرام**)، (الجلال) و(الإكرام) مصدران، يقال: جليل؛ من الجلال والجلالة.

---

(١) انظر: «النكت البديعات» للسيوطي (ص: ٣١٠)، و«القول المسدد» لابن حجر (ص: ٣٤).

(٢) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٣٠)، وابن خزيمة في «التوحيد» (٢/ ٧٤٩)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٤٠).

(٣) في الأصل: «في آخر الإفك»، والمثبت من «القول المسدد»، والحديث لم نقف عليه عند الآجري، ولفظه كما في «القول المسدد»: يخرج رجل من النار بعد ألف عام، فقال الحسن: ليتني كنت ذلك الرجل.

والمعنى: أن الله تعالى مستحِقٌّ أن يُجل ويُكرم، ولا يُجحد ولا يُكفر.

قال ابن أبي الفتح البعلي الحنبلي في كتابه «المطلع»: ويحتمل أن يكون المراد والمعنى: أنه تعالى يجلُّ أهل ولايته ويكرمهم، ويحتمل أن الجلال والإكرام للعبد.

وفي «مسند سيدنا الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي»، و«صحيح الحاكم» من حديث أنسِ بنِ مالكٍ[1]، وأبي هريرةَ[2]، وربيعةَ بنِ عامرٍ[3] رضي الله عنهم عن النبي ﷺ أنه قال: «أَلِظُّوا بيا ذا الجلال والإكرام!».

وكذلك رواه البيهقي في كتاب «الدعوات»، وأبو يعلى الموصلي، وغيرهم[4].

ورواه الإمام أحمد ـ أيضًا ـ من حديث ربيعةَ بنِ عامر رضي الله عنه بلفظ: «أَلِظُّوا بذي الجلال والإكرام»[5]؛ يعني: الزموها والهَجُوا وتعلقوا بها.

ويقال: الإلظاظ: لزومُ الشيء، والمثابرةُ عليه، ويقال: الإلحاح.

وفي «مسند الإمام أحمد»، و«سنن الترمذي» من حديث معاذِ بنِ

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٤).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٣٧).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ١٧٧)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٣٦) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) رواه البيهقي في «الدعوات الكبير» (١٩٦) من حديث ربيعة بن عامر رضي الله عنه، وأبو يعلى في «مسنده» (٣٨٣٣) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) تقدم تخريجه قريبًا.

جبلٍ ﷛ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا وهو يقول: يا ذا الجلال والإكرام! فقال: «قد استُجيب لك، فاسأل». قال الترمذي: حديث حسن[1].

(**يا حيُّ! يا قيومُ! فقال النبي ﷺ: لقد دعا**)؛ أي: هذا الرجل، وهذه اللام في قوله ﷺ: (لقد) جوابُ قسم مقدَّر؛ أي: والله لقد دعا (**الله**) ﷻ (**باسمه الأعظم الذي إذا دُعي به**)؛ أي: إذا سئل ـ سبحانه وتعالى ـ به؛ بأن دعاه عبادُه به؛ (**أجاب**) دعاءهم، وأنجحَ مقصودَهم، (**وإذا سئل**) سبحانه وتعالى (**به**)؛ أي: سأله عبادُه به مع صدق نية، وحسنِ اعتقاد، وتمامِ عزيمة وإخلاص؛ (**أعطاهم**) ما سألوا، وأجابهم بما طلبوا.

(**رواه أبو داود، وهذا لفظه، و**) رواه (**النسائي، وابن ماجه، وزاد فيه**) ابن ماجه: (**لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك المنان، ولم يذكر: يا حيُّ! يا قيوم!**).

(والرجلُ المبهم في هذا الحديث هو أبو عياش زيدُ بنُ الصامت الزرقي؛ لما رواه الإمام أحمد عن أنس ﷛ قال: مرَّ النبي ﷺ بأبي عياش زيدِ بنِ الصامتِ الزرقيِّ وهو يصلي، وهو يقول: اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت يا حنان! يا منان! يا بديع السماوات والأرض! يا ذا الجلال والإكرام! . . . الحديث[2].

ورواه ابن حبان في «صحيحه»، والحاكم، وزاد أبو داود، والنسائي،

---

(1) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٣٥)، والترمذي (٣٥٢٧).

(2) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣/ ٢٦٥). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٥٦): رجاله ثقات، إلا أن ابن إسحاق مدلس وإن كان ثقة.

وابن حبان، والحاكم: «يا حيُّ! يا قيوم!» ـ كما مر ـ وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم[1].

وزاد الحاكم في رواية: أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار[2].

واعلم أن لهذين الاسمين ـ يعني: الحي القيوم ـ تأثيرًا عظيمًا في حياة القلب، وهو أصل كبير، وعليه مدار الطاعات كلها.

وفي «سنن الترمذي»، و«صحيح الحاكم» من حديث أنسٍ ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ إذا كربه أمر يقول: «يا حيُّ! يا قيوم! برحمتك أستغيث». قال الحاكم: صحيح الإسناد[3].

وروى النسائي وغيره من حديث علي ـ رضوان الله وسلامه عليه ـ: أنه جاء إلى النبي ﷺ يوم بدر حالة القتال، فإذا هو ساجد يقول: «يا حيُّ! يا قيوم!» فلم يزل كذلك حتى فتح الله عليه[4].

قال الحافظ الهيثمي في «مجمع الزوائد»: رواه البزار، وإسناده حسن، ورواه أبو يعلى بنحوه كذلك[5].

---

(١) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٨٩٣)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٥٦)، وأبو داود (١٤٩٥)، والنسائي (١٣٠٠).

(٢) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٥٧).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٢٤)، ورواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٧٥) من حديث ابن مسعود ﵁.

(٤) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٤٧).

(٥) انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي (١٠/ ١٤٧)، والحديث رواه البزار في «مسنده» (٦٦٢)، وأبو يعلى في «مسنده» (٥٣٠).

وذكر أبو القاسم القشيري في «رسالته» عن أبي بكر الكتاني أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادعُ الله أن لا يُميتَ قلبي، فقال: قل كلَّ يوم أربعين مرة: يا حيُّ! يا قيوم! لا إله إلا أنت[١].

وتقدم الكلام على ذلك، وعلى تقييده بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح، وأن الحافظ أبا الحجاج المزيَّ حكى عن شيخ الإسلام أبي عمرَ ابنِ أحمدَ بنِ محمدِ بنِ قدامةَ المقدسيِّ ـ وهو أخو الإمام الموفق ـ: أنه كان لا يخلُّ بذلك بين سُنة الفجر والفرض، وزاد: (برحمتك أستغيث).

وذكر الشيخ العارف عبدُالله بنُ أسعدَ اليافعيُّ في كتاب «الإرشاد»: أن رجلًا من الصالحين رأى النبي ﷺ في المنام، فقال: يا رسولَ الله! ادعُ الله لي أن يتوفاني على الإسلام، فقال: هذا شيء فرغ منه، فقال: يا رسولَ الله! ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال له النبي ﷺ: قل: يا حيُّ! يا قيومُ! كلَّ يوم بعد ركعتي الفجر أربعين مرة[٢].

(وتفسير (الحي القيوم)؛ أي: الحي في نفسه الذي لا يموت أبدًا، المقيم لغيره.

وكان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقرأ: (القيام)[٣].

---

(١) انظر: «الرسالة القشيرية» (ص: ١٤٧).

(٢) أورد أبو القاسم القشيري في «رسالته» (١/ ٤١٧) عن أبي بكر محمد بن علي الكتاني أنه قال: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: ادع الله أن لا يميت قلبي، فقال: قل كل يوم أربعين مرة: يا حي! يا قيوم! لا إله إلا أنت، فإن الله يحيي قلبك.

(٣) رواه سعيد بن منصور في «تفسيره» (٤٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣١٣٦)، والبخاري في «صحيحه» في التفسير، سورة نوح، تعليقًا.

فجميع الموجودات مفتقرةٌ إليه، وهو غنيٌّ عنها وأن لا قوام لها بدون أمره، ومن تمام قيوميته تعالى أنه ـ جل وعلا ـ ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]؛ أي: لا يعتريه نقص ولا غفلة عن خلقه، بل هو قائم على كل نفس بما كسبت، شهيد على كل شيء، لا يغيب عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية.

فقوله تعالى: ﴿لَا تَأۡخُذُهُۥ﴾؛ أي: لا تغلبه ﴿سِنَةٞ﴾، وهي الوَسَن والنعاس، والسنةُ: ابتداءُ النعاس، فإذا وصل إلى القلب؛ صار نومًا، ولهذا قال: ﴿وَلَا نَوۡمٞۚ﴾؛ لأنه أقوى من السِّنة.

وفي الحديث الصحيح: «إن الله لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام»(١).

وقد اختار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ وتلميذُه المحقق ابن القيم وجموعٌ بأنَّ الاسمَ الأعظم الذي إذا دُعيَ الله به أجاب، وإذا سئل أعطى (الحيُّ القيومُ)(٢).

ويدل له ما رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه ـ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح ـ من حديث أسماءَ بنتِ يزيدَ ﵂: أن النبي ﷺ قال: «اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين: ﴿وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]، وفاتحة سورة آل عمران: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢]»(٣).

---

(١) رواه مسلم (١٧٩/ ٢٩٥) من حديث أبي موسى ﵁.

(٢) انظر: «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام (١٨/ ٣١١)، و«مدارج السالكين» لابن قيم الجوزية (١/ ٤٤٨).

(٣) رواه أبو داود (١٤٩٦)، والترمذي (٣٤٧٨)، وابن ماجه (٣٨٥٥).

قال الحافظ المنذري: كلهم رووه عن عبيدالله بن أبي زياد القدَّاح، عن شهر بن حَوْشَب، عن أسماءَ رضي الله عنها.

وعبيدُ بن أبي زياد القداح قال ابن معين: ضعيف، وقال أبو داود: أحاديثه مناكير، وقال الإمام أحمد: ليس بالثقة، وقال مرة: صالح الحديث، وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال ابن عدي: لم أرَ شيئًا له منكرًا، وقال يحيى بن سعيد: كان وسطًا ليس بذاك.

قال الحافظ المنذري: وصحح الترمذي حديثه في اسم الله الأعظم(١).

وأما شهر بن حوشب، فقال ابن عون: تركوه.

وقال شبابة عن شعبة: لقيت شهرًا فلم أعتدَّ به.

وقال ابن عديٍّ: شهرٌ ممن لا يعتدُّ بحديثه، ولا يُتدين بحديثه.

وقال أبو حاتم: ليس بدون أبي الزبير، ولا يحتج به.

وقال النسائي وغيرُه: ليس بالقوي.

وقال أبو زرعة: لا بأس به، وقال يعقوبُ بن شيبة: شهر ثقة، طعن فيه بعضهم، ووثقه الإمام أحمد، وابن معين، والعجلي، والفسوي(٢)، وروى له مسلم مقرونًا، واحتج به غير واحد(٣).

---

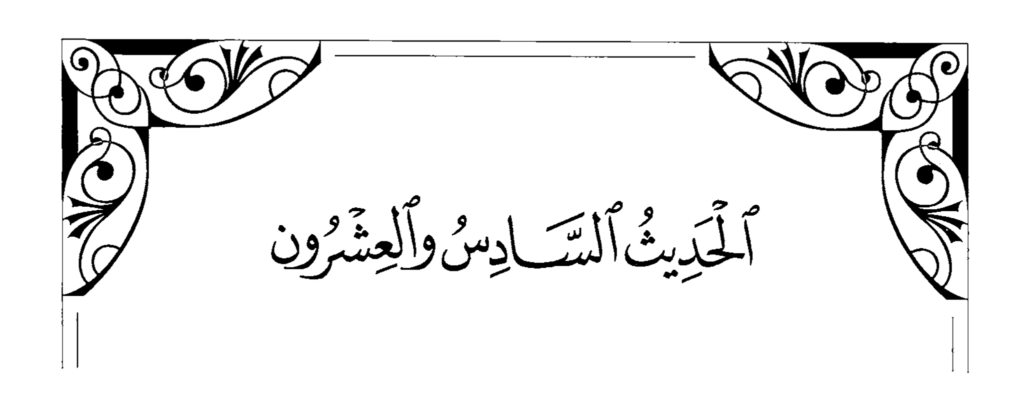
(١) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٤٨٧، ٤/ ٥٧٤ ـ مصطفى البابي الحلبي).

(٢) في الأصل: «النسوي»، والتصويب من «الترغيب والترهيب».

(٣) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٥٧١ ـ مصطفى البابي الحلبي).

وتقدم الكلام أن (الحي القيوم) هو الاسم الأعظم في أول الكتاب في الكلام على البسملة. والله أعلم.

* * *



الحديث السادس والعشرون

٧٣٤ ـ عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(عن) أبي إسحاقَ (سعدِ بنِ أبي وقاصٍ ﷺ)، واسمُ أبي وقاص: مالكُ بنُ وُهيب، وتقدمت ترجمته في صدر الحديث السابع من (فضل الأذان)، (قال: قال رسولُ الله ﷺ: دعوة ذي النون)؛ أي: صاحبُ الحوت، وجمعه: نينان، وأنوان؛ كما قالوا: حوت وأحوات.

ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ أنه كان يقول: سبحان من يعلم اختلاف النينان في البحار الغامرات[2].

وذو النون هو يونسُ بنُ متى ـ عليه السلام ـ لأنه ابتلعه، فنادى في

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٠٥)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٦٥٦).

(٢) أورده ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ١٣٠).

الظلمات بالدعاء الآتي.

وقوله: (**إذْ**)؛ أي: وقتَ وزمنَ (**دَعا**)؛ يعني: وقت دعائه (**وهو في بطن الحوت**) جملة المبتدأ والخبر حالية، والواو في (وهو) للحال، والدعاء الذي دعا به هو قوله: (﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾) قال النبي ﷺ: (**فإنه**)؛ أي: الشأن والأمر (**لم يدعُ بها**)؛ أي: بدعوة ذي النون هذه (**رجلٌ**) المراد: عبدٌ من ذكرٍ وأنثى (**مسلم**)؛ لأن غير المسلم لا ينظر إليه، ولا يعول عليه (**في شيء**) من الأشياء جَلَّ أو قَلَّ (**قَطٍّ**) مشددة الطاء المهملة مجرورة بمعنى الدهر مخصوص بالماضي؛ أي: فيما مضى من الزمان، أو فيما انقطع من عمري، وتكون بمعنى (حيث)، وتكون اسم فعل بمعنى (يكفي)، وعند أهل البصرة تكون بمعنى (حسن).

وإذا أردت بـ (قطُّ) الزمان؛ نحو: ما رأيت مثله قَطُّ، وما فعلت هذا قطُّ؛ يختص بالنفي ماضيًا، وأما قول العامة: لا أفعله قَطُّ؛ فخلاف المشهور في اللغة.

وقد جاء في مواضع من البخاري بعد المثبت، منها في الكسوف: أطول صلاة صليتها قَطُّ[1]، وفي «سنن أبي داود»: توضأ ثلاثًا قَطُّ[2].

وأثبته ابن مالك في «الشواهد» [لغةً][3]، قال: وهي مما خفي على

---

(١) لم نقف عليه بهذا اللفظ، وفيه من حديث أبي موسى رضي الله عنه (١٠٥٩): فصلى بأطول قيام وركوع وسجود رأيته قطُّ.

(٢) رواه أبو داود (١١٠ ـ دار الرسالة العالمية).

(٣) ما بين معكوفين من «القاموس المحيط».

كثير النحاة[1]. وما له إلا عشرة قط [يا فتى] ـ مخففًا مجزومًا، ومثقلًا مخفوضًا ـ من «القاموس»[2].

(إلا استجاب الله) ﷻ **(له)**؛ أي: للعبد المسلم الداعي بدعوة ذي النون عليه السلام.

(رواه الترمذي، والنسائي في «عمل يوم وليلة»).

قلت: ورواه الإمام أحمد، والحاكم في «المستدرك»، والحافظ المصنف في «المختارة»، وقال الحاكم: صحيح، وأقروه[3].

وزاد الحاكم في طريق عنده: فقال رجل: يا رسول الله! هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «ألا تسمع إلى قول الله ﷻ: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[الأنبياء: ٨٨]»[4].

وفي رواية عند الترمذي عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ قال: «إني لأعلمُ كلمةً ما قالها مكروبٌ إلا فرَّج الله كربه، ولا دعا بها عبدٌ مسلم إلا استجيب له: دعوة أخي يونس: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[الأنبياء: ٨٧]»[5].

---

(١) انظر: «شواهد التوضيح» لابن مالك (ص: ٢٤٨).

(٢) انظر: «القاموس المحيط» للفيروزأبادي (مادة: قطط).

(٣) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١/ ١٧٠)، والحاكم في «المستدرك» (١٨٦٢)، والمقدسي في «الأحاديث المختارة» (٣/ ٢٣٣).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٥).

(٥) لم نقف عليه عند الترمذي بهذا اللفظ، وإنما بلفظ حديث الباب، وقد تقدم تخريجه.

وقد جاء في حديث مرفوع: أن هذا الدعاء هو اسم الله الأعظم، الذي إذا دُعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى[1].

فإنْ قلت: أي دعاء في حديث بريدة، وأنس، وسعد بن أبي وقاص ﷺ إنما هو ثناء وذكر لا دعاء؟

فالجواب: في ضمن الثناء سؤال بلطافة رقيقة، وإشارة أنيقة.

وفي حديث جابرِ بنِ عبدِالله ﷺ الذي عند الترمذي، وحسَّنه، وتقدم في (فضائل الذكر بعدَ المكتوبة)[2]، وهو الحديث التاسع في (فضائل الذكر في جميع الأوقات)، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أفضلُ الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمدُ لله».

فإطلاق الدعاء على الحمد من باب المجاز، وإنما جعل أفضل الدعاء؛ لكونه سؤالًا بلطافة يدق مسلكه، ومن هذا الباب قولُ أميةَ بنِ أبي الصلت وقد قصد بعض الملوك يطلب حباءهُ ونائله:

أأذكرُ حاجتي أم قد كفاني
ثنائي[3] إن شيمتك الحياءُ
إذا أثنى عليك المرءُ يومًا
كفاه من تعرضه الثناءُ[4]

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٨٦٥) من حديث سعد ﷺ.

(٢) تقدم برقم (١٠٢).

(٣) كذا في الأصل، وفي الديوان: «حياؤك».

(٤) من الوافر. انظر: «ديوانه» (ص: ١٧، ١٩).

وتقدم في شرح الحديث عدة وجوه، فمنها: إنما كان أفضل الدعاء الحمد؛ لأن الحمد فاتحة أم القرآن، ولم يفتتح القرآن بغيره من الأدعية؛ لأن أفضل الدعاء أن يذكر العبدُ ربه، ويسأله من فضله، والحمد لله يشتمل الدعاء، وطلب المزيد.

وتقدم كلامُ المحقق ابن القيم في «الكلم الطيب والعمل الصالح»، وحديث: «من شغله ذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضلَ ما أعطي السائلين»[1].

قال: ولهذا كان المستحب في الدعاء أن يبدأ الداعي بحمد الله، والثناءِ عليه بين يَدي حاجته.

ثم قال: وهكذا دعاء ذي النون الذي قال فيه النبي ﷺ: «دعوة أخي ذي النون، ما دعا بها مكروب إلا فرج كربه. . .» الحديث[2].

قال: وهكذا عامة الأدعية النبوية؛ كدعاء الكرب: (لا إله إلا الله العظيمُ الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله ربُّ السماوات وربُّ الأرض ربُّ العرش الكريم). وذكر حديث بريدة الأسلمي، وحديث أنس أيضًا[3].

وقال الإمام النووي في «شرح صحيح مسلم» في دعاء الكرب: هو حديث جليل، ينبغي الاعتناءُ به، والإكثار منه عندَ الكرب والأمور العظيمة.

قال الطبري: كان السلف يدعون به ويسمونه: دعاء الكرب.

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢٠)، والحديثان تقدم تخريجهما.

ثم قال: فإن قيل: هذا ذكر، وليس فيه دعاء، فجوابه من وجهين مشهورين:

أحدهما: أن هذا الذكر يستفتح به الدعاء، ثم يدعو بما شاء.

والثاني: جواب سفيان بن عُيينة، فقال: أما علمتَ قولَه تعالى: «من شغله ذكري عن مسألتي؛ أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»[1]؟

وقال الشاعر:

إذا أثنى عليك المرءُ يومًا
كفاه من تَعَرُّضِه الثناءُ[2]

انتهى[3].

قال المحقق ابن القيم في «الكلم الطيب» بعد ذكر حديث الكرب، وحديث بريدة، وحديث أنس، وحديث فضالة بن عبيدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سمع رجلًا يدعو في صلاته، فلم يمجِّد الله، ولم يصلِّ على النبيِّ ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هذا»، ثم دعاه فقال له: «إذا صلى أحدكم؛ فليبدأ بتحميد ربه، والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعدُ ما شاء». رواه الإمام أحمد، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح[4]، ورواه الحاكم

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) من الوافر، وتقدم قريبًا أنه من قول أمية بن أبي الصلت. انظر: «ديوانه» (ص: ١٩).

(٣) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٤٧).

(٤) تقدم تخريجه.

في «صحيحه»[1]: فأخبر النبي ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر، وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله والثناء عليه أنجحَ ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه [فائدة أخرى] من فضائل[2] الذكر والثناء: أنـ[ـه] يجعل الدعاء مستجابًا، فالدعاء الذي يتقدمه الذكر والثناء أفضلُ وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد، فإن انضاف إلى ذلك إخبارُ العبد بحاله ومسكنته، وافتقاره واعترافه؛ كان أبلغ في الإجابة وأفضل؛ فإنه يكون قد توسل إلى المدعوِّ بصفات كماله وإحسانه وفضله، وصرح بشدة حاجته وضرورته، وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه، وأوصافُ المسؤول مُقتضى منه، فاجتمع المقتضى من السائل والمقتضى من المسؤول في الدعاء، فكان أبلغَ وألطفَ موقعًا، وأتمَّ معرفة وعبودية[3].

وتقدم ذلك في أثناء شرح حديث جابر ﷺ، والله الموفق.

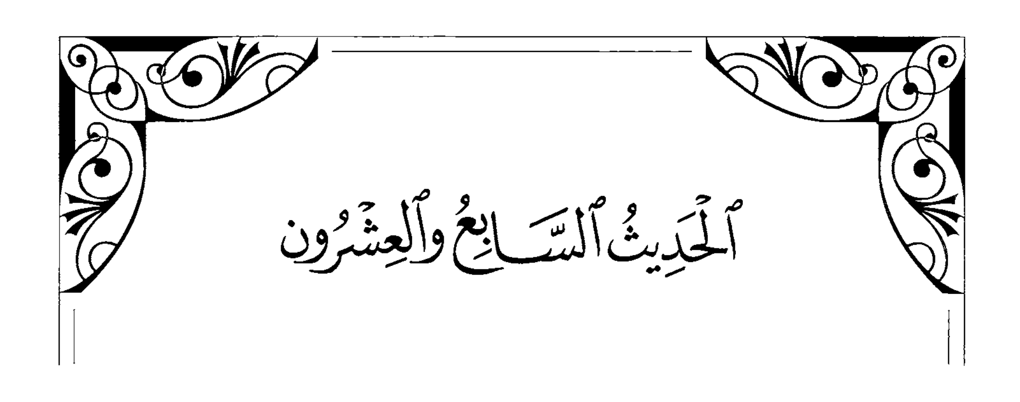
* * *

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) كذا في الأصل، وفي «الكلم الطيب»: «فوائد».

(٣) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١٢١).



الحديث السابع والعشرون

٧٣٥ ـ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتِ الجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ؛ قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَه، وَالنَّسَائِيُّ فِي «عَمَلِ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ»[1].

(**عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من**)؛ أي: أيُّ عبدٍ مسلم (**سأل الله**) ﷻ (**الجنة**) التي هي دار المتقين، ومأوى الصالحين، ذات العزة والتكريم، وذات النعيم المقيم ـ نسأل الله تعالى دخولها ـ (**ثلاثَ مرات**) بعزم وإخلاص، وصدق اعتقاد، ونية خالصة؛ (**قالت الجنة**) بلسان الحال، ولا مانع من كونه بلسان القال؛ بأن يجعل الله تعالى لها إدراكًا واقتدارًا على القول، والله على كل شيء قدير (**اللهم**)؛ أي: يا ألله بجودك وكرمك (**أدخله الجنة**)، ولا تخيب سؤالَه، ولا تقطع آماله، وأحسن منقلبه ومآله، (**ومن**)؛ أي: وكل عبد مؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر من ذكرٍ وأنثى (**استجار**)؛

(١) رواه الترمذي (٢٥٧٢)، وابن ماجه (٤٣٤٠)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١١٠).

أي: طلب من الله الكريم الغفار أن يجيره (**من النار**) التي هي دار البوار، ومأوى الفجار، بصدق نية، وإخلاص أمنية (**ثلاثَ مراتٍ؛ قالت النار**) إما بلسان الحال، أو القال: (**اللهمَّ أَجره من**) دخول (**النار**).

(**رواه الترمذي، وابن ماجه، و**)رواه (**النسائي في**) كتابه («**عمل يوم وليلة**»)، ورواه الحاكم بإسناد صحيح[1]، ورواه ابن حبان في «صحيحه»[2]، ولفظهم واحد.

وفي «موطأ الإمام مالك»، و«صحيح مسلم»، و«سنن أبي داود»، والترمذي، والنسائي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورةَ من القرآن: قولوا: «اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات»[3].

وفي «صحيح مسلم» عن أم حبيبة رضي الله عنها ـ وهي أم المؤمنين رملَةُ بنتُ أبي سفيان رضي الله عنهما ـ زوج النبي ﷺ قالت: سمعني رسول الله ﷺ وأنا أقول: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله ﷺ، وبأبي أبي سفيان، وبأخي معاوية، فقال: «سألتِ الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة، لن يُعجِّلَ شيئًا منها قبل حلِّه أو يُؤَخِّرَ[4]، ولو كنتِ سألتِ الله أن يعيذك من عذابٍ في

---

(١) رواه الحاكم في «المستدرك» (١٩٦٠).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (١٠٣٤).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (١/ ٢١٥)، ومسلم (٥٩٠/ ١٣٤)، وأبو داود (١٥٤٢)، والترمذي (٣٤٩٤)، والنسائي (٢٠٦٣).

(٤) في الأصل: «قبل أجله ولا يؤخر»، والمثبت من «صحيح مسلم».

النار، وعذابٍ في القبر؛ كان خيرًا وأفضل»[1].

وروى أبو يعلى بإسناد صحيح على شرط الشيخين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما استجار عبدٌ من النار سبعَ مرات إلا قالت النار: يا رب! إن عبدك فلاناً استجار مني، فأجره، ولا سأل عبدٌ الجنةَ سبع مرات إلا قالت الجنة: يا رب! إن عبدك فلاناً سألني، فأدخله الجنة»[2].

وتقدم حديث أبي هريرة ﷺ عند الشيخين وغيرِهما: «إن لله ملائكة سيارة»، وفيه أن الحق جل شأنه ـ وهو أعلم ـ يقول لهم: «فما يسألوني؟ قالوا: يسألونك جنتك، قال: وهل رأوا جنتي؟ قالوا: لا أي رب، فقال: فكيف لو رأوا جنتي؟ قالوا: ويستجيرونك، قال: وما يستجيروني؟ قالوا: من نارك يا رب، قال: وهل رأوا ناري؟ قالوا: لا، قال: فكيف لو رأوا ناري؟ قالوا: ويستغفرونك، قال: فيقول: قد غفرت لهم، وأعطيتهم ما سألوا، وأجرتهم مما استجاروا...» الحديث[3].

وعند الحسن بن سفيان عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «أكثروا مسألة الله الجنة، واستعيذوا بالله من النار؛ فإنهما شافعتان مشفعتان، وإن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة؛ قالت الجنة: يا رب! عبدك هذا الذي سألنيك، فأسكنه إياي، وتقول النار: يا رب! عبدك هذا الذي استعاذ بك مني، فأعذه»[4].

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٣/ ٣٢).

(٢) رواه أبو يعلى في «مسنده» (٦١٩٢).

(٣) تقدم تخريجه.

(٤) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧٠) وفيه: حدثنا أبو عمرو بن حمدان، حدثنا =

وقد امتنع جماعة من السلف من أن يسألوا الله ﷻ الجنة، وقالوا: حسبنا أن يجيرنا من النار، منهم: أبو الصهباء، وعطاء السلمي.

يروى أن أبا الصهباء[1] صلى ليلة إلى السحر، ثم رفع يديه وقال: اللهم أجرني من النار، أَوَمثلي يجترئ يسألك الجنة[2]؟

وكان عطاءٌ السلمي لا يسأل الجنة، فقال له صالح المري: إن أبان حدثني عن أنس ﵁: أن النبي ﷺ قال: «يقول الله ﷻ: انظروا في ديوان عبدي، فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته، ومن استعاذني من النار أعذته»، فقال عطاء: كفاني أن يجيرني من النار. ذكر ذلك أبو نعيم[3].

وأخرج أبو داود عن جابر ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسأل

= الحسن بن سفيان، حدثنا المقدمي، حدثنا عمر بن علي، عن يحيى بن عبدالله، عن أبيه، عن أبي هريرة، ورواه من غير طريق الحسن ابن فاخر في «موجبات الجنة» (٥٠)، ورواه الديلمي في «الفردوس» مختصرًا (٢١٣).

(١) أبو الصهباء صلة بن أَشْيَم العبدي، تابعي مشهور، أرسل حديثًا فذكره ابن شاهين وسعيد بن يعقوب في الصحابة، وذكره في التابعين البخاري، وابن أبي حاتم، وابن حبان وقال: قتل في أول ولاية الحجاج على العراق سنة (٧٥هـ)، قال: وقيل في خلافة يزيد بن معاوية. وقيل غير ذلك. انظر: «الإصابة» لابن حجر (٣/ ٤٦٣).

(٢) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٦٣)، والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٤٨)، وابن أبي الدنيا في «محاسبة النفس» (٣٣).

(٣) رواه أبو نعيم في «صفة الجنة» (٧١)، وفي «حلية الأولياء» (٦/ ١٧٥) وقال: غريب من حديث صالح، لم نكتبه إلا من حديث إسماعيل بن نصر.

بوجه الله إلا الجنة»[1].

وأخرج أبو داود ـ أيضًا ـ : أن النبي ﷺ قال للفتى ـ يعني : الذي شكاه ـ : «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟» قال : أقرأ بفاتحة الكتاب، وأسأل الله الجنة، وأعوذ به من النار، وإني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ، فقال النبي ﷺ : «إني ومعاذ حولها ندندن»[2].

(واعلم أن الجنة تطلب أهلها طلبًا حثيثًا بالذات، وتجذبهم إليها جذبًا، والنار كذلك، وقد أمرنا نبينا ﷺ بدوام ذكرهما، وحثنا على ذلك حثًّا بليغًا.

فأخرج أبو يعلى الموصلي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لا تنسوا العظيمتين»، قلنا : وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال : «الجنة والنار»[3].

وروى أبو بكر الشافعي عن كليب بن حَزْن مرفوعًا : «اطلبوا الجنة جهدكم، واهربوا من النار جهدكم؛ فإن الجنة لا ينام طالبها، وإن النار لا ينام هاربها، وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وإن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات، فلا تلهينكم عن الآخرة»[4].

---

(١) رواه أبو داود (١٦٧١).

(٢) رواه أبو داود (٧٩٣) من حديث جابر بن عبدالله رضي الله عنهما.

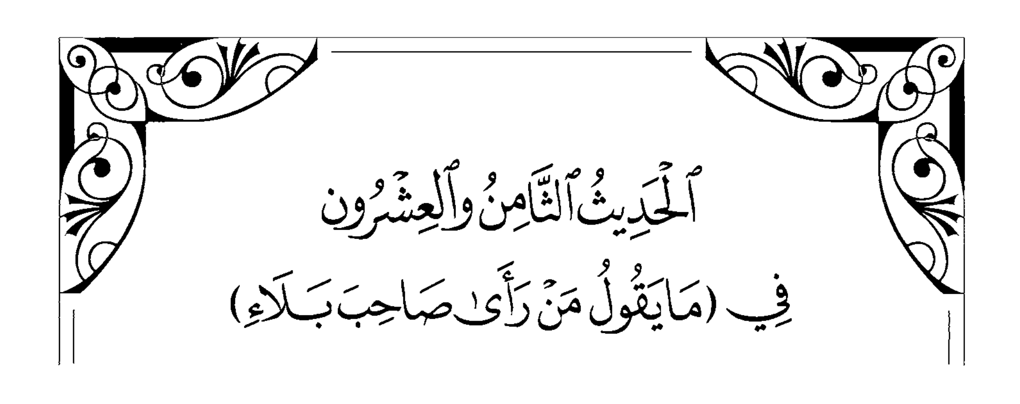
(٣) رواه أبو يعلى في «مسنده»؛ كما في «المطالب العالية» لابن حجر (٣٣١٨).

(٤) لم نقف عليه عند أبي بكر الشافعي، ورواه ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (٥)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٣٦٤٣)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٠) مختصرًا.

قال الحافظ ابن الجوزي: اعلم أن الجنة محفوفة بالمكاره، فمتى أردتها؛ فاصبر على ما تكره؛ لعلك تنال ما تحبُّ.

وقد أطلت الكلام في هذا المقام في كتابي «البحور الزاخرة في علوم الآخرة». والله أعلم.

* * *



الحديث الثامن والعشرون في (ما يقول من رأى صاحب بلاء)

٧٣٦ ـ عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ فَجِئَهُ صَاحِبُ بَلَاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا؛ عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ». زَادَ التِّرْمِذِيُّ: «مَا عَاشَ»، وَعِنْدَهُ: «مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ». رَوَاهُ ابْنُ مَاجَه هَكَذَا مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ عُمَرَ وَقَالَ: حَدِيثٌ غَرِيبٌ[1].

(عن عبدِالله بنِ عمرَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: مَنْ)؛ أي: أيُّ امرئ مسلم (فَجِئَهُ)؛ أي: بغته، يقال: فَجِئَهُ الأمرُ وفَجَأَهُ فُجَاءَةً ـ بالضم والمد ـ وفاجأَه مفاجأَةً: إذا جاءه بغتةً من غير تقدم سبب، وقيده بعضهم بفتح الفاء وسكون الجيم من غير مدٍّ (صاحب بلاء) في بدنه ودينه، (فقال) المرء الذي فجئه مَن به البلاء بعد رؤيته له، أو علمه بحضوره: (الحمد لله الذي عافاني مما)؛ أي: من البلاء الذي (ابتلاك) الله تعالى (به، وفضلني) الله ـ سبحانه وتعالى ـ (على كثير ممن خلق) تعالى من خلقه (تفضيلًا) كثيرًا

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٩٢)، والترمذي (٣٤٣١).

ظاهرًا؛ (**عُوفي**) ـ بضم العين مبنيًّا لما لم يسمَّ فاعله ـ أي: عافاه الله (**من ذلك البلاء**)، فلن يصيبه ذلك الداء، ولم يُبْتَل بذلك الداء (**كائنًا**) ذلك البلاء (**ما**) هو (**كائن**)؛ يعني: أي داء وبلاء كان فإن الله تعالى يعافيه منه، فلم يُبتل به، ولم يصبه.

(**زاد**) أبو عيسى (**الترمذي: ما عاش**)؛ أي: مدة حياته يكون معافًى منه، (**وعنده**[1]: **مَن رأى صاحب بلاء**)؛ يعني: وقال الذِّكر المذكور.

قال الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى ـ : (**رواه ابن ماجه هكذا من حديث ابنِ عمر، ورواه الترمذي عن عمرَ**) لا عن ابنه، و(**قال**) الترمذي: (**حديث غريب**).

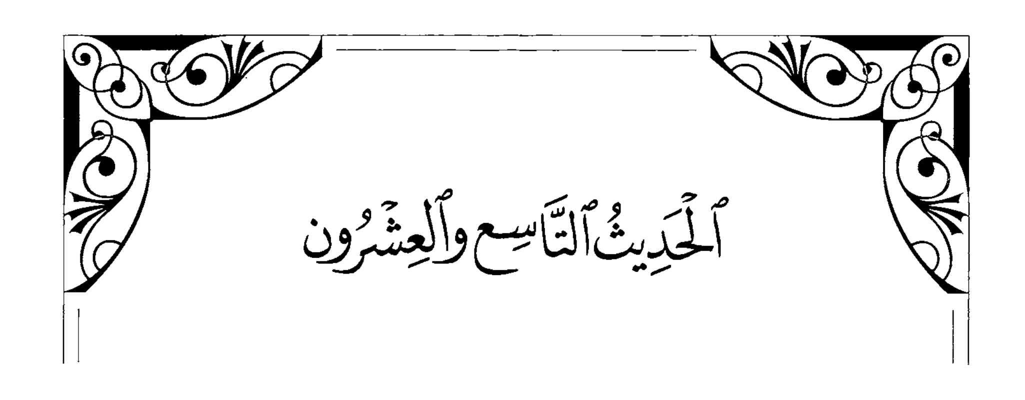
وفي «الترغيب» للحافظ المنذري: حديث حسن غريب[2].

* * *

---

(١) في الأصل: «وهذا»، والمثبت من متن «فضائل الأعمال».

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ١٣٨).



٧٣٧ ـ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مُبْتَلًى فَقَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلَاكَ بِهِ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا؛ لَمْ يُصِبْهُ ذَلِكَ البَلَاءُ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: وَرُوِيَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: إِذَا رَأَى صَاحِبَ بَلَاءٍ؛ يَتَعَوَّذُ، [و]يَقُولُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ وَلَا يُسْمِعُ صَاحِبَ الْبَلَاءِ[1].

(**عن أبي هريرةَ ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: من**)؛ أي: كل امرئ مسلم (**رأى**) امرأً (**مبتلى**) في بدنه أو دينه، (**فقال**) عقبَ رؤيته له: (**الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك**) اللهُ مولاك (**به**)، وخص بعضُ العلماء هذا القولَ في مشافهة من خلع ربقةَ الدين من عنقه، لا في مبتلى بنحو مرض، أو نقصِ خلقة؛ فإن في ذلك من كسر قلب المبتلى أمرًا عظيمًا.

نعم، يقول ذلك سرًّا.

---

(١) رواه الترمذي (٣٤٣٢).

(وفضلني على كثير) بالصحة في البدن، والسلامة في الدين (ممن خلق تفضيلًا) زائدًا ظاهرًا، فإذا قال ذلك على سبيل شكر نعمة الله الذي عافاه الله مما ابتلى مَن ابتلاه، ولم يكن على سبيل التشفي والعجب والفخر = (لم يصبه ذلك البلاء.

(رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب).

* تنبيه:

لا يخفى أن الحافظ المصنف ـ روَّح الله روحه ـ عدَّ ما ذكر حديثين، وأما الحافظ عبد العظيم المنذري؛ فعدَّهما حديثًا واحدًا، ولفظه: عن عمر وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «من رأى مبتلى ـ وفي لفظ: صاحبَ بلاء ـ فقال: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك الله به، وفضلني على كثير ممن خلقه تفضيلًا؛ لم يصبه ذلك البلاء». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن غريب، ورواه ابن ماجه من حديث ابن عمر[1].

ورواه البزار، والطبراني في «الصغير» من حديث أبي هريرة وحده، وقال فيه: «فإنه إذا قال ذلك؛ شكر تلك النعمة»، وإسناده حسن، ورواه الإمام أحمد[2].

* توضيح:

قال علماؤنا وغيرهم: من رأى مبتلى في دينه؛ سجد بحضوره وغيره

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٩٢).

(٢) رواه البزار في «مسنده» (٩١٠٦)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ٤)، وقال المنذري في «الترغيب والترهيب» (٤/ ١٣٩): إسناده حسن. ولم نقف عليه عند الإمام أحمد.

شكرًا، وقال الذكر المذكور، وهو: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك الله به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا»، وإن كان مبتلًى في بدنه؛ سجد وقال ذلك، وكتمه منه، ويسأل الله العافية؛ لأنه ﷺ رأى رجلًا به زمانة فسجد. رواه الشَّالَنْجِي[1]، وأَمرَ في خبر آخر بسؤال العافية.

قال في «الفروع»: وظاهر كلام جماعة: لا يسجد.

قال: ولعله ظاهر الخبر؛ يعني: «من رأى صاحب بلاء...» الحديث.

قال إبراهيم النخعي: كانوا يكرهون أن يسألوا الله العافية بحضرة المبتلَى. ذكره ابن عبد البر[2].

ومثل هذا ما ذكره الحافظ المصنف ـ رحمه الله تعالى، ورضي عنه ـ بقوله:

---

(١) أبو إسحاق إسماعيل بن سعيد الشالنجي، ذكره أبو بكر الخلال فقال: عنده مسائل كثيرة، ما أحسب أن أحدًا من أصحاب أبي عبدالله روى عنه أحسن مما روى هذا، ولا أشبع، ولا أكثر مسائل منه، وكان عالمًا بالرأي، كبير القدر عندهم، معروفًا، ولم أجد هذه المسائل عند أحد رواها عنه إلا إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، فإنه حدث بها عن إسماعيل بن سعيد. توفي سنة (٢٣٠هـ)، وقيل: (٢٤٦هـ). انظر: «طبقات الحنابلة» لابن أبي يعلى (١/ ١٠٤)، و«الأنساب» للسمعاني (٣/ ٣٨٣).
والحديث رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٥٢٧٢)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٢/ ٣٧١)، من حديث عرفجة. قال البيهقي: ويقال هذا عرفجة السلمي، ولا يرون له صحبة، فيكون مرسلًا.

(٢) انظر: «الفروع» لابن مفلح (١/ ٤٤٧)، و«بهجة المجالس» لابن عبد البر (١/ ٣٨٥).

(**وروي عن أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ**)؛ يعني: المعروف بمحمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وأبوه علي زين العابدين، وهم من أعيان الأئمة الاثني عشر الذين ينتحلونهم الإمامية من فرق الرافضة: (**أنه**)؛ أي: محمد الباقر (**قال: إذا رأى**) المرء (**صاحبَ بلاء**) في بدنه، (**يتعوذ**)؛ أي: يقول: أعوذ بالله مما ابتلى به هذا، (**ويقول ذلك**)؛ يعني: التعوذ والذكر، وهو: «الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك الله به، وفضلني على كثير ممن خلق تفضيلًا» سرًّا (**في نفسه**) بحيث يُسمع نفسَه، (**ولا يُسمع صاحبَ البلاء**)؛ يعني: لئلا ينكسر قلبه.

*** تتمة:**

أبو جعفر المذكور هو محمدٌ الباقر بن علي زينِ العابدين بنِ سيدِنا الحسين شهيدِ كربلاء ابنِ أمير المؤمنين عليٍّ بنِ أبي طالب، رضوان الله وسلامه عليهم.

روى محمدٌ الباقر عن أبيه، وعن جدَّيه الحسن والحسين، وجابر، وابن عمر، وطائفة.

وروى عنه: ابنه جعفر الصادق، وعطاء، وابن جريج، والإمام أبو حنيفة النعمانُ بنُ ثابت، والأوزاعي، والزهري، وخلق.

وثقه الزهري وغيره، وذكره النسائي في فقهاء التابعين من أهل المدينة.

ومات ﷺ سنة أربع عشرة ومئة، وهو ابن ثلاث وسبعين سنة. والله أعلم.

(وأما أبوهُ عليُّ بنُ الحسينِ ابنِ أميرِ المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالبٍ ﷺ؛

فيكنى أبا الحسين، وأبا محمد، وأبا عبدالله، المدني، زين العابدين.

قال الزهري: ما رأيت قرشيًّا أفضلَ منه ولا أفقه[1].

وقال ابن المسيب: ما رأيت أورعَ منه[2].

وقال ابنُ أبي شيبة: أصحُّ الأسانيد كلِّها الزهريُّ عن عليِّ بن الحسين، عن أبيه، عن علي[3].

ولد زين العابدين سنة اثنتين وثلاثين، ومات سنة اثنتين وتسعين، أو ثلاثة، أو أربعة، أو خمسة، أو ستة وتسعين، أو مئة، رحمه الله ورضي عنه.

وأما ابنه الذي روى عنه؛ فهو جعفر الصادق بن محمد الباقر بن الحسين سبط رسول الله ﷺ شهيد كربلاء ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب الأنزع البطين، رضوان الله عليهم أجمعين، يكنى: أبا عبدالله، المدني، القرشي، الهاشمي، العلوي، وأمه أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصدِّيق الأعظم، وأمها أسماء بنتُ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضوان الله عليه، ولذلك كان يقول: ولدني أبو بكر ﷺ مرتين[4].

روى عن أبيه، وعن الزهري، وعن نافع، وابن المكندر.

وروى عنه: الثوري وابن عيينة السفيانان، وشعبة، ويحيى القطان، ومالك، وابنه موسى الكاظم، وآخرون.

---

(١) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٦٦).

(٢) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٧٦).

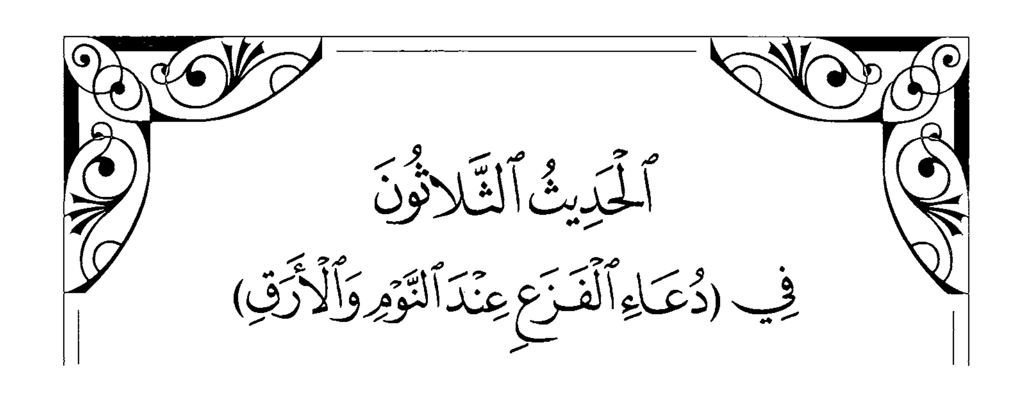
(٣) رواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١/ ٣٧٥).

(٤) انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٥/ ٧٥).

ولد ﷺ سنة ثمانين، ومات سنة ثمان وأربعين ومئة، ودفن فـي البقيـع في قبر أبيه محمد الباقر وجده زين العابدين، رحمهـم الله، ورضـي عـنهم أجمعين.

ولهم من المناقب والمآثر ما هو معلوم مشهور، يضيق مثلُ هـذا الـشرح عن ذكر ذلك. والله أعلم.

* * *



الحديث الثلاثون في (دعاء الفزع عند النوم والأرق)

أما (الفزع)؛ فهو الخوف؛ يقال: أفزعته: إذا خوفته، وإذا أغثته.

و(الأرق): السهر.

٧٣٨ ـ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرٍو ﵄: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ فِي النَّوْمِ؛ فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ غَضَبِهِ وَعِقَابِهِ وَشَرِّ عِبَادِهِ، وَمِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِيْنِ وَأَنْ يَحْضُرُونَ، فَإِنَّهَا لَنْ تَضُرَّهُ»، وَكَانَ عَبْدُاللهِ بْنُ عَمْرٍو يُعَلِّمُهَا مَنْ بَلَغَ مِنْ وَلَده، وَمَنْ لَمْ يَبْلُغْ مِنْهُمْ؛ كَتَبَهَا فِي صَكٍّ ثُمَّ عَلَّقَهَا فِي عُنُقِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ ـ وَهَذَا لَفْظُهُ ـ وَقَالَ: حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ فِي «الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ»[1].

(**عن عبدِالله بنِ عمرٍو**) بنِ العاص (﵄: **أن رسول الله ﷺ قال: إذا فزع أحدُكم**) معشرَ الأمة؛ أي: خاف وذُعر في النوم لأمرٍ ما؛ (**فليقل**) الفاء في جواب (إذا)، واللام للأمر، أمر إرشاد واستحباب، (**أعوذ**)؛ أي: ألجأ وأتحصن (**بكلمات الله**)؛ أي: القرآن العظيم، والذكر الحكيم (**التامة**)،

(١) رواه أبو داود (٣٨٩٣)، والترمذي (٣٥٢٨)، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦٥، ٧٦٦).

وفي لفظ: «التامات»[1]، وصفها بالتمام لأنه لا يجوز أن يكون في كلامه تعالى شيء من النقص ولا العيب كما يكون في كلام الناس.

وتقدم أن الإمام أحمدَ ﷺ كان يستدل به على أن كلامه تعالى ليس بمخلوق.

وقيل: معنى التمام هاهنا: أنها تنفع المتعوذ بها، وتحفظه من الآفات وتكفيه (**من غضبه**) تعالى وسخطه، متعلق بـ(أعوذ)، وغضبُه تعالى: إنكارُه على مَنْ عصاه، وإعراضُه عنه، (**وعقابِه**)؛ أي: عذابه ونَكاله، والعقبى: جزاء الأمر، وأعقبه: جازاه، وتعقبه: أخذه بذنبٍ كان منه، والعقاب: العقوبة، وقد عاقبه بذنبه، (**و**) من (**شر عباده**) الشَّر ويضم: نقيض الخير، والجمع (شرور)؛ يعني: من شر عباده الشريرين من الجن والإنس، (**و**) أعوذ بكلمات الله التامة (**من همزات الشياطين**)؛ أي: نزغاتهم بما يوسوسون به، وفسر بعضهم همزاتهم بوساوسهم، وأصل الهمز: النخس والغمز، وكل شيء دفعته فقد همزته، والهمز ـ أيضًا ـ: الغيبة، والوقيعة في الناس وذكر عيوبهم.

قال في «النهاية»: وفيه أنه كان يتعوذ من همزات الشيطان، وهمسه: هو ما يوسوسه في الصدور[2].

والشياطين جمع (شيطان)، مشتق من شَطَن: إذا بَعُدَ؛ لأنه مبعود من رحمته تعالى، أو من شاط: إذا احترق؛ لأنه محترق بغضب الله وسخطه.

---

(١) هذا لفظ الترمذي والنسائي، واللفظ الذي أورده المؤلف لفظ أبي داود.

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٥/ ٢٧٢).

(و) أعوذ بكلمات الله التامة **(أن يحضرون)** أصله: يحضرونني، دخل الناصب، فحذفت نون الرفع وبقيت نون الوقاية، والياء المحذوفة في الوقف للتخفيف في محل نصب على المفعولية.

فاستعاذ من كل شيطان عاتٍ متمردٍ من الجن أن يحضره، والحضورُ ضدُّ الغيبة.

والمراد: لا يقربوني ولا يحوموا حولي في شيء من أموري؛ لأنهم إنما يحضرون للفساد والإفساد، وبجلب السوء للعباد.

فإنها)؛ أي: الشياطين أو الأرواح التي أفزعته إذا تعوذ بهذه الكلمات التامات، **(لن تضره)**، وفي لفظ: «فإنها لا تضره»[1]، لا في بدنه، ولا في دينه، ولا في شيء من الأشياء؛ لكونه التجأ وتحصن بكلمات الله التامة، وهذا إنما يكون كذلك حيث صدر من قلبٍ مؤمن بنية خالصة، وعقيدة ناصعة.

قال عمرُو بنُ شُعيب عن أبيه عن جدِّه الذي هو عبدُالله بنُ عمرٍو ـ فيكون القائل شعيب؛ لأنه راوي الحديث عن جده عبدِالله ـ : **(وكان عبدُالله بنُ عَمرٍو)** بنِ العاص رضي الله عنهما **(يعلمها)**؛ أي: التعويذة المذكورة **(مَن)**؛ أي: أيَّ ولد **(بلغ)** الحلمَ **(من ولده)** من ذكرٍ وأنثى، **(ومَن لم يبلغ منهم)**؛ أي: من أولاده وأولاد أولاده؛ **(كتبها)**؛ أي: التعويذةَ **(في صكٍّ)** جمعُه (صِكاك)، وهو الكتاب؛ أي: يكتبها في كاغد من الورق.

وفي لفظ: وكان عبدُالله بنُ عمرٍو يُلقِّنها مَنْ عقلَ من ولده، ومَن لم

---

(١) رواه البخاري (٣٢٩٢) من حديث أبي قتادة رضي الله عنه.

يعقل، كتبها. . . الحديث[1].

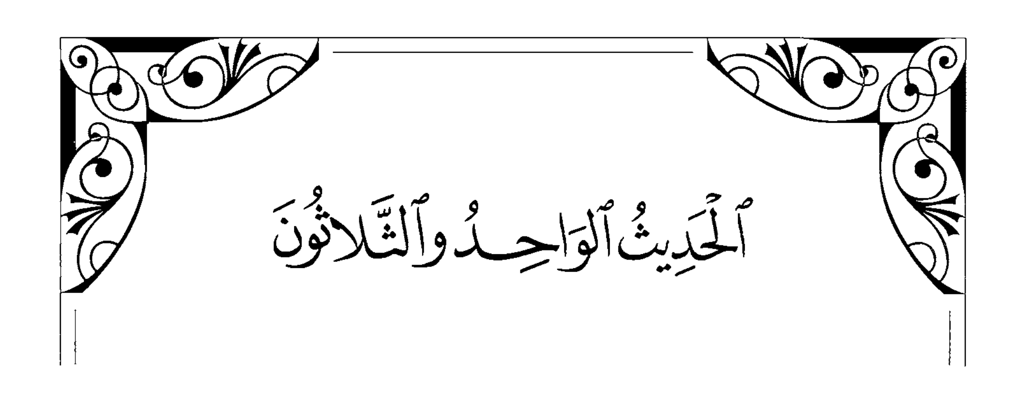
(ثم) بعدَ ما كتبها **(علقها)**؛ أي: التعويذة المكتوبة **(في عنقه)**؛ أي: في رقبة مَنْ لم يبلغ من ولده؛ ليدفع ببركتها ويمنها كيدَ الشياطين وشرورهم.

(رواه أبو داود، والترمذي، وهذا)؛ أي: اللفظ المذكور **(لفظه)**؛ أي: لفظ حديث الترمذي، **(وقال)** الترمذي: حديث **(حسن غريب، ورواه النسائي في)** «عمل **(«اليوم والليلة»)**، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد[2]، وليس عنده تخصيصها بالنوم.

* * *

(1) كذا أورد هذا اللفظ المنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٣٠٢)، وعزاه لأبي داود والترمذي والنسائي والحاكم، ولم نقف عليه.

(2) رواه الحاكم في «المستدرك» (٢٠١٠).



الحديث الواحد والثلاثون

٧٣٩ ـ وَرُوِيَ أَنَّ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيْدِ ﷺ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الأَرَقِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ؛ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ وَمَا أَقَلَّتْ، وَرَبَّ الشَّيَاطِيْنِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَارًا مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيْعًا أَنْ يَفْرُطَ عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ أَنْ يَبْغَى عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ». رواه الترمذي[1].

ما أشار إليه الحافظ المصنف ـ قدس الله روحه ـ بقوله:

(وروي أن) سيف الله المسلول، على رقاب الكافرين أعداءِ الله وأعداءِ الرسول؛ أبا سليمانَ (خالدَ بنَ الوليدِ) بنِ المغيرةِ بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم القرشيَّ المخزوميَّ، وأمه لبابة الصغرى، وهي بضم اللام وتخفيف الموحدة بعدها ألف، ثم موحدة.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٢٣) وقال: هذا حديث ليس إسناده بالقوي، والحكم بن ظهير قد ترك حديثه بعض أهل الحديث، ويُروى هذا الحديث عن النبي ﷺ مرسلًا من غير هذا الوجه.

وأما لبابة الكبرى؛ فهي امرأة العباس، وهي أختها، رضي الله عنهما، وكلاهما بنتُ الحارث، أختا ميمونةَ بنتِ الحارث أمِّ المؤمنين.

كان خالدُ بنُ الوليد أحدَ أشراف قريش في الجاهلية.

قال الزبير[1]: كانت له القبة، وأعنةُ الخيل، أما القبة؛ فكانوا يضربونها يجمعون فيها ما يجهزون به الجيش.

وأما الأعنة؛ فإنه كان يكون المقدم على خيول قريش في الحرب، ولم يزل يوليه النبي ﷺ أعنة الخيل، فيكون في مقدمها في محاربة العرب.

واختلف في سنة إسلامه، والمشهور أن إسلامَه وإسلامَ عَمرِو بنِ العاص وعثمان بن طلحة الحجبي سنة ثمان، وأبلى في الإسلام بلاء حسنًا، وسماه رسول الله ﷺ في غزوة مؤتة: سيفَ الله، ولا يصح له مع رسول الله ﷺ مشهد قبلِ فتح مكة؛ كما قاله ابن الأثير وغيره[2].

ولما عزله أميرُ المؤمنين عمرُ رضي الله عنهما عن ولاية حمص؛ لم يزل مرابطًا بها إلى أن مات رضي الله عنه سنة إحدى وعشرين، أو اثنتين وعشرين، وقبره بها مشهور على نحو ميل من حمص.

وزَعْمُ بعض الناس أنه توفي في المدينة غيرُ صحيح.

ولمَّا دمر تيمور كور كان المشهورُ بتمرلنك[3] البلاد الشامية، وأهلك

---

(١) أي: ابن بكار؛ كما في «أسد الغابة» لابن الأثير (٢/ ١٣٥).

(٢) المرجع السابق (٢/ ١٣٦).

(٣) اللنك: الأعرج، وكور كان؛ أي: صهر الملك، فإنه بعد استيلائه على ما وراء النهر تزوج بنات الملوك، فزادوا في ألقابه: كور كان. انظر: «السلوك» للمقريزي (٦/ ١٦٨)، و«عجائب المقدور في أخبار تيمور» لابن عربشاه (ص: ٢).

العباد الإسلامية؛ لم يتعرَّض لحمص بشيء تكرهه؛ فإنه وهبها لسيدنا خالدِ ابنِ الوليد، وجارُ الكرام لا يضام.

روي لخالد ﷺ عن رسول الله ﷺ ثمانية عشر حديثًا، اتفق الشيخان منها على حديث واحد.

روى عنه: ابن عباس ﵄ وهو ابن خالته.

وأوصى إلى عمر بن الخطاب.

قال محمد بن سلَّام ـ بتشديد اللام ـ: لم تبق امرأة من بني المغيرة إلا وضعت لمَّتها على قبر خالد بن الوليد؛ يعني: حلقت رأسها، ﷺ[1].

(شكا) خالد بن الوليد **(إلى النبي ﷺ، فقال)** في شكواه: **(يا رسول الله!)** إني **(ما أنام الليلَ من الأرق)**.

قال في «القاموس»: الأرق ـ محركة ـ: السهر بالليل؛ كالائتراق[2]، يقال: أرِقَ؛ كـ (فرح) ـ، فهو أرِقٌ، وآرق[3].

وفي «النهاية»: قد تكرر ذكر الأرق، وهو السهر، ورجل أرق: إذا سهر لعلَّةٍ، فإن كان السهر من عادته؛ قيل: أرق بضم الهمزة والراء. انتهى[4].

---

(١) انظر: «الاستيعاب» لابن عبد البر (٢/ ٤٣١)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٦/ ٢٧٨)، وابن أبي جرادة في «بغية الطلب» (٧/ ٣١٦٩) عن محمد بن سلام، عن أبان بن عثمان من قوله.

(٢) في الأصل: «الإيراق»، والتصويب من «القاموس المحيط» للفيروزأبادي.

(٣) المرجع السابق (مادة: أرق).

(٤) انظر: «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (١/ ٤٠).

(فقال) له **(النبي ﷺ: إذا أَويتَ)** ـ بقصر الهمزة ومدها ـ يقال: أوى إلى الله، وآواه الله، وقد جاء المد في كل منهما، لكن المد في المتعدي أشهر، والقصر في اللازم أشهر، والمعنى: إذا دخلت **(إلى فراشك)** الذي تريد أن تنام فيه، وتأوي إليه؛ **(فقل)** ـ أمر إرشاد وتعليم ـ في حال إيوائك وبعده بيسير: **(اللهم ربَّ السماواتِ السبعِ وما)**؛ أي: وكل شيء **(أَظْلَلْن)**، أي: غطينه وكنفنه، **(وربَّ الأرضينَ)** السبعِ **(وما)**؛ أي: كل شيء **(أَقْلَلْن)**، أي: حملنه ورفعنه على ظهورها.

والرواية المشهورة ـ كما في نسخة صحيحة ـ: «أظلت»، و«أقلت»، وهو المشهور المحفوظ، ويؤيده: قوله: **(ورب الشياطين وما أضلت)** بإغوائها ووسوستها، **(كنْ)** يا مولاي **(لي جارًا)** تجيرني وتحفظني وتحميني **(من شر خلقك كلهم)**؛ من إنسهم وجنهم وحيوانهم **(جميعًا)** حال مؤكدة **(أن يَفْرُط عليَّ أحدٌ منهم)**؛ أي: يتقدم ويتعدى عليَّ بالإيذاء أحدٌ منهم، **(أو أن يطغى)**؛ أي: يتعدى عليَّ ويجاوز الحدَّ في ضرري وأذيَّتي؛ من طغى في الكفر وجاوز القدر في الشر **(عليَّ)** متعلق بـ (يطغى)، يقال: طغوت وطغيت أطغى طغياناً، **(عَزَّ)**؛ أي: امتنع وارتفع **(جارك)**؛ أي: الذي دخل في جوارك، وأجرته من أعدائه، ومنه: ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾[الأنفال: ٤٨]، **(وجلَّ)**؛ أي: عظم وكبر وارتفع **(ثناؤك)** الجميل؛ أي: تعدادُ أوصافك الجميلة، ونعوتك الفضيلة، **(ولا إله)** يُعبد بحق **(غيرك، لا إله إلا أنت)** وحدَكَ لا شريك لك، لا في ذاتك، ولا في صفاتك، ولا في أفعالك، فأنت يا ألله المعبودُ بحقٍّ لا غيرُك.

(رواه الترمذي) من حديث بُريدة رضي الله عنه قال: شكا خالد بن الوليد إلى

النبي ﷺ، فذكره، وفيه: «ما أظلت» و«ما أقلت».

وفي رواية عند النسائي من حديث عمرِو بنِ شعيب، عن أبيه، عن جدّه قال: كان خالد بن الوليد رضي الله عنه يفزع في منامه، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فقال النبي ﷺ: «إذا اضطجعت؛ فقل: باسم الله، أعوذ بكلمات الله التامات - وفي لفظ: «بكلمة الله التامة»[1] - من غضبه وعقابه وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون؛ فإنها لا تضرك»[2].

وقال مالك في «الموطأ»: بلغني أن خالد بن الوليد رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: إني أروع في منامي، فقال له رسول الله ﷺ: «فقل...»، فذكر مثله[3].

ورواه الإمام أحمد عن محمد بن يحيى بن حبان، عن الوليد بن الوليد: أنه قال: يا رسول الله! إني أجد وحشة، قال: «إذا أخذت مضجعك؛ فقل...»، فذكره[4].

قال الحافظ المنذري: محمد لم يسمع من الوليد[5].

وروى الطبراني في «الأوسط» من حديث أبي أمامة رضي الله عنه قال: حدث خالد بن الوليد رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ عن أهاويل يراها بالليل حالت بينه وبين

---

(١) رواه النسائي في «عمل اليوم والليلة» (٧٦٦) بلفظ: «بكلمات الله التامة».

(٢) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٦٠٢).

(٣) رواه الإمام مالك في «الموطأ» (٢/ ٩٥٠).

(٤) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٤/ ٥٧).

(٥) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٢/ ٣٠٢).

صلاة الليل، فقال رسولُ الله ﷺ: «يا خالد بن الوليد! ألا أعلمك كلماتٍ تقولهن، لا تقولهن ثلاث مرات حتى يُذهب الله ذلك عنك؟» قال: بلى يا رسول الله بأبي أنت وأمي؛ فإنما شكوت هذه إليك رجاءَ هذا منك، قال: «قل: أعوذ بكلمات الله التامات من غضبه وعقابه، وشر عباده، ومن همزات الشياطين وأن يحضرون».

قالت عائشة رضي الله عنها: فلم ألبث إلا ثلاثَ ليال حتى جاء خالد بن الوليد رضي الله عنه وقال: يا رسول الله! بأبي أنت وأمي، والذي بعثك بالحق! ما أتممتُ الكلام - وفي لفظ: الكلمات[1] - الذي علمتني ثلاث مرات حتى أذهب الله عني ما كنت أجدُ، ما أبالي لو دخلت على أسد في خيسته بليل[2]، وفي لفظ: «بالليل»[3].

خيسة الأسد بكسر الخاء المعجمة: وهو موضعه الذي يأوي إليه.

* **تتمة في أشياء تردُّ كيد الشياطين، وتطفئ شرورهم، وتنفي شرهم:**

منها: ما ذكره أبو موسى الحافظ عن الحسنِ بنِ عليٍّ - رضوان الله عليهما - قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين آية أن يعصمه الله من كل سلطان ظالم، ومن كل شيطان مَريد، ومن كل سبع ضار، ومن كل لصٍّ عادٍ: آية الكرسي، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ

---

(١) هذا لفظ الطبراني.

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٩٣١)، وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٢٧): متروك.

(٣) لم نقف على هذا اللفظ.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ﴾[الأعراف: ٥٤]، وعشرًا من الصافات، وثلاث آيات من الرحمن: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾[الرحمن: ٣٣]، وخاتمة سورة الحشر: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا﴾ [الحشر: ٢١](١).

ومنها: ما ذكره المحقق في «الكلم الطيب» وغيره عن محمد بن أبان قال: بينما رجل في المسجد يصلي، إذ هو بشيء إلى جنبه، فهيلَ منه، فقال: ليس عليكَ مني بأس، إنما جئتك في الله تعالى، ائت عروةَ فاسأله: [ما] الذي يتعوذ ـ يعني: به ـ من إبليس الأبالس؟ قال: قل: آمنتُ بالله العظيم وحدَه، وكفرت بالجبت والطاغوت، واعتصمت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم، حسبي الله وكفى، سمع الله لمن دعا، ليس وراء الله مرمى(٢).

ومنها: ما ذكره في «الكلم الطيب»: قال بشر بن منصور عن وهيب(٣) ابن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل، قال: فسمعت حسًّا وأصواتًا شديدة، وجيء بسرير حتى وضع، وجاء شيء حتى جلس عليه، قال: واجتمعت إليه جنوده، ثم صرخ فقال: من لي بعروة بن الزبير؟ فلم يجبه أحد حتى تابع ما شاء الله ﷻ من الأصوات، فقال واحد منهم: أنا

---

(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٥)، ورواه الخطيب في «تاريخ بغداد» (٤/ ١٢٧).

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٥)، والحديث رواه الضياء المقدسي في «العدة للكرب والشدة» (٣٦).

(٣) في الأصل: «وهب»، والتصويب من «الكلم الطيب».

أكفيكه، قال: فتوجه نحو المدينة وأنا أنظر، ثم أوشك الرجعة، فقال: لا سبيل إلى عروة، قال: ويلك لم!؟ قال: وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى، فلا يخلص إليه معهن، قال الرجل: فلما أصبحت قلت لأهلي: جهزوني، فأتيت المدينة، فسألت عنه حتى دُللت عليه، فإذا شيخ كبير، فقلت شيئاً تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، فأبى أن يخبرني، فأخبرته بما رأيت وما سمعت، فقال: ما أدري، غير أني أقول إذا أصبحت: آمنت بالله العظيم، وكفرت بالجبت والطاغوت، واستمسكت بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها، والله سميع عليم، إذا أصبحت قلت ثلاث مرات، وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات[1].

ومنها: ما ذكره في «الكلم الطيب» أيضًا، قال: ذكر أبو موسى عن مسلمٍ البَطين قال: قال جبريل للنبي ﷺ: إن عفريتًا من الجن يكيدك، فإذا أويتَ إلى فراشك؛ فقل: أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بَرٌّ ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء، وما يعرج من الأرض، وما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير يا رحمان[2].

قال في «الكلم الطيب»: وذكر أبو موسى الحافظ عن إبراهيم بن الحكم،

---

(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٥)، والحديث رواه ابن أبي الدنيا في «الهواتف» (١٥٤) عن أبي الأسمر العبدي.

(٢) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٦)، والحديث رواه عبد الرزاق في «مصنفه» (١٩٨٣١)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٣٥٩٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٧١٠).

عن أبيه، عن عكرمة قال: بينا رجل مسافر، إذ مرَّ برجل نائم، ورأى شيطانَيْن، فسمع المسافرُ أحدَ الشيطانين يقول لصاحبه: اذهب فأَفسدْ على هذا النائم قلبه، فلما دنا منه، رجع إلى صاحبه، فقال: لقد نام على آية، ما لنا إليه سبيل، فذهب إلى النائم، فلما دنا منه، رجع فقال: صدقت، فذهبا، ثم إن المسافر أيقظه، وأخبره بما رأى من الشيطانين، فقال: أخبرني على أي آية نمت؟ قال: على هذه الآية: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ إلى ﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف: ٥٤][1].

ومنها: ما ذكره في «الكلم الطيب» أيضًا، وقال: وذكر أبو موسى الحافظ: قال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أُرمى في داري، فقيل: يا أبا النضر! تحول عن جوارنا، قال: فاشتد ذلك عليَّ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس، والمحاربي، وأبي أسامة، فكتب إليَّ المحاربي: إن بئرًا بالمدينة كان يقطع رشاؤها، فنزل بهم ركب، فشكوا ذلك إليهم، فدعوا بدلو من ماء، ثم تكلموا بهذا الكلام ـ يعني الآتي ـ فصبوه في البئر، فخرجت نار من البئر، فطفئت على رأس البئر.

قال أبو النضر: فأخذت تورًا من ماء، ثم تكلمت فيه بهذا الكلام، ثم تتبعتُ به زوايا الدار فرششته، فصاحوا بي: يا أبا النضر! أحرقتنا نحن نتحول عنك.

وهو: باسم الله، أمسينا بالله الذي ليس منه شيء ممتنع، وبعزة الله التي

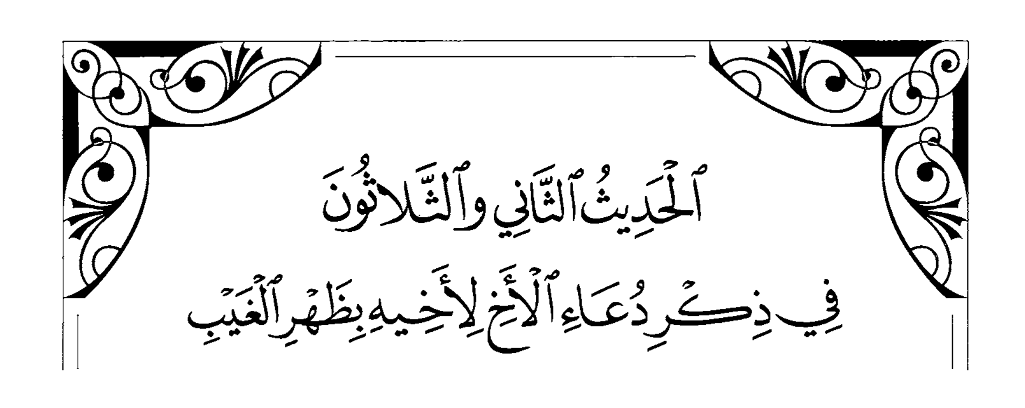
---

(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٦)، والحديث أورده أبو الليث السمرقندي في «تنبيه الغافلين» (ص: ٥٤٧).

لا ترام ولا تضام، وسلطان الله الممتنع نحتجب، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة، ومن شر شياطين الإنس والجن، ومن شر كل معلن أو مسر، ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم، أعوذ بالله، أعوذ بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذي وفى، ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر إبليس وجنوده، ومن شر ما يتقى، أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم، بسم الله الرحمن الرحيم، ﴿وَالصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ إلى قوله: ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١ ـ ١٠][(١)]، وبالله التوفيق.

* * *

(١) انظر: «الكلم الطيب» لابن قيم الجوزية (ص: ١١٧).



الحديث الثاني والثلاثون
في ذكر دعاء الأخ لأخيه بظهر الغيب

٧٤٠ ـ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو لأَخِيْهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ إِلَّا قَالَ الْمَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلِهِ». رَوَاهُ مُسْلِمٌ[١].

(عن أبي الدرداء) عُويمر بن عامر (ﷺ، **عن النبي ﷺ قال: ما من مسلم يدعو)** الله ﷻ **(لأخيه المسلم)**، وفي رواية: عن أم الدرداء قالت: حدثني سيدي ـ تعني: زوجها أبا الدرداء ﷺ ـ: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إذا دعا الرجل ـ أي: الشخص ـ لأخيه»[٢]، **(بظهر الغيب)**؛ أي: وهو غائب عنه، غيرُ سامع لدعائه، **(إلا قال له)**؛ أي: للداعي لأخيه بظهر الغيب **(المَلَكُ)** الموكل به، وفي الرواية الأخرى: «قالت الملائكة»[٣]؛ أي: من الحفَظَة، أو أعم من ذلك: **(ولك)** من الدعاء الذي دعوتَه لأخيك الغائب؛ أي: من دعوة، وما يحصل بسببه من ثواب دنيوي أو أخروي **(بمثله)** من الثواب وغيره كرمًا من الله تعالى، من غير أن ينقص من عود الدعاء، وما ينشأ عنه من المدعو له شيء.

---

(١) رواه مسلم (٢٧٣٢/ ٨٦).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٢/ ٨٧).

(٣) رواه الطبراني في «الدعاء» (١٣٢٨).

وفي لفظ: «ولك مثل ذلك»[1] بإسقاط الموحدة.

وفي رواية: «قال الملك الموكل به: آمين، ولك بمثله»[2].

وفي رواية: «دعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، عند رأسه ملك موكَّل به، كلما دعا لأخيه بخير؛ قال الملك الموكل: آمين، ولك بمثله»[3].

قال الإمام النووي في «شرح مسلم»: قوله: (بظهر الغيب) المراد في غيبة المدعو له، وفي سرِّ[ه]؛ لأنه أبلغ في الإخلاص.

وقوله: (ولك بمثل) هو بكسر الميم وإسكان الثاء المثلثة، قال: هذه الرواية المشهورة ـ يعني: بإسقاط الضمير ـ وقال القاضي ـ يعني: عياضًا ـ: ورويناه بفتحها أيضًا، يقال: هو بمثله، ومثله، ومثيله ـ بزيادة الياء ـ أي: عديلُه سواء.

قال: وفي هذا فضل الدعاء [لأخيه المسلم بظهر الغيب، ولو دعا لجماعة من المسلمين؛ حصلت هذه الفضيلة، ولو دعا] لجملة المسلمين؛ فالظاهر حصولها أيضًا.

قال: وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه؛ يدعو لأخيه المسلم بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها[4].

---

(١) رواه ابن فضيل في «الدعاء» (٦٣)، والطبراني في «الدعاء» (١٣٢٨).

(٢) رواه مسلم (٢٧٣٢/ ٨٧).

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٣/ ٨٨) من حديث أم الدرداء رضي الله عنهما.

(٤) انظر: «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٧/ ٤٩).

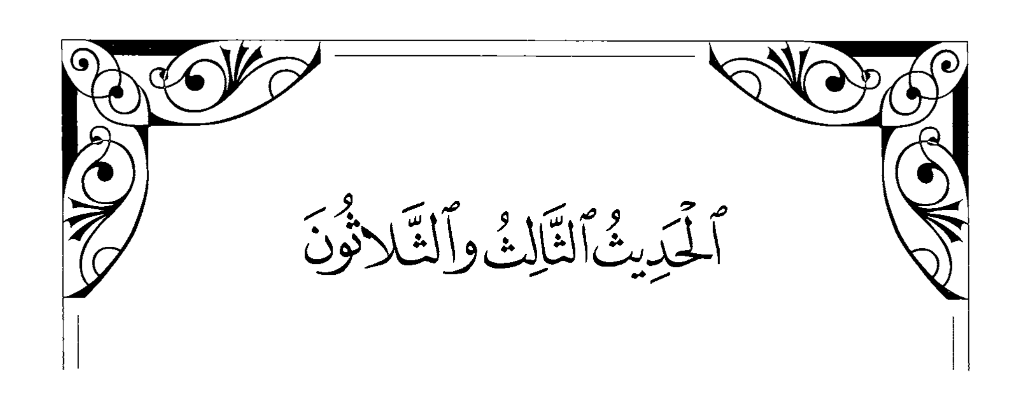
(رواه)؛ أي: الحديثَ المشروحَ **(مسلم)** في «صحيحه»، وأبـو داود في «سننه»[1]، واللفظ الذي في المتن لمسلم.

قال الحافظ المنذري: هذه أم الدرداء هي الصغرى، تابعية، واسمها هُجيمة، ويقال: جُهيمة ـ بتقديم الجيم ـ ويقال: جمانة، ليس لها صـحبة، إنما الصحبة لأم الدرداء الكبرى، واسمها خيرة[2]. والله أعلم.

* * *

(١) رواه أبو داود (١٥٣٤).

(٢) انظر: «الترغيب والترهيب» للمنذري (٤/ ٤٣).



الحَدِيثُ الثَّالِثُ والثَّلاثُونَ

٧٤١ ـ عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَـاصِ رضي الله عنه : أَنَّ رَسُـولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَسْرَعَ الدُّعَاءِ إِجَابَةً دَعْـوَةُ غَائِـبٍ لِغَائِـبٍ». رَوَاهُ أَبُـو دَاوُدَ، وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ[1].

(**عن**) أبي عبد الرحمن (**عبدِالله بنِ عمرِو**) بنِ العاص (رضي الله عنهما: **أن رسول الله ﷺ قال: إن أسرع**)، وفي رواية: «أسرع»[2] ـ من غير (إن) ـ (**الدعاء**) الذي يدعوه المرء (**إجابةً**) ونجاحًا (**دعوة**) مسلم (**غائب لـ**) أخ له مسلم (**غائب**)؛ أي: في غيبة المدعو له، وفي سره؛ لأنه أقرب للإخلاص؛ لكونه من وراء معرفة المدعو له ومعرفة الناس.

وإنما خص حالة الغيبة بالذكر؛ للبعد عن الرياء والأغراض الفاسدة، أو المنقِصة للأجر؛ فإنه في حالة غيبة المدعوِّ له يتمحض للإخلاص، ولا سيما إذا لم يطَّلع عليه أحد من الناس، فيقصد وجه الله تعالى بذلك الدعاء، فتوافقه الملائكة، وتُؤَمن على دعائه.

---

(١) رواه أبو داود (١٥٣٥)، والترمذي (١٩٨٠).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٢٣).

وتقدم في حديث أبي الدرداء ﷺ على لسان رسولِ الله ﷺ بأن لـه مثـلَ ما دعا لأخيه[1].

والمراد بالأخوة هنا الأخوة الدينية، سواء كان معها صداقة ومعرفـة، أو لا، وإنما كان دعاؤه أسرع للإجابة، وأقربَ لنجاح المطلوب؛ لأن الملـك يؤمِّن على الدعاء المذكور ـ كما مرَّ ـ، والملك معصوم.

قال الخرائطي في «مكارم الأخلاق»: عن يوسف بن أسباط قال: مكثـت دهرًا وأنا أظنُّ هذا الحديث إذا كان غائبًا، ثم نظرت فيه، فإذا هـو لـو كـان على المائدة، ثم دعا له وهو لا يسمعه، كان غائبًا[2].

(رواه)؛ أي: حديث عبدالله بن عَمرو المشروح **(أبـو داود، والترمـذي وقال: حديث غريب)**؛ لأنهما روياه من رواية عبـد الـرحمن بـن زيـاد بـن أنعم[3].

ورواه البخاري في «الأدب المفرد»، والطبراني في «الكبير»، وحسَّنه الحافظ السيوطي[4].

❒ ❒ ❒

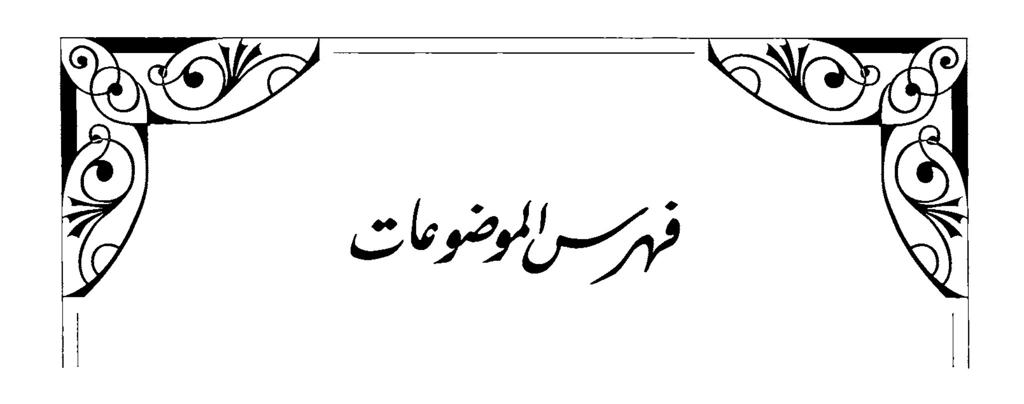
---

(١) تقدم برقم (٧٤٠).

(٢) رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (٧٨٨).

(٣) وهو يضعف في الحديث كما ذكر الترمذي عقب هذا الحديث.

(٤) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (٦٢٣)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٤٦٥٨ ـ الجريسي). وانظر: «فيض القدير» للمناوي (١/ ٥٠٥).



فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

كتاب الآداب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

